

لرغبة الكثيرين من العلماء والأدباء من قراء تفسير

الجواهر في مختلف الممالك الإسلامية . واشتياقهم لمشاهدة

صورة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الحكيم

(الشيخ طنطاوى جوهرى)

أجبنا ملتزمينهم وصدرنا هذا الجزء بآخر صورة

لفضيلته أدامه الله لخدمة العلم وبث المعارف ؟

مُصِطَفَى البَابِى الحَلْبِى وَأَوْلَادُهُ بِمُصَرَّ



- (١) الدين والعلم توأمان
- (٢) الدين يدرك بحاسة السمع ، ومشاهد الطبيعة تدرك بحاسة البصر ، والعقل يدبرهما
- (٣) ومن اكتفى بحاسة السمع فهو جهول
- (٤) إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا

١٧١



في تفسير القرآن الكريم

استعمل على عجائب البع لكانونا وغربا لآباءنا

تأليف

الأستاذ الحكيم شيخ ططاوي جوهرى
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بجلالة أمين

الجزء الثامن عشر

طبع بطبعة

مصطفى السباني الحسبى وأولاده بمصر

وحقوق الطبع محفوظة

وباشطبعة محمد امين عمران

ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ

فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الصافات (هي مكية)

(آياتها ١٨٢ - نزلت بعد الأنعام)

وفيها « أربعة فصول : الفصل الأول » في تفسير البسملة « الفصل الثاني » في التوحيد ووصف ابداع الله في السموات وخلق الانسان وأن الله خلق ما هو أعظم منه شأنًا كما جاء في آخر ﴿ سورة يس ﴾ من قوله - أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم - فأول هذه مرتبطة بآخر تلك ارتباطًا وثيقًا ، ثم كيف جهل الانسان فأنكر البعث وما يتبع ذلك من محاورة أهل الجنة وهم يطلعون على أهل النار ثم وصف أهل الجنة ونعيمهم الخ « الفصل الثالث » في قصص نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق وموسى وهرون والياس وهو الياسين ولوط ويونس « الفصل الرابع » دفع فرية ان الملائكة بنات الله وإثبات انهم صافون مسبحون كما جاء في أول السورة لانهم بنات الله وفذلكة السورة بمدح المرسلين والسلام عليهم

﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

(مذكرة عن فسركتي قبيل جريوم الأحد ٢٤ مايوسنة ١٩٣٠)

ذكرت في أمثال هذا المقام اني أنام في فصل الربيع وما بعده فوق السقف تحت النجوم إجابة لداعي المحافظة على الصحة واتقناسا بالنجوم واشراقها وأنوار القمر وبهجة السماء . ففي هذا التاريخ استيقظت حوالى الساعة الثانية بعد نصف الليل ، والظلام حالك ، وأنوار النجوم متألثات ، بهجات مشرقات ، يتخلل نورها تلك الظلمات الحالكات ، والرياح مهتاجة لها دوى وصرير وصفير على الحيطان وفي الشبايبك والأبواب وفي الثقوب اللاتي تلاقيها في ذلك المكان ، ولقد عجبت لهذه النفس تذكرها النسمات وتمتاجها عواصف الرياح وقواصفها

فكأنما هذه الدنيا قيثارات والرياح نوافلها أوتان ومثالث بفنون الطرب وطرف الألحان وقصتها يد الزمن
الغزير الموهب ، الجليل الفوائد ، الباهر الحكم ، هنالك غادر الخيال حاستي السمع والبصر وأخذ يجري على سننه
فيجوس خلال العوالم ليحظى بفنون الحكم وبضائع العلم فيما وعاه من صور جميلة مخزونة يستثيرها وحكم
غوال يأنس بها ، فأشرفت النفس بأنواره وازدانت بلوئه ولآلئه ، وأخذ العقل يحول في ميدانه وهو يقول
« الأنوار أحاطت بالناس من كل جانب النهار والليل مشرقان زهران ، تغرب الشمس فيظهر القمر والنجوم
وما أرضنا إلا ذرّة واحدة طائرة في عوالم لا حدّ لنهايتها ولا آخر لمداها اللهم إلا ما افترضه المفترضون من كرات
المجرات وشموسها وكواكبها إذ يجري النور حولها فلا يقطعها في أقل من مائة ألف مليون سنة مع العلم بأنه
يقطع في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل أي (٣٠٠) ألف كيلو ولا يزيد جريه حول أرضنا عن جزء من
سبعة من الثانية الواحدة وما أبعد الفرق بين سبع الثانية وبين مائة ألف مليون سنة ، ثم ان النور يحيط
بهذه العوالم كلها بل كلها أنوار بل المادّة كلها نور قد تراكم فأظلم ولا ينيره في عقولنا إلا العلم . انظره عند
آية - الله نور السموات والأرض - في الكلام على « قطرة ماء »

الدنيا عجوز شوهاء عند الجهلاء وهي عروس لبست الحلل وحليت بحلى الماس والياقوت والدرر جميلة
هيفاء حوراء عند الحكماء فكأنها السور الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، هنالك أخذت
أفكر في الجمال الظاهر في هذا الوجود ومنظر النجوم وأصوات الرياح تزيدان الذكرى وتلهبان في القلب نار
الشوق والحكمة والعلم

يا سبحان الله : أنحبس في سجن هذه الأرض فلا نعرف ما وراءه ، أنعيش ونموت ونحن جامدون خامدون ،
ألمثل هذا خلقنا ؟ نحن نرى الجمال يحيط بنا والرحمات لا تدعنا ، هذه الأنوار الشمسية لو أطفئت لمات أهل
الأرض ، النور هو الحياة ، الرحمات لم تذر حشرة ولا بهيمة ولا إنسانا ، بالرحمة والرأفة والعطف رأينا للنملة
(٤٠٠) عين (اقرأ رسالة عين النملة في سورة النمل في هذا التفسير) و . . . عين للذبابة وغيرها أعين
تعدّ بعشرات الآلاف كما في نفس تلك الرسالة ، وإذا تعمقنا في البحار في الأماكن التي لا نصيبها الأنوار
الشمسية وجدنا للأسماك أنوارا تشع له من نفسه كما تقدّم في هذا الكتاب ، أينما قلبنا وجوهنا أبصرنا نورا
وأينما فكرنا في العوالم أدركنا رحمة ، ونحن لنا عقول تفهم الرحمة وتنظر النور ، هنالك تجسّمت أنواع الرحمات
نصب عيني وتلاّأت الأنوار في الخيلة ، إذن هما زينتان : زينة ظاهرة ، وأخرى باطنة ، والزيتان قد
تجلتا معا في « بسم الله الرحمن الرحيم »

هذه البسملة التي يقرؤها الجهلاء والعلماء وتمرّ على أكثر الناس مرور الرياح في هذه الليلة والأنوار على
الأذان والعيون فلا يباهون لها وهم بها جاهلون ، فمن عجز عن ادراك الجمال في هذه الأنوار والظلمات والرياح
الهبات فما أعجزه أن يدرك الرحمة في البسملة ، لا ندرك معاني هذا القرآن إلا بدراسة هذا الوجود ، ألم تر أن
الرحمة التي ذكرت في البسملة في أول هذه السورة قد سبقت للتذكّرة بما فيها من الرحمات والمجائب ،
ذكرى يسبو لها قلب الحكيم ، وعلم يهفو له فؤاد الواله المغرم اللبيب

(١) ألم تركب أبرزت الزينات الظاهرات في ذكر السموات والأرض والمشارق والمغارب وزينة السماء
الدنيا بالسكواكب ، يا للعجب أليس ماشاقتي الليلة وألح في قلبي نار الشوق للحكمة والبحث هو
نفس هذه الزينة ، ذكرت في هذه السورة للاعتمتها لصفاء النفوس التي تقل في نوع هذا الانسان
الأرضي اذا كثره محجوب عنه وهو غافل لا يستمع منادى الملائكة العلى لأنه أقرب الى الحيوان
مغمور في الطين والمادّة

(٢) وكلما سنحت له ساحة أعرض وتولى وشمخ بأنفه ورجع الى بني نوعه وأخذ يتبجح بالمجادلات

و يفرح بالقلبة في مجالسه الأقران ، ويسخر من الحكمة والحكمة ، ويترنم وتن منبر الألاء .
ويبرز بالباحث العقلية والآراء الفلسفية

(٣) فهمنا تجلات الرجاءات :

(١) أولا في ظهور الأنوار كما بيناه وفي فهمها

(ب) ثانيا في حوار القرناء إذ يلوم كل منهم الآخر بعد فوات الفرقة تقرعها للقلدين في هذه الأرض وتد كبرا للفكرين منهم وتبيننا لنا أن لا نعيش مجولين على أجنحة آراء غيرنا وإنما في ذلك مسخرون ، ففي الأنوار رجعة الحياة الجسدية السلك حتى على الأرض ، وفي الاعتبار بدساول أهل النار إذ أقبل بهمهم على بعض رجعة أخرى فيها تكون الحياة العلمية ، فهمنا رجعتان : رجعة جسمية ، ورجعة عقلية موضوعتان في السورة وضعها منظما صريا
(ج) وثالثا تساؤل أهل الجنة إذ قصت قل منهم قصصه مع قرينه وهو في الدنيا وأنه أشعل دلائله الجدية وآراءه اللاذقي كاد يقويه بها فتولى عنها معرضا وسلك سبل السعادات في الجنات وهذه أشبه بنتائج ما قبلها من الحياة الجسمية ومبادئ الحياة العقلية فان من اعتبر بالقلدين الضالين يحفره ذلك أن يكون المفكرين المفاين ، وهذه هي قصة هذا الانسان قدب فيه الحياة ومن أههم أسبابها الأنوار ، فاذا استوى وقوى أخذ يتفكر في شؤون هذه الحياة فتعرض له الشبهات ، وهذه هي المرتبة الثانية ، فاذا صلت عنها ووصل الى الحقائق فقد كملت حاله في الدارين . هذه هي قصة هذا الانسان أولا وآخره ، إذن لم يبق إلا تطبيق أحوال الأمم السابقة على هذه المقدمات

(د) فقد كررنا وأنه نجا وفاز هو ومن معه وهلك أعداؤه ، فالقارئون كالتقسيم الثالث والاطالكون كالتقسيم الثاني فما تقدم

(هـ) ومثل نوح في ذلك إبراهيم الذي نظر في النجوم المذكورة في أول السورة وهي مناط فكر العظماء وأجلهم الأنبياء مع تبيان ما أصابه من الأعداء فنصر عليهم ، وما أصابه من الابتلاء بذبح ولده وكيف رحمه الله تعالى . فهمنا تجلات الرجعتان ، رجعة في دعوته للناس ، ورجعة في فداء ولده ، وكل ذلك تذكرة للمسلمين اليوم وإنهم ان صبروا نجوا

(و) ومثل إبراهيم ونوح الياس ولوط ويونس . وهنا انتهى التطبيق على المقدمات الثلاث

فسير هؤلاء الأنبياء تقص علينا أبناء الرجاءات الواردة على الأنبياء وأتباعهم بعد ما قصت علينا رجعات الأنوار ورجعات النجاة من قراء السوء ثم الوقوف على الحقائق ثم تلخص السورة كلها

لما كانت السورة مبدوعة بالتقسيم باللائكة الصافين على أن الله واحد وهم أطوار لها سلطان على عالم المادة وهم باذن ربهم يدبرون الكائنات فتكون الأنوار والظلمات والحياة والأعم وتبع ذلك أن الأنبياء فائزون منصورون وأن أعداءهم هالكون ختمها بأفظة السكلام . أولا في الملائكة فأخذ يفند ما يفتريه الكافرون منصورون من انهم بنات الله ونحو ذلك ، فلم يبق إلا ان الملائكة هم الصافون المسبحون ، كل له عمل يخصه لا يشاركه فيه سواه . وثانيا ان المرسلين منصورون والجنود الذين معهم غالبون ، ثم تلخصها تلخيصا أكثر اجالا ، فهو منزلة عجايب فونه به واذن تكون ملائكته القائمون بأمره على حال غير ما وصفوها والمرسلون كتبت لهم السلامة . فلا جرم أن الهلاك لأعداءهم والحمد لله رب العالمين

ومن عجب أن سورة يس كملت في آخرها كما تلخصت الصفات كما تقدم . هذه هي الرجاءات التي تجلت في هذه السورة تبينا لآية (بسم الله الرحمن الرحيم) واعلم أن قوله تعالى - وسلام على المرسلين -

بينه وبين قوله تعالى - سلام قولاً من رب رحيم - حسنة أن الأمان من المخاوف هو أعظم الرحمت في الدنيا والآخرة ، فمن كانت الخواطر النفسية نائرة عليه مضجرة له منهكة لقواه فلاسلام له والمرسلون لم تبق لهم في أنفسهم خواطر السوء لأنهم مطلعون على الرحمت الواسعات المحيطات بالناس والحيوان ولم يحجبهم عنها ما يحجب أكثر هذا الانسان من جدال وحوار وعداوات وذنوب ومطامع وكبر وعجب وما أشبه ذلك فهذه كلها حجب أسدلت على أكثر عقول هذا النوع الانساني الذي حكم عليه بالسجن في هذه الدار المملوءة جلالاً وقد صدته عن جلالها الحروب والكروب وما تقدم من فواجع الدهر وقواطع الأخلاق الشائنة ، فلا يفقه أكثر الناس ولا يعقل بهجة الأنوار ولا جلال النجوم والشمس والقمر ولا عجائب الرياح وغرائبها وانها تحمل السحب المطرات فلا يكاد الضوء ينقطع عنا بالسحاب حتى نرى آثاره بالقطرات التي أمطرها علينا فنحيا بها . ومن عجب أن الدارسين لهذه العلوم أكثرهم غافلون كأنهم جاهلون أيضاً لأنهم نظروا اليها باعتبار غاياتها ومنافعها المادية ولم ينظروا اليها باعتبار مبادئها من الرحمت العامة فضلت عقولهم ونهت في بيداء المادة ولم تجتمع تلك العجائب عندهم في موجود واحد منه كان صدورها حتى تفوح به قلوبهم ويشعروا بحب عظيم بل حبهم مفرق لا اجتماع له

هذا هو سر البسملة في أول السورة . فهذه العوالم إن لم تكن النفوس العالمة بها ملاحظة الرحمة المتجلية فيها المبسوطة المنشورة في كل ذرة وحشرة كما تقدم فانهم لا يشعرون بالرحيم - ومن يعيش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين - ومن لم يشعر بأن هذا الوجود انما ظهر برحمة وعلم وأن هذه هي نتائجها فان حياته كلها ذلة ولاسلام له لأن الأمان لمن يعلم أن روحه في يد رحيم حكيم ، فأما من يرى أن هذه الدنيا لا مدبر لها وانها هكذا تائهة من الأزل الى الأبد فان روحه أبداً معذبة متأللة لا يدري من أين يأتيه البلاء أمن الفقر أم من الذل أم من المرض أم من الموت . أما الآخر فانه يرى نفسه سعيداً لأنه يشعر بذات رحيمته تقوم بأمره ، ومثل هذا ينال الأمان في هذه الحياة وبعد الممات

هذا معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » في سورة الصافات وبهذا تم الكلام على الفصل الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ * إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ مَّارِدٍ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ
إِلَّا مَنِ خَطِئَ الْخَطِيئَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ * فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ
مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ * بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ *
وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ *

قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ فَاخِرُونَ * فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ * وَيَقُولُوا يَا وَيْلَهُ حَسِبُوا
 الْآلِينَ * هَذَا يَوْمُ الْعَذَابِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * أَخْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَنْتُمْ كَاثِرُونَ
 يَمْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ يَسْتَوْلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ
 بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْأِمُونَ * وَأَقْبَلْ بِغَضَبِهِمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ
 الْيَمِينِ * قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ *
 سَخَقَ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَاتُ قُوَّةٍ * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ * فَأَنبَأَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ
 مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ *
 وَيَقُولُونَ أَأَنْتَ أَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ * إِنَّكُمْ لَذَاتُ قُوَّةٍ
 الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ
 مَعْلُومٌ * فَوَاكِهَةٌ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ
 مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْغُرُفِ
 عَيْنٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ * فَأَقْبَلْ بِغَضَبِهِمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي
 قَرِينٌ * يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
 مُطَّلِعُونَ * فَاطْلَعُوا فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُمُ
 مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَمْأَ نَحْنُ بِمَبِيتِينَ * إِلَّا مَرَدُّنَا إِلَى الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ * أُولَئِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
 لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ
 مِنْهَا فَاوِلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَجَمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ
 أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ * وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
 فِيهِمْ مُنْذِرِينَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(والصفات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً) أقسم الله بالملائكة (١) يتمون صفوفهم في مقام العبودية في صراتهم (٢) ويزجون الكواكب المسخرات وهن جاريات مدبرين شؤون العالم رادعين الناس عن الشر بالاهام والشياطين عن الوسوسة لهم (٣) ويتلون آيات الله على الأنبياء والأولياء ، وبالعلماء الذين يحذون حذو الملائكة صفاً في العبادات وزجراً عن الجهالات وتلاوة للآيات ، وبالغزاة الحاذين حذو العلماء صفاً في الجهاد وزجراً للعدو وتلاوة للكتاب ، وهذه المعاني كلها تحتملها الآية ، فكل هذه صفات وكمالها زاجرات وتاليات والعطف لاختلاف الصفات لا الذات ، وكل وصف لاحق أرقى من سابقه ، فالصف للعبادة كمال والمنع من الجهالة والمعاصي تكميل بالمنع من الشر والتعليم بالكتاب إفاضة للخير وهذا غاية المقاصد السامية من الأرواح العالية ، أقسم الله بالملائكة الذين اتصفوا بالكمال في النفس وبتكميل الناس ونظام العالم وبالعلماء الذين حذوا حذوهم وبالغزاة التابعين لهم ، ولا جرم أن تناسق الصفوف وانتظام الأحوال دليل على وحدة المبدأ ، ثم أخذ يفيض بذكر صفاته في جواب القسم فقال (إن إلهكم لوحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) أي مطالع الشمس وهي (٣٦٥) مشرقاً لكل يوم من أيام السنة الشمسية مشرقاً ، فأما رب المشرقين ورب المغربين فأنما هما للصيف والشتاء . وأما رب المشرق والمغرب فهما جهة المشرق وجهة المغرب (إنا زينا السماء الدنيا) القرني منكم تأنيث الأدنى (زينة الكواكب) بالإضافة وعدمها أي زينة هي الكواكب من حيث جمالها ولألوانها وبهجتها وتناسب أشكالها وحسن أوضاعها لاسيما عند الخاصة الدارسين لنظامنا المفكرين في حسابنا إذ يرون أن السيارات مثلاً بينها مسافات متناسبات بحيث يكون كل سيار بعده عن الشمس ضعف بعد الكوكب الذي قبله . وإن يعرف هذا إلا الدارسون المفكرون الناظرون في ملكوتنا الحاسبون الذين هم يعقلون . فالزينة إذن زينتان : زينة للعامة والجهلاء وهذه تظهر بالعين في الليلة الليلية ، وزينة عند الخاصة وهي لا تظهر إلا للعلماء ، ولئلا أردفه بقوله (وحفظاً من كل شيطان مارد) خارج عن الطاعة متمردات سواء أكان من شياطين الانس أم من شياطين الجن ، ثم بين حالهما فقال (لا يسمعون إلى إلا الأعلى) إلى كلام الملائكة والكتب (ويقذفون) يرمون (من كل جانب) من جوانب السماء إذا قصدوا صعودها (دحوراً) أي مدحورين مطرودين (ولهم عذاب) آخر (واصب) دائم شديد وهو عذاب الآخرة . يقول الله لا يسمعون إلى عالم الملائكة واستثنى من اختلاس من كلامهم مسارقة فقال (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) كوكب يشق الجو بضوئه . يقول الله : « أقسم بهذه العوالم المنظمة المرتبة من ملك وكوكب ونبي وعالم ومجاهد بحيث تلامت وتضاممت واتصلت وكانت متناسقات الوضع منظمات وهي زاجرات كزجر الملك للكوكب والمجاهد للعدو والعالم للجاهل . ولا جرم أن الملك والنبي والمصل والمجاهد تالون للذكر

هذه العوالم ينسب بعضها إلى بعض وهي أسباب ومسببات فكأنها عالم واحد بحيث ترى وحدة منظمة فالعالم علويه يفيض على سفليه وسفليه قابل من علويه فنرى الشمس والقمر والكواكب مفيضات أنوارها على الأرض ولا نرى في خلق الرحمن من تفاوت بل نرى اتحاداً واتتلافاً نظم وحدتها وجع مفرقها ، ولا جرم أن ذلك دلالة على وحدة الصانع وذلك برهان ذكره فيلسوف يوناني وهو أفلاطون « أن وحدة العالم دلالة على وحدة الله عز وجل » ثم أخذ يوضحه فقال : « رب السموات والأرض وما بينهما » وأتم ترونها متصلات منتظمات ،

فالوحدة فيها ظاهرة والألفة بينهما محروقة متساهلة »

الدنيا بيت فرشته الأرض وسقفه السماء وسراجها السموات فكانت تلك قال - ورب المشرق - ألا وإن البيوت الرفيعة العماد كالتضياء بالنوار تزين بالذوق وبالبرجة والعمور الجيلة ، ألا يكون البيت مسجدا لأهله سارا لسكانه إلا إذا أشرقت جوائبه ، وإن دانت أركانه بأنواع الجبال والعمور الحسان التي تهبها النفوس وترضاها المشراق ، وأى سقف أجل ؟ وأى فرش أبهج من الأرض ؟ وأى سراج أجل من الشمس وأى زينة أبهج من النجوم فكانت قال - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - . لا تكون القصور المشيدة والبيوت الرفيعة حافلة بالمسروق مأمونا على جهلها وزخرفها إلا متى حفظت من المصوص المسارقين ومقتورى محاربيها فلذلك حفظ الله السماء أن يتناول لدرك جهلها وانشاق دافئها وبرجة بناها وحاسن نظامها إلا اللامكة الصافون والأنبياء والماء الخلسون ، فأما الجهال والشياطين فأولئك عن جهلها غافلون وهم عن آياتها معرضون ، فالسما منهم في حصن حصين ولقد يهيش المرء ويموت وهوى غفلة عن درك هذا الجبال لأن السماء حست منه ، وهل يعرف الفضل إلا ذوده ، فالعيون مفتحة ولكن أين ابصارها وهل ينال العلم إلا عارفيه . ومن لم يحركه الوجود وأثره والربيع وأزهاره فهو فاسد الزاج يحتاج إلى العلاج . ولقد نالوا للآراء لجة من الجبال وتعلق له سائحة وتبدوله بارقة من الحاسن فتخطف بعصيرته كالشهاب الناقب فيعحق إلى مثلها ويصبو إلى اختها ويتعلق قلبه بالجبال . ذلك تأويل قوله - إلامن خطف الخفافه - ولكن ظاهر القول كما هو مشهور أن الشياطين يسترقون السمع فيحترقون بالشهب وقد تخطفهم الشهب فيعودون ليدسموا كالمسارقين من نوع الإنسان والقائمين رجاء أن لا يقعوا في قبضة الحاكين وهذا المعنى إذا أريد كما هو المشهور فيمكن كناية وهي لفظة أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي فلنقل هذا هو المعنى وهو كناية عن المعنى المتقدم فيكون المنع الحسى رصنا للمنح العقلى والكتابية من أجل أنواع البلاغة فاطالع المعينان وتساوبا في الميدان وأبقينا الظاهر على ظاهره وتفتح الحكيم والدرك بباطنه . ألا ترى وعالك الله أن كثيرا من الناس حولك يحوسرون في هذه الأرض غائبة أبصارهم لا يسمعون إلى الملا الأعلى ولا يفهمون رموز هذه الدنيا ويحاربها وقد قذفوا من كل جانب مطردين طردتهم شهواتهم وعدواتهم وكبرياؤهم وطمعهم وشههم من تلك المعاني العالية . فهم معمورون في جهاتهم تاهون في سكراتهم تخطفهم من كل جانب الأهواء والشهوات وانغمسوا فيها فلا يخلصون إلى ذلك الجبال ولا يفقهون ذلك السقف المنقوش . إن النجوم أشرقت بجمالها للحكام وبهرت بمناظرها للعامة وزينت السماء للناظرين وهي من جهة أخرى أُرجت الحرارة إلى الأرض فأبغى الزرع ودرت الضرع واغتنى الجمع فتناظرت الشهوات وكثرت اللذات فأعجت البصائر عن النظر والعقول عن الفكر وأصبح الناس صرعى أوهامهم قتلى أهوائهم مطرودين عن الحكمة ، ثم إن شياطين الجن كمشياطين الإنس غاية الأذى أن الأولين ليسوا في الأجسام البشرية وأن الآخرين فيها ولكن البصيرة واحدة ومن كان في الجسم أعشى فهو إذا جرد منه أعشى فشياطين الإنس وشياطين الجن كلاهما محزونون من الحكمة العالية ، ألا ترى أن الخواطر الخاصة بهم كأثرهم صفوف لا يتعدون صوابهم فمن خطف الخطفة على أحد حاليين إما أن تهديه إلى الصراط السوى وإما أن تقف في طريقها الشهوات وتجتها اللذات والأهواء . فعلى المعنى الأول يكون الاستثناء متصلا كما قدمناه . وعلى المعنى الثانى يكون منقطعا على ما هو مشهور وكلا المعنيين حق . فكم من الناس جاءتهم بارقة لعلم فاستضافا بها . وكم أناس سمعوا الذكر فأعرضوا عنه وهم بجهالتهم مشغولون . ذلك تفسير هذه الآية

فتش الناس حولك . انظر تجد هذه المعاني متجلية - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - لقد قل - الذين

بهرهم الجلال وذاقوا حلاوة الحكمة وأكثر الناس لا يعلمون لأنهم عنها مصروفون

﴿ مثال يوضح المقام ﴾

قرأ قارئ - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - فلاية معناها معلوم وهو أن زينة الحياة الدنيا لا بقاء لها فالباقيات الصالحات خير أي أن يكون سعي الإنسان لثواب الآخرة . فهذه الآية يذهب عندها السامعون مذهبين : مذهب لفهم المعنى المقصود والتفكير فيه . والآخر للتحسر على الدنيا ولذاتها ويقول الإنسان أين المال . أين الولد . أين زينة الدنيا ؟ يقول ذلك وهو يعلم المعنى المقصود . لماذا ؟ لأن بصيرته لم تستعد للمعنى بل هو مشغول بالعاجلة . فهذان القسمان من الناس أولهما خطف الخطفة فاهتدى . وثانيهما خطفها فتبعته الهواجس فقتلت الفكرة في مهدها وكأنما ذلك شهاب تارة يهتدى بضوئه وتارة يهلك بناره . هدى الأول بضياءه وأهلك الثاني وأمات وجدانه بناره

فجل العلم وجلت الحكمة وجلّ الله الذي جعل هذه المعاني في تلك المباني وصرف عقول العارفين عن نقائص المعاني إلى النظر إلى العالم العلوي والحكمة القدسية

إن خواطر الناس الشريفة كلها خطفات من الملائكة الأعلى . إن المعارف والعلوم والمعاني الشريفة تشرق على النفوس لتصلها بعوالم مشرقة فيها هذه المعاني . وما عقولنا إلا كالعين . وما تلك العوالم إلا كالسكاكب المضيئة . وما المعرفة إلا انكشاف المعاني بتلك الأنوار الباطنية فنسبة تلك العوالم إلى عقولنا كنسبة الشمس إلى أبصارنا ونسبة انكشاف المعاني إلى أبصارنا كنسبة انكشاف المرئيات إلى أبصارنا . فلو لا الضياء مارأى الناس الأجسام هكذا عالم الملائكة . ذلك كله تقرير الحكماء السابقين والعلماء المحققين

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن مسألة الشهب كانت عند القدماء من المشكلات الدينية . ألا ترى أن السماء كانت في رأي قدماء الفلاسفة لا تقبل الخرق ولا الالتئام فكيف تكسر السكاكب وينزل شهب منها في الأرض ؟ فكان علماء التفسير رحمهم الله يؤولون تارة ويكذبون علوم الفلاسفة أخرى . أما الآن فما أجل العلم فإن العلم الحديث يعتبر الشهب من نفس السكاكب السماوية وهي قطع صغيرة تقدم إيضاحها في هذا التفسير في النصف الأول من القرآن فقرأه في ﴿ سورة الحجر ﴾ وما قبلها فلاشكال وذلك معجزة للقرآن ، خالف الفلسفة البائدة ووافق الحاضرة

﴿ أسرار القرآن في علم الأرواح وعلم التصوّف ﴾

يقرأ القارئ هذه الآيات ولا يخطر بباله أن الكشف الحديث أبرزها . لقد سأل علماء النفس في أوروبا بعض الأرواح عن اتصالهم بالناس وحضورهم إذا طلبوهم فأجابوا قائلين مانصه : « إن الأرواح العالية لا تناجي إلا نفوسا صافية لا تريد إلا الخير للناس مع استعدادها للحكمة ومستحيل أن تناجي من شؤه قلوبهم الكبرياء وألهمهم الشهوات . أما الأرواح الناقصة فانها تسرّجدا بمحادثة الجهلاء من الناس وتعطيهم أكاذيب وأساطير وتفرح بذلك كما يفرح جهلة المسلمين والمسيحيين بالكذب الذي اعتادوه في أول إبريل . وفوق ذلك قالوا : إن كل ما كان من حديث الأرواح لامور العاجلة فهو من سقط المتاع لانهواه إلا الأرواح الشريرة وما كان من قبيل العلم والحكمة والمنفعة العامة فهو شغل الأرواح العالية السماوية تلقيه إلى من هم مستعدون » اه فتبين من ذلك أن الملائكة الأعلى من الملائكة والأرواح لا يأنسون إلا بما هو نفع عام ويأنفون من الامور الخاصة كالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا

﴿ علماء التصوّف ﴾

أما علماء التصوّف فانهم قد يأمررون تلاميذهم بالجوع والسهرة وترك الكلام والعجب وما أشبه ذلك مع الذكر وحسن السير . فبعض هؤلاء يكشف لهم وهذا الكشف قد فصّاه تفصيلا فقالوا : « إن كان للامور

العاجلة كبرت زيد وحياة عمرو وغناه وفقره فذلك من الكشف الظاهري . فأما ان كان الكشف لا يروا علمية والحكمة والمعارف فيكشف نوراني .

أليس ما يقوله الفريقان قديما وحديثا هو عين هذه الآية . أليس هو سرها ؟ فنعرف في محضر الأرواح إن قصدا بالكشف الدنيا والمال والعظمة تركبهم الأرواح العالية وأحاطت بهم الشريرة ويكون العلمان وبدا على من تعلمها واذن الجهال أفضل وهم ممن قال الله فيهم - وأضل الله على علم - فهؤلاء كتجار الخروباعة الخنازير وشاربي الخمر والحشيش بل هؤلاء أشد وهم الذين لا يسمعون الى الملائكة الأعلى بل الى الملائكة الأسفل ويقذفون من كل جانب دحورا لأنهم مطرودون عن التلقي عن الأرواح العالية التي لا تنجى إلا من هم مستحقون . يقول مؤلف الكتاب فالجد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . لقد ظهرت معاني القرآن اليوم أي بعضها وظهر سر قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وسر قوله - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها -

ولكم سألني سائلون عن هؤلاء المتصوفة الذين ظهوروا ببلاد الاسلام كقوم ببلاد مرا كش لا يصاون ولا يصومون وينتسبون لولي عظيم واذا جلسوا معا وتواجدوا طار أحدهم الى قبة المكان الذي هم فيه جالسون واذا جىء لهم بشاة أو عذخرقوا بطنها وشووها وأكلوها . فهذه فتنت كثيرا وظن الناس أن هؤلاء عندهم سر عظيم وماهى إلا ترجسه نفوسهم الى أمور جزئية فنالوها ولكنها أمور منحطة قدرة دنيئة لا ترقى النفوس البشرية بل هي أمور ظاهانية . فاذا عجز المصلي والمزكي والعالم المسلم عن هذا فليس معناه ضعف حاله . وأن هؤلاء يعلمون عليه بل هم قوم حصرت نفوسهم في أمر جزئي صغير فلا هم في العير ولا في النفي بل تجب محاربتهم وقتلهم . ان هؤلاء لا يسمعون الى الملائكة الأعلى . واذا رأيت أمثال هؤلاء يخبرونك بشئ في نفسك فلا تظن الأمر عظيما . فهذا الكشف حقير لأنهم لا يسمعون الى الملائكة الأعلى لضعف نفوسهم وانما يسمعون الى الملائكة الأدنى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب دائم يوم القيامة لأنهم أضاعوا أنفسهم في أمور جزئية وغفلوا عن هذه الدنيا وجالها وعلومها ولم تصلح نفوسهم لعالم الملائكة فينشروا العلم والحكمة بين الناس

﴿ ذكر نظير هذا في المعروف بين الناس ﴾

إن هذه الأحوال هي التي نشاهدها في العالم الانساني ، انظر أليست ترى أن أكابر العلماء والحكماء لا يستطيعون أن يذكروا شيئا من حكمتهم وفلسفتهم أمام الجهلاء ولو ذكروها لم ينلهم منهم إلا السخرية والاستهزاء ، أليست ترى أن العلماء قالوا : « إن الحكماء خلقوا ليعلموا العلماء والوعاظ ليعلموا العامة » فهل يخاطب الحكماء الجهلاء ؟ كلا . ثم كلا . هكذا هذه الآية . يقول الله - لا يسمعون الى الملائكة الأعلى - لأن الملائكة الأعلى لا يخاطبهم لعدم التلاؤم ، فسبحان من أظهر هذه المعاني حتى صارت من المألوفات ، وأشرقت الأرض بنور ربها في سر الكتاب ، قال تعالى (فاستفتهم) فاستخبر بني آدم (أنهم أشد خلقا أم من خلقنا) من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والكواكب والشهب الثواقب فكيف ينكرون البعث وأين هم بالنسبة لهذه العوالم التي خلقناها (إنا خلقناهم من طين لازب) أي لاصق أولازم نأين هم من كواكب السماء وعالم الملائكة وتلك العوالم النورية المشرقة ، فاذا قدرنا أن نخلق تلك العوالم العظيمة فهل يهجزنا أن نعيد ما هو مخلوق من طين لا يصلح للحياة إلا بأشراق الأنوار عليه ووصول الآثار اليه من العوالم الأخرى (بل عجب) يا محمد من تكذيبهم إياك ومن انكارهم البعث وهم (يستخرون) من أمر البعث (واذا ذكروا لا يذكرون) ودأبهم أنهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون (واذا رأوا آية) معجزة كانشقاق القمر (يستسخرون) يستدعي بعضهم بعضا أن يسخر منها أو يبالغون في السخرية ، فهؤلاء كالذي خطف الخطفة فأتبعه شهاب قتله وأمات

فسكرته وأضاع رشده وأضل عقله فأمثال هذا أحياء وما هم بأحياء كما قال تعالى - أموات غير أحياء - وقال الشاعر

فمنز يعلم تعيش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

فهؤلاء يسخرون (وقالوا إن هذا الإسخريهين) سحر ظاهر باحريته (أنا متنا) استفهام انكارى (وكنا ترابا وعظاما أنا لمهوتون) أى أبعث اذا كنا ترابا وعظاما (أو آتونا الأولون) أى أبعث أيضا آتونا مسيحيين ذلك زيادة استبعاد لأن آباهم أقدم منهم فيكون بعثهم أشد غرابة (قل نعم وأنتم داخرون) صاغرون واذا كان كذلك (فإنها هي زجرة واحدة) صيحة واحدة وهي نفخة البعث (فإذا هم ينظرون) أى فإذا هم أحياء بصراء ينظرون الى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم (وقالوا) اذا قاموا من القبور (يا ويلنا هذا يوم الدين) يوم الحساب فيقول الملائكة (هذا يوم الفصل) يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين (الذي كنتم به) في الدنيا (نكذبون) فيقولون انه لا يكون (احشروا الذين ظلموا) أى اجعوا كل ظالم بشرك أو غيره (وآزواجهم) وأشباههم وأمثالهم بحيث يكونون في مباءة واحدة كما يرى في هذا العالم المادي إن المواد الأرضية مجذوبة الى الأرض والموادية الى الماء وأصحاب الحروف المتقة يتفقون ويتفاهمون وأصحاب الأخلاق الوضيعة يتجادرون ودور النفوس الشريفة يألفون ، فهذا العالم المادي والروحي على نسق واحد فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، فالجبة في الدنيا لا اتفاق الاشكال وفي الأخرى لا اتفاق العلوم والأخلاق - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت -

وهل تألف الغربان إلاسر بها ، أو الجام إلا إلفها ، أو الزاير إلا أخواتها ، أو الغل إلا طائفتها . فيا عجبا . تماثلت الدنيا والآخرة وما يذكره القرآن عن الآخرة نشاهده في الدنيا . فالمسألة في الدارين باتفاق الصفات واختلافها ، لهذا نزل الميانات وقرئت العلوم ونظمت الدروس وألفت الكتب وبنيت السكليات وأقيمت الجامعات . كل ذلك لترية العقول وصقلها بجمال واحد . إن ذلك هو النظام الحبيب

يقول الله - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الأصنام زيادة في تحيرهم (فاهدوهم الى صراط الجحيم) فمفهوم طريقها ليسلكوها لأنهم على مشرب واحد . وفي الحديث « أنت مع من أحببت » وذلك كله بطريق الجاذبية والاستعداد - وما ربك بظلام للعبيد - (وقفوههم) احبسوهم في الموقف (إنهم مسؤولون) عن العقائد والأعمال (مالكم لا تتناصرون) لا ينصر بعضكم بعضا (بل هم اليوم مسلمون) منقادون لحجزهم (وأقبل بعضهم على بعض) أى الرؤساء والأتباع أو الكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ أو يتخاصمون (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى من قبل القهر والقوة لأن اليمين موصوفة بالقوة أى انكم تحملوننا على الضلال وتهووننا عليه ، أو من قبل الدين فتضلوننا وتقولون لنا إن الدين ما تضلوننا به (قالوا) أى الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أى بل أبيتتم أتم الايمان وأعرضتم عنه وأنتم تختارون ، وهل لنا سلطان على ضحككم وهذا قوله (وما كان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلككم به اختياركم (بل كنتم قوما طاغين) مختارين الطغيان (حق علينا قول ربنا) فلزمنا جميعا وعيد الله بالسخط والعذاب (إنا لنا نقون) العذاب في النار (فأخونا كم إنا ككنا غارين) أى فدعونا كم الى الغي لتكونوا أمثالنا لأن الطيور على أشكائها تقع والناس مولعون بشكثير وادهم ومن هم على شاكلتهم لئلا نسوا بهم كما تفعل الأمم كلها يعلمون الأمم لغاتهم وعلومهم وثار يحهم ليكونوا على شاكلتهم وينفعوا بهم (فانهم) فان الأتباع والمتبوعين (بومئذ في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في الغواية (إنا كذلك) أى مثل ذلك الفعل (نفعل بالجرمين) بالمسركين ودين سببه فقال (إنهم كانوا اذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أى عن كلمة التوحيد وعن الداعين اليها (ويقولون أننا لنتركوا آلهتنا

لشاعر محزون) يذنون شجداً ﷺ فرداً الله عليهم قنالا : كلا (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) أى ما جاء به قام عليه البرهان وتطابق عليه المرسى (إنكم إذا أنقروا العذاب الأليم) بالاشراك وتكذيب الرسول (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) أى إلا مثل ما عملتم (إلا عباد الله المخلصين) هذا استثناء منقطع

﴿ وصف أهل الجنة ﴾

ما كانهم ، ومجالسهم ، وشرابهم ، ونسأؤهم

﴿ ما كانهم ﴾

هى الفواكه للتلذذ مع الاكترام وعدم النصب في التحصيل وهم في الحدايق وهو قوله (أولئك لهم رزق معلوم) فواكه وهم مكرمون * في جنات النعيم

﴿ مجالسهم ﴾

يجلسون على سرر وهم متقابلون ، وقد جاء في آية أخرى - ونزعنا ما في صدورهم من غل - أخوانا على سرر متقابلين * لا يمسهم فيها نصب - وذلك قوله تعالى (على سرر متقابلين)

﴿ شرابهم ﴾

يشربون الخمر من نهر ظاهر للعيون أو خارج منها وهى بيضاء لذينة لشاربها ليس فيها غائلة تفسد عقولهم كما في خمر الدنيا وتصدعهم وتحدث فيهم البول والقيء والعربدة وأمثاله ، يقال غاله اذا أفسده ولا يسكرون منها وهذا قوله (يطاف عليهم بكأس) باناء فيه خمر (من معين) من شراب معين أونهر معين (بيضاء لذة للشاربين) صفتان للكأس (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) يقال نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف

﴿ نسأؤهم ﴾

قصرن أبصارهن على أزواجهن فلا يحببن غيرهم نجل العيون أى واسعابهن جمع عيناء يشبهن بيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض الخلو بأدنى صفة فانه أحسن ألوان الأبدان وهذا قوله (وعندهم قاصرات الطرف عين * كأنهن بيض مكنون)

﴿ وصف حديث أهل الجنة ﴾

بعد أن ذكر الله ما كانهم ومشاربهم وقلوبهم المؤتلفة ونساءهم أخذ يذكر أحاديثهم في شؤون مضت وانقضت في الدنيا قبل البعث كما قال الشاعر :

وما بقيت من اللذات إلا * محادثة الرجال ذوى العقول

وهذه لذة عقلية أشرف من اللذات الحسية السابقة ، فهو لاء يطاف عليهم بكأس من معين وهم يتحدثون كما يحصل ذلك بعد الانتصار في الحروب العظيمة فيقول أحدهم : « لقد كان لى جليس فى الدنيا يؤبىخنى على التصديق بالبعث » ويقول : « أنحن ندان (أى نجزي) اذا أصبحنا تراباً وعظاماً ؟ كلا . ثم كلا . انظروا ، انظروا أيها الاخوان ها هو ذا فلان الذى كان شأنه ذلك » (هل أنتم مطمعون) الى أهل النار لأرىكم ذلك الترين (فاطلع) عليهم (فراآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) أى وسطه فلما رآه (قال) له (تالله إن كدت لتردين) لنهلكنى باضلالك (ولولا نعمة ربى) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) معك فى جهنم ، يا هذا أنحن مخلصون منعمون فما نحن بميتين ولا معدن بين إلاموتنا الأولى بخلاف الكفار فهم يموتون المودة الأولى مثلنا ثم هم فى جهنم يتمنون الموت كل ساعة . قيل الحكيم : ما شر من الموت ؟ قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا القول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله عليه بسمع من قرينه ليكون توبيخا له فيزيد تعذيبه ثم قال لقرينه (إن هذا) الأمر الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) قال الله (لمثل هذا فليعمل العاملون)

﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (أذلك خير نزلًا) تمييز (أم شجرة الزقوم) أي أنعيم الجنة وما فيها خير نزلًا أم شجرة الزقوم والنزل ما يقيم للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر صرّ بهامة (إنّا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابًا في الآخرة أو ابتلاء في الدنيا إذ قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجرة (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) فنبتتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتهما (طاعها كأنه رؤس الشياطين) أي رؤس الحيات القبيحة المنظر التي يسميها العرب شياطين أو نفس الشياطين التي لم يرها الناس ولكن وقع في وهمهم شناعتها وقبح منظرها كما في بيت امرئ القيس * ومسنونة زرق كأنياب أغوال * (فأنهم لا كلون منها) من الشجرة أو من طلوعها (فالثون منها البطون) لغلبة الجوع (ثم إن لهم عليها شوبا) أي خلطًا (من حميم) ماء حار يشوي وجوههم (ثم إن مرجعهم إلى الجحيم) فلو خلاص ذلك أنهم يؤتى بهم من دركات الجحيم إلى شجرة الزقوم فيأكلون ثم يسقون ثم يرجع بهم إلى محالهم من الجحيم، ثم بين السبب الذي أوقعهم في الكفر المسبب لذلك فقال (إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون) الأهرع الأسراع الشديد كأنهم يحثون حثًا (ولقد ضلّ قباهم أكثر الأولين) أي ضلّ قبل قريش الأمم الحالية بالتقليد وترك النظر (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أنهم هلكوا جميعًا (إلّا عباد الله المخلصين) الذين أخلصوا دينهم لله فأنهم لم يهلكوا. انتهى التفسير اللفظي للفصل الثاني

﴿ لطيفة في التقليد والنظر ﴾

نبين في هذا الفصل ما تكون عاقبة التقليد فجاء أولًا في قول القائل في الجنة لقرينه في النار انه نجا من اغوائه ولو أنه اتبعه لوقع في الجحيم، وثانيًا في قوله - إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون - ثم زاد على ذلك أن أكثر الأمم الحالية ما هلكوا إلا بالتقليد، فظهر من هذا المثال أن التقليد أوله وآخره شؤم على المقلد وعلى من يتبعه، إن العالم الانساني لا سعادة له إلا بالنظر والفكر والبحث في حقائق الأشياء دنيوية وأخروية، فلينظر العقلاء في التعاليم الاسلامية الحالية وليفكروا في نظام الدين الاسلامي وليعلموا أن اتباع الأمم الاسلامية المتأخرة في تعاليمها قد أضاع الأمم الكثيرة في الشرق، فلينظم تعليم الاسلام بجميع العلوم والصناعات باعتبار أنها فرض والافليعلموا أنهم لا يحقون بالأمم التي أبادها الجهل وأضاعها الجاهلون

﴿ جوهرة في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - الخ ﴾

لقد تقدم الكلام على الكواكب والكشف الحديث فيها في أول سورة البقرة وفي سورة الأنعام وسورة يونس وغيرها، ولا بد هنا من ذكر أبداع ما جاء في الكشف حديثًا لتبتهج أيها الذكي بالعلم والحكمة فهناك ما جاء في « مجلة السياسة » الأسبوعية وهذا نصه :

﴿ اكتشاف علمي جديد ﴾

(المجرة ومركز الكائنات)

(نظرية الدكتور شابلن في سعة هذا الكون)

نحن نطابق لفظة الكون على ما نشاهده وما لا نشاهده من الأجرام العلوية التي تسبح في الفضاء، وقد كانت النظريات العلمية تؤكد حتى الآن أن الكائنات (على سعتها وكثرة أجزائها) محدودة وأن وراءها ظلمات فوق ظلمات وفراغ لا أول له ولا آخر. على أن الدكتور شابلن مدير مرصد جامعة هوفارد الأمريكية ومن أشهر علماء الفلك في الوقت الحاضر قد جاءنا اليوم بنظرية جديدة وهي أنه ليس في الكون فراغ بالمعنى

العلمي وأن الأجرام الفلكية تملأ هذا الوجود الى مالا نهاية له ، وقد نشرت إحدى المجلات العلمية الأمريكية مقالة في هذا الموضوع رأينا أن نلخصها فيما يلي

« يؤخذ من أحدث المباحث العلمية أن الفراغ الذي تسبح فيه الأفلاك شفاف وأنه ليس من أجزاء الفراغ كما كان يظن حتى عهد قريب بل هو ممتلئ بالأجرام الفلكية في كل ناحية من أنحائه وليس فيه مجرة واحدة بل عدة مجرات وأن بعضها كبيرة جدا حتى ان المسافة بين طرفيها تزيد على ألوف الملايين من السنين النورية ويرجع فضل هذا الاكتشاف الى الدكتور شابلي فقد أثبت بعد البحث العلمي الدقيق هذه الحقيقة العلمية الجديدة وهي أن نظامنا الشمسي ونظام المجرة هما في الواقع نظام واحد يدور بسرعة مائتي ميل في الثانية أو بسرعة تزيد على ستة آلاف وثلثمائة وسبعة ملايين ومائتي ألف ميل في السنة ، وأنه يكمل كل دورة من دوراته في ثلثمائة مليون سنة (و بعبارة أخرى) ان اليوم من أيام هذا النظام يعادل ثلثمائة ألف سنة (لأن اليوم بالاعتبار الفلكي هو دورة الجرم على محوره ودورة النظام الذي نحن بصددده على محوره تستغرق ثلثمائة مليون سنة) وتبلغ المسافة التي يجتازها هذا النظام في كل دورة من دوراته ألفا وثمانمائة واثنين وتسعين ألفا ومائة وستين ألف ألف ألف ميل ، ويعتد الدكتور شابلي أنه لن ينقضي زمان طويل حتى يتوصل العلماء الى اكتشاف سر الحياة في أحد تلك الأجرام فان معظمها قديم جدا ، وليست كرتنا الأرضية بالنسبة اليه سوى طفل حديث الولادة ، وقد كان الأقدمون يعتقدون أن الكرة الأرضية هي مركز جميع الكائنات وأن الشمس وجميع الأفلاك تدور حولها ، ثم تقدم العلم فثبت أن الأرض لم تكن مركز الكائنات ، وقام الاعتقاد بين جمهور العلماء أن الشمس هي ذلك المركز ، وظلت النظريات تتغير وتتقلب الى أن جاءنا الدكتور شابلي بنظريته الجديدة وهي أن مركز الكائنات هي نقطة اتصال الأبراج المعروفة بالعقرب والحية والرامي وتبعد هذه النقطة عن الكرة الأرضية نحو خمسين ألف سنة نورية أي نحو ثلثمائة ألف ألف مليون ميل فالنور الذي نراه الآن منبعثا من ذلك المركز هو النور الذي انبثق منه منذ أكثر من خمسين ألف سنة أي قبل أن يظهر الانسان على هذه الكرة

ومما يجدر بالذكر أن الاستاذ (ادنجتون) الذي يعتبر أعظم علماء الفلك في الوقت الحاضر (وهو أستاذ الفلك في جامعة كمبرج بإنجلترا) أعلن منذ عشر سنوات أن الشمس هي مركز المجرة وأن طرف المجرة يبعد عن الكرة الأرضية عشرة آلاف سنة نورية وأنه ليس وراء ذلك الطرف سوى فضاء لا حدود له ، أما الآن فقد أثبت (الدكتور شابلي) أن الكائنات أوسع من ذلك بكثير ، اذا نظرت الى السماء في ليلة صافية الأديم أمكنك أن ترى بالعين المجردة نحو خمسة آلاف نجم من النجوم المختلفة الأحجام والدرجات وهذه النجوم مبعثرة في قبة الفلك بلانظام ظاهر ويخترقها في الوسط طريق المجرة الذي هو أشبه بنهر متعرج ، على أن ما نراه بالعين المجردة ليس سوى جزء صغير من مجموع النجوم التي يتألف منها عالمنا (أي نظامنا الشمسي والمجرة معا) فان عدد نجومه يبلغ عشرة آلاف مليون نجم ، وما شمسنا سوى نجم تافه يدور هو والأرض وجميع أجرام النظام الشمسي حول مركز الكائنات الذي سبقت الإشارة اليه

ويقول الدكتور شابلي أيضا : إن حول هذا المركز نحو مائة مليون نجم (والنجم هو الشمس بعينه) ومن هذه المجموعة تتألف نواة المجرة ولكن بقية أجزاء المجرة لاتزال محاطة بحجب الكتمان ، وإنما هنالك قرائن تدل على أن ثخانة نظام المجرة تبلغ نحو خمسة وخمسين ألف سنة نورية وأن قطرها أكثر من ذلك بكثير ترى ما الذي وراء مركز الكائنات ؟

يعتقد الدكتور (شابلي) أنه لن يمر وقت طويل حتى تتجلى لنا أسرار كثيرة ، أما النظرية القائلة بوجود شمس عظيمة تستمد منها جميع الشمس نورها وهي مركز الكائنات فهي خرافة لا طائل تحتها ، ونظرية

النسبية (وهي أحدث النظريات العلمية وأصدقها في الوقت الحاضر) تؤكد لنا أن لكل جرم حدودا لا يتعداها ، فالنجم المسمى (منكب الجوزاء) هو عبارة عن شمس هائلة يمكن وضع خمسة وعشرين مليون شمس كشمسنا في بطنها ومع ذلك لا يمكن (بحسب مذهب النسبية) تصوّر شمس أكبر من منكب الجوزاء لأن قوة الجاذبية فيها تكون هائلة جدا تصطدم بقوة إشعاعها وتمزّقها شراً ممزقاً

فركز الكائنات يشرف على نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا ويحفظ التوازن بين جميع أجرام النظام ، وقوة جاذبيته تفوق قوة أي جرم آخر يفرضه العلم ، وتدل المباحث العلمية الحديثة أيضا على أن مركز المجرة محوط بألوف الملايين من النجوم المبعثرة في الفضاء ، وللدلالة على سعة الفضاء الذي تشغله تلك النجوم نقول : « إن محيطه لا يقل عن ثلثمائة ألف سنة نورية وثخائنه لا تقل عن مائة وخمسين ألف سنة نورية ، أما نظامنا الشمسي فواقع خارج محيط المجرة عند أحد طرفيها ، ولا يخفى أن جميع أجرام الفلك تدور على محورها بلا انقطاع ، وقد قلنا ان اليوم يتكوّن من دورة الجرم على محوره ، فاليوم باعتبار كرتنا الأرضية يتكوّن من دورة الكرة على محورها وهو بحسبنا أربع وعشرون ساعة ، أما الكائنات التي يتألف منها نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا فهو يعادل ثلثمائة مليون سنة لأن هذه الكائنات تدور مرة حول محورها كل ثلثمائة مليون سنة ، وعليه فإن ستة أيام أو سبعة من نوع الأيام التي نحن بصدددها تكفي لنشوء كائنات بأسرها ، أما الذي حمل (الدكتور شابلي) على القول بأن نطاق الأفلاك أوسع كثيرا مما يتوهم العلماء وأن عدد الأجرام التي تتألف منها الكائنات غير محدود فهو النجوم المعروفة بالمتغيرة ، فقد اكتشف منها عدة آلاف وهو يعتقد أن الكون مملوء بها ، وقد درس حالة هذه النجوم درسا مدققا فابتكر طريقة علمية لقياس درجة نورها ولمعانها ، والمجال لا يتسع لشرح تلك الطريقة وإنما نقول إن الدكتور شابلي توصّل بواسطتها إلى معرفة أبعاد تلك النجوم وقد أثبت أنها تقع خارج الحدود التي كانت مفروضة للكائنات أي في الفضاء الذي كان يقال حتى عهد قريب أنه فراغ ليس فيه شيء من الأجرام الفلكية ، وقد وجد أن قوة إشعاع بعض تلك النجوم تفوق قوة إشعاع الشمس أكثر من ثلاثين ألف ضعف فتأمل

وبناء على هذا الاكتشاف أصبحت حدود الكائنات أوسع بكثير مما كان العلماء يتصوّرونها حتى أوائل هذا القرن ، ويظهر الآن أن النجوم المتغيرة توجد بشكل مجموعة مبعثرة حول أطراف المجرة وانها حدود الكائنات التي يتألف منها نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا ، أما حقيقة شكل الكائنات المذكورة فهي انها تشبه قرصا ثخيناً مستطيلاً يتألف من نظامنا الشمسي ومن المجرة ، وليس نظامنا الشمسي مركزا لتلك الكائنات بل هو يبعد عن ذلك المركز نحو خمسين ألف سنة نورية كما سبق القول فيه

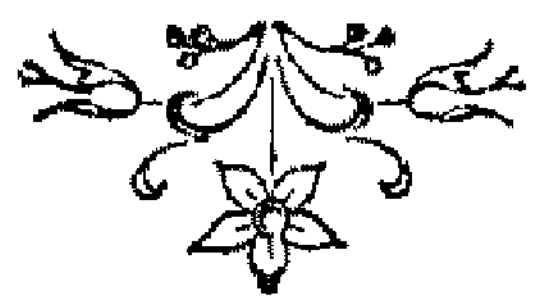
﴿ ووراء هذه الكائنات كلها ؟ ﴾

كان العلماء يزعمون حتى عهد قريب أن وراء الكائنات فراغا لا حدود له وأن هذا الفراغ يبتدىء بعد المجرة بقليل وليس له آخر إلا ان الدكتور شابلي قد أثبت اليوم أن مجرتنا ليست هي المجرة الوحيدة بل إن هنالك مجرات أخرى ومجموعات نظم شمسية لا عداد لها وهي تدور حول نواة مركزية ، وقد أطلق عليها الدكتور شابلي اسم جزائر كونية ويمكننا رؤية عدة مئات منها بواسطة التلسكوبات الحاضرة ، ومتى أنشئ تلسكوب مرصد (مونت ويلسون الجديد) الذي سيبلغ قدر عدسته مائتي بوصة فالأرجح اننا سنتمكن من مشاهدة ألوف كثيرة من تلك الجزائر ، وتظهر هذه الجزائر لأول وهلة بشكل مجموعات مظلمة من النجوم أو السدم المبعثرة في الفضاء ، ومع ان هذه الجزائر ليست من مكشفات (الدكتور شابلي) إذ قد كانت معروفة من قبل إلا ان القول بأن كلاً منها هي مجرة قائمة بذاتها هو قول جديد ، وقد ثبت الآن أن بعضها يبعد عن نظامنا الشمسي نحو مائة مليون سنة نورية أو أكثر

ومما يدل على سعة هذا السكون أنه لو أصيبت مجرتنا (وفيها نحو عشرة آلاف مليون جرم فلدى) بمصيبة محقتها وأزالتها من الوجود فإن الذين في أقرب الجزائر الكونية (إذا صح أن في تلك الجزائر مخلوقات) لا يشعرون بتلك المصيبة إلا بعد مئات الألوف من السنين لأن أنوار المجرة تظل سائرة في الفضاء ولا تصل إلى أقرب جزيرة إلا بعد انقضاء مئات الألوف من السنين . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

هذه هي المقالة التي أحببت أن أثبتها هنا قبولا لنعمة الله علينا بالعلم والحكمة ، فانظر أيها الدكي إلى عظمة الله التي لا تقناهى وكواكبه التي لا حد لها ، اللهم إن هذه هي السعادة الحقيقية أن تزيد معارفنا بجمالك وبهائلك ونرى أنفسنا في يد رحيم لانهاية لرحمته ، عظيم لانهاية لعظمته ، إن القلب اذا أدرك هذه العظمة وعقل هذه الرحمة يكاد يذوب وجدا على بعده عن مسدى هذه النعم ويتمنى لو يراه ، بل كثير من قراء هذا التفسير العاشقين للعلم ستكون حياتهم كلها سعادة بعمل نافع للأمم جمعاء ، ويرون أن الموت نعمة من أجل النعم ، بل سعادة لاحد لها ، لأنهم يودون أن يروا مسدى هذه النعم صانع هذه العجائب مبدع هذا الجمال بعد أن يكونوا قد أتموا ما أعدهم له في هذه الأرض

يا سبحان الله : كأنى أشاهد كثيرا من قراء هذا التفسير قد امتازوا بأنهم في الدنيا مشرقة أنوارهم العلمية وقد اشتاقوا لمسدى هذه النعم وحققوا معنى الحديث « من أحب لقاء الله أحب لقاء الله لقاءه » ولا سبيل لهذه المحبة بغير دراسة هذه الدنيا ، وأنا أجدك يا الله أن جعلت هذا التفسير جامعا لأجل ما في العلوم وزهراتها إن قراء هذا التفسير فضلاءهم اذا سمعوا قوله تعالى - وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون - وسمعوا قوله تعالى - تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - لا تطيش سهامهم ولا يضل سمعهم ولا يظنون التناقض بل هم يعلمون علما ليس بالظن أن الله يخاطب الناس كما يخاطب أحدا طفلا صغيرا بل كما يخاطب الدواب ، إن منزلتنا من الله أبعد من ذلك وإنما ضربنا ذلك مثلا إذ ليس المقام مقام تحديد اليوم بألف سنة ولا مقام تحديده بخمسين وإنما يراد مدة عظيمة عبر عنها بما نعقله ، ولا جرم أن اليوم (٢٤) ساعة وهذا هو المعروف عندنا وهذا مبنى على دوران أرضنا ولكن هناك كواكب أخرى أكبر من أرضنا وهناك مجرات وسدم وهذه مجرتنا التي فيها شمسنا يومها (٣٠٠) ألف ألف سنة كما رأيت وقد يكون أكثر لمجرة غيرها ، فذن ألف سنة ليس قيما وخمسون ألف سنة كذلك وثلاثمائة ألف ألف سنة كذلك ولا يعلم أيام جميع الكواكب وجميع المجرات وجميع السدم إلا من لانهاية لعلمه ، إذن هنا فهمنا قول علمائنا رحمهم الله « إن العدد لا مفهوم له » قالوا هذا عند الكلام على أن السموات سبع وأن الأرضين سبع ، أفلمست ترى أن هذا زمان عجائب القرآن ، يقول : إن يوما عند الله يبلغ ألف سنة ، ثم يقول خمسين ألف سنة ، لماذا ؟ ليفتح للعقول أبواب الفكر فيفكر العاقل ويقرأ العلوم فيعلم أن ذكر العددين يفتح باب الدرس حتى يعرف أنه لا حد للسنين ولا وقوف لها عند حد والله واسع عليم - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - انتهى نصف الساعة الثانية من ليلة الأحد (٥) يناير سنة ١٩٣٠ وبهذا تم الكلام على الفصل الثانى والحمد لله رب العالمين



الفصل الثالث

في قصص الأنبياء الذين أجمعوا في قوله تعالى - ولقد أرسلنا فيهم منذرين الخ -

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَمَنْعَهُ الْمُجْرِمُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ
الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَتَشْكُونَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ *
قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ *
فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّئِدِينَ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ
الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ
فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ
لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ
الْبَرُّ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ *
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ
الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ * وَلَقَدْ مَنَّا
عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ *
وَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ
عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ
آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَانْتَبَهُمْ لَمْ يُخْضِرُوا * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ
سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ * وَإِنَّكُمْ

لَتَمُرُّنَّ عَلَيْهِمْ مُبْعِدِينَ * وَاللَّيْلُ أَفْأَدَّ تَقْلِقُونَ * وَإِنْ يُونُسَ إِنْ أَرْسَلِينَ * إِذْ أُنْفِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْقَوْمَ الْأَعْوَجَ وَهُوَ الْغَلِيظُ * قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَيُّومُ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِمْ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ

في التفسير اللفظي

﴿ قصة نوح عليه السلام ﴾

قال تعالى (واقعد نادانا نوح) لما أيس من قومه المقلدين لآبائهم فأجبناه (فلنعم المجيبون) أي فوالله لنعم المجيبون نحن (ونجيناها وأهلها من السكب العظيم) من الغرق ومن أذى قومه (وجعلنا ذرية له من الباقين) إذ كان له ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم، وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب، ويافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج. هذا هو المشهور على السنة المؤرخين وليس في القرآن نص على هؤلاء ولا على غيرهم (وتركنا عليه في الآخرين) من الأمم ثناء حسنا وذكر أجيالا فيمن بعده من الأنبياء إلى يوم القيامة، ثم قال الله (سلام على نوح في العالمين) أي سلامة وسعادة منا على نوح من بين العالمين في زمانه (إنا كذلك) هكذا (نجزي المحسنين) بالقول والفعل بالثناء الحسن والنجاة تبشيرا بالنجاة والذكر الحسن لكل من آمن وعمل صالحا (إنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين) وهم كفار قومه

﴿ قصة إبراهيم ﴾

قال تعالى (وان من شيعته) ممن شايعه في الإيمان وأصول الشريعة (لإبراهيم * إذ جاء ربه بقلب سليم) إذ ظرف متعلق بشيعته لما فيها من معنى المشايعة وسلامة قلبه خلوصه من الشرك ومن آفات القلوب وهي المهلكات من الذنوب القلبية كالكبر والحسد (إذ) بدل من إذ الأولى (قال لأبيه) آزر (وقومه) عبدة الأوثان (ماذا تعبدون) من دون الله قالوا نعبد أصناما قال لهم إبراهيم (أتفكوا آلهة) أي أتريدون آلهة دون الله لأجل الأفك أي الكذب (فما ظنكم برب العالمين) أي فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة في النجوم) أي نظر في النجوم راميا ببصره إلى السماء ليريههم أنه ينظر فيها لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم أنه استدل بأماره على أنه سقيم (فقال إني سقيم) أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكانوا يخافون العدوى كما هي الحال اليوم في جميع الأمم فتفرقوا عنه بهذه الحيلة وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل وهذا من معاريض الكذب لأنهم فهموا أنه سقيم الآن وهو يريد سأسقم بل إن كل من كان الموت لاحقه فهو به سقيم أو نفس السلامة داء كما في المثل « كفى بالسلامة داء » أو إني سقيم بكفركم (فتولوا عنه مدبرين) مولين الأدبار (فراغ إلى آلهتهم) مال إليها (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) من الطعام الذي أمامكم فلم يجبن (مالكم لا تنطقون) لا تجيبون (فراغ عليهم) فأقبل عليهم (ضربا باليمين) أي ضاربا بسبب الخلف السابق منه ليبر في يمينه، أو ضاربا يمينه للدلالة على القوة، فرجعوا إلى أصنامهم فوجدوها مكسرة (فأقبلوا إليه يرفون) يسرعون فقالوا نعبدوها وأنت تكسرها فأجابهم (قال أتعبدون ما تنحتون) بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الأصنام، أو وخلق أعمالكم فلم تعبدون غيره؟ (قالوا ابنوا له) لأجله (بنيانا) من الحجر طوله عشرون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فألقوه في الجحيم) في النار الشديدة

(فأرادوا به كيدا) بالقائه في النار (فجلباهم الأسفلين) المتهورين عند الالتقاء فخرج من النار (وقال إني ذاهب إلى ربّي) أي إلى موضع أمرني بالذهاب إليه (سهيدين) سيرشدني إلى ما فيه صلاح في ديني ويصمّي ويوفّقني (رب هب لي من الصالحين) أي بهض الصالحين أي الولد (فبشرناه بسلام حلیم) فالبشارة بثلاث : انه ذكر ، وانه يبلغ أوان الحلم ، وانه حلیم . ومن حلمه انه رضى بالذبح كما سيأتي (فلما بلغ معه السعي) أي بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه وكأنه قيل مع من يسعى ؟ فقيل مع أبيه ، فاذن معه بيان لا يتعلق ببليغ ولا بالسعي (قال يا بني إني أرى في المنام أذبحك) إذ قيل له في المنام أذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى ، فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح ، أمن الله هذا الحلم ، أم من الشيطان ؟ فنُمة سمى يوم التروية فرأى مثل ذلك في الليلة الثانية فعرف انه من الله فسمى يوم عرفة ، ثم رأى الليلة الثالثة مثل ذلك فهمّ بنحره فسمى يوم النحر (فانظر ماذا ترى) من الرأي على وجه المشاورة ، يريد أن يختبره ليعلم أيجزع أم يصبر (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي ما تؤمر به (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) على الذبح (فلما أسلما) انقادا لأمر الله وخضعا (وتلاه للجبين) صرعه على جنبه ووضع السكين على حلقه (ونادياه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي حقت ما أمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح وجواب لما محذوف أي كان ما كان مما لا يحيط به الوصف من استبشارهما وجدّهما الله وشكرهما له على نعمة دفع البلاء (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي إنا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا (إن هذا هو البلاء المبين) أي الاختبار الظاهر إذ اختبرناه بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) كبير الجثة سمين ، يقال إن جبريل أتى له بكبش أملح أقرن من الجثة ، ويقال انه رعى فيها أربعين خريفا ، وقيل انه وعل أهبط عليه من ثبير ولما هرب من عند الجرة رماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت سنة ، ويقول الحنفية : « من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة » (وتركنا عليه في الآخرين) سلام على ابراهيم) هو كما سبق (كذلك نجزي المحسنين) إنه من عبادنا المؤمنين (وقوله (و بشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أي بوجود اسحق أي ولما أسلم أمره لله في ذبح اسماعيل بشره الله باسحق بعد ذلك (وباركنا عليه) أي أفضنا عليه بركات الدين والدنيا (وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن) في عمله (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي (مبين) ظاهر ظلمه

﴿ لطيفة ﴾

في هذه القصة الشجاعة بالفتك بالعادات المزرية بالانسانية والشجاعة في اقتحام الأهوال وقد قام بمثل ذلك نبينا ﷺ وفيها الصبر والحلم والاناة وأن يستعد الإنسان لتسليم نفسه لله كل وقت لا يبالى بما يصيبه من فقد أو قتل أو نقص ، كل ذلك تعلم لنا وتهيئة للعالمى ، ولقد سبق في ﴿سورة البقرة﴾ إني ذكرت لك هناك « لغز قابس اليوناني » قبل الميلاد بخمسمائة سنة إذ شرح كل الأحوال الانسانية من علم ومال وولد وملك فلم يجعل للانسانية سعادة إلا بالصبر على ما يصيب الانسان ، فالصبر أول الامور وآخرها ، وأخرج من السعادات العلماء والشعراء والأغنياء والملوك وأهل الجلال والوارثين فقد حكم على هؤلاء جميعا بأنهم ليسوا سعداء وجعل كل ما يقرؤه الناس في الكتب من الأخلاق أدبا مزورا . فأما الأدب الحقيقي فهو الأخلاق وأهمها الصبر على النوائب وحكم بأن هؤلاء جميعا قبل أن يبدلوا بالمصائب ليس أحد منهم سعيدا ولهذا وحده جاءت هذه القصص وكيف يرضى ابراهيم بذبح ولده . وكيف يرضى اسماعيل بالذبح لذلك وردت هذه القصص في القرآن . ومن عجب أن تتحد الفلسفة والدين على أمر واحد أمر الصبر وانه السعادة القصوى . يقول قابس « لأن النفس مادامت تفرح بالنعمة وتؤلمها النعمة فانها رعاء جاهلة طفلة لأن المال والولد كالليل والنهار يطلعان على الفاجر والصالح . والسعادة التي اصطلاح عليها الناس لابقاء لها فهي رعاء تفرح بها النفوس الرعاء ، فالسعادة إذن أن تكون النفس مطمئة لكل ما يأتي عليها وهذا قوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم

ولا تفرحوا بما آتاكم - وقوله - إن الله لا يحب الفرحين - وهذا الخلق يعمل بأمرين : إما بتوالي النوائب على امرئ حتى يصير قادراً على احتمالها ، وإما أن يدرس هذا العالم درساً مدققاً فيدرك إذ ذاك أن العالم نظام واحد له صرب يربيه مخلق على كل جليل وصغير رحيم يشد يرى أن الله معه في السراء والضراء فيرضى وقتاً ويغلبه الطمع وقتاً ولكنه أقرب إلى الرضا من الجهال

﴿ قصة موسى وهرون ﴾

قال تعالى (واقدمنا على موسى وهرون) أنعمنا عليهما بالنبوذ وغيرها من النعم الدنيوية (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) من ظاب فرعون ومن الفرق (ونصرناهم) الضمير لهما مع القوم (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستقيم) البليغ في بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) الطريق الموصل إلى الحق (وتركنا عليهما في الآخرين) سلام على موسى وهرون * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنيهما من عبادنا المؤمنين

﴿ قصة الياس ﴾

هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو أدريس النبي عليه السلام (وان إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أى أتعبدونوه وهو اسم صنم كان لأهل بك بالشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك ويطلق البعل على الرب بلغة اليمن ويصير المعنى أتدعون بعض البعول (وتذرون أحسن الخالقين) وتركون عبادته (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) بدل من أحسن (فكذبوه فأنهم لمحضرون) أى فى العذاب (إلا عباد الله المخلصين) بدل من الواو (وتركنا عليه فى الآخرين) سلام على إلياسين) لغة فى الياس كسينا وسينين (إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين)

﴿ ذكر لوط ﴾

قال تعالى (وان لوطا من المرسلين * إذ نجيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزا فى الغابرين * ثم دمرنا الآخرين * وانكم يا أهل مكة لتترون عليهم مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) أى مساء (أفلا تعقلون) أى أفليس فيكم عقل تعتبرون به

﴿ ذكر يونس ﴾

قال تعالى (وان يونس من المرسلين * إذ أبق) هرب (إلى الفلك) من قومه بغير إذن ربه (المشحون) المملوء (فساهم) فقارع أهل الفلك (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة * روى أنه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقف فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه وهو من اللقمة (وهو مليم) أى بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) الذى كثر الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أوفى بطن الحوت إذ كان يقول : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » وقيل من المصلين (اللبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) ميتا (فنبذناه) طرحناه (بالعراء) بالأرض الخالية عن الشجر والنبات (وهو سقيم) عليل وكان لبسه فى بطن الحوت ثلاثة أيام (وأنبثنا عليه شجرة من يقطين) هو القرع ، وكل نبت يمتد على وجه الأرض كالقرع يقطين * قيل لرسول الله ﷺ إنك لتحب القرع . قال : أجل هى شجرة أخى يونس (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) هم قومه أهل نينوى . واعلم أن كلام المفسرين مضطرب هنا فلا سمعك ملخص كلام التوراة :

« إن الله أرسل « يونس » أى يونس بن امناي قائلاً قم اذهب إلى أهل نينوى المدينة العظيمة فهرب يونس من وجه الرب فنزل إلى ياقا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش فجاءت ريح شديدة وكان ما كان مما هو

مهروف من أصر القرعة ، ولما خرجت القرعة بأن يرمى في البحر خافوا خوفا شديدا ثم طرحوه فسدكن البحر ، وأما الرب فألهم حوتا فابتلعه

﴿ الاصحاح الثاني ﴾

فصلي يونان الى الرب إلهه من جوف الحوت الى آخر ما هنالك فنبذه الحوت بعد ثلاثة أيام الى البر

﴿ وفي الاصحاح الثالث ﴾

إن الله أمر يونس أن يذهب الى أهل نينوى رسولاً ثانياً فذهب اليهم وقال بعد أربعين تنقلب نينوى فآمن أهل نينوى وصاموا ولبسوا المسوح جميعهم من الملك الى أدنى رجل فعفا الله عنهم ولم يهلكهم

﴿ وفي الاصحاح الرابع ﴾

ان يونان لما رأى ذلك اغتم غمًا شديداً وقال يارب أنا كنت بادرت الى الهرب لأنني أعلم انك ستفعل ذلك وتعفو عنهم ، ثم جلس شرق المدينة وجعل لنفسه مظلة ليجلس تحتها فأبنت الله له يقطينة فارتفعت على رأسه ليخلصه من غمه ففرح يونان فرحاً عظيماً ثم أرسل الله لها دودة وقت الفجر فضربت اليقطينة فبيست وعند طلوع الشمس جاءت ريح شرقية حارة فضربت رأس يونان فذبل فطلب لنفسه الموت فقال الله ليونان هل اغتظت من الصواب من أجل اليقطينة ؟ أتشفق على يقطينة لم تتعب فيها بفت ليلة نبتت وبنت ليلة هلكت أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة وفيها خلق كثير لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبها غم كثيرة . انتهى ملخصاً من التوراة

ثم قال تعالى (فآمنوا) أي الذين أرسل اليهم يونس (فتعناهم الى حين) الى انقضاء آجالهم . انتهى التفسير اللفظي للفصل الثالث من السورة

﴿ لطيفة في قصة يونس وقصة ابراهيم عليهما السلام ﴾

إن يونس تجمل أمر الله فأما ابراهيم واسماعيل الذبيح فانهما صبرا ، إن ابراهيم قانت لله شاكر لا نعمه صابر ففيه الصبر والشكر ، فأما يونس فانه ذا كبر لله ولكنه استعجل ، ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ - فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم - فاذن القصد من هذه السير ترقية المسلمين أي ان الصبر هو عمدة السعادة في الدنيا ، فابراهيم صابر شاكر ، وأما يونس فانه قد استعجل مع انه يذكر الله ، فذكر الله نفعه ولكن الصبر درع ، ذلك هو المقصود من هذه القصص ، وقد قدمت لك أن الصبر عليه مدار السعادة في الدنيا لأن الأمور ليست تحت تصرف العباد ، فلناس جميعاً معرضون لما لا يرضونه كل آن فان لم يكن صبر فلا سعادة ولا شرف في الدنيا ولا الآخرة . انتهى الكلام على الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع ﴾

فَأَسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَافْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَّا نَا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهمْ أَيْقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَوَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصْنُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَإِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ

الْجَحِيمِ * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَعْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَعْنُ الْمُسَبِّحُونَ * وَإِن
كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِن جُنْدَنَا لَهُمُ
الْغَابُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَتَوْفَّيْهُمْ يُصِفُونَ * أَفَمِمَّا بِنَا يَسْتَفْهِجُونَ * فَإِذَا نَزَلَ
بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُصِفُونَ * سُبْحَانَ رَبِّكَ
رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿ التفسير اللفظي ﴾

هذا الفصل فيه ما يخص الفصلين السابقين فإن أول السورة ذكر الصافات وهم الملائكة وهنا أخذ يستفتي
أهل مكة في تسميتهم بنات الله ثم ذكر أنهم هم الصافون المتقدمون في أول السورة ، وفي وسط السورة ذكر
المرسلين وهنا ذكر أنهم منصورون . فاذن هذا الفصل ما يخص الفصلين السابقين وهذا قوله تعالى (فاستفتهم
الربك البنات) الإناث (ولهم البنون) عطف على ما تقدم في أول السورة - فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من
خلقنا - والكلام هنا في أنهم نسبوا لله الولادة والله منزله عن المادة فكيف يلد ؟ وفي أنهم جعلوا الولد
أضعف الزوجين الذكر والأنثى وفي أن الملائكة الذين لا يوصفون بما يوصف به الحيوان إناث وهذا قوله تعالى
(أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون) حاضرهم (ألا أنهم من إفكهم) كذبهم (ليقولون ولد الله) إذ
لا دليل عليه (وأنهم لكاذبون) فيما يتدينون به (أصطفى البنات على البنين) استفهام إنكار واستبعاد (مالكم
كيف تحكمون) بثما تقضون لأنفسكم ترضون لله ما لا ترضون لأنفسكم (أفلاتذكرون) أنه منزله عن ذلك
(أم لكم سلطان مبين) حجة واضحة أو كتاب بين فيه أن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذي نزل
عليكم (إن كنتم صادقين) في قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) أي الملائكة ويسمون جنا لاجتماعهم
(ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون) أي ولقد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول لمحضرون في النار
(سبحان الله عما يصفون) من الولد والنسب والصاحبة . وقوله (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع
من المحضرين (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبودكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله
(بفائتين) بمضلين (إلا من هو صال الجحيم) أي استمضون أحدا إلا من استعتوا للفتنة بحسب فطرهم -
فيكفرون فيصالحون جهنم كما هو مقتدر ألا كقوله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - يقال فتن
على فلان امرأته أي أفسدها عليه . قال جبريل عليه السلام (وما منا) أحد (إلا له مقام معلوم) في المعرفة
والعبادة والانتفاء إلى أمر الله في تدبير العالم * وعن ابن عباس « ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك
يصلي أو يسبح » فهذا وحديث « أطت السماء وحق لها أن تط » (١) يفيدان كثرة الملائكة (وإنا لنحن
الصافون) في أداء الطاعة (وإنا لنحن المسبحون) المنزهون عما لا يليق به ويصح أن يكون الكلام في
النبي ﷺ والمؤمنين ، فهم صافون في الصلاة ، ومنزهون لله عن المحدثات . والكلام هنا كالكلام في
أول السورة (وإن كانوا) أي كفار مكة قبل بعث النبي ﷺ ان مخففة من الثقيلة (ليقولوا لو أن عندنا
ذكر من الأولين) أي كتابا من الكتب التي أنزلت عليهم (لسننا عباد الله المخلصين) لأخلصنا العبادة له

(١) الاطيط أصوات الابل

ولم تخالف مثلهم فجاءهم الذكر الذي طلبوه وهو القرآن (فكفروا به فسوف يعلمون) مضية تكذيبهم وما يحلّ بهم من الانتقام (واقدم سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون) وان جندنا لهم الغالبون) وسميت كلمة كما قال ابن مالك ﴿ وكلمة بها كلام قد يؤم ﴾ (فتول عنهم حتى حين) الى مدة يسيرة (وأبصرهم) أي أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك . أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذا بنا يستعجلون) قبل حينه (فاذا نزل بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المذمرين) صباحهم (وتول عنهم) يا محمد (حتى حين) الى وقت هلاكهم يوم بدر (وأبصر) اعلم (فسوف يبصرون) فسوف يعلمون ماذا يفعل بهم بعد الموت ويوم القيامة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون مما حكى في السورة (وسلام على المرسلين) سلم الله على الرسل عموما بعد سلامه في الفصل الثالث على المذكورين في السورة (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الأعداء ونصر الأنبياء وفيه تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ﴿ قال علي رضي الله عنه : « من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه - سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ وسلام على المرسلين ﴾ والحمد لله رب العالمين - » واعلم أن المؤمن في كل تشهد يقول : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ولا جرم أن الصالحين يشعرون الأنبياء فكأن المؤمن يحكي كل روح شريفة من الأرواح المفارقة للسادة وعند قيام المرء من المجلس يسلم على المرسلين ويحمد الله صرعى العالمين وتربية العالمين تشمل الارسال والهداية وتعذيب الكافر والعاصي واثابة الطائع المؤمن . فالمؤمن يحمد الله على تربيته للعالمين وما الخير والشر في التربية إلا أخوان . فالموت والحياة والضرر والنفع سواء في التربية . وفي هذه بشرى لكل مصلح من أتباع الأنبياء فانهم يهنئون بالسلامة وبالاكرام من الله وينحون نعمة عظيمة في الدنيا بالنصر وفي الآخرة بالنظر لوجه الله الكريم والتقرب منه ومشاهدة جماله اه

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

(١) في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -

(٢) في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا - الخ

(٣) في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا - الخ

(٤) في قوله تعالى - إني كان لي قرين -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾ وحفظا من كل شيطان مارد ﴾

لا يسمعون الى الملائكة الأعلى ويقذفون من كل جانب ﴾ دحورا - الى - شهاب ثاقب -)

(خواطر في يوم الاثنين كتبت ليلة الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠)

معلوم أن الصفات صفا هم الملائكة المذكورون قبل آخر السورة - وانا لنحن الصافون ﴾ وانا لنحن

المسبحون - فهؤلاء الصافون هم القائمون بنظام العالم وتديره بأمر ربهم وهم الملهمون الناس العلم كما ان

الشياطين يوسوسون بالشر - فالزاجرات زجرا - اشارة الى الأعمال النظامية - فالتاليات ذكرا - اشارة الى العلوم

ولا وظيفة إلا العلم والعمل . وزينة السماء الدنيا بالكواكب مبدء العلوم الأمم وتربية الحكماء والفلاسفة في

الأرض . يخرج الانسان طفلا فراهقا فتتي فينظر فيرى كواكب وشموسا وهو في هذه على إحدى ﴿ أربع

حالات ﴾ الحال الأولى ﴿ أن يرى الكواكب ببصره وهو لا يشعر بجمال ولا يجب بها إما لقصور في نظره

وإما لاعراض كمرض أو عواطف خاصة أو أمور شاغلة جسمية أو عقلية . فهؤلاء كلهم يرون النجوم والشمس

والقمر كما يرون المدر والحجر فلا تعجب ولا احساس بالجمال ﴿ الحال الثانية ﴾ أن يحس بالجمال . ولا جرم أن

هذا أرقى من سابقه لأن الأول شارك الدواب والخل والبعوض في أنها نظرت الأنوار بل النبات له احساس بالنور إذن لامزية للأول على غيره من الأحياء ولكن الثاني لما رأى أن فيها جمالا تبتدى بالأشياء وبهيجتها وصار يتأملها المرة بعد المرة عشقا وغراما وابتهاجا بها ، فهذا ارتقى من حال الحيوانية الى مبادئ الانسانية . **الحال الثالث** : تتوقف على السابقتين إذ يقول في نفسه هذا جمال وهذه بهجة وهذه العوانس الأوانس والخنس الجوارى الكنس أراها عرائس تزف كل ليلة ولها أنواع من السير والنظام فلا بحث عن كيفية دورانها وسفيها وشهورها وبروجها ومنازلها ونظامها وحيفئذ يقول : **هـ** إن النظام الذى أدركه عقلى بالحساب والعلوم الرياضية لانسبة بين جماله وشرفه وبين جمال وشرف الألوان الظاهرة . فالثاني لفظ والأول معناه . والثاني عرض والأول جوهر . والثاني مبتدأ والأول خبره . والثاني قشر والأول لبه . والثاني زهر والأول ثمرة . هنالك تتجلى تلك المعاني البديعة في نفوس المطلعين فترى البصيرة من بدائع الحركات وفنون النظم وجمال الابداع وحينئذ ينسون الجمال الظاهري وتسكروا عقولهم بلذة الأفراح العامية في باحات الأفلاك السماوية **الحال الرابع** : تتوقف على الثلاثة قبلها فتشاهد عقولهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ويقولون جمال ظاهر ونظام بحساب لا خطأ فيه بين آلاف الآلاف من الكواكب بل المجرات والسدم ولكل كون سيارات وللسيارات أقطار وكلها ذات حركات سريعة لا تصطدم ولا تخطئ . فهناك تؤد النفس لو يتاح لها مشاهدة المبدع لهذه العجائب وهنالك تكون السعادة التى لاحد لها . فمن أدرك ذلك فى الدنيا وشعر بما أكتبه شعورا مبنيًا على علم حقيقى فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من الآن لأنه أدرك نظاما جيلًا أحسست به نفسه فسعدت سعادة حقيقية وابتهج بأدراك صانعه وأحس بأنه جواد حكيم . وكل ما اعتراه من نصب أو ألم يرى أن ذلك الصانع حكيم فى فعله فيسكن قلبه وتطمئن نفسه

فهؤلاء هم خير الذين زين لهم السماء حقا . فأما الفريق الثانى والثالث فهما أقل من هؤلاء . فأما الأولون فهم همج الهمج . ذلك أن هذا الفريق قد جعل من بين أيديهم سد ومن خلفهم سد وذلك السد معنوى فلا يرون ما يراه غيرهم . فلهم أبصار ولكن لا يبصرون وأسماع ولكن لا يسمعون إما لنقص الفطرة ونقص القريحة أو للشهوات واللذات أو للآلام أو للعداوات وهكذا . فهؤلاء هم الذين قيل فيهم على سبيل الرمز - وحفظا من كل شيطان مارد - . وكيف يسمعون الى الملائ الأعلى وهم لا يفرحون إلا بلذات بطونهم وشهوات فروجهم والاستعزاز بالمال والجاه والتفاخر والكواكب تطوف حولهم والشمس والقمر وأنواع الجمال فهم غارقون فى طوهم والدنيا حافلة بأنواع الجمال والكمال . ومن هؤلاء فى الدنيا من يسمع حكمة فتبهره فى لحظة فيحس بأمر لم يعهده فى نفسه فتارة يثابر عليه ويستزيد علما وهذا العلم إما أن يكون علما بالجزئيات وإما علما بالكليات . فالعلم بالكليات أمثال ما ذكرته فيما تقدم من الابداع فى النظام والحكمة والعلم بالجزئيات مثل أن يفكر فى أهل أوروبا الآن وأهل الشرق وأرباب الديانات فيرى أن بعض المسلمين اليوم قد غلبوا على أمرهم وأن أهل أوروبا بهم الغالبون بالسلاح والكرام وأن الفاسق والكافر يسود ويغلب الصالح الناسك وأن كثيرا من الصالحين فقراء وكثيرا من الفاسقين أغنياء . فهناك يحصل الشك والكفر والضلال فالخطفة على قسمين : خطفة تؤدى الى الهدى فى النظر الى النظام العام العجيب . وخطفة تؤدى الى الردى وتوقع الانسان فى هوة الهلاك بالنظرات الجزئية وهذا هو الذى يحصل فى هذه الأرض وهو الرموز له بالخطفة التى يتبعها شهاب ثاقب . فهذا الشهاب الثاقب المذكور هنا والشهاب المبين المذكور فى سورة الحجر إما للهلاك وإما للحكمة والعلم . ومن عجب أن الشهاب يهذى ويهلك كالماء به الحياة والممات وهكذا النور . ولا أحد ممن تعاملوا من جهال نوع الانسان يخلو من إحداها . فأهل الأرض إما قوم صالحون آمنوا بأنبيائهم بلا بحث ولا تنقيب . فهؤلاء هم الصالحون ولهم مراتب تناسب عقولهم فيعيشون فى الجنة الجسمية ويكونون من

أصحاب اليمين . واما قوم قالوا كلا نحن نريد أن نعرف بقولنا وهؤلاء قسمان : قسم بحث فلم يصل وكسل ومال الى الترف والنهم ، وهؤلاء هم الدرجة الوسطى من الباششين وهم أهل الضلال . وقسم وصل وعرف أمثال ما في هذا التفسير ، فأولئك هم الذين أنعم الله عليهم بالعلم والحكمة وهم الفائزون وهم المقربون ومن قبلهم هم أصحاب المشأمة

ملخص ما تقدم أن للناس جيههم ﴿ أربع درجات ﴾ ناظرون ليعقلون ، وناظرون يعقلون الأنوار المحسوسات ، وناظرون يدركون سرّ الحركات والنظام ، وناظرون يدركون ما وراء ذلك ، والفريق الأول منهم من ينظر نظرة فلما أن يلحق بأحد الأقسام الثلاثة بعده ، واما أن يهلك فيردى ، هذا ملخص ما تقدم وهو من أسرار هذه الآية

﴿ نظرات الناس في قراءة لقرآن كنظراتهم في الأفلاك ﴾

وكما أن الناظرين في الفلك وجاله يكونون أربعة أقسام ، هكذا قرّاء القرآن ، فمنهم من يكتفى بلفظه فيقرأ هذه الآيات ويكتفى بالتلاوة فهذا كالفريق الأول ، وقسم يحب بالبلاغة والاعراب وأنواع المجاز والاستعارات والتقديم والتأخير والذكر والحذف وهكذا من فنون علم المعاني والبيان والبديع . فهذه الطبقة الثانية هي التي تقف عند الفرع بمحاسن الكلام كما وقف أولئك عند محاسن الأنوار من كواكب السماء وجهوا ما وراءها ، وهؤلاء هم أكثر علماء البلاغة والمدرّسون في المدارس الشرقية والغربية المتخصّصون بفن البلاغة ، وقسم ثالث يقول . كلا . لا بد من الدراسة والعلم بهذا الوجود ، وقسم رابع يخطو وراء ذلك خطوات وهذان القسمان يشبهان القسمين الثالث والرابع فيما تقدم . فهنا اجتماع الفريقان : فريق الناظرين . وفريق السامعين وان كانوا في مبدأ الأمر مفترقين

﴿ نظرات فلاسفة العالم أربعة ﴾

ألا تعجب معي أيها الذكي : انك مهما قلبت طرفك في آراء علماء اليونان والرومان والعرب والألمان والانجليز والفرنسيين وجميع فلاسفة الشرق والغرب لا ترى غير هذه النظرات . سبحانك اللهم وبحمدك . إنك جعلت (طاليس المايطي) ومن بعده من (ديموقراطيس) قد وقفوا على المادّة وقالوا إن الهواء أو الماء أو النار أو الأرض أو الأجزاء التي لا تتجزأ هي أصل هذا الوجود كله فلا إله ولا ملك ولا نبى ولا رسول فالعالم أوّله وآخره لأصل له إلا ذلك . وهذه الطائفة هنا تشبه الطائفة الأولى من الطوائف الأربعة المتقدمة بعض الشبه مع اختلافهم في تعيين المبدأ منها . فهم اتفقوا في الأصل واختلفوا في تعيينه . وجاءت طائفة ثانية فقالت : « والله نحن متحيرون ! هذه الأرض لا علم فيها ولا حقيقة . وكل امرئ له أن ينظر كما يشاء » وهؤلاء هم السوفسطائية . وقسم ثالث نظر فقال . كلا . وهنا في الطبيعة حساب وههنا هندسة ونظام . إذن الحساب أصل أو يقولون هنا محبة ونفور ودفع وجذب . إذن أصل العالم محبة ونفور أو حساب مثل ما يقوله فيثاغورس وانبدقليس . وقسم رابع قال : « لا حساب بلا حساب . ولا محبة ولا نفور بدون فاعل لهما » وهؤلاء هم انكساغورس ثم سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس فهؤلاء أقرّوا بالله ولكن الأوّل ظنه لا عمل له إلا في الكليات والآخرون يقولون بأنه يحيط علما بجميع الجزئيات

فهذه الطوائف الأربع لا يخرج عن حصرها أحد في العالم قديما وحديثا ومستقبلا . فإذا سمعت أن طائفة من المتعلمين بمصر وبلاد الشرق القريب على مذهب بخنرالأماني المفسر لمذهب (داروين) والدكتور (شبل شميل) المترجم لهذا الكتاب الى اللغة العربية فاعلم أن هؤلاء في صف القسم الثاني والأوّل فهم إما متحيرون واما واقفون عند المادّة . وإذا سمعت قوما منهم يقولون : « إن الإله موجود ولكنه ترك المادّة حبلها على غاربها » فهؤلاء أشبه بمذهب انكساغورس الذي تقدم وهكذا

واعلم أن هذه درجات نوع الانسان في كل عصر وجيل لاتجاوز الأرض منهم وذلك على مقتضى جلالهم ومنتهى ماوصلت اليه عقولهم ، والسبب في ذلك (أسعدك الله) أن لكل امرئ حدا في المعرفة كما قيل :
الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوى الشجر
هذا له ثم حاور مذاقته : وذلك ليس له طعم ولا ثمر

﴿ نظرات الخليل عليه السلام ﴾

ومن عجب أن هذه المراتب الأربع هي التي أشار الله لها في القرآن في نظرات الخليل ، فان الكواكب والقمر والشمس لم تكفه في نظراته فتخطاها وقال - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - الخ وإياك أن تقف عند اللفظ فليس الخليل عليه السلام بالذي يقف عند هذه المناظر . كلا . بل هذا رمز للمعارف والعلوم وانها درجات بعضها فوق بعض حتى تنتهي الى الدرجة الرابعة المتقدمة ، واعلم أيديك الله أن نظرات الخليل ذكرت في القرآن ليتعلم المسامون كيف يرتقون في أسباب العلوم وأن هذا لا بد منه لمن يريد الوصول لله وليس المعنى أننا نكتفي بهذه الآيات أو بلاغتها أو معناها . كلا . ثم كلا . فالقرآن أنزل ليعلن العروج لله بالحكمة والفهم والتعقل

أفلاترى أن هذا من غرائب القرآن وعجائبه ، ثم ألا تحب أن أريك أمرا عجيبا يناسب ما ذكرناه هنا وهو ما جاء في « اخوان الصفاء » الذي ألف منذ نحو ألف سنة وقد يقرؤه بعض أهل العلم ولكن أكثرهم كانوا لا يفهمونه ، وكيف يفهمون ما لم يدركوه ؟ وكيف يدركه امرؤ لم يدرس علوم الحكمة من الرياضيات والطبيعية حتى يعرف جمال الله في تشریح الانسان والحيوان ونظام النبات وكان أكثرهم يظنون أن هذه العلوم تنافي الدين فوقفت العقول وطمست البصائر ، وربما كان بعضهم يرى تأويل آية في ذلك الكتاب فيعتد هذا التأويل كغيره فينفر من الكتاب ، فاذا نقلت لك الآن جملة صالحة منه فاني أقول نحن الآن لسنا مقلدين لأحد ، فنحن نأخذ الحكمة أنى وجدناها ونذرنا لدليل عليه . هذا ديدنا في هذا الكتاب وغيره ولا يصدني عن العلم أن يقال : « ان صاحبه قد أخطأ في بعض المسائل فما فيه الخطأ أنا أجتنبه لا اني أترك ألف حكمة لأجل خطأ موهوم أو محقق في حكمة واحدة . إن هذا جهل وغرور ولو كانت هذه القاعدة صادقة لم يخلق الله العالم . إن الماء والنار والهواء وان الشمس كل من هذه فيها هلاك باغراق ناسك واحراق عجموز واحداث أمراض بالهواء الفاسد وازدياد المرض لمن به حيي واحداث ضربة الشمس . فلو كان الضرر القليل يوجب ترك النفع العظيم لوجب أن يفنى هذا العالم كله ولما كان خلقه عبثا - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين - إذن فلا قص عليك ما جاء في كتاب « اخوان الصفاء » في الجزء الثالث منه تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ فصل في جزاء المحسنين ﴾

اعلم يا أخي أن جزاء المحسنين يتفاضل في الآخرة بحسب درجاتهم في المعارف واجتهادهم في الاعمال الصالحة والناس متفاوتو الدرجات في أعمالهم كل يعمل على شاكلته وأجود أحوال العامة والجهال كثرة الصوم والصدقة والصلاة والقراءة والتسبيح وماشا كل ذلك من العبادات المفروضة والمسئونة في الشرائع المشغلة لهم عن فضول وبطالة وما لا ينبغي لهم كيلا يقهوا في الآفات وأفضل أعمال الخواص التفكير والاعتبار بتصاريف أمور المحسوسات والمعقولات . وبخاصة ما يتعلق بالدين وقد قيل أفضل أعمال الخير خصلة واحدة وهو التفكير قال الله تعالى - قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا - ثم اعلم أن الانسان إذا عقل الأمور المحسوسة وعرفها وتفكر في الأمور العقلية وبحث عنها وعن عللها استقبلته عند ذلك طريقتان

إحداهما ذات اليمين تؤديه الى الهداية والرشاد والأخرى ذات الشمال تؤديه إلى النقي والضلال وذلك ان أمور العالم نوعان كليات وجزئيات لاغير فاذا أخذ الانسان يفكر في كلياتها ويعتبر أحوالها وتصاريفها ويبحث عن الحكمة فيها بآنتله وأمكنه أن يعرفها بحقائقها وأرشد اليها فكلما تقدم فيه ازداد هداية و يقينا ونورا واستبصارا وتحققا وازداد من الله قربا وكرامة واذا أخذ يتفكر في جزئياتها والبحث عنها وعن عللها خفيت وانغلت مناجيها وكلما ازداد تفكرا ازداد تحيرا وشكوكا ومن الله بعدا وكان قلبه من أجل ذلك في عذاب أليم . مثال ذلك انه اذا ابتداء الانسان أولا وتفكر في نفسه ونظر الى بنية هيكله ونفسه وكيفية تركيب جسده وكيف كان أولا في صلب أبيه ماء مهينا . ثم كيف صار نقطة في قرار مكين . ثم كيف صار مضغطة . ثم كيف كسا العظام لحما . ثم كيف صار جنينا بعد أطوار متعاقبة . ثم كيف قبل جسده نور شعاع فيض روح القدس الالهى . ثم كيف أخرج من الرحم الذى هو عالم كونه إلى الدنيا الذى هو عالم آخرته . ثم كيف صار طفلا حساسا . ثم كيف تربى وهو طفل صبي جاهل . ثم كيف نشأ وصار شابا عالما أوجاهلا . ثم كيف صار رجلا عالما فيلسوفا حكما مدبرا متملكا على ما له . ثم كيف صار زاهدا عابدا . ثم ان طال عمره كيف يرجع كما كان بديا ضعيفا ذاهب القوة . ثم كيف ظهر بعد الشباب والقوة الضعف والشيبة - الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء - فاذا فكر الانسان في هذه الحالات التى ينقل فيها من أدونها الى أتمها ومن أفضلها الى أكلها فيعلم بالضرورة ويشهد له عقله ان له صانعا حكما هو الذى اخترعه وأنشأه وأتماه فاذا تحقق عنده ما وصفنا من هذه الحالات جعل نفسه عند ذلك مقياسا على سائر أبناء جنسه فعلم علما يقينا انه قد فعل بهم مثل ما فعل به وهكذا سائر الحيوانات وكلما ازداد تفكرا في هذا الباب ازداد بر به يقينا وبأوصافه معرفة وعلم أن الله تعالى سى عالم قادر عليم حكيم محسن جواد كريم مشفق رحيم ولو نظر في التشریح أوفى كتاب منافع الأعضاء أو كتاب الحيوان أو كتاب النبات أو كتاب المعادن أو كتاب الآثار العلوية أو كتاب تركيب الافلاك وماشا كلها من السكت والعلم والمعارف من وصف مصنوعاته ومعجائب مخترعانه فانه كلما ازداد فيها نظرا ازداد بالله علما وبأوصافه اللاتقة به معرفة واستبصارا وإليه قربة وإلى لقاء الله اشتياقا فهذا هو الطريق ذات اليمين المؤدى سالكة إلى الله تعالى وإلى نعم جنانه و أما الطريق الآخر ذات الشمال المؤدى الى الشكوك والخيرة والضلالة والعمى وهو أن يبتدىء الانسان قبل النظر في العلوم والآداب والرياضيات وقبل أن يحسن أخلاقه ويهذب نفسه بالكشف عن الأمور الجزئية الخفية المشككة على الحذاق من العلماء والفلاسفة فضلا عن غيرهم نحو معرفة ألم الأطفال وطلب معرفة مصائب الأخيار والبحث عن الأنباء وتيسير أمور الأشرار ولم زيد الخازم فقير وعمر والعاجز غنى ولم جعفر النقي أمير وعبدالله الحكيم حقير ولم هذا الرجل ضعيف والآخر قوى صحيح ولم هذه الدودة صغيرة وهذا الجمل كبير ولم الفيل مع كبرجسته له أربع قوائم والبقر مع صغر جسته له ستة أرجل وجناحان ولماذا يصلح البقر والذباب والقردان والبراغيث وأى فائدة في خلق الخنازير والوزغ وأى حكمة في خلق العقارب والحيات وماشا كل ذلك من المسائل التى لا يحصى عددها إلا الله ولا يعلم سواه عللها فاما الانسان فانه لا يعرف الحكمة فى عللها الا بعد النظر فى العلوم الالهية وهو لا يعرف الا بعد النظر والتفكر فى الامور الطبيعية وهو لا يعرف الا بعد النظر فى الامور المعقولة وهو لا يعرف الا بعد النظر والتفكر فى الامور المحسوسة فمن لم يكن مرتاضا بهذه العلوم والمعارف ولا متأدبا بها ولا صافى النفس ولا صالح الأخلاق فيبتدىء أولا بطلب الامور المشككة التى تقدم ذكرها فلا يدركها ولا يعقلها فيرجع عند ذلك خاسرا متفكرا متحيرا غافلا بنفسه وسواسا فى قلبه فينظر عند ذلك الى أمر العالم مهملا والكائنات باتفاق لا بعناية حكيم ولا صنع صانع عليم أو يظن أن رب العالمين غافل عن أمر عالمه حتى يجرى فيه ما لا يليق بالحكمة أو يظن أنه لا يعلم ما يجرى فيه أو أنه لا يفكر فى هذه الامور الجزئية ولا يهمه أو يظن انه قاس قایل الرحمة والنظر

اضعفاء الخلق أرائه جائر في قضائه وأحكامه متعب لخلقه مفرط في تقديره غير عدل ولا حكيم في كثير من أفعاله لا يرجع الضعيف وما شا كل هذه من الظنون والشكوك والحيرة والضلال الذي قد تاه في طلب معرفته عقول كثير من العقلاء المتقدمين المرتاضين بالعلوم الحكمية فكيف غيرهم ممن ليست له رياضة ولا معرفة بحقائق الاسرار المعروفة وقيل ان حكيم الفرس بزر جهر لما تفكر في هذه الامور المشككة ولم يعرف عللها قال عند ذلك احتجاجا لنفسه إذ قد تبين له بأن الله حكيم عدل فان مصائب العباد اذن لعل لا يعرفها اقرارا على نفسه بالعجز عن معرفة هذه الامور المشككة ويقال ان نبيا اجتاز مرة بعين من الماء في سفح جبل فتوضأ منها ثم ارتقى الى الجبل ليصل فيبينها هو كذلك اذ نظر الى فارس قد أقبل على تلك العين فشرب منها الماء وسقى فرسه ثم ركب فضى ونسى عند العين صرة فيها دراهم ثم جاء من بعده راعي الغنم ورأى الكيس فآخذه ومضى ثم جاء بعده شيخ خطاب عليه أثر البؤس والمسكنة على ظهره حزمة من الحطب ثقيلة حملها حفظ هناك خزنته واستاق يستريح ممابه من شدة الضعف والتعب والربق والانهار ففكر النبي وقال في نفسه لو أن ذلك الكيس مكانه لكان هذا الشيخ الضعيف أولى بأخذه من ذلك الراعي الشاب الغني القوي فما كان الا قليلا حتى أن الفارس قفر جمع الى مكانه الذي شرب الماء منه وطلب الكيس فلم يجده فطالب الشيخ فأبى الشيخ وقال ما عندي خبر هذا فضر به وعذبه حتى قتله ومضى الفارس فقال عند ذلك يارب ما وجه الحكمة في هذه القضية وأين هذا من العدل فأوحى الله تعالى اليه ان أبا الشيخ قتل في الزمان الماضي أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لاني الراعي بمقدار ما في الكيس فأخذت القود ورددت الدين وأنا حكيم عادل . ولذلك يحكي أن نبيا من أنبياء الله تعالى اجتاز نهر فيه صبيان يلعبون وبينهم صبي مكفوف وهم يغوصونه في الماء ويولعون به وهو يطلبهم ولا يظفر بهم ففكر النبي في أمره ودعا ربه أن يرد بصره ويساوي بينه وبين الصبيان فإسار الله بصره ففتح عينيه فقرب الى واحد من أولئك الصبيان فتعلق به وغوصه في الماء ولم يفارقه حتى قتله وطلب آخر كذلك وهرب الباقيون فدعا النبي حين ذلك ربه أن يكفيهم شره فأوحى الله تعالى اليه وقال اني قد فعلت ولكن لم ترض بحكمي وتعرضت في تدبيرى خلقي فقبين للنبي ان كل ما يجري في العالم من أمثال هذه الامور فقلته تعالى فيه سر وتدير وحكمة لا يعلمها الا هو . وقد أخبر الله تعالى في القرآن من حديث نبيين وما جرى بينهما من الخطاب في هذا المعنى أحدهما موسى عليه السلام وهو صاحب شريعة وأمر ونهى وحدود ورسوم وأحكام والآخر الخضر عليه السلام وهو صاحب سر وغيب وكتمان وكيف تعرض له موسى عليه السلام فيما يفعله بواجب حكمة وكيف اعتذاره اليه لما لم يستطع معه صبرا وانما ذكرنا هذه الحكايات في هذا الفصل لان أكثر الآراء والمذاهب تنشعب من هذه الامور المشككة التي فكر فيها العلماء وطلبوا عللها فاذا لم تبلغ أفهامهم كيفية معرفتها تفرقت بهم الآراء والمذاهب عند ذلك الامن عصمه الله وهدى قلبه وعرفه كما قال - ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء - وقال الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا - وقوله - ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلمنا - اه

هذا ما اخترته من ذلك الكتاب . وها هو ذا أوضح لنا ثلاث مسائل * الأولى * أن النظر في هذه العوالم يقربنا الى الله ويجعلنا مشتاقين الى لقائه . وان يتم ذلك لأحد من أهل الأرض إلا اذا استوثق من عجائب الطبيعة البهجة البديعة العجيبة . وهذه الخصلة هي نهاية حكمة الحكماء في الأرض . فاذا اشتقنا الى لقاء الله كان الموت لنا سعادة لا حزنا وألما إذ به يرى ذلك الذي أرانا شموسا جميلة وكواكب وجعل أضواءها سببا في نظام النبات وتنوعه بحيث يستد الجوع ويكسو الجسم ويهيج النظر ويؤتي الدواء ويزيل الداء ويهيج حاسة الشم بالروائح وحاسة اللمس بالمموسات الناعمة . فهذا الصانع الحكيم الذي يبدع هذا الابداع ويجعل شمسه العظيمة مواتية في نتائجها لحواسنا ورغباتنا . اليه يشتاق المفكرون ولكن ليس كل من قرأ هذا المقال وفهمه تحسن نفسه بهذا النعيم العلمي . كلا . ثم كلا . فهذا المقال نفسه يقرؤه ألف واحد ولكن

الذى يقدره حق قدره عدد قليل وهم السكاملون في العلم وغيرهم يسمعون من وراء حجاب الضعيف الاستعداد - وقليل من عبادى الشكور - (المسألة الثانية) إن اشتغال النفس بالامور الجزئية من قوت وحياة وفقر وغنى لا تعطى إلا الشكوك وظن السوء (المسألة الثالثة) ان العلماء المفكرين يحصل عندهم يقين بأن الجزئيات لها أسرار تخفى عليهم لأنهم لما نظروا في الكليات صار عندهم يقين بأن صانع العالم ليس يذر ذرة بلا حساب وهو عدل في الجزئى كما انه ثبت انه عدل في الكلى . أما العامة فلما عجزوا عن البرهان المذكور فهو لاء يقال لهم أمثال حكاية الفارس المذكورة وحكاية الصبي الأعمى وحكاية الخضر وموسى عليهما السلام انتهت اللطيفة الاولى والحمد لله رب العالمين

(اللطيفة الثانية)

(في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - وحفظا من كل شيطان مارد -

لا يسمعون الى الملائ الأعلى - الى قوله - شهاب ثاقب -)

(كتب في صباح يوم السبت (٢٩) مارس سنة ١٩٣٠)

قبل أن نخوض في هذا المبحث العجيب أقدم مقدمة فأقول : « لقد تقدم في هذا التفسير مارآه سقراط وتلميذه أفلاطون من أن هذه المادة وما تركب منها لا يستحقان ولا يصلحان أن يكونا مناط العالم ولا مسميين باسم الموجود . المادة عندهم لا تصلح موضوع العلم ، العلم ثابت دائم والمادة متحركة غير ثابتة . هي دائمة التغير والتعثر في أذيال الكون والفساد فكيف يتكلم عليه العلم ؟ وكيف تكون له مهذا ؟ »

هذه هي النظرية التي نسقها أفلاطون ، وجاء من بعده أرسطاطاليس فأقرها من جهة وخالفها من جهة أخرى . فقال : « نعم المادة لا تصلح مناطا للعلم ، ولكنى لا أوافق أستاذى في أن العلم مناطه ومتعلقه هو عالم المثال . كلا . إذ لبرهان عليه . ولا أريد أن أطيل في هذا المقام لأنه معروف في سابق هذا التفسير وفي لاحقه إن شاء الله في (سورة القتال) عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وإنما سقت الكلام في هذا الموضوع توطئة لتفسير الآية . ذلك أن القوم لما جعوا المادة لا تصلح مناطا للعلم بل لا تصلح أن توصف باسم الموجود إذ الوجود لا معنى له إلا اذا كان دائما ، أما الوجود المؤقت فما أقل نفعه وما أضل سعيه فوجوده عدم وعلمه جهل . هذا ما أردت أن أقدمه لتفسير الآية وعلى هذا الأساس أقول :

إذا كان العلم لا يبنى على ما لا دوام له وكذلك الوجود فيمكن هكذا الفرح ، فإذا فرح الناس بما لا بقاء له ففرحهم غرور وسرورهم غم ونعيمهم شقاء وغناهم فقر . ولقد اعتاد هذا الانسان أن يفرح بالزينة المنصوبة في الأرض وفي السماء ، والزينة على قسمين : زينة طبيعية ، وزينة صناعية . فالزينة الطبيعية كالأزهار والأشجار والأنهار وجمال الحدائق الغناء وجداول الماء وبهاء الوجوه ومحاسن الوجود وجمال النجوم والشموس والأقمار وبهجة الأشجار الثمينة ، كل ذلك جمال طبيعي لسكان هذه الأرض به يفرحون وبه في أوقات فراغهم ينشرحون . أما الزينة الصناعية فهي ما يصنعه الناس من زينة في ثيابهم ومنازلهم ومساجدهم ومعابدهم وما يزينون به نساءهم من المايج والأقراط والخواتم والحلى والحلل وما تزدان به ملوكهم من التيجان والقصور وما يقيمون من الزينة في الولائم والمسرات لمولود أو ختان أو عقد لزواج أو لزفاف أو لنصر على عدو أو لتتويج ماوكهم وأعيادهم أو حفلات دينية كالأعياد والمواسم التي اعتاد الناس أن يرفعوا فيها الرايات وينصبوا الأعلام ويتحلوا بما يحلوهم من الملابس ويلبسوا كل ما غلا ثمنه وجل منظره وندر الحصول عليه من الأشجار الكريمة كالزبرجد والياقوت والماس والزمرد وأمثالها

هذه مجامع الزينة التي اعتاد الناس أن يظهروها في مواسمهم وفي أفراحهم الخاصة وهي تتبع في نظامها ثروة الذين قاموا باظهارها . فإذا كان القائم بتلك الزينة دولة من دول الأرض وكانت ذات بسطة ونفوذ وغنى

مدّت سرادقها وتلاّأت أنوارها وازدهرت أفنان الأشجار ليلا بما يعلق عليها من أفنين الأنوار من أضر
فاقع وأخضر ناضر وأحمر قان وأبيض يقق ، ففرى الزينة تبهّر العقول تدركه لحوادث وطنية وأحوال سياسية
أو أعياد دينية

هذه مجامع مايزدان به الناس في الأرض وبه يهيمون وله يهرعون ويفرحون . هذه كلها زينة الأرض
وكلها فانيات . أما زينة السماء فهي تلك النجوم الجليّة التي رصّها الله في الجوّ الذي فوقنا ، فهي دائماً
باقية في أفراحنا وأحزاننا وموتنا وحياتنا ، فنحن في مصر في هذه الأيام قد كانت لنا أنواع من الزينات في
شهر مارس سنة ١٩٣٠ . فمنها ما هي الملك البلجيكي ، ومنها ما هي لنفس ملك مصر بحيث ازدانت جميع الدواوين
بالأنوار المتلاّثة وذلك في يوم أو بعض يوم ، وهكذا تمرّ الأعياد الدينية أو الأعياد وينصب الناس الزينة لأجل
وليمة العرس أو الختان أو غيرهما ثم تنتهي تلك الزينات ويرجع الناس إلى أعمالهم ، ولكن زينة السماء باقية ،
زينا منازلنا ومدننا أم لم نزينها فزينة السماء الدنيا باقية ، فإذا أزيات الزينة من الأرض فزينة السماء باقية
ليلا ونهارا وهي زينة بديعة شمسها الوهاجة تجري ولا نظير لنورها في مصابيح زينة الأرض . وكذا القمر
والنجوم الثابتة والسيارة . فهذه كلها مضيئة جميلة بهجة سارّة للناظرين . زينة العرس تتأوها المآتم وكل
زينة نصبناها في الأرض يعقب الفرح بها ردّ فعل وهذا قوله تعالى - إن الله لا يحب الفرحين -

تأمل أيها الذكي ما تقدّم بقسميه وهما زينة لا تدوم وهي الأرضية وزينة دائمة وهي السماوية ، ولا جرم
أن لكل زينة رافعا لها ومنظما ، ومنظم الزينة المقيم لها غير المتفرّجين عليها الفرحين بها . فهنا ثلاثة :
منظم الزينة ، ونفس الزينة ، والناظرون لها . فنظم زينة الولايم في الأعراس أناس لهم علم باتقانها والمدعوون
للفرح قوم آخرون ، فالسما وكواكبها هي الزينة والملائكة هم المقيمون لها والناس هم الناظرون ، ولكن
ليس كل ناظر للزينة يشرح بها صدره ، فالرجل الذي ساورته الهوم ، وأحاطت به الغموم ، وأرهقته الديون
إذا صرّ باعظم زينة لا يحسّ بها فؤاده ، ولا يشرح بمرآها صدره ، ولا يسر بمعهدها قلبه ، بل لامنزلة لها
عنده ، هكذا الناظرون إلى السماء أكثرهم لا يعقلون جمالها إما للجهل أو لانصراف النفس لأمور عارضة
أو لنقص الفطنة أو الفطرة ، والنفوس الكبيرة تألف الزينة الباقية ، والنفوس الصغيرة تألف الزينة الفانية
✽ قال الشاعر

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ✽ وتأتي على قدر الكرام المكارم

ويعظم في عين الصغير صغيرها ✽ وتصغر في عين العظيم العظائم

ترى الأطفال والجهال والنساء ومن على شاكلتهم يفرحون بما يرون من زينة الأرض طبيعية أو صناعية
وهم للصناعية أميل لأن صانعها من أمثالهم من الناس ، أما الطبيعية فهي في المرتبة الثانية لأن صانعها ليس
من الناس ، أما الزينة السماوية فهم لا يفكرون فيها ولا هم منها يتعجبون لأنها من صنع الملائكة المسخرين
بأمر الله ، إن الملائكة علما وعملا والعمل أشير له في الآية بالزاجرات زجرا ، وزجر السحاب مثلا فعل في المادة
وهؤلاء هم السلطان على المادة فيتصرفون فيها بالسكون والفساد والانماء والافناء والتصوير والايجاد ، والعلم
والعلم أشير له بالتاليات ذكرا ، أقسم الله بالصفات الزاجرات التاليات وهؤلاء هم الملائكة كما قال تعالى في آخر
السورة في شأنهم - وما منا إلا له مقام معلوم ✽ وانا نحن الصافون ✽ وانا نحن المسبحون -

وأكبر مظاهر هؤلاء الملائكة تزيين السماء بالكواكب فهذا هو قوله تعالى - والصافات صفا ✽ فالزاجرات
زجرا ✽ فالتاليات ذكرا - إلى قوله - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -

عجب وألف عجب من نظم القرآن الحكيم ، يقول الله هنا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -
ويتبعه بقوله - وحفظا من كل شيطان مارد ✽ لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى - الخ ولكنه لم يقل نظير ذلك في

قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - بل قال - لنبلوهم أيهم أحسن عملا - وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جزا - . فزينة السماء حفظها من الشياطين ، وزينة الأرض لم يحفظها منهم بل ابتلى الناس بها وفي الناس شياطين كما في الجن كما قال في آية أخرى - شياطين الانس والجن - ولا جرم أن العقول المظلمة من بني آدم المتجسدين ، ومن الأرواح التي ليست من نوع بني آدم في الأرض لا تعقل جمال النجوم والشمس والقمر . كلا . ويناسب هذا قوله تعالى في سورة أخرى - وزيناها للنظرين - وحفظناها من كل شيطان رجيم - إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين - فزينة السماء محفوظة ، ونتيجة ذلك ما نشاهده في بني آدم أن أكثرهم لا يعقون جمال هذه النجوم ولا يشاقون لفهمها ولا يحرصون على اكتناها كمنها ولا يتذكرون بها عظمة مبدعها ، فهذه الزينة فوق متناول عقولهم . أما زينة ملوكهم وأعيادهم وأعراسهم وما أشبه ذلك فهم بها فرعون ، ولها وامقون ، وعليها يحرصون

ومن هذا القبيل قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين - الخ رقبوله - حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وزينت وطن أهلها أنهم قادرون عليها أنها أضرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا - الخ وقوله تعالى - أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقوله - والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة - وقوله - ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا -

فهذه مجمل أنواع الزينات التي لا بقاء لها ونهى عنها الخواص وأغرم بها الجهلة والعوام ، وهؤلاء مبعثون عن زينة السموات لالبدخل في العظيمة واسكن لقصر نظوهم وضعف فطرهم ، فتلهم كمثل الآيتام إذ ينعون أن يعطوا ما لهم حتى يبلغوا الحلم ، أو كمثل السفهاء من نحو النساء والصبيان الذين قال الله فيهم - ولا تؤثروا السفهاء أموالكم - الخ أو كمثل الغلامين القيمين في المدينة وقد خيئ السكنى لهما فأقام الخضر الخائط عليه ليحفظ حتى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما

فجالس أيها الذكي من تشاء من بني آدم فانك تستخرج ما في نفسه بالمحادثة ، وسرعان ما تترك أهو من الشياطين المدحورين ، أم من الملحقين بالملائكة المكرمين ، فان كان نزاعا الى معالي الامور مغرما بالامور العالية كاستكناه عجائب النظام العام والسكواكب مغرما مولما بمبدعه مجبجا بتلك الآثار فاعلم ان هذا اذا سار في سبيله صار أبا من الآباء الذين خلقهم الله في الناس وفريق منهم كأبنائه فهو ينفعهم ماديا وأديبا كما أن الملائكة كذلك ولا تحجب عنهم الأسرار الكونية الممكنة لأمثال أهل الأرض ما داموا أحياء

﴿ تبصرة ﴾

إن أنواع الزينة المنصوبة في الأرض آنا فآنا مذكرات بالزينة السماوية ، فالحسكيم يحقر ما يفنى ولا يفرم إلا بما يبقى ، وما جمال الوجوه في الناس ولا أنواع الزينات فيها إلا أعراض زائلات مذكرات بالجمال الدائم والحياة الروحية الخالدة التي يذكرنا بها دوام السكواكب وأنوارها والشموس وأقمارها ، فهذه بدوامها الممكن لها تقول لنا بلسان حالها : « كل زينة عندكم كالعدم » وهذا يذكرنا بقول أفلاطون المتقدم : « إن السكان الذي لا بقاء له ليس جديرا بأن يكون مناط العلم ، بل ليس جديرا أن يستحق اسم الموجود » فهكذا هذه الطائفة الكبيرة النفوس لا تبالى بالزينة العرضية وتوجه وجهها للزينة الدائمة التي حفظها الله لهم فلا يشاركون فيها الغوغاء . وهذا هو الأمر المدهش . زينة يراها البار والفاجر طالعة غارقة ولكنها لا يفرح بها إلا الأقاوم

هذا ما فتح الله به في تفسير قوله تعالى - والصفات صفا - فالزاجرات زجرا - الى قوله - فأتبعه شهاب

ثاقب - مساء يوم الثلاثاء أول ابريل سنة ١٩٣٠ م

(بهجة العلم)

(في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - وحفظا من كل شيطان مارد -)

لا يسمعون الى الملا الأعلى - الآية)

(كتب في صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠)

توجهت ليلة السبت ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ الى قرى الريف في المزرعة التي اعتدت أن أراقب أحوالها وبت مع الفسلاحين هناك وأنا أشاهد النجوم في الجوّ الراقق البهيج اللطيف ، فإذا رأيت ؟ رأيت بهجة الكواكب وجبالها والنسمات تلعب بالأشجار والحشائش والزروع والنلاحون يتحدثون ويديرون السواقي لتسقي الجنات المعروشات من البطيخ والسنتاوى وأشباههما فسألت سائل : ما الذي نشاهده في السماء كأنه سحاب وليس بسحاب ؟ فقلت هذه اسمها عندنا انجرة . فقالوا هي عندنا طريق التبانة لأنها أشبه بما في طريقكم من التبن . فقلت هي عند علماء الدين أبواب السماء وعند الانجليز الطريق الابني وأخذت أذكر لهم عدد نجومها ولكنني ألفت أن القوم لا تتحمل نفوسهم هذه الحجاب ، فلما ان انطلق عمود الصباح وقال المؤذن « حي على الفلاح » خيل لي أن يد العناية العظمى القدسية امتدت جهة المشرق صباحا وقد أخذت تسدل على الظلام ستارا ، وعجبي من هذا الستار لم أره نظيرا في الأرض ، ستار لاهو من صوف ، ولامن وبر ولامن شعر ، ولامن قطن ، ولامن تيل ، ولامن حرير ، بل هو ستار من نسيج غير النسيج الأرضي مرصع بجواهر جمعت أصناف الألوان من أحمر وبرتقالي وأصفر وأخضر وأزرق ونيلي وبنفسجي ، والمادة المنسوجة لا تراها العيون ، ولا تتخيلها الظنون ، ولا يعرف كنهها المفكرون ، لم ينسج على منوالها الناسجون ، نسيج هذا الانسان في مادة غليظة من الصوف والقطن الخ ونسيج رب الانسان في موجود سماه الناس أثرا ، كيف نسيجه وهو لا يرى يا ترى ! نسيجه بحركات منتظمات ، حركات سرعات تكاثرت واتحدت فصارت ذات مظاهر ملونة بالألوان السالفة ، فهذه هي ألوان ضوء الشمس في عالم الأثير ولكل لون عدد خاص من الحركات في الثانية . فبينما يكون عدد الحركات فيها (٤٠٠) مليون مليون لون الحرة اذا هذا العدد يزداد في غيرها بالتدرج حتى يصل الى (٧٠٠) مليون مليون في الثانية في البنفسجي

أيها المسلمون : ههنا نسيج كالذي نسيجه على منوال لا تقدر على تقليده . منوال بديع . ما أجهل الانسان والحيوان في الأرض . سمع نسايج تدخلت وامتزجت وكوّنت ستارا واحدا ألقى على السماء فأخفى كواكبها وعلى الأرض فأبان مواكبها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وزروع جبال وأشجار باسقات تبارك الله : ستار واحد يخفي عالم السماء ونجومها ويظهر بهجة الأرض وجبالها . إن الذي وضع هذا الستار بين العالمين العلوي والسفلي لجميل وبديع . يلقى على السماء وعلى الأرض ستارا وليس بستر يخفي النجوم وهو مظهر الجمال . بهذا الستار تجلي معنى القابض الباسط . فهاهو ذا قبض أنوار النجوم وظلام الليل فأصبحنا لانراها وهكذا بسط الزروع والحقول والأنهار فأصبحنا نراها

تباركت يا الله . انك أنت الذي علمت أصحاب دور الصور المتحركة (السينما) كيف يقلدون ليلاك بالظلام ويقلدون نهارك بالضياء . فاذا أرادوا اظهار صور البلاد النائية والأمم القاصية والسيار البعيدة فانهم يقبضون النور ويبسطون الشرائط التي رسمت عليها تلك الأشكال ويعرضونها الى نور ضئيل فأخذت الحجاب تبرز للناس في تلك الدور بهيئة عجيبة وهم فرحون لما رأوا من مناظر لم يروها ومعالم لم يهتدوا اليها كما نراك أنت فعلت مع الناس ليلا إذ تريحهم في دجنات الظلمات كواكب وكواكب وتبهر الحكماء والعلماء بباهر الجبال وبديع الصنع . فاولئك العلماء متى نظروا تلك النجوم هامت نفوسهم في الحكمة والفلسفة . وهل يكون ذلك إلا في الظلام

ومناظر النجوم . فأما أكثر الناس فانهم يقفون أعينهم و ينامون نوما عميقا فتظهر لهم صور وأشباح وأحلام . إذن الظلام يعطي النفوس الانسانية فرصة الحرية التي بها يجولون في عوالم الكواكب السماوية ويسبحون في بحار جلية من عوالم الأحلام وفي مواكب مختلفة مذكرات بسوائف الأيام وأعاجيب الزمان ، فإذا قلدهم في مديرو دور التمثيل بعض التقليد في تقليدك الليل والنهار فلكم قلد حيواناتك بنو آدم في صناعاتهم كما تقدم في ﴿سورة طه﴾ فماشوا في الكهوف كما عاش الجرذان تحت الأرض وفي الأدواح كما عاشت فيها الطيأ والمها واتخذوا بيوتا كما اتخذ النمل . وصنعوا القناطر والجسور لما رأوا (الكستور) وهو (الجندبادستر) يصنع سدودا لمنع قوة السيل . واتخذوا السفن في البحار لما رأوا السنجاب يركب خشبة في البحر ويجعل ذنبه مواجها للرياح ليكون أشبه بالسكان (الدفة) التي تضبط سير السفينة . وهكذا رأوا الدب الشمالى يسافر في البحر على قطعة من الثلج واصطاد لما رأى الثعلبين البرى والبحرى يعيشان على الصيد الى آخر ما تقدم مما ذكر هناك وهى (٣١) صناعة قلد فيها الانسان الحيوان وأجاد واستفاد وأفاد . أما في تقليد الليل والنهار فقد أحكمه أيضا إذ أظهر وقت الاظلام مناظر الصور المتحركة كما تتحرك النجوم في مداراتها فإذا انتهى الدور أبرزوا النور فتواتر تلك الصور كما تتوارى نجوم الليل اذا أشرقت الشمس صباحا وتمحى تلك الأحلام في دياجى الظلمات والعيون هاجعة والحواس خادمة والناس نيام

وانى لا أزال فى حيرة من أمر هذا الستار الذى يلقى على الأرض فيظهر جلالها واذا رفع عنها أظلمت أرجاؤها وأوحشت ساحاتها

هيا هيا : لقد بلغت لوامع النور من وراء ستار الظلام الدامس وأخذت أفهم الجواب بعد اللتيا والتي . ذلك أنه كلما كان الصانع ألطف كانت الصنعة التي هي أقرب اليه ألطف . فاذا كان صانع بنى آدم يعملون فى كتمان وصوف وحير والفلاحون فى طين وماء فان الشمس ذات الاشراق صنعت بيد العناية ذلك النسيج الذى تشرق عليه أرواح علوية . وأعلى من ذلك أن الأنبياء ينسجون العقول بالدين والحكماء بالحكمة فالمصنوع الغليظ نتيجة صنع عوالم الحيوان والمصنوع اللطيف كضياء الشمس مناسب لاشراقها لأنها جسم نارى والمصنوع الذى هو ألطف من ذلك هو النسيج العقلى من العلم والحكمة فهو أرق صناعة وألطف من صنعة الضياء . وليس النسيج له أجساما حيوانية ولا شموسا نارية . ولقد مر ما يقرب من هذه الخواطر فى أول سورة الأنعام عند قوله تعالى - الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور - ولكن لم يخطر لى هذا السؤال هناك فهنا أجبت . ولكن النسيج لذلك أرواح وهى درجات بعضها فوق بعض - والله من ورائهم محيط - . لطفا من الله بالناس جعل ستارهم الضوئى غاية فى اللطف ونهاية فى البهجة والجمال . لم يرهقهم بستاير جسمية . أشرق عليهم بنوره . أضاء لهم تارة وأظلم ليلهم تارة أخرى اظهارا للرحمة والجمال . المنظر باهر وساحر ولكن الناس مسحورون بغيره . هم منقومون أنامتهم الشهوات وأبعدتهم الحسرات . لو أن الناس أدركوا جمال هذه الحوادث لانبهروا أشد البهر ولكن الحكمة قضت أن يكونوا فى غمرة ساهين لاهين حتى يعيشوا أمدا ليقضى الله أمرا كان مفعولا

﴿ نظرى فى مزرعة قطن ﴾

فلما أشرقت الغزالة وملأت البطاح وتجلت المزارع أخذت أجول فى تلك الأصقاع فصادت مزرعة قطن ولا جرم أن القطن أخص مزارع بلادنا وعماد ثروتها . ولكنى نظرت اليه نظرة أخرى وكأنى من عالم غير هذا العالم الأرضى وكأن الدنيا قد لبست ثوبا قشيبا جميلا

الله أكبر : الناس غشت على عقولهم العادات حتى قال الله - اقرب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون - كلما كان الجمال أبهج كان الاعراض عنه أتم وأكثر . هذه مزارع القطن التى نمر عليها غدوا وعشيا وفيها

لبلاب جليل وأنواع مزارع أخرى نظرت إليها إذا هي محلاة بالزهر المختلف الألوان . وهناك جزوات القطن ضمت فصوصها ضما لتتحفظ في داخلها شعر القطن وبذره ، وهما هي ذه إحدى الجزوات قد تفتحت بالفتح حرارة الشمس عليها وكأنهن جميعا يخاطبني قائلات : « انظر الى الزهرات الجليات ، والى الجزوات المخضراوات ، والى شعر القطن الذي تفتحت عنه الأكام ، هذه الملابس اليك نهديها من شعرنا لنفتح عنكم الحر والقر ، وهذه الزهرات جمال يسر الناظرين ، وهذه الجزوات اللاتي تخفي في داخلها شعر القطن والبذر ليتم فضجهما ويكمل خلقها » كل هذه اليك ناظرة لاسما الزهرات الباهرات الجليات وزهرات أخرى في أنواع الشجرات الأخرى وأن الزهر الأجر والأزرق والبنفسجي ناظرات اليك مسامات عليك ، وقد حليت كل هذه الأزهار وأوراقها بأقراط من الماس وهبها إياها قطر الندى ، فازينت الأرض بأجل زينة ، وازدانت بالبهجة والجمال ، وهناك لم يسهني إلا أن أصبح قائلا : يا الله أنت يجب أن نحبك لأن نخاف منك ، أفزع هذا الجمال كله يكون خوفنا منك ، إن من جهلك أحق بالخوف منك ، ومن أظهرت له جالك أولى بحبك لأنك قربته ، وانما خوفك يكون طيبته منك أو خوف بعده عنك

فجئت لنفسي طربت لهذا الجمال مع ان ما ألقته النفس لاجمال له ، كم نظرت هذا في حقولنا وكنت أنا في زمن الشباب من زراعته ، فما هذا الذي ألبسه لباس الجمال في نظري الآن ؟ العقل الانساني اذا لم يزخره العلم عن مقره في الصبا ولم يوقظه النظر والفكر بقي أسير العادات قليل النظر قليل الفكر ، فاذا استيقظ أدرك انه يعيش في بيئة من الجمال والبهجة والحسن والاشراق ، وأين كانت هذه المزرعة ؟ كانت في المكان الذي فيه تخيلت أن البدر يخاطبني في وسط النخيل بالقرب من المرج بالقرب من القاهرة وذلك تقدم في ﴿ سورة فاطر ﴾ عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ وما أدري لماذا لم تستيقظ نفسي ليلا سابقا ونهارا لاحقا إلا في هذا المكان ، ثم لماذا خطرت هذه الخواطر في هذه الأيام ؟

الله أكبر : لقد تجلت الحقيقة واضحة ، أنا لم أتم ليلة واحدة في ذلك الحقل ولكني نمت هذه الليلة ولماذا هذا ؟ عرفت الجواب أن ذلك امرّ ظهر وحكمة بهرت وهي انها جاءت لتفسير قوله تعالى في هذه السورة التي قد استعدت المطبعة لطبع تفسيرها في هذا الشهر (أغسطس سنة ١٩٣٠) أليس هذا هو قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح - وهذه المصابيح تدعو العقلاء للتفكير في جلالها وفي حكمها وفي حسابها كما تقدم في ﴿ سورة يس ﴾ عند قوله تعالى - والشمس تجري مسرّقا لها - وفي سورة يونس عند قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء - الخ وفي سورة الأنعام وفي سور أخرى كثيرة ، ويقول في آية أخرى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - الخ ويقول في ﴿ سورة الحجر ﴾ - وزيناها للناظرين - . إذن الله لم يزين السماء لمن ليسوا أهلا للنظر ، إذن الحكماء في هذه الأرض هم الذين زين الله لهم السماء . أما الجهلاء فلم يزين لهم الشهواتهم ليعيشوا غالبا كما تعيش الأنعام وهم خامدون . إذن بهذا نفهم قوله تعالى - وجعلناها رجوما للشياطين - فشياطين الانس وشياطين الجن يعيشون ويموتون ولاهم يعقلون جمال هذه الشمس ولا بهجة هذه النجوم وانما هم محبوسون . إن هذه هي التي أجراها الله على لسان العامة في بلادنا المصرية إذ هم اذا رأوا سحبا منشورة في السماء مقطعة غير ملتزمة قالوا إن السماء مزينة وانما زينت لعالم مات . فهم يقولون إن العالم اذا مات تزين له السماء أي تزين لروحه اذا صعدت كما تزين المدن لقدم الملوكة والعظماء ولكن في الحقيقة هي مزينة له في هذه الحياة الدنيا وهو هو الذي يفهم جلالها فاذا مات ازداد بصيرة في ذلك الجمال ففطرة العامة قد ألت بطرف من معنى الزينة . فالأرض مزينة للحكماء والسماء والنجوم والجمال والشجر والبواب فهم أبدا في سعادة وحبور . وليكون قرّاء هذا التفسير المفرمون بالعلم من أرقى هذه الطبقة في عالم الانسان . وبهذا انتهى المقال في تفسير هذه الآيات صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠ في نفس اللحظة

التي افترقت بلادنا فرقتين : فرقة أُرصدت دار النيابة في وجوه الأمة . والفرقة الأخرى هي جميع الأمة المصرية فهؤلاء يريدون دخول البرلمان وهؤلاء يمنعونهم وسر ذلك كله تدخل الأجانب في هذه البلاد . وذلك كله منشؤه أن رجال الشرق ينقصهم العلم والتعليم . وهأنذا قت بما يجب على وعلى كل امرئ في بلاد الاسلام أن يقوم من التعليم بما ألهمه الله وأقدره عليه . - والى الله ترجع الامور -

﴿ ما حقيقة السموات . وهل للنور وزن ؟ وهل للنور خالد ؟ ﴾

واذا بقي دهرًا طويلًا أفليست الأرواح أحق بذلك ؟ ﴿

في يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو سنة ١٩٣٠ حضر صديق العالم الذي اعتاد محادثتي في هذا التفسير فقال حسن ما قلت في هذا المقام ولستكني أسألك سؤالاً في نفس موضوع الآية . إن ما ذكرته هنا إنما هو وجدانيات قامت بنفسك فسطرتها والوجدان شيء والعلم شيء آخر ، وانك لم تذكر إلا الصبابة والعشق والغرام وما ذلك إلا عواطف كهواطف العشاق الانسانية الشائعة بين الناس وما كل امرئ بهاشق لأن العشاق استهداد ، فهل أنت على استهداد أن تحدثني في حقائق السموات ؟ فقلت حبا وكرامة . فقال حياك الله ، هل السماء مبنية شديدة ؟ فقلت أذكرك أيها الصديق بما مرّ في أول ﴿ سورة البقرة ﴾ عند الكلام على السماء وقد ذكرت هناك أن هذا العالم لا فراغ فيه فهو مملوء بوجود سموه الأثير وهو موجود لأنه به يقوم الضوء والكهرباء والجاذبية فهو إذن موجود ، إذن عالم السماء موجود . فقال حسن هذا وأنا أذكره وأذكر انك أثبت هناك عدم الفراغ ببرهانين برهان القدماء القائل : إن هذا الذي سميناه فراغا لا يخلو ما نراه فيه من النور والظلمة من أحد أمرين اثنين : إما أن يكونا جوهرين ، وإما أن يكونا عرضين أو أحدهما عرض والآخر جوهر فإن كانا جوهرين فالسموات إذن موجودة وإن كانا عرضين أو أحدهما فالعرض لابد قائم بجوهر إذن ثبت أنه لا فراغ وأن السموات موجودة فعلا ، هذا ما قلته أنت إذ ذاك عن القدماء ، وأما المحدثون فانك أثبت قولهم بأنهم استدلوا بأن التلغراف السلكي والذي لاسلك له كلاهما محمول وهل الحامل يكون معدوما ؟ إذن هو موجود . إذن القدماء والمحدثون مجمعون على ذلك ، فالسماء المذكورة في الآية هنا موجودة ، فأنا الآن لا أسألك في وجود السماء وقد عرفت فيما تقدم في هذا التفسير وإنما سأولّي هل هي مبنية وهل هي شديدة ؟ إن البناء لا يكون لما هو كالخيال . وهل خيالنا مبنى ؟ وهل خيالنا متين قوى ؟ وهو يفنى حالا . فقلت : هل الأثير خيال ؟ فقال أنت عبرت بهذا القول سابقا فقلت أنه كالخيال . فقلت : سأبرهن لك على أن الأثير قوى متين وعلى أنه أقوى من أبنيتنا وكل بناء عرفناه . فقال ياليت شعري كيف يكون ذلك ! فقلت : أيها الصديق . أليست تعلم بأن هناك قوة جاذبية بها تجذب الشمس ما حولها من السيارات وأرضنا منها . فقال أسلم به لأنها قضية مسلم بها . فقلت : لو أني أنا وأنت وأناس آخرون معنا حاولنا أن نخرج صخرة من مكانها وربطنا فيها حبلًا وأخذنا نجر ذلك الحبل ونحن عصبة أولو قوة وزحزحنا هذه الصخرة وأخذنا ندور بها أدوارا منتظمة حول محور فإذا نقول في هذا الحبل الذي به جذبتنا هذه الصخرة أضعيف هو أم متين ؟ قال بل قوى متين . قلت فإذا جذبت الشمس كل سياراتها بقوة الجاذبية القائمة بالأثير أفلا يكون الأثير قويا متينا بنسبة هذه الأجرام . أفلا يكون نسبة هذا الأثير إلى الشمس والأرض كنسبة الحبل إلى عصبتنا والصخرة المذكورة قال بلى والله هذا حق . قلت إذن ثبت أن عالم الأثير أقوى من البناء وأمتن شيء عرفناه في الوجود . فإذا سمعنا الله يقول - والسماء بنيناها بأيدٍ وانا لموسعون - وسمعناه يقول في ﴿ سورة النبأ ﴾ - وبنيناها فوقكم سبعاً شدادا - فإنا نقول هذه الحقيقة ياربنا لم يتجل لنا بعض معناها إلا في هذا الزمان لأن الناس عندهم شكوك وأوهام في هذا الموضوع . فقال إن هذه المسألة لم أسمع لها جوابا شافيا إلا الآن . فقلت فلتحمد الله على العلم وعلى الحكمة . وهذه تكمل ما نقصنا من العلم في تفسير بسملة (ص) فقال لم أفهم مرادك . فقلت ألم تقل

هناك ان الانسان له قوى علمية وهى الحواس الخمس والعقل وقوى عملية وهى اليدين والرجلان وأن الحواس بها عرف الناس ماحولهم ووصلوا لما قرب من الكواكب وأن المجاهر والمناظر المعظمة التى أسداها العلم طمس زادت شأومهم . فقال بلى تقدم ذلك . فقلت والعقل اقتنص الصور بالحواس فكانت العلوم الطبيعية وصور المقادير فكانت العلوم الرياضية وأن الآلات الجاريات على الأرض مساعدات للأرجل وهكذا الطيارات والسفن وهكذا جميع المجالات والآلات المتحركات مساعدات الأيدي فى أعمالها . قال عرفت ذلك . فقلت بلى شئ واحد لم نذكره هناك ولكن هنا محل ظهوره . فقال وما هو ؟ قلت إن اللسان يوصل العلوم كما قلنا هناك . ونقول هنا انه يستخدم الهواء وينوب عنه التلغراف السلكى والذى لاسلك له والتلفون . قل هذا حق . قلت ولا واسطة لمساعد اللسان المذكور إلا الأثير . قال حقا . إن هذا البرهان وكل ما ترتب عليه حسن ، ولكن اذا عضدته ورسخته بكلام علماء الفن يكون أهدي سبيلا وأقوم قبلا وأوضح تأويلا . فقلت انهم يقولون إن كثافة الأثير هى ألف طن للمليمتر الواحد والطن نحو ٢٢ قنطارا ، إذن كثافة المليمتر الواحد من الأثير تعادل نحو ٢٢ ألف قنطار . فقال يا للهيب : هذه كثافة لانظير لها فى كثافة ما نعرفه من الحديد والرصاص والحجارة وحقا ان الذى به تجذب الشمس سياراتها يجب أن يكون كذلك ليتحمل ذلك كله ، وانظر ما كتبه بعض المجلات العلمية وهو المقتطف فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

﴿ تحوّل الآراء فى الأثير ﴾

(من نيوتن الى اينشتين)

مهما يكن تصوّر نوع الفضاء الذى يحيط بنا صعبا . ومهما تختلف الآراء فى نوعه وحدوده الهندسية ومهما يكن تقصيرنا عن ادراك كنهه وحقيقته . فان له صفات طبيعية خاصة به يمكننا درسها ومعرفة بعض قوانينها . وعليه لا يمكننا أن نسميه فضاء خفسب . بل علينا أن نطلق عليه اسما ينم على خواصه الطبيعية أو بعض هذه الخواص . وأول من بحث فى هذا الموضوع بحثا دقيقا وسمى هذا المجهول بالأثير كان الطبيعى الانكليزى العظيم السراسحق نيوتن . يستحيل علينا أن نصف صفات الاثير الطبيعية بالدقة التامة بالتعابير والمصطلحات التى نستعملها لوصف خواص المواد الارضية . لكننا لانستطيع غير هذا السبيل فنضطر الى استعمال هذه المصطلحات لكوننا لانعرف سواها . وفى مثل هذه الحال يجب علينا أن نبقى متذكرين انها لاتعبر عن الحقيقة بالدقة التامة ولكنها تفعل ذلك لو كان الأثير مادة عادية . نحن تكلم عن مرونة الأثير وكثافته مثلا . فبإى حق نفعل ذلك ؟ ليس الأثير مادة عادية كموادنا لننسب اليه صفاتها . ومع ذلك نقول ان كثافة الأثير هى ألف طن للمتر المكعب . ومرونته تساوى حاصل ضرب كثافته فى مربع سرعة النور . وبهذا نعنى أنه لو تحول الأثير مادة لكانت له تلك الكثافة وهذه المرونة . بمثل هذه التحفظات يمكننا أن نستعمل الاصطلاحات العادية لاعداد خاصيات الاثير المعروفة فنقول :

- (١) الاثير شفاف
- (٢) » عديم الاحتكاك بالمواد
- (٣) » عظيم الكثافة
- (٤) » تام المرونة
- (٥) » عديم الحرارة
- (٦) » عديم الصوت
- (٧) » موصل حسن للجاذبية والنور والامواج الكهربية - المغناطيسية
- (٨) » وسيط لتلاصق دقائق المادة وتماسكها

(٩) الأثير وسيط للمجاذبية الكيماوية (أو الافة الكيماوية)
 (١٠) « يملأ كل فراغ من المادة . انه ما جاء في مجلة المقتطف
 لست الساعة بعصدد أن أوضح :

(١) نظرية نيوتن الذي اضطر أن يفرض وجود الأثير حين عرف ناموس الجاذبية العام وقال « لا أتصور أن قوة هائلة عظيمة تنتقل من الشمس الى عوالمها بدون موصل لهذا التأثير » (إذن هو حبل يوصل الجاذبية كما قلنا في الحبل الذي جذبت به عصبتنا الصخرة فيما تقدم)

(٢) ولا يصدد أن أذكر (هو يجنس) الذي يقول : « إن الأثير مؤلف من ذرات في غاية الصغر سريعة الحركة ثقيلة الوزن عظيمة الكثافة ، وما النور إلا موجات فيه لأنه ذرات كما قال نيوتن »

(٣) ولا أنا في مقام شرح نظرية (فرنل) الفرنسي الذي جعل الأثير تختلف كثافته باختلاف مواقعه
 (٤) ولا في مقام آراء كوتننى فيه الذي يؤيد وجوده بسبب ما رواه من الظاهرات الكهر بائية والمغناطيسية في الأرض

(٥) ولا أنا الآن أود أن أشرح نظرية (جورج توكس) القائل « انه سائل شفاف عديم الاحتكاك بالأرض والسيارات عند حركتها فيه ولكنه صلد قوى متين عند ما تنظر اليه من جهة اتصال الجاذبية والنور » وقد أيد هذا الرأي (السراوليفرلودج) بالتجربة وهكذا

(٦) نظرية (ما كسول) إذ قال بالمرونة والكثافة فيه وأن المرونة تساوى حاصل ضرب الكثافة في ربع سرعة النور

(٧) وخالف العالم (أمافين) هؤلاء العلماء في الكثافة وهكذا

(٨) العالم (ماك كولاغ) فانه قال « انه لا يقبل الضغط »

(٩) والعالم (اينشتين) يقول : « انه خيال من الفضاء والوقت يصعب على من يتعمق في الرياضيات أن يدرك كنهه »

أقول : أنا لست في مقام شرح هذه الأقوال وانما المهم الاتفاق على الجدول المتقدم المحترم عند جمهور هؤلاء العلماء وغيرهم . إذن ثبت هنا أن السماء أولا موجودة . ثانيا انها أشد الأبنية وأمتنها وأقواها . ثالثا ظهر بهذا أن اشارات القرآن أصبحت اليوم واضحة جلية في العلوم الحديثة ، فإذا كانت السموات بناء وإذا كانت شديدة فهذه هوذا أصبح واضحا جليا . فهل كفالك ماسمعت عن علماء الفن ؟ فقال كفى والحمد لله أقول : لقد سررت الإشارة الى هذا الموضوع في غير هذا المكان والايضاح هنا أتم

هل للنور وزن ؟

ثم قال : ولكنى أريد أن أسأل في النور . لقد سمعتك تذكر أن النور حركات في الأثير والحركات لا تكون إلا بقوة دافعة والقوة الدافعة تحرك الميزان حتما . إذن النور موزون ، ولكنى ماسمعت أحدا يقول ذلك . فقلت له : انه موزون وله ثقل . فقال : كيف ذلك ؟ فقلت : هالك ما جاء في بعض المجالات العلمية وهذا نصه :

﴿ أربعة ملايين طونولاته من أشعة الشمس في الثانية ﴾

(هل النور له وزن ؟)

يقول العامة « ضربته الشمس » كأن أشعتها تشتمل على مادة تضرب بها الأشياء . وما أقرب هذا التعبير الى ما اكتشفه العلم الحديث في هذا الشأن فهو في الواقع حقيقة وليس بالمجاز كما يريد أن يفهمه الناس . ولكن اذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون للأشعة وزن كسائر الأشياء المادية فقد برهن العلم صحة هذا الاكتشاف

﴿ ازدياد بهجة العلم ﴾

(في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -)

﴿ وصف الكواكب وبهجتها وأنا في الحقل ليلا حتى مطلع الفجر ﴾

اللهم إنك أنت الخلق القيوم ومن حياتك استمدت العوالم حياتها ، ومن عامتك استمدت علمها ، ومن قدرتك استمدت قدرها ، ومن جمالك استمدت جمالها ، أنت الذي نقشت لنا السماء ، ونقشت الأرض ، وزخرفتهما بزخرفك ، وأترتهما بنورك ، تجبت للنقش والرقش والجنردة وللابداع في تزويق الأرض بنباتها ونباتها ، وفي تزيين السماء بنجومها وشموسها وأقمارها ، لنا عقول تظهر لنا أنها كبيرة جدا بدليل انها مستهددة لأن تفهم بعض مصنوعاتك

ولطالما كنت مشوقا أن أنام في العراء ليلا لأشاهد جمال النجوم قبيل الفجر وهي طالعة فوق الحقول والجبال والصحاري والقفار . كنت أود ذلك كثيرا ، نعم أنا أشاهدها كل ليلة فوق سقف المنزل ولا حاجز بيني وبين النجوم وجمالها ولكن أين الثريا وأين الثرى وأين منظر النجوم في القاهرة حيث المنازل والأبجزة المتصاعدة ودخان الآلات البخارية وبين منظرها في الخلاوات ، ولقد هيا الله لي هذه الفرصة الآن لأصف في هذا التفسير تلك المناظر الجميلة أيضا لقوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - فتوجهت الى منبرعتنا بجهة المروج وهي الى الجبل الشرقي أقرب وليس وراءها إلا الصحراء والجبل فبت بعض الليالي هناك في نفس الحقل في أواخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظت قبل الفجر فإذا رأيت ٢ رأيت زينة حقيقية ، يا سبحان الله : نحن نشاهد فيما يقيمه الناس من الزينة في الولائم العاقمة وأفراحهم والموائد التي يحتفلون بها مصابيح يوقدون فيها ويضئونها صفوفا منتظمة ، وإذا هبت الرياح أخذت تلك المصابيح تضطرب اضطرابا يكسبها جمالا على جمال ، فها أنا ذا في هذه الليلة اطلعت فنظرت المصابيح السماوية تهتز طربا وقد ظهرت بهيئة لم أعهدها في المدن ولا في القرى ، فلكم رأيت النجوم ليلا أيام الشباب وأنا في قريتنا كفر عوض الله حجازي وهكذا في القاهرة ، ولكن هنا في الجبل والصحراء والحقل تبتت لي راقصة ضاحكة مستبشرة ، ما أبدع هذا المنظر ، إن فرق ما بين الثوابت والسيارات أن الأولى كثيرة الاضطراب أما الثانية فهي لا اضطراب فيها وإن كانت أكبر حجما في نظر العين ، وما أكثر الثوابت وما أقل السيارات ، لذلك كان ذلك المنظر أسمى أجل مآثره عيني في الحياة وخيل لي اني في جنة عرضها السموات والأرض ، مبدعة أيما ابداع ، متقنة أيما اتقان ، قد ازينت ولكن الناظرين ، وحييت ولكن للعالمين (بكسر اللام) وشعرت نفسي كأنها كانت في هذه الساحات الجميلة وقد أبعدت عنها بسفروا نهار جئت الى مستقرها وفرحت بالرجوع الى وطنها . ومن العجيب أن الزراعين قد يبيتون في الحقول كما بت ، بل بعضهم نام في الحقل معي . هذه المناظر أمامهم ومع ذلك لا تحرك فيهم ساكنا ولا توقظ فيهم ذائنة فالجمال ظاهر والخامس باهرة وأكثر أهل الأرض لا يدرسون فيبينها أرى الثريا قد أخذت تشرق طالعة اذا الدبران ذو النور الأحمر قد تلاها وقد ساق أمامه نجومها بهيئة ضلعي مثلث ووراءه من الهقعة ثم الهقعة ونجوم الجبار التي يعبر عنها بالجوزاء فأذكرني ذلك ما جاء في «صبح الأعشى» من وصف هذه النجوم فأحببت ذكره وها هو ذا تحت هذا العنوان

﴿ الصنف الثاني : نجوم منازل القمر التي ينتقل فيها القمر من أول الشهر الى الثامن والعشرين منه ﴾

ونكتفي من هذا الفصل بما نحن فيه إذ ذكر الشرطين والبطين ثم أتبعهما بذكر الثريا فقال مانصه :

﴿ الثريا ﴾ ويسمى النجم عاما عليها ، وبه فسر قوله تعالى - والنجم إذا هوى - وهي ستة أنجم صغار يظنها بعض الناظرين سبعة أنجم ، وهي في شكل مثلث متساوي الساقين ، وبين نجومها نجوم صغار جدا

كالرشاش . ومطلعا الى الشمال من مطلع الشرطين والبطين ، وأول ما يطلع منها ويغيب هو الجانب المضي
دون الأنفاذ منها ، وهي عند أصحاب الصور بالقرب من محل ذنب الثور المقطوع . قال ابن يونس : وليست
من صورة الثور ، وبعضهم يسميها أليا الجمل لقربها منه .

(الدبران) ويسمى تالي النجم لكونه يطلع تالي الثريا . وربما سمي الحادي النجم لذلك ، ويسمى
أيضا المجدع وعين الثور ، وهذه المنزلة سبعة أنجم تشبه شكل الدال ، واسد منها مضي ، أحر عظيم النور ،
واسم الدبران واقع عليه في الأصل ثم غاب عليه وعلى باقي المنزلة . وهذه الكواكب السبعة عند أصحاب
الصور هي رأس الثور ، وأول ما يطلع منه طرف الدال ، ويتحركون منها الى الجنوب وفتحها الى الشمال ،
والكواكب الأحر المضي هو آخر ما يطلع منها ، والعرب تقول للكواكب القريبة من : كلاء ، والبقى غنمه
وربما قالوا : قلاصه ، ويقولون في خرافاتهم . إن الدبران خطب الثريا الى القمر فتالت . ما أصنع بسيرت ؟
فساق اليها الكواكب المسميات بالقلاص ميرا ، فتربت منه فهو يطأها أبدا ، ولا يزال تابها لها ، ومن ثم قالوا
في أمثالهم : أوفى من الحادي وأشد من الثريا .

(الطقعة) سميت بذلك تشبيها بدائرة تكون في عنق الفرس . وقد مر القول عليها في الكلام على
أوصاف الخيل ، وهي ثلاثة كواكب محيطة صغير تسمى الأنثى . وهي على أعلى القدم اليسرى من التورم
المعبر عنه بالجوزاء . اهـ

أقول : ومن أجمل المناظر ما سماه الطقعة وما عبر عنه بالجوزاء . نظرت فرأيت هذه النجمات تليها نجوم
دقيقة ممتدة في نظر العين قد صنعت قوسا بديعا جميلا واسعا بهيجا كأنه عقد من الماس رصعت به السماء بأبرج
وزاد جمالها . ثم نظرت وراءها اذا أنا بنجوم الجوزاء التي يسمونها الجبار وهي أضوأ النجوم في نظر العين
فهناك ثلاث نجوم من القدر الأول وأمامها نجوم أخرى تصنع معها ما يشبه زاوية حادة ويسمونها العائمة الميزان
تشبيها بميزان الباعة في بلادنا . ولقد وصفت نفس هذا المنظر في السنة الفائتة في نفس هذا التفسير في تفسير
البسملة في بعض السور التي تتلوا سورة العنكبوت ولكن وصفها في هذه المرة جاء في الحقل لاني المنزل وتلا
ذلك ما نقلته من كتاب «صبح الأعشى»

إن في الحقل لمستها للخيال . تبدو المناظر للعين وتسمع الأذن طنين الحشرات فكأنها حفلة جمعت ما يسر
العين ويهيج الأذن . انهاجت عجلت للمفكرين الذين يعاين قوله تعالى - ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح -
ألا فيلنظن لذلك المدرسون واتسكن للمسلمين مدارس في الحقول ليدرسوا الحقول والحدائق والأنعام والبهائم
والأنهار والجبال نهارا ويدرسوا النجوم ليلا والأفلياعوا انهم عن ربهم معرضون وعن الرقي في الدنيا والآخرة
مبعدون . وإن يذهب ما كتبه عن هذه المناظر سدى سيشهد ما شهدته التلاميذ والمدرسون - تعرف في وجوههم
نضرة النعيم - ولكن يتنافس في ذلك المتنافسون -

وهل هذه المناظر يتف جملها عند ما ذكرناه ؟ كلا . أوليست الجوزاء هي التي كشف العلماء اليوم كما
تقدم في هذه السورة أنفا أن بعض نجومها أكبر من الشمس (٢٥) ألف ألف مرة ، ومعلوم أن شمسنا
أكبر من أرضنا ألف ألف مرة وثلاثمائة ألف مرة ، ويقولون إن ضوء الشمس بالنسبة لضوء ذلك الكوكب
من الجوزاء المذكورة أشبه بنور الحباحب بالنسبة لضوء الشمس ، إذن الجبال الظاهري الذي تمتعت به هذه
الليلة ليس شيئا مذكورا بالنسبة للعوالم المتدخنة في هذه المناظر . إذن الدنيا فيها مفاتيح الجنة ، فأول مفاتيحها
جمال الظواهر وبابها العلوم التي عرفها نوع الانسان وراء هذه الظواهر والعلوم هي السعادة بل هي مفتاح
الجنة ، ومن لم يشعر بالسعادة العلمية في هذه الحياة فكيف يسعد بالنظر الى مبدع هذا الجمال اهـ

﴿ امتحان عقول الناظرين من الأمم ﴾

انظر الى البدوى في العراء المذكور في «صبح الأعشى» كيف وقف أمام الدبران والثريا والقمر وتصور في نفسه أن القمر خاطب والثريا مخطوبة والدبران هو الذي ساق بأمر القمر النجوم السبعة لتكون مهرا ، فهذا تصور لطيف انتزعه الرجل من أحوال الانسان واخترع للسماء نظاما كنظام أهل الأرض فيه الأحوال الاجتماعية ، وتارة يقول قائلهم :

أليس الليل يجمعنى وسامى * وإيانا وإياها تدانى

فههنا تخيل الليل خيمة قد جمعتهم مع سامى وان تناءت الديار ، وبارة نسمع قائلا يقول من المتأخرين من الأمم الاسلامية العربية :

يا ليل طل يشوق دم * إني على الحالين صابر
لى فيك أجر مجاهد * إن صبح أن الليل كافر
يهنيك بدرك حاضر * ياليت بدرى كان حاضر
حتى يبين لناظرى * من منهما زاه وزاهر
بدرى أرق محاسنا * والفرق مثل الصبح ظاهر

وأونة نسمع آخر يقول :

سل يا أبا البدر نجم الليل عن سهرى * تدري النجوم ولا تدري الورى خبرى
ونسلم آخر يقول فى ممدوحه وذلك فى حسن التعليل فى علم البديع :

لولم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

فالبدوى فى البادية كان خياله أقرب الى القطرة ، أما المتأخرون فان خيالهم نزل بالمنظر السماوية الى اللغات التى ملكت على تلك الأجيال مشاعرهم إذ ملكوا زمام الأمم وأغنيتهم الغنائم باتساع الملك وكثرت لديهم الجوارى الحسان من الأمم فأخذوا يتغزلون وجاراهم فى ذلك علماء اللغة وكلما زادوا ابتداء قيوده فجعله من العلم ، ولم يكفهم ذلك حتى تخيلوا تلك النجوم قد نزلت فصار من خدام ملوكهم الذين يدحونهم ، ولماذا هذا المدح ؟ ذلك لأجل الجوائز التى يأخذونها من مال الدولة بلامقابل إلا ذلك المدح ولكن الله كأنه يقول : إنا زينا السماء للناظرين المفكرين فأما أن تكون النجوم لأجل الغزل أو لأجل الزلف للملوك فذلك كله خيال الشعراء - والشعراء يتبعهم الغاؤون -

إن شعر الأمة وخيالها يدلان على درجتها ، وهذه الأمم العربية المتأخرة نسبت أصل الفضائل وأفرطت فى اللذات فرجعت الى باديتها حتى تستقيم أجيالها كرة أخرى ثم يأتى لها من يوقظها كرة أخرى ، وهذا المقام أوضحته فى «سورة الشعراء» عند تفسير هذه الآية وذكرت هناك ما قاله سديوالفرنسى أن مجموع الشعراء عند الأمم العربية الاسلامية أكثر من مجموع الشعراء فى الأمم كلها ، ولكن الافراط فى الشعر عند المسلمين فى الأندلس والتفكير والتعقل عند الاسبانين جعل الآخرين يغلبون الأولين والله فى خلقه شئون وقد ذكرت هناك أن ذلك من معجزات القرآن فى آية الشعراء ، والله زين السماء للناظرين وقال : - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - ولقد ابتلى الله آباءنا العرب لما عظم ملكهم واستولوا على فارس والروم فانصرف متأخروهم عن بهجة علوم الكائنات الى بهجة الغلمان والفتيات وابتدأ ذلك فى عصر بنى أمية وعظم فى عصر بنى العباس ، وانظر ما جاء فى الجزء الأول من كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» وهذا نصه :

كان الشاعر الجاهلى يقول الايات تغزلا فى حبيبته يهبر بذلك من حبه أو ما سكنه جوارحه من الغرام

أو الشوق ولا يشب في غير حبيبه أو خطيبت رقد يسميها بغير اسمها . والغالب أن يكنى عنها بأحدى مرأى الشعر لئلا يعلم أهلها بتشبيبهم فيمنعوه من التزوج بها . لأنهم كانوا شديدى الغيرة على النساء حتى أن أحدهم إذا سطا عليه عدو وخاف على حياته مند عمد إلى امرأته أو حبيبتة فيقتلها غيرة عليها من أن يسبها سواء بعد موته (١) ويندر في الجاهلين أن يشب شاعرهم بغير سميتة . وإذا قيل فلما ع فوق العادة كما فعل دريد بن الصمة إذ رثى أخاه بقميدة صسترها بأبيات غزلية (٢) وقد رأيت الشعراء المشاق في الجهلية يمدون على الأصابع فأصبحوا في العصر الاموى أضعاف ذلك واكثروا من وصف الحب وأعراضه وأسواقه

وذلك طبعى في الأمة بالتقاطها من المساواة إلى الحضارة ونفوسها إذا كان ذلك على أثر الفتح وفيها الغنائم من السبايا فيصيب الرجل منهم جارية أو يضع جوارى في كل معركة مسلحة سلالا له . وكانت السبايا في صدر الاسلام كثيرات وأكثرهن من الروم والفرس . والفاتحون يجهزون أو يستخدمونهم في حاجات المنزل ويستبقون الجيالات منهم للقسم في فتوح القلوب وتنهيت القرائع للمواضيع الغزلية وصار الشعراء يشبون بالنساء الجيالات . وكان الخلفاء الراشدون يمدون ذلك خروجا عن حرمه الادب فجاءوا التشبيب ذميا يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشب بأمرأة الا جلده (٣) فاما انقضت الدولة الى بني أمية وقد انتقلت عاصمتها من المدينة الى دمشق وكثر الاختلاط بالأعاجم وأخذ العرب بأسباب الحضارة وذهبت هيئة العقبة من نفوسهم وانقضت شدة الراشدين في المحافظة عليها فان تشبيبهم التشبيب فاكثرا منه ولا سيما في المدينة لأن أهلها من أسبق المسلمين الى القسوف واليهود لقيام بعض أبناء الصحابة بين أظهرهم وقت أغرقهم عمارية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك فكانوا ينفقون الاموال على المقيمين ونسبهم فيكثر اللهو في المدينة وسبقت سائر المدائن الاسلامية الى الغناء وشاع القسوف بين أهلها وتجرأ الشعراء على التشبيب بغير أحبابهم وجاء في هذا الكتاب أيضا في موضع آخر مانعه :

كان في المدينة على عهد معاوية طائفة من أبناء الصحابة يخشى قيامهم للطالبة بالخلافة كما فعل أحدهم عبد الله بن الزبير فاعلمهم معاوية بالعطايا وقيدهم بالاحسان ووعدهم بالحلم فركبوا الى التمتع بالدنيا من طعام وشراب وسماع . ينفقون في ذلك الاموال وهى تنفق عليهم من خزائن الشام . فاما تولى عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ هـ) كانت المدينة قد أصبحت مرسعا للهو والغناء ونفع فيها طائفة من المقيمين وتكاثر فيها النشون وأهل القسوف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء اه المقصود منه

أفلا ترى أيها الذكى أن فساد الأمم العربية في القرون المتأخرة انما حصل بكثرة الافراط في اللذات والانغماس في سلك الترف والتنعيم الذي هو آفة العمران ، فالخلفاء الراشدون كما رأيت منعوا التشبيب وبنو أمية أباحوه والعباسيون أعظموا أمره ، ألا ترى معي أن الاسراف في ذلك ناجم من الاسراف في مال الدولة وفي الانغماس في اللذات وهذا وذلك أبعد المسلمين عن معرفة جمال هذه الدنيا لأننا بين جالين : جمال يقصرنا على الشهوة الحيوانية وهو ما رأيت ، وجمال يفرحنا ويشرخ صلبنا بحمال العالم ومعرفة والعروج الى الله بمعرفة ، فان غلب الأول انحطت الأمة ، وإذا غلب الثانى ارتقت ، وهذا معنى - لنباوهم أيهم أحسن عملا - فالأرض مزدانة بالجمال وكل يصيب منه ما استعذ له . وكتاب الأغاني الذى انتشر في الخافقين من أسباب كثرة الفجور وسقوط الأمة الأندلسية لأن أبناء الأشراف هناك كانوا يقرؤن المحاضرات المخترعة عن ملوك العباسيين وعشقتهم للجوارى ومعاورة بنت الخان فظنوا ذلك حقا فاعتنقوا تلك المذاهب فهلكوا . كل ذلك داخل في معنى - إنا زينا السماء الدنيا - الخ ومعنى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا -

يا أئمة الاسلام : هذبوا الأدب العربى . لانلقوا بالكتب الموروثة بين أيدي شبانكم . عشقوهم من إبان

(١) الاغانى ١٤٥ ج ١٢ (٢) العمدة ١٢٢ ج ٢ (٣) الاغانى ٩٨ ج ٤

صغرهم في جمال السماء وجمال الأرض لاني الغزل والشبيب . اسندوا هذا الأدب فانه أدب ضال . فليروا
الأشعار الفاضلة لا الفزلية كآيات عمرو بن كاثوم في الفخر في معلقته إذ يقول :

إذا ما الملك سام الناس خسفاً * أينما أن نقرّ النل فينا
وكآيات زهير بن أبي سلمى إذ يقول :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذم
وكقول طرفة بن العبد في معلقته :

لَعَزُّكَ إِنِّ أَلَمْتُ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى * لِكَالطَّوْلِ الْمُرْحَى وَثَنِيَاهُ بِالْيَدِ
مَتَى مَا يَشَاءُ يَوْمًا يَقْدَهُ لِحَتْفِهِ * وَمَنْ يَكُ فِي أَسْرِ الْمَنِيَةِ يَنْقَدِ

إن ما يسمعه الفتى أيام حداثته عالق لاشك بفؤاده ملازم له بقية حياته ، ونرى القرنجة في تعليمهم
للأحداث يدرسون لهم في المدارس كتباً فيها صور جميلة نباتية وحيوانية وسماوية فيعشقون العلم والبحث
والنظر في هذه العوالم . وهذا هو المنطبق بعض الانطباق على هذه الآية . إنا زينا السماء الدنيا - الخ وآية
- إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - الخ

أفليس المساهون أولى باقتفاء آثار القرآن . هاأنذا حذرتكم أيها المسلمون . فأما أدب الأغاني والكتب
الأخرى التي تمثالها فليس يجوز أن تكون عامّة بل تخصص لها طائفة لحفظ المأثور . أما التعليم العام فيجب
حذف التشبيب منه بتاتا واستبداله بجمائب الدنيا الجميلة والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين
﴿ اعترض على المؤلف وجوابه ﴾

هنا سألتني أسعد الفضلاء فقال : وهل في شرعة التأليف أن تذكر أشعار الغزل وذمها وأشعار الفضائل
ومدحها ومغاني المدينة وفسوق الأندلسيين وذهاب دواتهم وهكذا ؟ هل الآية تشمل هذا كله ؟ فقلت وأكث
منه . إن الزينة السماوية والزينة الأرضية قد جمعتا جميع العلوم . فإذا صرف الانسان عقله للزينة العامة في
العوالم كان حكما . وإذا حصر عقله في الجزئيات فان كانت مؤلة أورثته الشك كما تقدم عن اخوان الصفاء
وان كانت سارة كما في محاسن النساء وسائر الشهوات أورثته العصيان . فالزينة إذن تشمل العلوم كلها وتشمل
ما يحصر النفس في الشهوات التي تخفض النفس وتمنعها من الرفعة في الدنيا والآخرة . أليس القرآن يفسر
بعضه بعضا . ألم يقل الله في سورة الكهف (بعد أن ذكر في أولها أن ماعلى الأرض زينة لها) - واتل
ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لسكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا * واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا -

إذن هذه الآية تكملة للآيتين في الصافات وفي الكهف . فهو يقول إن الزينة زينتان : زينة الحياة
الدنيا وهي مذمومة . وماهى زينة الحياة الدنيا ؟ قد فسرنا بقوله - المال والبنون زينة الحياة الدنيا -
وكل ما ألهانا عن العلم فهو زينة الحياة الدنيا وهي مذمومة . وكل ما ذكرته لك داخل في هذا . إذن هذا
شكله تفسير للآية . إذن الآيات مرتبات هكذا

(١) - إنا زينا السماء الدنيا - الآية

(٢) - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها -

(٣) - ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا -

(٤) - المال والبنون زينة الحياة الدنيا -

(٥) - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطورة من الذهب والفضة والخيل

المسومة والأنعام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب -

(٦) - أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا -

فالأولى والثانية للزينة العامة . والثالثة أخرجت الزينة المهيجة للشهوات . والرابعة مفصلة بعض التفصيل للثالثة . والخامسة مفصلة للرابعة . والسادسة لبيان أن الزينة قد تهتت ذلك الى سوء أعمال الناس التي رأوها حسنة في بادئ الرأي . إذن كل ما ذكرناه هنا لابد منه حتى نعرف لماذا زين الله لنا السماء وما الزينة المذمومة ؟ وما الزينة الممدوحة ؟ وهل الفزل إلا ما يرجع الى النساء المذكورات في هذه الآيات ؟ وهل بغير أمثال ما كتبناه يكمل انتفاع المساميين بمجمل آيات القرآن . فقال : **« إن من البيان لسحرا »** .
فقلت : اللهم إني أحجك على البيان والتبيين وانشرح الصدور واظهر الحقائق لأمر الاسلام . انتهى
صباح يوم الأربعاء (١٣) أغسطس سنة ١٩٣٠ م

﴿ نور على نور ﴾

أذكرك بما تقدم في أول ﴿ سورة البقرة ﴾ عند آية الجنة وأننى نقلت لك هناك عن الامام الغزالي في الاحياء أن العلم الجنة العارفين وأن الجنة الحسية للجاهلين فارجع اليه هناك فأى علم هذا الذى إذا أدركناه يكون الجنة ياليت شعرى : أعلوم اللغات من الصرف والنحو والبلاغة التى فتن بالوقوف عند حدها المندوعون من الأجيال الفاتنة الاسلامية بعد العصور الثلاثة الأولى الذين لم يجدوا لهم منقذين من الجهل ، وكلما نبغ نابغ لينقذهم كفروه جهالة ونذالة ، أم علم الفقه وأصوله مع الوقوف عليهما . كلا . بل هى العلوم التى بها نعرف نظام هذا العالم ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ هى العلوم التى قد جمع زهراتها هذا التفسير
الله أكبر : أليس فى تقديم الكلام على تلك العلوم فى هذه السورة شاهد على ذلك . ألم يتقدم الله هنا ذكر جمال العوالم وزينة السماء على ذكر قاصرات الطرف الحور العين اللاتى كأنهن البيض المكنون وعلى ذكر كأس المعين البيضاء التى تلذ الشاربين ولا تضرب عقولهم ولا تسكرهم بل تقدم الله آية جمال العوالم وزينة السماء على ذكر لذات الجنة وحورها وخمرتها فقال - **« إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - ولا جرم أن هذه لذة العقول ولذات الجنات الظاهرة حسية ولذات العقول أقوى من لذات الأجسام ولذلك كانت لذة الملوك والقواد أشد من لذات العمال والصناع ، وفوق هؤلاء وهؤلاء لذات العلماء ، واللذة بالمعرفة لا حدة لها ، والله يوم القيامة يجعل الناس فى منازلهم بحيث لا يتخطونها فن لم يعرف من اللذات إلا النساء والشرب والأكل أدخله الجنة الحسية ، ومن ارتقى فوق هذه الطبقة فعرف الله أعطاه فوق ذلك النظر الى وجهه على مقدار علمه فى الدنيا فيزيد هناك انكشافا**

﴿ سوانح وخواطر فى هذا المقام ﴾

يظهر لى أن صفى الشجاعة والحب هما الصفتان اللتان بهما سعادة الحياة والممات ، وأن الجبن والبغض بهما شقاء الحياة والممات ، وللهيب مفتاح وهذا المفتاح والحمد لله أصبح فى أيدي الأذكياء قارئى هذا التفسير وهو النظر فى جمال هذه العوالم . فكلما زدنا علما زدنا حبا لصانع العالم . وهذا الحب يجعل حياتنا كلها نشاطا فى أعمالنا ونحس فيها بشعور المحبة الانسانية العامة والخاصة . فترى الذين وصلوا الى هذه الدرجة مغرمين باسعاد الأمم لأن العالم فى نظرهم أصبح واحدا ويقدمون اسعاد أمم الاسلام الذين هم أقرب اليهم ولا يتسكئون فى اسعاد الأمم الأخرى . فيا ليت شعرى كيف يرى الانسان ذلك الجمال العام الذى ضربت لك مثله بما شاهدته فى الحقل هذه السنة فى آخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ ليلا قبيل الفجر فى أول هذا المقال من بدائع الجمال والنور المشرق فى سائر الأرجاء . وذلك الجمال وذلك النور وراءهما ما هو أجل وأبهى وأبهى وهى

نفس الحقائق العلمية . أقول كيف يرى الانسان ذلك وأنه لا حدة له في البهجة والكمال والامتداد ولا تكون
 سياسته كلها علما وجمالا واسعادا للناس قاطبة . ثم كيف يرى ذلك ثم يخاف من الموت وقد علم علما ليس
 بالظن أن روحه في يد مبدع هذا الجلال لاسيما أنه أحبه وبمقدار المحبة تكون لفة النظر للمحبوب . وهذه
 الأجسام مانعة منه . فاذن تكون هذه الحياة عاتقة عن النظر . إذن هذا الحب تصعبه الشجاعة فإذا لم يخف
 من الموت فم يخاف إذن فلا مصيبة في هذه الأرض أقوى عند الانسان من الموت فإذا لم يكن مصيبة أصبحت
 جميع أحوال الحياة سهلة وضعفت آثار ما نسميه مصائب فيها . فهنا أصطبحت الشجاعة مع الحب وبضدها
 تتميز الأشياء . فإذا عاش الانسان جاهلا فلم يعرف هذه التجائب لم يدخل الحب قلبه . وإذا عمل عملا صالحا لم
 يكن له باعث عليه إلا أحد أمرين : إما أن ينتظر المكافأة عليه في الدنيا على أيدي الملوكة والأمراء والعاقبة
 وأما أن ينتظرها في الآخرة بالخير والحسان وكأس المعين والحلى والحلل . وهذا وما قبله آثارهما أضعف من آثار
 المحبين لربهم أولئك الذين يعمون في الدنيا ويرون انهم سعداء بنفس أعمالهم ويرون اطلاع محبوبيهم على
 أعمالهم خير مشجع لهم وهؤلاء سعداتهم في الآخرة تكون على هذا المنوال فهم أبدا في ازدياد العلم ونفس
 العلم لهم سعادة حقيقية ولوانهم منعوا ذلك النعيم ووقفوا عند حد المطاعم والمشارب والخور لروا أنهم معذبون
 عذابا لا يطاق . وفي هذا العالم اليوم من اذا قال له الملك أنا أعطيك أجل جارية عندي تحظى بها ومن المال
 ما تشتهي ولكن لا تحضر مجلسي لأنك لا تسليح للوزارة ولا للشاورة ولا للنادمة لكان ذلك عليه أشد من
 الموت لأنه إذ ذاك سقطت كرامته في نفسه وأصبح ذليلا مهينا . فإذا كان هذا في الطبقة الوسطى وهم الملوكة
 والأمراء ومن على شاكلتهم وهم أرباب المدة الوسطى فما بالك بمن فوقهم من أرباب المدة العليا العقلية وهم
 الحكماء ، ولقد قدمنا كثيرا في هذا التفسير أن لفة المحسوسات أدنى ولنة الحكم والغلبة أرقى كالذرة الأسد
 بنسبة لذة العز والغزال . فأما لذة العلم والحكمة فهي أحق من جميع اللذات . ولن يصدق هذا القول إلا
 من عرف هذه الأقسام الثلاثة وجربها بنفسه فان من لم يجرب ولم يذوق فستحيل عليه أن يصدق ذلك أو
 يتصوره والله الخالق والأسر وهو رب العالمين

ثم إن هؤلاء المحبين لربهم بسبب هذه العاوم يرون أن كل من أحب غيره فان ذلك المحبوب يشترى
 من أحبه وهذه تعطيهم تشجيعا إذ يرون أن الله يحبهم حبا يليق بجلاله لا يحب المخلوق لاسيما اذا قرؤا قوله
 تعالى - يحبهم ويحبونه - وقوله - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم -
 واعلم أن الأذكىاء من قرءاء هذا التفسير سيكون حبهم لله مفرطا . ذلك أن الانسان كلما ازداد علما
 ازداد حبا . وهذا العلم الموجب للحب انما هو علم التجائب والعجائب في كتب الحيوان والنبات والمعادن
 وعلم طبقات الأرض والفلك وغيرها مشتتة في الكتب بل صعوبة الفهم فلذلك لا تجد البارعين في تلك العلوم
 عندهم هذه المحبة بل ربما أنكروا الالهية أو صدقوا بها ولكنهم غافلون لأن علومهم أخذوها منفصلة غير
 متصلة ولا موصلة لمبدعها . أما في هذا التفسير فانها متصلة مفصلة . إذن هي موصلة لذلك الحب ولم تكن هذه
 العجائب في القرون الأولى واضحة لعموم الناس كما اتضحت في هذا الزمان لاسيما بالصور الفوتوغرافية . وسيزيد
 يقينك بما كتبه الآن ما أنقله لك عن الامام الغزالي في الاحياء تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

﴿ بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ﴾

اعلم ان المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا شتر اكهم في أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة
 وفي حب الدنيا إذ الأشياء انما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء
 التي قرعت سمعهم فتلقوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب وربما لم يطلعوا على

حقيقتها ولا تخيوا لها معنى فاستدلوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغالوا بالله مل وتركوا البحث وهو لا يهم أهل السلامة من أصحاب اليقين والمتخيالون هم الخالون والعارفون بالحقائق هم المقرّبون وقد ذكر الله حال الأصناف الثلاثة في قوله تعالى - فأما إن كان من المقرّبين فروج درمجان وجنة نعيم - الآية فإن كنت لا تفهم الأمور إلا بالأمثال فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن الناس يعرف علمه بحجلا والفقهاء يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقهاء به أتم وإعجابه به وحب له أشد فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لاحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لاحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعة ازداد به معرفة وازداد له حبا وكنا سائر الصناعات والفضائل والاعمال قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدرى ما في التصنيف فيكون له معرفة بحجلا ويكون له بحسبه ميل بحمل والبصير اذا اقتبس عن التصنيف واطلع على عافيتها من العجائب تضاعف حبه لاحالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف قائل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بحجمله منفع الله تعالى وتصنيفه والاعمال يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فانه يطلع تصنيفا منفع الله تعالى فيه حتى يرى في البسوخ مثلا من عجائب صنعه ما يفهر به عقله ويتعجب فيه له ويزداد بسببه لاحالة عظمت الله وجلاله وكما لم يغناه في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلعا استدلل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وجر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له فلا جرم تفاوتت أهل المعرفة في الحب لا حصره وما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محبنا اليه منعمنا عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته إذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء وأما من يحبه لذاته فلانه مستحق للعب بسبب كماله وجلاله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

(بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى)

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الأمر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وأنما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلها المعنى لا تفهمه الابدثال وهو انا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخطي مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات خياله وعلمه وقدرته وارادته للخيطة أجلي عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جليّ عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن تعرف حياته وقدرته وارادته إلا بخيالته وحركته فان نظرنا الى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفة فاعليه الادليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهدله بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر وسدر ونبات وشجر وحيوان وسما وأرض وكوكب وبرّ وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بن أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا

بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على عظمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا يحصر لها فان كانت حياة السكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسننا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا خارجها الا وهو شاهد عاين وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حاطها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركاتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها . يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا وخطومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة . فانا نعلم انها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد السكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومنقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تنقصر عن فهمه عقولنا فله سببان : أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله : : والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لانخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يهره نور الشمس اذا أشرقت فتسكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراف والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشد عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفاؤه فسبحان من احتجب باشراف نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتجيب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الأشياء تسببان بأضدادها وساعم وجوده حتى انه لا ضلله عسرا درا كه فلا اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في السلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فانا نعلم انه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراف لا غروب لها لسكننا نظن أنه لاهيئة للأجسام الا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لانشاهد في الاسود الا السواد وفي الأبيض الا البياض فأما الضوء فلاندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعينه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام . والنور هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهاام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالتعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانتهت السموات والأرض وبطل الملكوت والملكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشئيين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم أدركت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال أمره لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود الا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال الا يرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا الى غيره كمن نظر في شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج صرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله

ولامحبا الاله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد لله فهذا يقال فيه انه فنى في التوحيد وأنه فنى عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كتابنا فنيينا عنا فبقينا بلا نحن فنيينا أمور معارضة عند ذوي البصائر أشكيات لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبرهانها بمباراة مفهومة موصلة لفرض الفهم والافهام وباشتغالهم بانفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مالا يعنيه فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه أن المبركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غزيرة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق لهم شهواته وقد أنس بمبركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس، ولذلك اذارأى على سبيل الفجأة حيرانا غريبا أو نباتا غريبا أو فهدلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمرثية طبعها وأعضاؤه فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحسن بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض أنك بلغ عاقلا ثم انقضت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لحيف على عقله أن يفهم لعظم تعجبه من شهادة هذه الجباب الخالقها فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستغناء بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتصة فهذا سر هذا الأمر فليصدق ذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على أحد : الا على اكمه لا يعرف القمر

لكن بطلت بما أظهرت محتجبا : فكيف يعرف من بالسرف قدسرا

﴿ زبرجدة ﴾

(في قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب - وظهور أسرار القرآن في عصرنا الحاضر)
اعلم أيها الذكي أن كثيرا من العقلاء وأهل العلم والفلسفة اذا سمعوا هذه الآية توهموا وظنوا أن هذه لا تخلو من أحد أمرين : إما أن تكون أمرا خياليا وضع للوعظ والتعليم ، وإما أنه مجاز ، فلما أن يكون هناك شياطين يرتقون الى السماء ومتى وصلوا اليها سمعوا الملائكة وأن شهابا تقابلهم في طريقهم فتمنهمهم ، فهذا مما لا سبيل اليه بحسب ما نشر من العلوم
هذا هو الذي يظنه أكثر أهل العلم في زماننا وفي كل زمان . واعلم أن العلم الناقص هذا شأنه فيحكم بما علم على ما لم يعلم ، وهأنذا باسط لك أيها الذكي آراء المتقدمين وعلماء العصر الحاضر في هذه المسألة لتقف أولا على حقيقة الشهاب بحسب العلوم المدونة في زماننا ثم أحدثك بعدها عما فتح الله به من أسرار هذه الآية لينزل الخرج من صدرك ولتعلم من العلم ما لم ينله كثير من الفضلاء وليشجع صدرك ولتكون من الموقنين الفرحين بالعلم الذي هو جنة محجلة للعارفين في هذه الحياة الدنيا فأقول ولله الفضل والمدة وهو رب العالمين قد تقدم بعض هذا المقام في سورة الحجر ولكن هنا لابد من استيفائه فأقول ناظرا عن كتابي « بهجة العلوم في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية » وهذا نصه :

﴿ حوادث كرة الاثير من الشهب الساقطة وانقضاء الكواكب ذوات الاذئاب ﴾

أما الأقدمون فيقولون اننا نرى في السماء صورة أعمدة مخروطة قائمة قائمتها مما يلي كرة النار ومخروطها مما يلي وجه الارض وما هي الا دخان يابس لطيف صعد من الأرض كما قد مناه والجال والبراري فاذا بلغت الأبخرة السكرية الزمهريرية تتلاقى في أعلاها بكرة الأثير وهي الكرة النارية التي حدثت فوق كرة الزمهرير بسبب سرعة الحركات الفلكية التي ولدت الحرارة فأنشأت هذه الكرة وتقل حرارتها كلما اقتربت من كرة

الزمهرير الفاصلة بينها وبين كرة النسيم فاذا بلغ الدخان كرة الأثير المذكورة اشتعل نارا كما نرى الدخان الطائر من السراج المنطفي يشتعل بملاقاته لسراج ممتد وكما نراها تشتعل في النفط الأبيض ثم تنفیه بسرعة فينطفئ وإنما اعتبروها دخانا محترقا لانهم يقولون انها تظهر في أيام الجسد أ كثر والجذب يقل منه المياه في الارض فيقل البخار ويكثر الدخان ويستدلون على انه دخان أيضا بأن النار عند اشتعالها فيه ترى عظمة فلا تزال تقل حتى تختفي فيخيل للناظرين انها نار نازلة من السماء . وتارة ترى كأنها كرة صغيرة متدحرجة على سطح كرة كبيرة فهي تتبدى في حركتها من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق ومن الجنوب الى الشمال وبالعكس وتارة تنسكب فسكانها في نظر العين كرة من قطن اشتعلت فيها النار ثم رمت في الهواء وكلما احترقت بالنار تنثر شررها وصغرت حتى تنفئ . ومثالها الكرة التي يلعب بها أصحاب الخيالات يجنونها من سندروس وأجزاء عقاقير ويشعلون فيها النار يأخذونها في أفواههم فاذا رقصوا أو تنفسوا رأيت النار تخرج من أفواههم ومناخرهم وهكذا حتى تنفئ . ويقولون في ذوات الأذنان انها تظهر قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها ولا تحدث إلا في كرة الأثير وهي تدور مع فلك القمر على توالى البروج كسير الكواكب السيارة وتارة تتأخر راجعة ومادتها هي المادة المتقدمة البخارية ولكن هذه ألطف فتعتقد وتكون شفافا كالبلور وإذا أشرقت عليها الشمس شفت من الجانب الآخر فلا يزال المذنب يشرق ويغرب حتى يمتدح من الوجود . وملخص كلام القدماء أن الدخان اعتلى في الجو واشتعلت فيه النار ككرة القطن أو كالنفط المشتعل أو كالسندروس المحجون مع غيره . وأن نجمة الذنب أشف مادة وأبقى مسدة وأطول أجلا ثم تضمحل . سبب هذا الرأي . أنهم كانوا يرون تبعا للقدماء ان الكواكب لا تنثأ ولا تنكسر ولا يكون فيها شظايا لأنها باقية الى الأبد وقد علمت بطلانه

﴿ آراء علماء العصر الحاضر في المذنبات والشهب والنيازك ﴾

المذنب نجم ذو ذنب فله رأس وله ذنب وهو أنواع منه ما لا ذنب له وهي كثيرة القلب وقد تكون رؤوس المذنبات أجساما مستقلة . وأما الأذنان فهي أجسام كبيرة لطيفة المادة دقيقة لها ولطافة الأذنان مستتجة من خفتها ولقد نعلم أن السيارات تسير في مدار واحد لجهة واحدة . أما المذنبات فلانظام لها في سيرها وأما كثرتها فهي كسمك البعير عدا . وذنبها يكون أ كثر ظهورا كلما اقتربت الرأس من الشمس والرأس تنجذب نحو الشمس متى اقترب المذنب منها . فأما الذنب فانما يكون اندفاعه الى الجهة الاخرى ومذنب (دوناتي) أول ما ظهر في شهر يونيو سنة ١٨٥٨ واختفى عن الأعين بعد قليل ونور المذنب ليس مستعارا كنور القمر وكرة هذه النجمة يسمى نواة أو لباً ورؤية ذوات الذنب لا يمكن الا في جزء من مدارها أي حين قربها من الشمس وذوات الذنب متفاوتة في المقدار والضوء فمنها ما تتهسر رؤيته ولو بالآلة . ومنها ما يشغل بسبب عظم ذنبه ثلث السماء أو نصفها بحيث يكون أعظم من ٦٠ درجة الى ٩٠ فالنجمة التي ظهرت سنة ١٨١١ افرنكية كانت لا تسكاد ترى فكما قربت من الشمس صارت بخارا وأضحى جرمها شفافا وهي لا ترجع الا بعد ٣٠ قرنا ولم يتحقق العلماء من رجوع نجوم ذات ذنب مما رصدوها الا اثنتين وهما

(١) نجمة هليه التي تقطع فلكها في ٧٥ سنة ونصف وقد ظهرت سنة ١٩١٠

(٢) النجمة القصيرة الدور وهي تقطع فلكها في ثلاث سنين ونصف وقد ظهرت سنة ١٨٣٩ وفيما بعدها ومن النجوم ذوات الذنب ما لا تقطع فلكها الا في عدة قرون . ومنها ما يذهب جهة النجوم الثوابت فيخفي عنا ولا يرجع أبدا

إذا رؤيت ذوات الذنب لا يحكم عليها بأنها دورية أو غير دورية وكيف يعلم ذلك وقد علم أن مدد دورة بعضها يعد بالآلاف أو بمئات الآلاف من السنين حتى ترجع ومن ذا يضمن رجوعها

الشهب والنيازك . الكرات النارية . الحجارة الجوية

الشهب جمع شهاب وهو ما يرى كأنه كوكب انقض والنيازك جمع نيزك وهو معرب (نيزه) بالفارسية

ومعناه الرمح القسيرو يطلق على الشهاب تشبيها ويقال شهاب ثاقب ونجم ثاقب لانه يثقب الظلام بضوئه :

(الشهب)

الشهاب ما يرى في الليالي قد انقض من السماء وليس كوكبا وانما هي اجسام صغيرة ربما لا تزيد الواحدة عن حجم البلاطة وهذه الاجسام كثيرة جدا ومنها مجموعة تسمى الاسديات وهي تنم دورتها حول الشمس في شكل اهليجي في ٣٣ سنة ولا يحصى عدد هذه الشهب وقطرها ١٠٠٠٠٠ ميل أو أكثر . والأرض لا تخترق في سيرها هذه الاسديات الا ثلاث مرات كل مائة عام وآخر مرة كانت سنة ١٨٦٦ وفي كل مرة تضيف آلاف الآلاف من هذه الشهب أو النيازك مما ينزل على سطحها . وأما النور الذي يظهر من تلك الشهب فانهما يكون من سرعتها واحتكاكها بمادة الجو كما يندفع الزناد وهي أكثر مقرونا في ليال معومة فهي تزيد في ١٠ اغسطس و ١٣ نوفمبر وتقل في ٢٠ ابريل و ٢٧ نوفمبر و ١٨ و ٢٠ اكتوبر و ٩ و ١٣ ديسمبر ويقال ان عدد الشهب التي نراها بالعين المجردة والمقارب المتوسطة مما يخترق جونا كل عام يبلغ نحو ١٥٠٠٠٠٠٠ آلاف ومنها تصيب أرضنا وتبقى عليها

(الكرات النارية)

هي أيضا اجسام متينة تظهر وتختفي بسرعة كالشهب ولكنها أبطأ منها وتمزق غالبا بالقرب من الأرض فتحدث فرقة وقد يكون منها اهتزازات وما يقع منها على الأرض يسمى الحجارة الجوية ويدخل في تركيبها الحديد والسليس والمنيزيا والنيكل وغيره وارتفاع الشهب من ٨ كيلومترا الى ٦٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ كيلومترا وسرعتها متغيرة كارتفاعها وقد تساوى سرعة الأرض بل تزيد عنها ويقولون ان هذه الكرات عبارة عن مادة قطعها صغيرة الجرم دائرة حول الشمس ومتى قربت الأرض منها جذبت اليها بعض تلك القطع فتسقط نحو الأرض وتشتعل في الجو على هيئة شهب أو تسقط الى الأرض على هيئة حجارة جوية اه . فتأمل تجد الفرق بين القدماء والمحدثين ان الاولين يزعمون ان تلك المذنبات والشهب والنيازك والكرات عبارة عن بخار أرضي قابل النار فاحترق . وعلماء العصر الحاضر يقولون سلمنا بالاحتراق من الاحتكاك لامن كرة الأثير فنحن لا نقربها ولكن لانسلم ان المحترق هو البخار كلا وانما المحترق اجسام وقطع صغيرة دائرة حول الشمس كما يدور سرب الحمام والتطافي الجو فتى مرت الأرض به في أيام معومة اختطفت منها آلاف مؤلفة فطبختها بالحرارة في جوها من الاحتكاك بها كاحتكاك الزناد ثم انتهت فأكثها وكأن هذه الاسديات المذكورة وأمثالها قطعان من البقر والنزلان تأكل منها الأرض اذا مرت بها وقد جاعت وقد تأكل في أوقات معلومات فان للأرض كل ثلاث وثلاثين سنة مدة يقال لها الفرق بين السنين القمرية والسنين الشمسية ويكون الفرق بينهما سنة في تلك المدة وتلك المدة بنفسها هي التي تمر فيها في الاسديات فاذا كان مائة سنة يكون الفرق بين السنين الشمسية والقمرية ثلاث سنين فهكذا ستمر في تلك الاسديات لتأخذ زائدا للسفر ثلاث مرات فكم في السكون من عجب وقبل ما تلمعه تصلحه بالنار في جوها كما نفعل نحن في طعامنا وأقول لقد اطلعت على بعض تلك الأحجار التي حفظت في المتاحف المصرية والله أعلم

(توضيح الفرق بين المحدثين والقدماء فوق ما تقدم)

فانظر أيها العاقل للعقول الانسانية قديما وحديثا فالقدماء لما اعتبروا الأرض مركز العالم والسماء لا كسر فيها جعلوا ذوات الذنب والسهام والكرات النارية من الأرض . والمتأخرون قالوا كلا انما هي اجرام دائرات حول الشمس تنزل اليها وترمي فوق سطحها والجميع عرفوا أنها تارة تسكون سهاما وتارة تسكون كرات وان نورها في الجو وحرارتها بالحركة والسرعة عند المتأخرين وان النار أحرق الدخان عند المتقدمين وكل من الأولين والآخرين يسمون حكماء لانهم عرفوا الحقائق على مقدار الطاقة البشرية انتهى علم الآثار العلوية . انتهى ما أردته من كتابي بهجة العلوم

هاهي ذه أيها الذكي آراء القدماء وآراء المحدثين في الشهب والنيازك التي ذكرنا معها المذنبات تتيها للبحث العلمي ، وقد علمت أن الشهب تبلغ نحو (١٥٠) مليوناً في السنة حول أرضنا كما ان المذنبات تبلغ عدد سمك البحر ، فينتج من هذا كله أن جو الأرض مملوء من تلك الشهب ومن ذوات الأذنان ونحن لانرى منها إلا القليل ، فهل هذه الشهب التي تخرق أرضنا وهي تجري حولها ليلاً ونهاراً هي التي تحرق الشياطين وتمسحها من صعود السماء

أقول : اعلم أن الشياطين ﴿نوعان﴾ شياطين الانس وشياطين الجن ، أما شياطين الانس فهم النفوس المحجوبة التي تمشي في أبدانها في هذه الأرض من بني آدم فهؤلاء الآن شياطين بالقوة فإذا ماتوا صاروا كهيئة الشياطين بالفعل ، ألم تر إلى قوله تعالى - فكبكبوا فيها هم والغاؤون وجنود ابليس أجمعون - إذن هم أصحاب وأصدقاء وكل ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا من مال وولد ونعمة إن هي إلا عذاب لهم كما قال تعالى - فلا تهجيك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليذهبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون -

والانسان لا يستطيع الحياة إلا مع من هم على شاكلته فالعالم لا يعيش عيشاً يناسبه إلا في هيئة علمية واللص يفرح باللصوص وهؤلاء لا يعيشون في جو مكهرب بالعلم والمطر ينزل من السحاب ويجري في الأنهار ولكنه سرعان ما يكر راجعاً إلى موطنه الأصلي وهو البحر الذي استخرجه ضوء الشمس منه فارتفع فصار سحاباً هكذا المفكرون في المجائب في هذه الدار المحبون للحكمة يرجعون إلى مقرهم عند ربهم دائماً يحنون إلى ذلك المقام . وشياطين الانس الذين يعيشون في الأرض الآن لم يحجبهم عن الحقائق العلمية إلا أدران الذنوب والشهوات كما أن الأنبياء صفت نفوسهم فاطلعوا والحكماء فكروا فعرفوا معرفة أقل فصاروا خلفاءهم . وللنفوس المحجوبة الشيطانية الإشارة بقوله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - كلا انهم عن ربهم يومئذ لجوبون - ثم انهم لصالوا الجحيم - ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون - وللنفوس الفاضلة الإشارة بالآية بعدها - كلا إن كتاب الأبرار في عليين وما أدراك ما عليون - إذن النفوس الشيطانية من بني آدم لها شهوات وأهواء ومعاص وزوات منقها من الاطلاع على الحقائق . ومن ذلك اسرافها في الماء كل والمشارب وتفانيها في طهي الطعام الذي يلذ طعمه ويقل خيره وهل خيره إلا مادة الحياة المسماة بالفيتامين المتقدم كثيراً في هذا التفسير والذي سيأتي الكلام عليه في ﴿سورة ص﴾ عند آية - فبعرّتك لأغوينهم أجمعين - فالتفاني في التوايل وفي الطبخ بالنار التي هي القاتلة لمادة الحياة في الطعام كما أظهره الكشف حديثاً والتباعد عن الفطرة من تعاطي الطعام وهو غير مطبوخ من كل ما يمكن أكله بلا طبخ فأصبح ذلك طبيعة للناس عالقة بهم لا يجدون عنها محيصاً كما لا يجد السكر محيصاً عن السكر وهو يعلم انه نار تلظى عليه . كل ذلك مورث للأمراض وضعف الصحة ومانع عن فهم الحقائق

فلننظر إذن إلى بيت القصيد وهي النفوس الشيطانية التي فارقت الأجساد من بني آدم وقلنا انهم هم اخوان الشياطين لأن القبيلين من واد واحد ، ولأذ كرك أيها الذكي بما تقدم في سور كثيرة مما نقلته عن علماء الأرواح أولاً وعن الشيخ الدباغ والخواص وأمثالهما سابقاً ، وتجذب بعضه في ﴿سورة التوبة﴾ فانك تجد هناك أن الأرواح في البرزخ قبل يوم القيامة لا تكون في الجنة الحقيقية ولا في النار الحقيقية ، فالجنة والنار الحقيقيتان تكونان يوم القيامة ، ألم تر أن الله يقول - النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - الخ فهؤلاء هم واخوانهم الشياطين يكونون في الجوّ لا يرتقون إلى الملاء الأعلى ، وهذا الجوّ مملوء بهذه الشهب وهذه الشهب كثيرة الحركات فيه وكثرة الحركات فيه تجعله ميداناً لانشغال النفوس واضطراب الأفئدة ، إذن كما اننا نعيش في أرض قد ملئت بالحرب والحرارة والبرودة والأمراض

وهكذا وذلك كله يشغل الأذهان عن الوصول للحقائق إلا قليلا من الأكابر هكذا الشياطين واخوانهم من أرواح بنى آدم الشريرة يعيشون في جو مملوء من الاضطراب والزلزلة المانعين من صفاء الأذهان الموصل للاطلاع على الحقائق ، إذن في الجو أوصاب واضطراب يمنع سكانه من معرفة الحقائق كما في الأرض ، وعلى هذا يكون قوله تعالى - ويقذفون من كل جانب - دحورا ولم عذاب واصب - جاء على حقيقته ، فكما أن المجرمين من بنى آدم الساكنين معنفا في الأرض قد أضاعوا حياتهم في الشهوات واللذات والحرب والضرب والقتال وهم عن معرفة الحقائق بهذه الأعمال محجوبون هكذا المجرمون من الأرواح الانسانية واخوانهم شياطين الجن الذين ضعف نفوسهم فلم يتجاوزوا جو أرضنا - لهم عذاب واصب - بنفوس نحن نجهلها وهموم ومنها أخلاقهم التي اكتسبها بعضهم في الأرض ولم يظهر لنا من ذلك العذاب إلا تلك الحجارة النارية التي تجعل جوهم خاليا من الصفاء كما نرى الناس يقتتلون في الميادين ونفوسهم مشغولة بالمداغ والنيران التي تقذف منها على المتحاربين ، وكما أن المدافع والغازات الخائقة والمعمية تنزل على المتحاربين بأيدي غيرهم هكذا هذه الشهب تسقط في الأجواء بأيدي الملائكة المذكورين قبل ذلك الموصوفين بالزاجرات زجرا ، فهم كما يزجرون السحاب ويزجرون العالم العلوي والسفلي ليكون خاضعا لأمر الله وحكمه . هكذا يزجرون بتلك الشهب تلك الأرواح عذابا لها لتحجبها عن الاطلاع على الحقائق كما حجبت نفوس كثير من أهل الأرض عنها لأنها ليست أهلا لذلك والله يقول - ورحمتي وسعت كل شيء - وهذه الأرواح المحجوبة منعت معرفة الحقائق رجة من الله بها لأنها لم تستعد لها ولو عرفت هلكت ، فالنع الذي هو عذاب لهم قد صاحبه رجة حقيقية لأن العالم كله خلقه وهو أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين وإلى هنا تم الكلام على اللطيفة الثانية في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - إلى قوله - شهاب ثاقب - انتهى صباح يوم الخميس (١٤) أغسطس سنة ١٩٣٠

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم - وقفوهم انهم مسئولون -)

أيها المسلمون : ظهر الحق واستبان السبيل . الناس طائفتان : طائفة جاهلة وأخرى عالمة . فالجاهلة تعيش وتموت كما يعيش ويموت الدود ولو كانت من قارئ الديانات والعلوم وهم في غفلة معرضون . أما الطائفة العالمة فهي التي أدركت اليوم قبل يوم القيامة ادراكا يقينيا أن هذه العوالم كلها تجري على نظام ثابت من حيث المناسبات فكما أننا نرى الطيور في الجو والأنعام على الأرض والسماك في البحر بحيث لا يقدر أحدها أن يعيش في غير مكانه المعد له . وأيضا كل طائفة من الانسان والأنعام والطيور لا يحب أحدها أن تعيش إلا مع أمثاله وهو غريب بعيد عن غير نوعه . هذا أمر واضح . فهكذا سنكون بعد الموت فأصحاب الجحيم هم هنا الآن مجتمعون معا كما سيجمعون معا هناك . وسترى الحكام الظالمين لا يحبون إلا أمثالهم والمصوص وأرباب السكبات جميعا يألف بعضهم بعضا فالدنيا والآخرة على وتيرة واحدة

أيها المسلمون : العالم مقبل على أيام انقلاب عظيم وسوف يختلطون بالأمم عاجلا أو آجلا . والأمم المعاصرة لنا كلهم أوجلهم اخوان أو أصحاب المسيح الدجال لأن المسيح على قسمين : مسيح صادق وهو المسيح ابن مريم وأتباعه القدياء الصالحون . ومسيح دجال كاذب يظهر الصلاح وليس بصالح وهذا هو المسيح الدجال الوارد في الشريعة وقد ظهر أعوانه في الأمم المعاصرة لنا . إن المسيح الدجال الذي ورد في الحديث يظهر أنه يسعدنا بما يشبه الجنة ويهتدنا بما يظهر لنا انه جهنم . فاذا دخلنا ناره أصبحنا في نعيم وبالعكس اذا دخلنا

جنته . الله أكبر : أليس هذا حاصلا فعلا حقا وصدقا . ألم تدخل أوروبا بلاد الشرق لارتقائنا ثم هي تملأ بلادنا بالخر وأنواع المخدرات . فوا أسفاه على بلادى المصرية . واحسرتاه على عقول ونفوس ذلت وهلكت تقدم في هذا التفسير أنى نقلت عن (هنرى الفرنسى) انه قال : « إن الخمر التى يستعملها المستعمرون فى إهلاك الشعوب لم تؤثر فى بلاد الجزائر » ولكن أنا أقول متحسرا متأسفا : « لقد نال المستعمرون مأزادوا ودخل مسيحيوهم الدجالون بلادنا وضحكوا على العقول وملأوا البلاد بالمخدرات والمسكرات والسموم المهلكات فانظر ماجاء فى مجلة « الدنيا المصورة » تحت العنوان الآتى وهذا نصه » :

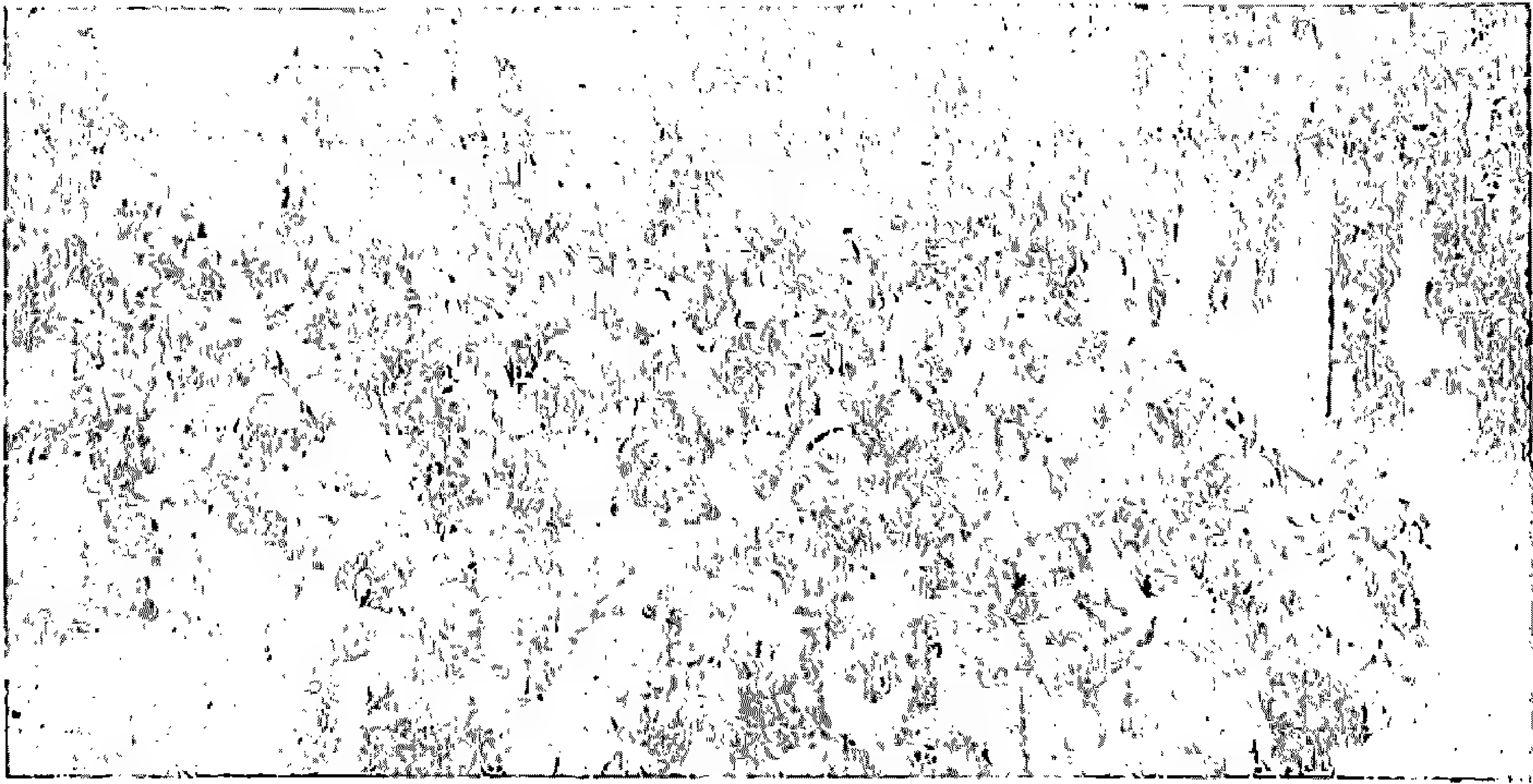
﴿ عبيد السموم البيضاء ﴾

﴿ أولئك الذين اشتروا الموت بالشرف والكرامة ﴾

﴿ حركة جديدة مباركة لمحاربة هذه السموم من مكتب مكافحة المخدرات بحكمداية القاهرة ﴾

اذاهم البلاد عدو قادر ينهب الأرواح ويدمر الأملاك ويعيث فى الأرض فسادا فان الواجب يقضى على جميع أبناء البلد الواحد بأن يتآزروا ويتضامنوا لدفع أذى هذا العدو السفاح وصون البلد من شره وويله . وقد ينكب العالم بالحروب . وبالجماعات . وبالأوبئة . ولكنه لم ينكب من قبل بمثل نكبة المخدرات التى تفرس الأرواح قبل الأجسام وتقضى على الاخلاق والعزائم وتجعل من بنى الانسان الذين خلقوا للعمل وللجهاد جثا بالية وحطالما فانيا . وقد نكبت مصر كما نكبت البلدان الأخرى بهذا الداء الويل الذى نفث سموه بين طبقات فيها العمال وقتك فتسكا ذريعا وكان من حسن حظ مصر أن آلى حضرة صاحب السعادة حكمدار بوليس القاهرة أن يحارب هذا الداء الفتاك محاربة قاسية لاتعرف الشفقة والرحمة . وقد ظهرت نتيجة هذه الجهود وأثمرت ثمرا حسنا وبعد أن كانت الوسيلة التى اتبعتها الحكمداية هى وسيلة القمع والتهديد . والحكم بالسجون الطويل والغرامات الفادحة على تجار هذه السموم ومدمنيها عمدت الى وسائل الوعظ والارشاد والترغيب وكثيرا ما أفلحت الوعود حيث لا يفلح الوعيد . وهذه المخدرات أحياء خاصة تنتشر فيها كما ينتشر الالهب فى الهشيم اليابس . ومن هذه الاحياء المنكوبة حى النرعة البولاقية . طوفة واحدة فى ذلك الحى تبين لك أهوال هذه السموم وقتكها الذريع بالنفوس . فاذا جلت بين الدور الحفيرة والأزقة والحارات خيل اليك أنك تجول فى مقبرة انظمت أمواتها فخرجوا أشباحا مجردين من اللحم والدم يهيمون فى الطرقات وهم عظام نخرة تكسوها طبقة من الجلد الداكن الذى فقد رونق الحياة ونضرة الصحة . يفيض هذا الحى بأولئك العمال البائسين وأكثرهم من الصعايدة ، ومن الطبقة السفلى الذين أدمنوا تعاطي هذه المخدرات فأصبحوا لا يعيشون الا لأجلها فلا يهمهم أن يأكلوا أو يشربوا أو يلبسوا . وانما كل همهم أن يحصلوا على ما يشبع فيهم تلك الشهوة المفترسة . شهوة شم السموم وحقنها . ولم تكن الحكمداية تجهل مصائب هذا الحى . بل كانت لها فى كل حين هجمة على تجاره تقودهم الى أعماق السجون وبحث دقيق بين ساكنيه يؤدى بمن يضبط معه شئ من هذه السموم الى الحبس . ولكن ماحيلة البوليس فى شخص تراه مهلهل الشياب زائغ البصر محطم الأعصاب مطروحا على الأرض لا يقوى على الحراك وان قوى فانما يسعى للحصول على دراهم قليلة يشتري بها شيئا من السكر كايين أو الهرويين يسمم به جسده البالى . ماحيلة البوليس فيه وهو لا يحمل معه من المخدرات ما يجمله طريدة السجن ؟ لذلك قامت قوة من رجال البوليس فى الصباح المبكر من يوم الاربعاء الماضى وطافت فى ذلك الحى المنكوب . وراح أفرادها يتصيدون تلك الجثث المتحركة من الأزقة والشوارع والخوانيت . ولم يكن البوليس فى حاجة الى من يرشده الى مدمنى تلك السموم فان لهم طابعا خاصا . طابع البؤس والجوع والقدارة والجنون ! . ولم تمض ساعات قليلة حتى جمع البوليس حول ٢٥٠ شخصا من المدمنين الذين

تم مظاهرهم عليهم ثم جلهم في السيارات الكبيرة الى دار المحافظة وجلس ذلك الجيش الجرار في فناء المحافظة وهم لا يكادون يفقهون ماحولهم . وكان مشهدا مفرعا هو عبرة المهترئين . وهو الدرس البليغ لمن تحدثه نفسه بأن يقضى على نفسه وعلى روحه وعلى كرامته هذا القضاء الشنيع . وراح رجال البوليس يتحققون أمرهم . واتضح أن الكثيرين منهم سجنوا صرارا لاحتزازهم المخدرات ثم أفرج عنهم بهسد أن انتهت مدة سجنهم فلم يروعوهم السجن بل عادوا الى شر ما كانوا عليه . و بينهم شبان في مقتبل الحياة وقد اضمحلت قواهم العقلية وظهرت عليهم دلائل البله والجنون وخارت قواهم الجسدية فكأنهم في دور الاحتضار . واشتد بهم البؤس حتى لم يجدوا ما يسترون به أجسادهم الناحلة الاخرقا بالية واسمالا مهلهلة . وطاف بهم سعادة الحكمدار وضباط الحكمدارية وسار بينهم جناب الميرالاي بيكر بك يسوق اليهم النسخ ويذكرهم بأولادهم الجائعين وعائلاتهم المنكوبة وكرامتهم الضائعة وهم جود ذاهبون . ولا شك في أن أولئك المنكوبين بين مجموعة آلام وأحزان وشقاء فان لكل منهم قصة كاملة ملؤها الفواجع والنكبات . ويكفي أن نروي هنا قصص بعضهم حتى يدرك القارئ مقدار ما تصنع تلك المخدرات بضحاياها . فهنا عامل كان يشتغل نجارا وله زوجة وابنتان . ابتلى بداء المخدرات فما لبث أن طرد من عمله . ولم يجد وسيلة للحصول على ثمن السم الا ببيع أثاث منزله . وحاولت زوجته أن تردعه فلم يرتدع ولم يعد لديه ما يصلح للبيع فراح يأمر زوجته بأن تشتغل حتى تأتيه بالمال الذي لم يعد في وسعه الحصول عليه بعد أن خدت قواه . ولكن الزوجة كانت عاجزة عن العمل . وأرهقها الزوج التمس بطلب المال وبلغت به الحسرة أن عرض عليها أن تتاجر بهرضها الذي هو عرضه . فذهبت غاضبة الى منزل أحد جيرانها حيث لم يكن لها أهل في القاهرة . وأما البنتان فقد سمى الأب حتى استطاع أن يرسل كلاهما خادمة في منزل ويحصل لنفسه على أجره خدمتهما . وبعد شهور قليلة فرت إحدى البنيتين واختفت آثارها . ولو كان في الأب بقية من قوة تساعد على البحث لعثر عليها في دور الفجور . وغيره شيخ كبير لم يجد وسيلة للحصول على المال ليسمم جسده الا بالسرقة فسرق وسجن . وخرج من السجن فلم يجد أثرا لابنته التي كانت تعوله وقد جرفت الأقدار القاسية في سبيلها . وهذا كان «افنديا» . وكان موظفا . ثم ابتلى بهذا الداء وكان يحسبه في أول الأمر هوا بسيطا . ومالبث ذلك اللهو أن أصبح شغلا شاغلا . وطرد من وظيفته بعد أن انقطع عن أداء عمله وطلقت منه زوجته ورحلت الى أهلها . وانتقل من الشقة التي كان يسكنها الى مندرية حقيرة في حي بولاق . وعاش عالة على تجار المخدرات يوزع لهم بضائعهم المسمومة مقابل أن يمنحوه شيئا يشبع به شهوة شمه وبيع ثيابه وسار في الطرقات عارى الرأس حافي القدمين . ثم ضبطه البوليس فسجن . وقضى في السجن شهورا وخرج منه وليس في العالم بأسره من يهتم بأمره . فكان يرقد ليلة تحت الجدران في الازقة المظلمة ويسعى نهاره للحصول على قروش مهدودة بأية وسيلة . فكانت الوسيلة التي هداه اليها البحث أن يرشد طلاب اللهو الى منازل الدعارة السرية ؟ أولئك هم عبيد السموم البيضاء الذين اشتروا الموت بالشرف والكرامة . وسترى في الرسم الآتي في الصفحة التالية (شكل ١) صورة طائفة كبيرة من المصريين المدمنين على تعاطي الكوكايين



(شكل ١) - أخذت هذه الصورة للدمنين على الكوكابين - وكان عددهم ٢٥٠

نفسا - في حوش المحافظة ويرى بجوارهم العساكر

وجاء في جريدة الأهرام في يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ مانصه

﴿ بيان رسل باشا في لجنة الافيون ﴾

﴿ صراحة رسل باشا ووقع بيانه ﴾

جنيف في ٢٧ يناير - افتتح اللواء رسل باشا في لجنة الافيون المناقشة في منع الاتجار بالمخدرات فبسط الحالة في مصر بسطا مقرونا بالصراحة والشجاعة ، وكان لكلامه عن انشاء هذه الآفة وعن العمل السيء الذي يقوم به أصحاب مصانع المخدرات الاوربية وقع عظيم في النفوس . وقد قل ان هذه التجارة كانت قبل الحرب الكبرى مقتصرة على الحشيش السوري والافيون السوداني وكانت اضرارهما محصورة في دائرة ضيقة فبعد الحرب قامت تجارة الكوكابين وتلتها تجارة الهروين وجنى المهربون منهما أرباحا طائلة . وقد انتشر استعمال هذه المخدرات فتناولها جميع الطبقات حتى الفلاحين وانتشرت بين الشبان على الخصوص وأصبح الادمان على هذه السموم يشمل أكثر من نصف مليون نفس من مجموع السكان الذي يبلغ أربعة عشر مليونا . ورصف رسل باشا بعبارات مؤثرة فعل هذه الآفة وانتشار عدواها بين سكان هم من أصح الناس بنية وأعظمهم نشاطا وقال هل من العدل أن تصب اوروبا اطنابا من السموم على مصر وتناشد جميع البلدان التي تصنع المخدرات أن تعاون في منع هذه الآفة التي تعمل لجنة عصبة الأمم بعزم صادق في سبيل القضاء عليها وتسكلم بعبارة بليغة عن وجود التضامن الدولي في هذا الكفاح وعن ان عمل اوروبا يجب أن يكون مقرونا بشهورها بالتبعية والمسؤولية . ثم كشف بصراحة وشجاعة القاب الذي يلقيه بعض ضروب الاعمال البرلمانية والادارية على أعمال القائمين بهذه التجارة في كثير من الاحيان وهكذا قدم رسل باشا للجنة الافيون مثالا حسنا في استقلال الرأي والحزم والصراحة وذكر الأعمال السيئة التي قامت بها عصابات مراكزها في سويسرا وعمل بعض المصانع الألمانية والفرنسية . واستشهد بقضية مولر في بال وهي لاتزال لدى القضاء وأشار الى الفروع المنتشرة في ايطاليا وفرنسا وألمانيا واليونان وتركيا وقال ان أساليب أصحاب هذه الصناعة ومصدرى موادها قد اكتشفت في أكثر الاحيان بنضل يقظة رجال السلطة في مصر . وأثنى على ماأبداه رجال السلطة الفرنسية . والسلطة السويسرية من المعاونة فرد عليه المسيو بورجو مندوب فرنسا قائلا ان الحكومة الفرنسية مصممة على متابعة

هذه المعاونة لمنع هذه الآفة وأكد الميسو كارير مندوب سويسرا معاونة الحكومة السويسرية وأشار الى تلافى النقص الذى كان فى التوزيع السويسرى ووقع بسببه ما أشار اليه رسل باشا فى بيانه وهما رسل باشا بما أبداه من النشاط والخدم . وقد أشار رسل باشا الى التحقيقات القضائية الجارية وستعود اللجنة الى المناقشة فى جلسة خاصة وبفضل ما أبداه رسل باشا من الحزم سيفضى الأمر باللجنة الى طلب ايضاحات من بعض الحكومات عن عمل بعض المعادل الكبيرة التى تصنع العقاقير وهكذا عادت الى بساط البحث مسألة تحديد صنع المخدرات التى كانت اللجنة تتجنب البحث فيها من قبل

﴿ الافشاءات الخطيرة فى تقرير رسل باشا ﴾

﴿ أقوال جريدة منشستر جارديان ﴾

لندن فى ٢٧ يناير - نشرت جريدة منشستر جارديان اليوم رسالة لما كانها من جنيف ضمنها نتيجة مقابلة اللواء رسل باشا وقد قال عنه أنه صرح له بحقيقة راهنة وهى أن الافشاءات التى بدت فى تقريره تنفرع منها حقيقتان هما بمثابة تحد للبلدين المختصين وتستفز ان رفع الدعوى وقد قال رسل باشا بنفسه انه قد يكون فى السجن يوم الاثنين عند ما يمثل امام اللجنة ويقدم ادعاءين كل منهما بمثابة تحد فيما يتعلق بشؤون معمل موهاوس وكماوى بزوريج . اذيتبين من تقرير رسل باشا أن معمل موهاوس استحضروا صدر الى الخارج سنة ١٩٢٨ من الهروين ٤٣٤٩ كىلو جراما وهذا يساوى أكثر من ضعف ما يلزم للعالم كله من هذه المادة للمقتضيات الطبية والعلمية ويربى على مجموع ما أصدرته فرنسا من هذا الصنف كما ورد فى التقرير الفرنسى عن سنة ١٩٢٨

اما فيما يتعلق بكماوى زوريج فقد علم رسل باشا من الميسو كارير أن القانون السويسرى سيعمل بهذا الشأن ويبقى علينا أن نرى ماذا يقول مندوب فرنسا الميسو بورجوا عن معمل موهاوس . فالميسو روزيت رئيس مكتب المواد المخدرة الذى انشئ حديثا فى فرنسا وصل أخيرا الى جنيف لمساعدة الميسو بورجوا . ويقول رسل باشا أن أرقامه مأخوذة من دفاتر معامل موهاوس بمعرفة أحد رجال البوليس المصرى الذى كان يعمل بمعاونة أرباب السلطة فى موهاوس

لندن فى ٢٧ يناير - أنشأت جريدة منشستر جارديان اليوم مقالا افتتاحيا قالت فيه : نعم ان مطالعة تقرير رسل باشا تحزن ولكنها تثير العواطف وتستدعى الاهتمام . فقد استطاع رسل باشا وزملاؤه أن يكشفوا عن خطوط مواصلات خفية تربط بين كبار تجار المواد المخدرة فى الاسكندرية ولندن ومصانع هذه المواد فى اوربا الوسطى . وقد وجهت الآن العناية الى محاربة المصانع الكيماوية التى تنتج من هذه المواد أكثر مما يجب اذ لا فائدة من الاقتصار على مقاومة الموزعين والتجار وترك المصانع وشأنها مادام مصنع واحد فى الازاس يمكنه أن يستحضر من الهروين فى كل عام أكثر من ضعف ما يلزم العالم منه للاغراض المشروعة فقد يتسنى لتجار المخدرات أرباب الأموال الطائلة أن يشتروا كل ما ينتجه ذلك المصنع وفى تقرير رسل باشا معاومات مختصرة وافية للجنة عصابة الأمم للنظر فى خطط فعالة لتحديد منتجات المعامل من هذه المواد طبقا للمقتضيات الطبية ولكن مادام العالم يزيد من زرع القنب وشجر الكوكا أكثر مما تتطلبه الحاجات الطبية لابد أن يستمر صنع المواد المخدرة وتجارها المحرمة . ثم أن تدخين الأفيون واصله فى الشرق الأقصى يجعل الآن تحديد محصره تحديدا دقيقا غير ممكن عمليا ولكن ربما تسنى ذلك فى المستقبل اهـ

﴿ تذكرة ﴾

(في صباح يوم الخميس ١٧ يوليو سنة ١٩٣٠)

تأمل أيها الذكي هذه الصورة واعجب لايتنا التي نحن بصددھا - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الخ
واذ كر قوله تعالى - فسكبكبوا فيها هم والغاؤون و جنود ابليس أجمعون - وقوله تعالى - لأملأن جهنم
منك ومن تبعك منهم أجمعين -

أتدري ما سبب هذا كله ؟ سببه الجهل ، لولا الجهل ما تعاطى هؤلاء المخدرات القاتلات ، وما هؤلاء
المرسومون المساكين الذين أغراهم زبانية جهنم من الاورو بين الذين يسعون لاهلاك الشرقيين احتقارا
لهقولهم واستصغارا لشأنهم وقياماً بحق الاهلاك الذي سنته شرائعهم التي اتفقوا فيها بينهم عليها منذ أيام الحروب
الصليبية ومن قبل ذلك في الحروب الأندلسية ، ذلك أنهم رأوا في أمة العرب قوة شكيمة فهرعوا الى الخديعة
والغدر وأجمعوا أمرهم بينهم أن لا يحاربوهم إلا بالعادات وادخال الغفلات عليهم ، وعاهدوهم على أن يكون
التعليم حراً والتجارة كذلك ، هنالك قام رجل يقال له (ابن مصعب) فنادى في قومه قائلاً : « أيها القوم :
سيأتي يوم ينسى أبناء العرب مجد آبائهم بما يقرؤون في كتب الاورو بين ويتنعمون وينغمسون في الشهوات
ويسرفون في الماء كل والمشارب ويحرقون دينهم ثم يتفرقون شيئا ويدق بعضهم بأس بعض . فقالوا :
أنت رجل قصير النظر لا تعرف في السياسة شيئاً »

هنالك أقاموا الأفراح شهرين بعد هذه المعاهدة ورئيس الأمراء يومئذ (ابن عباد) ولبعض الملوك
الاسلاميين جيوش نهال خيلهم من ذهب ، ولقد صدقت فراسة (ابن مصعب) وحق القول على المسلمين في
الجزيرة (اقرأ هذا الموضوع في عادة الأندلس) وصار الشاب يلبس الحرير ويتختم بالذهب واستدانوا من
الفرنجة بالربا وشربوا الخمر نهاراً جهاراً واذموا العرب وأخلاق العرب وتاريخ العرب وعكفوا على الشر وتركوا
الصلاة وتبعوا الشهوات فلقوا غياً

هنالك ذهبت الحية وافترقوا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض وتفرقوا عشرين دولة وهم صاغرون ،
ثم هلكوا ومن بقي منهم تنصروا ومنهم من غرق ومنهم من طرد الى فرنسا ومنهم من سار الى بلاد صراكش
وما والاها ولله الأمر من قبل ومن بعد

وهذه النظرية التي فعلوها في الأندلس هاهم أولاء يفعلونها في بلاد الاسلام الآن ، فانظر كيف ضحكوا
على أذقاننا وأدخلوا السم بلادنا جرياً على أخلاق المسيح الدجال . دخلوا متظاهرين باسم رقينا واسعادنا ودرسوا
السم في السم . فأما المتعلمون منا فعلموهم قشور وفضلات ، والدليل على ذلك أنهم لا يعرفون من علومهم
إلا أن ينطقوا بالفرنسية مثلاً أو الانجليزية . ويظن أكثرهم أنهم بسبب هاتين اللغتين أو بعض العلوم الأدبية
قد ألبوا بعلم الغربيين وجهلوا أنهم أصبحوا مغموين في مخازي سفاهتهم وشرور جهالهم واندمجوا في
هماتهم فطاحت القومية وضاعت لتفرق الأهواء . وتحاذل سفهاء الرؤساء سعيهم وراء الشهوات التي اتبعوها
باغراء القوم وازدراء للاوطان والأديان الشرقية تقليداً لأولئك الاورو بين فهم لا يلبسون إلا من مصانعهم
ولا يفاضلون إلا النساء ولا ينامون إلا في فنادقهم ولا يتعاطون مشروباً ولا مأماً كولا إلا من أيدي فنادقهم
والمنازل المعدة للشرب والطعام . فما أشبه الليلة بالبارحة

لقد ذكرت في الأجزاء السابقة قصة ذلك الراهب الاسباني في قرطبة الذي اشترى عنب قرطبة كلها
وعصره وقال أنا لا أعطيه إلا لأبنائي وأحبائي تلاميذ المدارس المسلمين وهذه أر بعامة سنة والغفلة مستحكمة
ولم يظهر في أم الاسلام عقول رابحة تفهم العامة ما حاق بهم من النل والظوان والجهالة واني لم أجد رجلاً في

الشرق استيقظ لذلك إلا نافذة الهند وهو غاندى فنه حرم الملابس الفرنجية والخمر وكان الأجدر بهذا أمم الاسلام إذن ليس هؤلاء المرسومون في الصورة المتقدمة المخدّرين وحدهم . كلا . فأمم الاسلام اليوم في بلادنا مخدّرة لأن التخدير على قسمين : تخدير ظاهر وهو ما رأيت ، وتخدير باطن وهو تخدير المتعلمين والأغنياء وأرباب الجاه ، أولئك الذين يعيشون ويموتون ولا هم يدركون فلا يعقلون ما يراد بهم ، إن جميع أنواع التجارة الأوروبية من باب التخدير ، يجب أن يجتد أهل الشرق في المصانع والمعامل والمناسج والمزارع والتجارة حتى يضارعوا أهل الغرب في كل فرع من فروع الحياة والا فهم مخدّرون وصدق فيهم قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - وحشرهم في الآخرة قد ظهرت بوادره في الدنيا بأمثال هذه الصورة وباشترائك سكان شمال افريقيا من مصر الى مرا كشي وسكان بعض الشرق الأدنى من أهل الشام والعراق والموصل في الاستعباد للأمم الأوروبية لغفلة العلماء والأمرء السابقين بسبب استحكام الجهالة ، فنئن رأينا المرسومين في هذه الصورة السابقة مسوقين الى المحاكمة عند الحكومة المصرية لينزجوههم في السجون لغرين هذه الأمم العربية في شمال افريقيا وغرب آسيا مسوقين لسجن الاحتلال والاستعباد واذلال أهل أوروبا يرسفون في القيود وهم لا يعلمون

ومن رعى غنما في أرض مسبعة « ونام عنها تولى رعيها الأسد

اللهم إن هذه هي نفسها صفة المسيح الدجال ، إذن المسيح الدجال المذكور في الأحاديث الآتي في آخر الزمان له أمثال وأشباه هؤلاء المسيحيون الدجالون يطلق عليهم المسيح الدجال من باب الكناية لأن الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه فليس المسيح الدجال الذي في الأحاديث على معناه الظاهري ولكن المقصود هنا في زماننا هو المعنى الكنائى كما ذكره الامام الغزالي في حديث « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة » فقال هذا الحديث باق على معناه وهذا لا يمنع من المعنى الكنائى وهو ان الذين امتلأت قلوبهم بالشهوات المرموز لها بالصورة أو بالقوة الغضبية المرموز لها بالكلب لا تتصل الملائكة بقلوبهم فهم أبعد الناس عن العلم فهكذا هنا فليبق الدجال على معناه الظاهري ولكنه يرمز الى مانحن فيه الآن ، إن المسلمين اليوم دخل عليهم هؤلاء المسيحيون الدجالون فأعموهم عن الحقائق وصاروا جهالا فغمسوههم في الشهوات واللذات والجهالات ففادت النفوس ، بل أكثر هذا النوع الانسانى اليوم مخدّر مخمور كهؤلاء الذين في هذه الصورة فهم يأكلون ولا يعقلون كيف يأكلون ، انظر الى ما تقدم في سورة طه وسورة الشعراء وأول سورة الحجر وفي سورة البقرة عند آية - أن تبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - ففي تلك المواضع وضح ما يقوله الأطباء في زماننا فى الذى يجب أن نأكله وفي أنواع المداواة ، ثم انظر الى ما يأتى فى ﴿ سورة ص ﴾ عند آية - يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض - وكيف تسمع أفلاطون حاكيا عن سقراط فى الجمهورية وهو يخاطب غلوكون إذ يذم أبناء الجمهورية الذين يعيشون عبثة الترف وأن ذلك مضعف للأجسام مضيع للعقول ، وكيف تدهش حين تسمع منه هذا الأسر العجيب الغريب وهو أن هناك علاقة تامة وصلة ثابتة بين القضاة والأطباء وبين الماء والماغنى ، وأن الناس كلما أكثروا من ألوان الطعام ولم يكتفوا بالبسائط من الأطعمة كثرت عندهم الأمراض فاحتاجوا الى الأطباء ، وأن المغانى وان كانت ملطفات لأمرجة الجيوش الذين يزاولون الأعمال الرياضية (بالجناسك) لا يجوز التفتن فيها لأن ذلك يورث الفسوق والعصيان وذلك من موجبات الوقوف أمام القضاة فوجب أن تكون المغانى بسيطة وكذلك آلات الطرب وكذلك الماء كل ، وعار على أبناء الجمهورية أن يحتاجوا الى الأطباء إلا نادرا ولا الى قضاء إلا فى أمور خاصة ، وأخذ يحقر من يفتخر بأنه قد غلب خصومه بالحجة أمام القضاة قائلا : « إن الحياة السهلة التى خلت من القضايا ومن المشاغبات هى الحياة التى تليق بالانسان »

إذن المخترون المرسومون في الصورة لهم اخوان كثيرون لم يرسموا وهم أ كثر المتعاسين نصف تعليم من الذين درسوا في المدارس النظامية ومن الأغنياء في ديار الاسلام ومن رجال السياسة ، فهم قد زجوا في نارين : نار تقليد الفرنجة وشراء بضائهم ونار الجهل في الماء كل التي توقع كثيرا منهم في المرض مع الشهوات الأخرى ككالطمع والحرص والحسد الموقعات في المشاحنات واقامة القضايا أمام القضاة ، فلئن حشر هؤلاء المخترون في السجون المصرية كما سيحشرون يوم القيامة معا هكذا حشر أولئك المتعلمون والأغنياء من أبناء العرب ونحوهم في شمال افريقيا والشرق الأدنى في حظيرة الاستعباد كما سيحشرون يوم القيامة في الدرجة التي كانوا عليها في الدنيا معا

هناك سألتني صاحبي قائلا : علام هذه الضجة كلها ، ألسنا الان في تفسير القرآن ؟ قلت بلى . قال : وهل هذا كله ينطبق على - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الخ مع انها لم ترد إلا في الكفار يوم القيامة وأنت صبت كلامك كله على المساكين في الحياة الدنيا . فأين الآية وأين ما ذكرته أنت . إن من يقرأ هذا يقول إنك أنت لك قصد تقوله فأنت به تبع الآية والا فالآية بريئة منه . فقلت له : هو تفسير للآية حقا وصدقا ومأمثلى في هذا إلا كمثله عمر رضى الله عنه في قصة الربيع بن زياد المذكورة في ثانيا هذا التفسير إذ كان أميرا من أصراء البحرين تحت رئاسة أبي موسى الأشعري إذ كتب له عمر احضرائك ومن معك فحضروا جميعا ووكالوا بدلم من يقوم بالحكم مدة غيابهم ، واحتمل الربيع الذي هو أحد الأصراء أن يفعل ما يرضى أمير المؤمنين بإشارة غلام عمر المسمى (يرفأ) بأن اتخذ نهالا مطارقة أى ذات رقاع من جلد غير منتظمة ولبس أهداما بالية وأجاع بطنه يومين كاملين حتى يقدر أن يأكل طعام أمير المؤمنين الخشن وهذا الأمير ومن معه ماتعقدوا الطعام الخشن ، فلما أن مدت المائدة لم يكن في الأصراء من كان أسرع إليها من الربيع أشدة جوعه فأعجب به عمر رضى الله تعالى عنه فأخذ يحادثه دون رفاقه فسأله الربيع يا أمير المؤمنين هل لك أن تتخذ طعاما ألين من هذا فزجره عمر وقال ماذا تقول ؟ فقال لو أنك أمرت أن يكون خبزك في يوم الأكل لكان أسهل لك فقال له أعلى هذا غرت (بضم أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه) أى أنت تريد هذا ، ثم استرسل معه فقال : يا ربيع لو شئت لمأت هذه الرحاب صلائق وسبائك وصنابا ولكنى سمعت الله يعير قوما إذ يقول - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - والمراد بالصناب ككتاب الزبيب المصنوع مع الخردل ليقوى شهوة الطعام التي تمها أطباء العصر الحاضر ، والمراد بالصلائق أنواع اللحوم والسبائك ما يصنع من الدقيق الناعم الأبيض الذي استنكره أطباء زماننا ، إن هذه الآية وردت في الكفار ولكن عقول الصحابة وآراءهم لم تكن كهقولنا وآرائنا فهو أدرك المقصود من الآية وهو أن الذين ينهمكون في الشهوات يعاقبون لأن الانهماك نفسه سبب للنتيجة لافرق بين مسلم وكافر فلذلك قرأ الآية ولم ينسكرك عليه أحد والعلماء المتأخرون يقولون في مثل هذا انه اعتبار بما في الآية فأنا أقول : الذين ظلموا وأشباههم يحشرون في جهنم . فأنا إما أن أفهم كفهم عمر رضى الله عنه ويكون كل هذا دخلا في معنى الآية وان وردت في الكفار ، وإما أن يكون ذلك أمرا راجعا للاعتبار بالآية كما يقوله علماء الاصول وكلامنا هنا كلام علمي تاريخي لامناقض ينقضه . نعم الجهل هو الذى ينقضه والجهل شؤم كله . فأنا إذن فسرت الآية إما تفسيرا أصليا على طريقة عمر أو تفسيرا بالاعتبار على طريق المتأخرين والحمد لله رب العالمين

واعلم انه لولا ضيق المقام هنا لذكرت لك أيها الذكي هنا قولاً جامعاً في حبس الناس في عاداتهم وأخلاقهم وأحوالهم لمناسبة صور أولئك المدمنين على المخدرات ولكن اقرأه في (سورة ق) عند آية - يوم نقول

لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد - فهناك ستسمع حديث السكير الذي ملكته الجرة فؤاده فلم يقدر على التخلص منها والحديث المبكى المذكور في الجرائد المصرية وبين الحديثين أربعون سنة والحديث الثاني حديث من وقع في المختبرات المذكورة هنا وكان تلميذا في الابتدائي . فهناك وصف محزن لهذه الطائفة التي ابتليت بشم الكوكابين الذي جلبته أوروبا لنا لاهلاكنا . وهناك تبيان واسع لبيان أن هذه أمثال سابقها الله لنا واضحة تدل على ما عند هذا الانسان من العادات الموروثة والشهوات التي حصرت في أحوال خاصة منعه من الخروج منها مما يدل على أن حياتنا الدنيا في صورتها أشبه بمصفرجهنم فالتاس يريدون أن يخرجوا من شهواتهم ومن عاداتهم ولكنهم لا يقدرون كما هي الحال في أهل جهنم والحمد لله على ما علم ولا الشكر على ما ألهم

﴿ جوهره في قوله تعالى - وقفوهم انهم مسئولون ﴾ مالم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون - ﴿ جاء في الحديث أن ابن آدم لا تزول قدمه من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن شبابه فيم أبلاه ، وعن عمره فيم أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقته ، وماذا عمل فيما علم اعلم أي أيتها الأمم الإسلامية أن سؤال الآخرة ووقوفنا بين يدي الله تعالى له مقدمات ظاهرات في الدنيا خافيات ، فنحن في تعاطي الطعام مسئولون وإن كنا به جاهلين كما أنا مسئولون في نظام مدتنا وفي افاضة الخير على غيرنا وإن كنا غافلين ، لا عذر للجاهلين في الدنيا ، ولو كان الجهل عذرا لم نرا الذين يسرفون في طعامهم وشراهم تنتابهم الأمراض والأولئك المسرفون في أموالهم ترهقهم الديون ولا السكالي والمترفون يغشاهم الفقر ولا الذين يتعاطون المختبرات في بؤس وعذاب مهين في هذه الحياة وعذابهم لازم كأنهم يشربون شرب الهيم ، ولا الأمم الشرقية التي غفلت عن العالم والصناعات قد ملك زمامها الأوروبيون - وقفوهم انهم مسئولون * مالم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون -

أنتم مسئولون عن صغيرات الأمور وكبيراتها في الآخرة كما أنكم مسئولون في الدنيا . هاأنذا في مصر بلادى أرى جهالة شائعة وأعمالا فاسدة وتقاليد مظلمة والناس بها مقتونون ، اهدموا التقاليد وأزياوا الحجب وأميطوا الأذى من طرق الإصلاح ، أمرني شوارع القاهرة فأرى شبانا وزهرات الجيل الحاضر محشورين زمرا زمرا في مشارب القهوة يتعاطون أنواع المشروبات وهم يقرؤون علم الطب في الكتب ونظام السياسة في الجرائد ولكن أكثرهم لا يعلمون

التجارة في يد الأجنبي وهو الذي يدير تلك الحال ويستنزف الثروة ويضيع شباب شبانا ويفتح لهم باب الشهوات فتقل الأمانات ولهم امتيازات وتفضل على الوطني نالوه قديما ونحن ناثمون منذ نحو (٧٠٠) سنة اجتمع أساطين الأمم المسيحية مع البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا وقالوا « لاطاقة لنا اليوم بحرب هؤلاء العرب بالأندلس فلنعاهدهم على حرية التجارة والدين والتعليم ، وهؤلاء سليمان القلوب فلندخل عليهم ما نشاء من التعاليم » فاجتمعوا وعاهدوا ملوك الأندلس تحت رئاسة ابن عباد وتم ذلك والقوم كانوا عن الحقائق معرضين فأيقظهم رجل منهم يسمى ابن مصعب فتولوا عنه مدبرين ، شربت الخمر في الأندلس ، زال البأس والشهامة والنخوة ، تباهى الشبان والشابات بالفسوق وعدوا ذلك مدنية حديثة ، عصر راهب اسباني عنب قرطبة كله خرا حبا في أحبابه وهم تلاميذ المسامين ، تقهقرت الأخلاق ، طاحت الأنساب ، ذات الأعقاب ، زلت الأقدام . هلك الجيش ، زالت العروش ، طردوا من بقي من البلاد وهم محقورون مرذولون منبذون - وقفوهم انهم مسئولون * مالم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون -

زالت الأندلس ولم يبق منها إلا الذكرى ، إن الذكرى تنفع المؤمنين وقفوهم انهم مسئولون ، لم يعتبر

أبناء العرب بما حلّ باخوانهم ، جهلوا أصلهم ، حقت عليهم كلمة ربهم ، ساء مصيرهم . وقفوهم انهم مسؤولون
نبغت أحم ودول في أوروبا ساروا سراسبانيا ، دخلوا شمال إفريقيا من تونس والجزائر ومراكش ومصر
والعراق والشام ، بماذا دخلوا ؟ بنفس الدرس والاسلوب الذي أسسه البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا
فتحوا لهم أبواب الشهوات ، زجّوهم في محال القهوات . استهويهم بالفادات الحسان . شغلواهم بالعبادات
بغضوهم في العبادات وفي كل ما هو شرقي . سقوهم خمرهم . وأجلسوهم في أماكنهم . أخذوا نقودهم .
حقروا لهم دينهم وأصلهم وما كانهم وملابسهم ومشاربهم وسيرآبائهم . مقتوهم . كرهوهم . وقفوهم انهم
مسؤولون . وهم يتبرّؤون منهم ويقولون - وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين -
ذلّ المصري والمراكشي والجزائري والتونسي وأقفلت الطليان زوايا السنوسيين في طرابلس وتمزقت
وحدة السوري لأن هذه الأمم متفرقون وأصراؤهم السابقون وعلمائهم وصلحاءهم لم يكونوا يتواصلون
وكل حزب بما لديهم فرحون . فذلت الأعقاب وأهينت الأنساب وحلّ البطش وتفرّق الجمع - وقفوهم انهم
مسؤولون - ما لكم لا تنصرون - بل هم اليوم مستسلمون -

ذلّ الجمع . واتسع الصدع . وفق الرقي . وقلّ الجند . وذهب المجد وزال الجد (١) وقلّ الجد (٢) والمسلمون نائمون
- وقفوهم انهم مسؤولون -

بقيت امتيازات الأجانب في البلاد لجهاثهم لأن تجارتهم رابحة وأعمالهم رابحة . ربطت العادات على
قلوب الشبان فهم في تلك الأماكن يكرعون . ومن ما كانهم يتغذون . فتوطدت الامتيازات وبقي الذلّ
- وقفوهم انهم مسؤولون -

استيقظ بعض الأمم الشرقية كأهل الهند فذهوا الملابس الأجنبية وحاربوا الخمر لأن الأميرين بابان للفن
وخراب الأسرة وضياع المال وبقاء الاستعمار ولكن في بلادنا وأمثالها لا سمح ولا حجب - وقفوهم
انهم مسؤولون -

وينشأ ناشئ الشبان منا - على ما كان عوده أبوه

اعتاد الناس تعاظم الدخان وتغالوا في شرب الخمر وأتبع ذلك الشاي وغيره ومخدرات وسموم والناس
ساهون لاهون والفرنجة هم المضاون والمسلمون مهملون - وقفوهم انهم مسؤولون -

ليحترّم علماء الاسلام أن تفضى تلك الأماكن أما كن الفرنجة التي تخالف الصحة في هواها الفاسد بكثرة
الأنفاس وأنواع الشراب وهكذا يتناوب الكوب الواحد في اليوم عشرات الشاربين . ويتعاطون الدخان
والقهوة والخمر . ولقد أصدر الأطباء حكمهم على هذه لاسيما أطباء أمريكا وتقدم نقل ذلك في سورة البقرة
عند آية الخمر ولكن أكثر المسلمين جاهلون - وقفوهم انهم مسؤولون -

تفرّقت القلوب شيئا في بلادنا وذائق بعضهم بأس بعض - وبأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى -
حرصا على المال وغراما بالشهوات فلك الأجنبي رذل الوطني وعسى أن يزول ذلك قريبا - وقفوهم انهم مسؤولون -
بعض الصوفية يسيطرون على العقول وهم أنفسهم جاهلون فلا الرياضيات درسوا ولا الطبيعيات تعلموا
ولا الإلهيات فهموا - وقفوهم انهم مسؤولون -

قلت الصناعات وطاحت التجارات في البلاد وخت الديار وضاق الخناق وتفرّقت الأهواء وكثر
المراء وظهر الجدل واضمححل العلم والدين ولا مغيث ولا معين - وقفوهم انهم مسؤولون -

ما ملك الفرنجة ولا أبقاهم في بلادنا إلا طموح الأفراد للشهوات السافلة في محالهم واقتنائهم بصناعاتهم
ولو أن الشعب عرف الحقيقة وتخلّى عنهم لخرجوا من البلاد وهم مسرعون ولكن المسلمين ساهون لاهون

- وقفوهم انهم مسؤولون -

أجسام الشرقيين قوية ، وعقولهم صحيحة ، وأنسابهم رفيعة ، الدين من بلادهم ظهر ، وكل نبي فهو من الشرق باصطفاء الله نابت ، عرفت أوروبا قدر الشرقيين خافوا بأسهم ، حذروا أن يقرؤا علومهم - ويصرفوا صناعاتهم فيردوا كيدهم في نحرهم فشغلواهم بالشهوات ، وأفشوا بينهم العداوات ، إنهم باتباعهم فرحون ، وعن تعليمهم قاصرون ، واقتصر علماء الدين نحو ألف سنة على فروع النقص ، ونسوا أكثر ما ذكره في القرآن ونسوا آيات الله في الأكوان في الأرض والسموات فأقفوا باب علوم القرآن - وقفوهم انهم مسؤولون -

اتحد الأطباء في اليابان وأمريكا وأوروبا على تحليل الأطعمة . أيها أصلح لنوع الانسان وأيها أضرت ؟ فأجمعوا في هذه الأيام على أن ما أنضجته النار قليل النفع وما يتعاطى بالطبخ ينفع الأجسام وينفع الأمراض ويحفظ العقول ورجعوا بالناس الى آدم وحواء قبل الأكل من الشجرة ، ولكن المسلمين قلّ فيهم الأطباء فلم يدلوا دولهم في الدلاء لأن المسلمين لا يعلمون - وقفوهم انهم مسؤولون -

درس الأطباء في العالم أيضا نظام الملابس والهواء والماء والفضاء فأجمعوا أن تعرض الأجسام للشمس نهارا كما يعرضها الحاج في عرقة والحياة الخلوية في الهواء الطلق منعشة للأبدان مقوية للعقول قاتلة لسكل مرض ولكل (مكروب) حيوان ذرّي ولكن هؤلاء الأطباء في المسلمين يقولون لأن أكثر المسلمين لا يعلمون - وقفوهم انهم مسؤولون -

درسوا أيضا فوائد الرياضات البدنية وتقوية الأعضاء بالأعمال الزراعية والمشي في الخلاء ودوام الحركة وحققوا أوقات النوم واليقظة كما فعل ذلك كله من قبل علماء الطب كابن سينا في كتاب القانون إذ رأيت ذكر جميع أنواع القرينات بأوسع مما ذكره الفرنجة ، ولكن المسلمين المتأخرين هم النائمون وان قرأ بعضهم الطب وملاحقته فأنما هم للفرنجة مقادرون - وقفوهم انهم مسؤولون -

رأوا في جزيرة العرب أمراء وملوكا يحكمون إنما لاتزال على فطرتها وعقولا قوية ونفوسا شريفة تستعد لأرفع المدنيات ، وتصلح لأقوم سبل الخيرات . فهاهم الآن يريدون أن يجعلوا بأسهم بينهم شديدا ليصرفوهم عن العلم الى الحرب . فالدرس الذي تعلموه من قدماء الاسبانين لا يزالون له حافظين ولكن المسلمين عن ذلك ذاهلون - وقفوهم انهم مسؤولون -

اللهم إني أكتب هذا وأنا أعلم انك سألني عن كل ما علمته من النقص في أمم الاسلام ولقد سهلت لي سبيل العلم والنشر فأنا مسؤول وكل تقصير يقع مني في تلك السبيل أعتقد اني عنه مسؤول والجزاء عليه في الدنيا بالحرمان وفي الآخرة بالعذاب يوم أقف بين يديك ويقف المسلمون والخلائق أجمعون - وقفوهم انهم مسؤولون -

المسيح مسيحيان : مسيح صادق . ومسيح كاذب . فالمسيح الصادق هو ابن مريم ويشا كله في الصدق أناس وأم في أزمان مضت في دهر الدهارير . وأما المسيح الكاذب وهو الدجال فله أمثال وأشكال وجيوش مستعدة في جميع الأمم شرقا وغربا وهم السكذابون الخائنون من أهل السياسة وغيرهم وعلى قدر غفلة المسلمين بالجهل سلط الله هؤلاء عليهم . وهم أصحاب السيف والنار والمدافع والغازات هكذا هم أصحاب الوظائف وتولية الأمر والوزراء واباحة الشهوات واكثرها في البلاد سرا فتكون الشهوات مقصودة مرغوبة فنارهم من اصطلاحها نال جنة الاستقلال وجنتهم الشهوية من المطاعم والملابس والاعتزاز بالوظائف والامارة من دخلها لم يفلت منها وتنقلب عليهم نارا حامية فكأنها شراب الخمر والمخدرات يذل شاربه وهو لا يقدر على الفرار منه وهذه الطوائف في نارهم يحترقون - وقفوهم انهم مسؤولون -

أيها المتعلمون : أيها الأصمراء . أيها الماوك في الاسلام : افشوا الصناعات والعلوم وعمموا تعليمها وزنوا العقول بالقسطاس المستقيم امتحاناً في المدارس وضعوا كل امرئ فيمادل عليه استعداداً من زراعة في الحقول أو صناعة في المدن أو سياسة أو علم ، فلكل امرئ شأن واستعداد يخصه والمسلمون لذلك تاركون - وقفوهم انهم مسؤولون -

استخرجوا كل قوة من قوى أفراد الشعب ، لاتضيعوا استعداد النفوس التي خلقها الله لكم ولا تذروا حقلاً ولا سهلاً ولا جبلاً ولا نهراً إلا بحثتموه وعرفتم طرق الانتفاع به ، ولا يتسنى لكم ذلك إلا بتعليم طائفة من الشبان الأذكياء العلوم المختلفة لآظهار منافع ما تملكون وتذكروا - وقفوهم انهم مسؤولون -
اللهم إني نصحت وبذات طاقتي في إيقاظ هذه الأمة وهذا جوابي يوم أسمع النداء - وقفوهم انهم مسؤولون * ما لكم لاتناصرون * بل هم اليوم مستسلمون - وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثالثة . كتب في مدينة حلوان يوم الجمعة بعد العصر ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٠ والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - إني كان لي قرين -)

لقد تقدم في ﴿سورة سبأ﴾ عند قوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ كيف كان الاتباع والتقليد الأعمى في الأمور الاعتقادية وسير الناس وراء القادة والرؤساء بلا عقل ولا هدى ولا كتاب منير أوقع الأمم الإسلامية في الجهل قروناً وقروناً وأفضت هناك في الكلام على محمد بن تومرت وملخص تاريخه وأنه أسس دولة واستقل بها إزالة للظلم وإقامة للعدل ولكن جعل نفسه معصوماً إلى آخر ما تقدم هناك ، وقد أبنت أن مثل هذا لا يدوم نفعه وإنما دوام النفع بتعميم التعليم للذكور والإناث ، فأما هنا فإن القرين لم يتبع قرينه بل فكر واستبصر وعرف سبيل الهدى ولم يكن إمعة كالعادة تسير وراء قائدها فلذلك أخذ يقول : - إني كان لي قرين * يقول أنك لمن المصدقين - الخ

ومن عجب أمر القرآن جاء في ﴿سورة سبأ﴾ بالمحاوراة بين الرؤساء والمرؤسين وكل يوقع اللوم على الآخر بعد وقوع العذاب فأما هنا فكأنه يشير إلى أن الناس قد احتسروا مما وقع فيه المقلدون بلا عقل فلذلك نرى القرين لا يتبع إلا الحق ولا يتبع قرينه فلذلك يقول الله هنا - تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين - بدل أن يقول هناك - لولا أنتم لكننا مؤمنين - الخ فهذه المحاوراة لعاقلاً أراد صاحبها اضلاله فلم يعبأ به واتبع عقله وهذه خصلة أمة الاسلام في مستقبل الزمان يتعلمون ولا يتفردون تابعين في ذلك أهواء الرؤساء المضلين والشيوخ الجاهلين بل هم أنفسهم متى تعلموا أدركوا أن أمة الاسلام لا تعيش بالافتراق الذي جناه عليهم الرؤساء وإنما تعيش بالوئام والمحبة العامة وقطع دابر التخاذل والتنايذ والخصام واذن يقول المسلم لمن كاد يضل - تالله إن كدت لتردين - . أكتب هذا على أنه تنظير لا أنه نفس معنى الآية بل هو أهم مقصود القرآن

هذا وليعلم المسلمون في أقطار الأرض أن الآراء التي يتلقاها الناس كبرا عن كابر قد تكون مدخولة مضلة وإن كان الناس لا يعلمون :

(١) مثال ذلك مسألة النيازك وهي الصخور المعدنية (وأكثرها حديد ونيكل) التي تسقط على الأرض من السماء آتية من اجرام سماوية أخرى . ففي أواخر القرن الثامن عشر أظهر بعض العلماء بناء على مشاهدات حقة أن هناك كتلاً معدنية صخرية مختلفة في الحجم وفي الثقل تسقط على الأرض من بعض الكواكب فقابل

أغلب العلماء هذا الاكتشاف بالعداء والسخرية وانفرد من بين هؤلاء العلامة الأشهر لافوازييه (واضع أصول الكيمياء الحديثة) فطعن أشد الطعن على هذا الاكتشاف الجديد مستندا على قانون الجاذبية العام قائلا بأن كل جرم سماوي يجذب أجزاءه اليه وأنه من المستحيل أن تسقط صخور من السماء على الأرض وقدم تقريراً جازماً إلى مجمع العلوم بباريس ساخر فيه من هؤلاء العلماء الذين ساقهم عقلهم إلى الشك في قانون الجاذبية هذا الشك الفاضح . ثم صرحت الاعوام وظهر من تكرار المشاهدات أن لافوازييه كان خاطئاً وأن النيازك حقيقة لا شك فيها وأنها تسقط من الكواكب على الأرض رغماً عن سيطرة الجاذبية

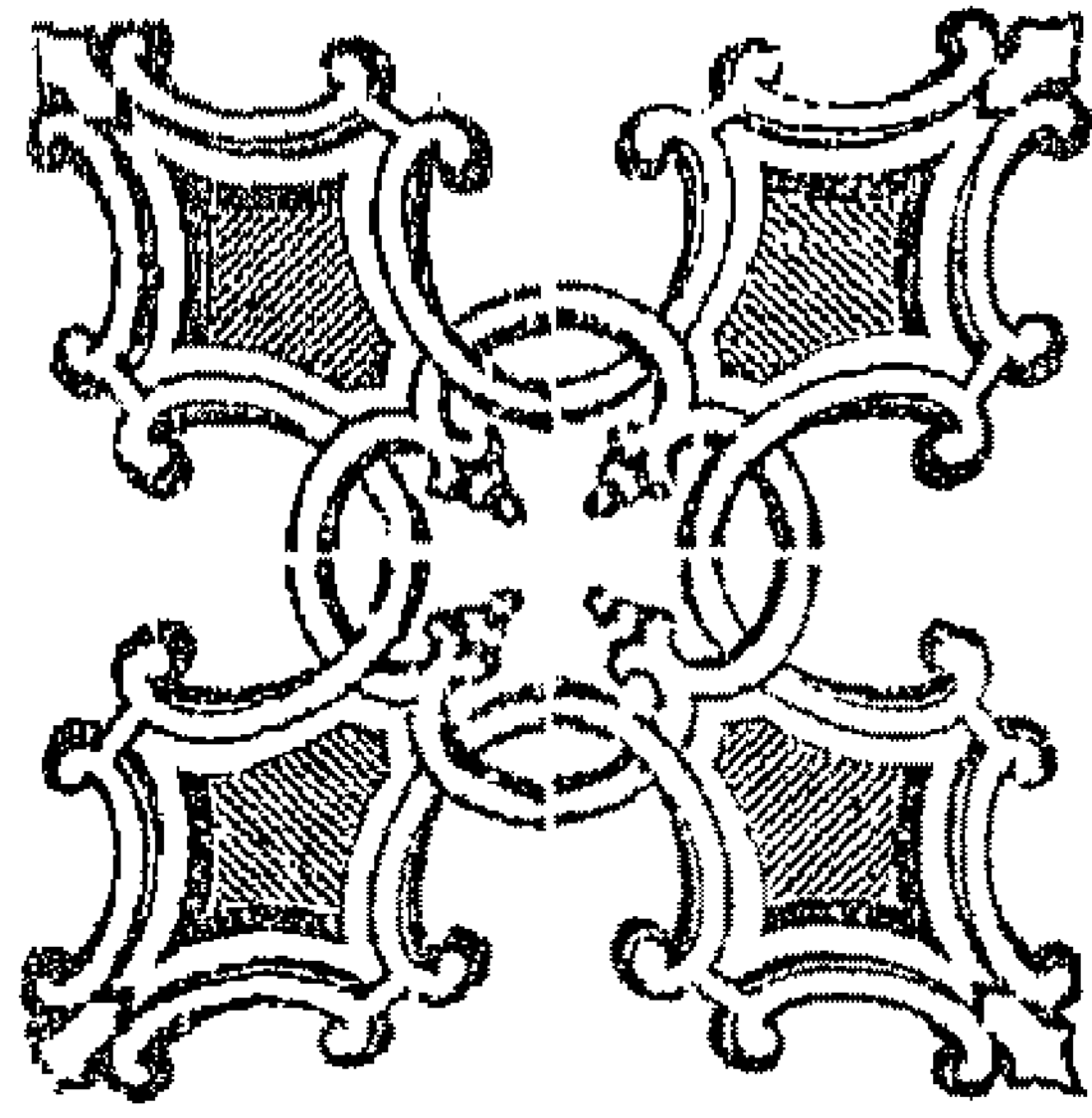
(٢) وهناك مسألة أخرى خاصة بالكائنات البحرية وتتلخص في أنه كان من البديهي عند العلماء في النصف الأول من القرن التاسع عشر أنه لا يوجد أثر للكائنات تحت عمق أربع مائة متر في البحر الملح وذلك لأن الضوء لا يصل إلى هذا العمق وأن الضغط على جسمها يبالغ عند هذا العمق عشرات أضعاف الضغط الجوي وأنها لا يمكنها أن تعيش مطلقاً تحت هذا الضغط . فن البديهي إذن أن لا يوجد كائنات حية تحت هذا العمق . ولا يخفى أن هذه البرهنة واضحة بسيطة متماسكة منطقياً فكان من المعقول أن يكتفى بها العلماء وأن يطمئنوا إلى حقيقتها ولكن أظهرت الأبحاث التالية في صيد الحيوانات البحرية على أعماق مختلفة وذلك بالآلات صيد خاصة تدل بالضغط على العمق الذي أخذت فيه هذه الحيوانات من أن هناك كائنات حية متعددة ومتنوعة من أسماك وقشريات ونجميات على أعماق بعيدة يصل بعضها إلى سبعة آلاف متر أو أكثر . وأن هذه الكائنات تتحمل ضغطاً يقدر بسبع مائة ضغط جوى وإنما رغماً عما كان ينتظر منطقياً منها تحية بدروع صلابة تجعل أعضائها الداخلية في مأمن من العطب بل إن أغلب هذه الحيوانات هي على الضد من ذلك طرية اللبس والجدار كبعض مثيلاتها في المياه السطحية والعقل يحار أمام السر الذي تخفيه هذه الحيوانات في تحمل هذا الضغط العظيم . ولما تكرر صيد الأعماق البحرية ثبتت هذه الحقيقة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لا شك فيها الآن ودخلت في مجال العلم رغماً عن مخالفتها للنطق الذي استندت عليه الآراء القديمة

(٣) ولما ظهر دارون بكتابه «أصل الأنواع» قامت القيامة في وجهه وانتقده العلماء وسخروا به لأن آراءه الجديدة كانت مخالفة لما تهوّدوه من التفكير ولكن لم يلبث أن خضع له الكثيرون ممن كانوا لا يؤمنون به . وإن كانت آراء دارون الأصلية قد تشقت كثير منها في مهب الريح إلا أن أثرها في تطور الأبحاث العلمية لا شك فيه ومركزها في تاريخ العلم مركز عتيق

(٤) وكذلك لما قام العلامة باستور بأبحاثه المعروفة في الميكروبات وأظهر لعالم الطب الدهش أن كثيراً من الأمراض سببها تكاثر ميكروبات خاصة في عضو من أعضاء الإنسان أو الحيوان وأنه من الممكن زرع هذا الميكروب في سوائل خاصة واحداث المرض نفسه في حيوان سليم . لما فعل باستور ذلك قامت قيامة علماء الطب عليه وصاروا يطعنون أشد الطعن في هذه الآراء الجديدة ولكن كل هذا العداء من جانب علماء ذاك العصر لم يمنع نظرية الأمراض الميكروبية من التقدم والتحسين حتى أصبحت الأصل للجراحة والطب الحديثين

(٥) ولما أظهر باستور بواسطة لتجارب المتقنة المحكمة أن الكائن الحي لا يتكوّن إلا من كائن حي سابق وأنه من المستحيل أن تتكوّن الحياة في سائل عضوي معقم تعقماً كافياً أي أن نظرية التولد الذاتي مستحيلة التحقق وكانت هذه النظرية شائعة كل الشيوع بين علماء ذاك الوقت . لما اثبت باستور ذلك احتج عليه العلماء من كل صوب مخطئين كل التجارب مستندين إلى ما تهوّدوا ووثيقته وكل هذه الضجة الهائلة لم تمنع آراء باستور من الانتصار

(٩) واقد شاعت نظرية دوران الشمس حول الأرض ولكن لما ظهر الحق على أيدي علماء الاسلام
 أو كما تقدم ايضاحه في أول ﴿ سورة يونس ﴾ وأن الأرض هي التي تسير حول الشمس وعرفها علماء أوروبا
 فاما ظهرت على أيدي بعضهم صودر وحبس وحكموا عليه بالكفر ولكن ظهر رأيه وانتشر في الأرض
 فهذه ست مسائل مما فاز باظهاره العلم بعد أن كان الجهل به حقيقة لا يشك فيها ، أليس معنى هذا أن
 المسلمين في المستقبل غير المسلمين الحاليين الناعمين الذين يعيشون بفكر غيرهم وكثير منهم أشبه بالخشرات
 اللاتي تمتص دم الانسان وهي ضعيفة - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - ولقد قلت مرارا في
 هذا التفسير أن أم الاسلام في المستقبل غيرها في الماضي والله هو الهادي الى سواء السبيل . انتهت اللطيفة
 الرابعة وبها تم الكلام على سورة الصفات والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة ص

ويقال لها سورة داود عليه السلام

(وهي مكية)

(آياتها ٨٨ - نزلت بعد القمر)

والكلام عليها في « ثلاث فصول » الفصل الأول « في تفسير البسملة » الفصل الثاني « في تفسير الألفاظ » الفصل الثالث « في مقصود السورة »

« الفصل الأول في تفسير البسملة »

لما قدمت هذه السورة الى الطبع حضر صديق العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير فقال : لقد فسرت البسملة في السور السابقة بطرق شتى بحيث لا يسبق الى الذهن تكرار في التفسير ، فهل تريد أن نكتب شيأ في تفسير البسملة هنا . فقلت نعم . فقال : وهو ياير ما تقدم ؟ فقلت نعم . فقال : من أي وجهة ؟ فقلت من وجهة الوحدة والكثرة ، فالوحدة في لفظ الجلالة لأن هذا الاسم لا يلحظ فيه إلا الذات وأما الرحمن الرحيم ، فهنا للرجة آثار لانهاية لعدّها ، إذن هنا وحدة وكثرة ، فالوحدة للذات الإلهية والكثرة في آثار الأسماء الدالة على الصفات وأسماء الله جميعها تدل على الصفات . فقال : هذا كلام اجالي والوحدة والكثرة ذكرها الصوفية ولكن كلامهم مجمل ، ويذكرها الحكماء في علم ما وراء الطبيعة ويقولون : « إن العالم ذو وحدة تقسم الى جوهر وعرض وكل منهما يقسم أقساما ، وهذه الأقسام هي المقولات العشرة المشهورة وهناك تقاسيم أخرى لاحاجة الى الإفاضة فيها وكلها ترجع الى تقسيم وحدة العالم الى كثرة حتى ان تقسيم العلوم الرياضية والطبيعية يرجع الى هذه الكثرة الخبوءة في وحدة العالم . فقلت هذا حق ولكن الوحدة والكثرة التي سأذكرها هنا تؤخذ من المشاهدات الطبيعية فثلى في ذلك مثل علماء الهندسة إذ يعرضون على الطالب أمورا معلومة للجاهل والعالم ويستنتجون علوما لا يعرفها إلا الخاصة فهم يقولون الكل أكبر من الجزء والنقيضان لا يجتمعان وإذا أضيف شيآن متساويان الى شيئين متساويين يكون الجميع متساويا وإذا حذف شيآن متساويان من شيئين متساويين فالباقي متساو وهكذا ويستنتجون من هذه نظريات وراء نظريات حتى يصابوا بعد (٣٢) نظرية الى أن زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين وبعد نيف وأربعين قضية يقولون إن مربع وتر الزاوية القائمة يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين وهذا الشكل يسمونه شكل العروس ، فهذه مسائل دقيقة استنتجوها من أمور أولية بديهية ، فهكذا هنا أنا أبحث في الوحدة والكثرة في الامور المشاهدة أولا وأقفي على ذلك بما هو أعلى وأغلى . فقال : لقد شاقني وصفك فكيف يكون ذلك ؟ فقلت : مامن امرئ إلا وهو يعتقد انه واحد وهذه الوحدة مشتملة على كثرة ، فكل انسان أعضاء للاحساس وهي خمس وأعضاء للعمل وهي خمس أيضا ، اليدين والرجلان واللسان ، فاليدان لجميع الصناعات على الأرض والرجلان لانتقال الأجسام واللسان لنقل المعلومات في الهواء ومن صناعات اليدين الخط وهو مساعد اللسان في نقل علم الأولين الى الآخرين وعلم الحاضرين للغائبين ، إذن الرجلان واللسان وبعض أعمال اليدين لنقل الأجسام ونقل العلوم . ثم ان العين من أعضاء الحس واليد من أعضاء الحركة كل منهما مركبة من أجزاء مختلفة كالشبكة والبلورية في العين وكالجلد والعرق والعضل في اليد ونحو الجلد والشبكة والبلورية كل من هذه يسمى جزؤه باسم كله . فقطعة من الجلد وقطعة من الشبكة وقطعة من العضلات وقطعة من العروق كل هذه يكون شأنها شأن ما قطعت منه في التسمية . فقطعة من العظم وأخرى من اللحم لا يتغير اسمها عما

قطعت منه بخلاف الجلد اذا كسطناه عن اللحم فشكل منهما يحمل اسما يفاير الآخر . وهذه الأجزاء التي تسمى جزؤها باسم كلها مركبات من عناصر دخلت فيها وتنتهي هذه الأجزاء الى الالكترونات وهي النقط الضوئية الصغيرة جدا ، فهذا عرفنا وحدة الانسان في قوله انا وكثرته بهذه الأجزاء التي لا يعرف مدى قسمتها وتحليلها ، ولا جرم أن الوحدة هي التي جمعت هذه السكثرة وحفظتها ولذلك اذا خرجت الروح من الجسم وهي الجامعة لتفرقاته في الحياة رأينا هذه الوحدة قد تفرقت شذرمذ في الأرض والماء والهواء إذن الوحدة لها السلطة والغلبة على السكثرة وكثرة بلاوحدة ضائعة متفرقة ، وحدة الأسرة والمدينة والأمة والانسانية جمعاء والحيوانية وهكذا الى أن نقول وحدة الكرة الأرضية ، ومثل ما قلنا في وحدة الجسم وكثرته نقول في وحدة الأسرة المركبة من أفراد لها رئيس جامع لها وكثرتها . وهكذا القرية والأمة الواحدة والأمم الشرقية والغربية ثم الانسانية جمعاء فكل هذه لها كثرة ووحدة بوجهين مختلفين ، واذا علونا الى ما هو أوسع من الانسانية اعتبرنا الحيوانية فالعوالم النباتية فالعالم الأرضي كله فالكرة الأرضية جميعها فلها وحدة ولها كثرة كجسم الانسان وبالوحدة البقاء وبالتفريق الهلاك فلا بد من وحدة تضبط الكرة ، واذا علونا فوق ذلك رأينا السيارات مع الشمس لها وحدة نسميها المجموعة الشمسية التي نرى لها تسع سيارات باعتبار الكوكب الذي وراء نبتون الذي كشف في هذه السنة ، وهناك ذوات الأذناب والنيازك والشهب الجاريات حول الشمس التي يقال ان عددها كعدد سمك البحار فهذه كلها مع الشمس معتبرة وحدة . ألا ترى الى ما يسمونه الجاذبية ، تلك الحال التي تضم الأرض والكواكب السيارة وأقمارها فتجعلها لا تنحيد عن أماكنها كما لا تترك اليد ولا الرجل جسم الانسان وغيره

تباركت يا الله : لنا أجسام ذات وحدة جمعت كثرتها فاذا فارقتها الوحدة بخروج الروح تفرقت أجزاءنا وللمجموعة الشمسية وحدة كوحدة الروح مع الجسم بحيث نرى الكواكب في أماكنها ولولا الجاذبية لتفرقت وطاحت ، إذن هنا أمر عام في المجموعة الشمسية حكمه حكم الروح في جسمي اذا خرج منها تفرقت تلك الأجزاء وتناثرت وتباعدت وطاشت في أقطار الخلاء البعيد المدى وفي المجرة الواحدة مئات الملايين من تلك المجموعات الشمسية التي نشاهدها في الليل بهيئة نجوم صغيرة جدا في رأى العين ، وحكم المجرة الواحدة مع كواكبها الثابتة التي هي في الحقيقة مجموعات شمسية لها حكم ما ذكرنا أولا من الجسم وما بعده (انظر بعض هذا في أول سورة سبأ) وليس في السماء مجرة واحدة بل هناك مجرات وسدم (جمع سديم) تعد بمئات الملايين وقد فعل بها ما فعل بما قبلها بحيث أصبح العلماء اليوم يقولون : « إن العالم كله كرة واحدة يسير النور حولها مائة ألف مليون سنة . ومعلوم أن النور يسير في الثانية الواحدة (١٨٩) ألف ميل (٣٠٠) ألف كيلو . إذن هذه العوالم جميعها جعلت كرة واحدة كما جعل الانسان الواحد جسما منظما له روح تجمع وتضم وتحفظ أجزاء جسمه كما ان في العالم معنى يحفظه وقوة تضمه يسمونها الجاذبية وهي عين الوحدة

﴿ نظام الجسم الانساني مع هذه العوالم ﴾

قلنا إن الجسم الانساني له حواس للعلم وله أعضاء للعمل . فأما الحواس الخمس فأولها حاسة اللمس التي تعم كل حيوان حتى السودة بل هي سارية في النبات أيضا وهذه قسطها من العوالم حولنا ما قرب منا بالاحساس بالبرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة وهكذا ويلبها حاسة الذوق بالحلاوة والملوحة والمرارة والحراقة والهدوابة وهكذا ثم الشم للروائح التي يحملها الهواء ثم السمع للأصوات من سائر الجهات ثم البصر لما هو أبعد حتى أقصى النجوم من القدر السادس . ثم بعد ذلك يستعين الانسان بالعلم فيصل الى معرفة أقدار النجوم وأبعادها ويعرف بالمجهر الى القدر العشرين . إذن الحواس الخمس عرفت مبدأ العوالم والعلم أغاث الانسان فرفعه فوق مراحته هذه الحواس . إذن الجسم الانساني من حيث العلم قد شهد العوالم بحواسه ثم بعقله وبهذا انتهى الكلام

على القسم العاشر من الجسم الانساني

أما القسم العملي فهو أعضاء العمل وهي قسمان : قسم للانتقال ، وقسم للأعمال . أما قسم الانتقال فهما الرجلان اللتان يسير بهما على الأرض وقد ساعدهما سفن البحار وقطار البخار في الأرض والآلات الجارية كالعربات وما يسمونها السيارات (الآتوموبيلات) وهكذا كل ما يتجرب على الأرض بجزء الحيوان أو بدفع البخار أو بمادة البنزين المستخرجة من الفحم أو بالكهرباء ، كل ذلك على الأرض ، وبلى ذلك الطائرات التي تطير في الجو وتحمل الناس والأثقال ، فهذه كلها قنمات مقام سبي الرجلين وبهذا تم الكلام على العضوين اللذين أعدنا لنقلنا وسيرنا على الأرض

أما العضوان اللذان أعدنا للأعمال فهما اليدان اللتان بهما نصنع ما نحتاجه للطعم والملبس والسكن وما تفرع منهما واستعنا على ذلك بالآلات قامت مقام عمل اليدين كما قامت الجاهز مقام العينين في بحث الكواكب البعيدة وقامت الطائرات في الهواء والسيارات على الأرض والسفن في البحار مقام الرجلين ، وهذه الآلات التي قامت مقام اليدين أو ساعدتهما إما أن تديرها اليدان أو الحيوان أو الفحم أو الكهرباء ، كل ذلك لا تمام عمل اليدين وحفظ حياتنا على هذه الأرض ، وبالجملة هذه العوالم مزرعة الانسان من وجهين : وجه العلم ، ووجه العمل وجسمنا خلق على استعداد لهما ، أما اللسان فهو رسول بين الأفراد يرصل العلم من واحد الى الآخر ويعين على الأعمال العامة فهو محركه عامل وعمله ينتج العلم . هذه هي حال الانسان بالنسبة للعوالم المحيطة به وأكثر ما ذكرناه هو عوالم طبيعية لصور خارجية في العوالم الأرضية والسموية

﴿ الصور الخارجية والصور الذهنية والعلوم الرياضية ﴾

قلنا إن أكثر ما ذكرناه علوم طبيعية إذ هي ترجع الى المادة المحسوسة المشاهدة ولكن هذه العلوم المشاهدة كما قررنا لها وحدة ولها كثرة من وجهين والكثرة لاحد لها ، فإذا لم ترجع الى الوحدة في أذهاننا كما أنها واحدة في الخارج كان جهلنا بها عظيما لأن العلم لا يثبت إلا لما هو ثابت ولا ثبات إلا بقوانين ، أما الكثرة التي لا قانون لها ولا ضابط فهي خارجة عن الحصر وما خرج عن الحصر لا يعلم ، هنالك احتاج الانسان الى علم العدد والحساب ، ولا جرم انه كما قلنا واحد في نفسه لأن له روحا جمعت أجزاء هذا البدن وإذا خرجت هذه الروح من الجسد تمزقت تلك الأعضاء وطاحت تلك الحواس وتناثرت تلك الأجزاء وضاعت في كل فج عميق ألم يشاهد الناس أن الميت هذه حاله لا ضابط لأجزاء جسمه الممزقة ولا حافظ لأعضائه المختلفة ، فالذي جمع ذلك كله وحدة هي الروح ، فليس في الأرض امرؤ يقول في نفسه انه اثنان بل يقول أنا ، ففيه معنى الوحدة بداهة ثم ينظر في أعضائه فيجد فيها الرأس وهو واحد والعينين والأذنين والشدين والسبيلين وهكذا فهما اثنان ، ويرى في كل أصبع ثلاث مفاصل ويرى أعضاء البطش أربعة وهي اليدان والرجلان وأعضاء الحواس خمسة وأصابع اليد الواحدة خمسة وبتضعيفها تكون العشرة ثم العشرين بضم أصابع الرجلين وهكذا يضاعف العدد الى المائة والألف والآلاف والملايين وما فوق ذلك وينتهي ذلك كله بأن تقول علم العدد . إذن الانسان فعل في صورته الذهنية ما فعله بالصور الخارجية . إن الانسان كما انتقل من جسمه الى العوالم فأرجعها كلها الى كرة واحدة فعل بعلم العدد هذا العمل نفسه . فالعشرة عنده وحدة والمائة وحدة والألف وحدة والمليون وحدة وهكذا وينتهي الأمر بعد آلاف آلاف الملايين أن يقول هو العدد أو الحساب كما قال في العالم المحسوس هو الكرة التي يسير الضوء حولها كذا وكذا فيما تقدم . إذن الانسان اخترع لنفسه صوراً ذهنية هي الأعداد وهذه الأعداد لا وجود لها في الخارج وهل في الخارج إلا المعدود . والسماء والأرض والبحر والجبل ليست أعدادا كلا . بل هي معدودات . وما الأعداد إلا صور ذهنية اخترعها العقل الانساني ليكبح بها جماح الصور الخارجية التي تريد أن تفلت من يده فضمها وجعلها فقرت في يديه وحضرت لديه فعرّفها فكان بذلك قرير العين

ويلى الحساب علم الهندسة . وما علم الهندسة إلا نظام المقادير المتصلة من الخطوط والسطوح والأجسام كالخط المستقيم والمنحنى والمنكسر والزاوية والمثلث والمربع وكالكرة والمكعب وما أشبه ذلك ، فالتقوانين الهندسية التى سبق كثير منها فى ﴿ سورة الروم ﴾ عند آية - فطرة الله التى فطر الناس عليها - بها ضبطنا كثيرا من هذه الأجسام فبقيت فى عقولنا وحفظت فى أذهاننا فارجع إليها فانك تجد هناك نسبا وصلة ورحا بين أنواع الأشكال فى مساحتها كالنسب والصلة بين ذوى الرحم من نوع الانسان . إذن الهندسة متممة للحساب فى ضبط المادة كى يعلمها الانسان ويساعد ذلك كله علم الجبر وعلم الفلك وعلوم أخرى مفرقة على ذلك . وما ذلك كله إلا صور ذهنية اخترعتها العقول الانسانية بحكمة دبرت وآيات أبدعت فى خلق الروح المودعة فى هذه الأجسام . إذن الانسان قدر أن يصنع فى نفسه نوعين من الصور : نوع له وجود فى الخارج وهى مواد العلوم الطبيعية . ونوع لا وجود له فى الخارج وهى الأعداد وعلوم الهندسة والأعداد مقادير منفصلة والهندسة مقادير متصلة إذ نرى المثلث مثلا اتصفت أضلاعه وزواياه بخلاف واحد اثنين فهما منفصلان لامتصلاان وهنا يقولون إن الوجود له ﴿ أربع مواطن ﴾ وجود فى الأذهان كهذه الأعداد ونظريات الهندسة . ووجود فى الأعيان وهى المعدادات والأشكال الهندسية الملموسة . ووجود فى اللسان وهى الكلمات الدالات على مافى الأذهان . ووجود فى البنان وهى الكتابة الدالة على مناطق به اللسان . إذن الوجود اصالة هو الخارجى وهو المعداد مثلا ويعبر عنه العدد الذهنى ويعبر عنه اللسان وينوب عنه القلم . فأولا مرتبة الخارج يتبعها الذهن يليه اللسان فالبنان . ولكن الذى فى الخارج هو المعداد والذى فى الذهن هو العدد فهما متغايران من هذه الجهة

﴿ البحث فيما وراء المادة ﴾

(ومعرفة الله تعالى ونظام السياسة فى الأمم)

نظر الانسان بعد ذلك فقال : هذه علوم طبيعية وهذه علوم رياضية والآخرة حفظت الأولى ولكن ما الحافظ لهؤلاء جميعا والذى جعله على ذلك غريزته وفطرته كما ان نفس الغريزة هى التى اخترعت علم العدد . فهناك قال الانسان : « إن للعالم صانعا ولكن كيف أتصوره ؟ المادة مشاهدة . والأعداد ونحوها متخيلة مستنتجة من المشاهدات المحسوسات » هنالك أخذت الخيلة تتخلق له صورا وأشكالا . وبيانه أن الانسان يتصور السماء والأرض وما بينهما فى مخيلته اذا كان بصيرا كما شاهدتهما ويتصور المسموع بصور مما يراه ويشاهده بعينه لأن المبصرات أغلب عند المبصرين وهكذا يتصور الأعداد بصور مما يشاهده بعينه . أنا منذ الصغر حفظت القرآن عن ظهر قلب بالاعقل فأنا ألاحظ الآن أن سور القرآن سورة سورة مرسومة فى ذهنى مفصلة بهيئة صور لها ألوان مما أشاهده فى العالم وهذا من المسموعات ولكن هذه الصور المخترعة فى مخيلتى للمسموع من القرآن ليست فى الوضوح كصور السماء والأرض ثم أرى صورا أخرى فى خيالى للأعداد من الواحد والعشرة والمائة وما بينها فهى مرتبة منظمة بحسب ما يشاهده بصري . وليس من المعقول أن الأعشى يتصور هذه الصور كما يتصورها البصراء . إذن الانسان فى صور المحسوسات والصور المخترعة للعد يتخيلها بحسب ما غلب عليه . إذن الانسان فى تصوّره لم يلتزم طريقة بعينها فهو حر يتصور بحسب ما غلب عليه . فاذا كانت هذه حاله فيما له صورة فى الخارج ونحوه فهو فيما ليس له صورة فى الخارج أغور فى الحرية وأعرق وأبعد مدى فى التصوير . ألا ترى الى ما يقوله الحكماء : « ان الطبيعيات هى ما يحتاج فى ادراكها الى المادة فى الذهن وفى الخارج والعلوم الرياضية ما يحتاج فى ادراكها الى المادة فى الخارج لافى الذهن والعلوم الإلهية ما لا يحتاج فى ادراكها الى المادة لافى الذهن ولا فى الخارج وذلك كالنخلة فى الأول والمائة فى الثانى والله فى الثالث ههنا أخذت عقول الناس تجول فيما حولها . فأخذ كل يصف الله فى خياله بما غلب عليه مما هو عظيم

في نظره من بقرة تحرث الأرض عليها وفيل هائل المنظر وحية عظيمة رقرق وشمس وقر وكواكب فالتخيل هنا كان أوسع حرية بخلافه في المحسوسات، فإن صورها ظاهرة فلا داعي لسعة الاختلاف في تصوورها ، ولذلك رأينا أهل هذه الأرض ملؤها بالأصنام اللاتي تصوّر لكل أمة ماغلب على طباع أهلها ، وتارة يتخيلهن صانع العالم رجلا عظيما كما تخيلوه كوكبا منيرا ، بل منهم من تخيله شريرا كثير الشر لما غلب على الطبع من أن الشرير يخاف كأمثال قوم يسمون اليزيدية يعبدون ابليس ، ويقولون إن الله رحيم فلا حاجة إلى عبادته ولكننا نعبد ابليس لأنه شرير وهكذا من الصور التي لا حد لها ، ولكن الإنسان ذلك المخلوق الذي أدرك في نفسه وحدة وكثرة ووحدته حفظت كثرته رجع فقال : كلاً . الوحدة في جسمي وفي العوالم والوحدة في الأعداد كما تقدم ، فالإله ليس متعددا بل هو واحد وما هذه إلا مظاهره كما إن روعي واحدة والأعضاء مظاهرها لاغير ، لذلك تسمع علماء الهند يقولون : « إن الآلهة الثلاثة التي يعتقدونها ماهي إلا صفات للجوهر الحقيقي وهم براهما وسيغا وفشنو ، فهم إذا ملؤا بلاد الهند بالأصنام فكأنها آلهة ثانوية ترجع إلى الثلاث والثلاثة إنما هي صفات والله واحد » وهكذا تسمع المسيحيين يقولون قولاً أخفى من هذا فيقولون : « الثلاثة واحد » ولكنهم لا يفهمون كما يفصح أهل الهند لأن هؤلاء مقلدون لهم والمقلد لا يعقل ما يعقله من عاينه فلما جاء الاسلام أعلن الحقيقة مرة واحدة فكسر الأصنام ومنع تعدد الآلهة وأنكر الابوة والبنوة وقل الله واحد ، فقوله تعالى حكاية عن الكفار في هذه السورة - أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق - منشؤه نظره إلى الكثرة والكثرة بلاوحدة ضائعة

﴿ سياسة الأمم تتبع عقائدها ﴾

إن الأمم لا تبات لها ولا دوام إلا بوحدتها ، ولاوحدة لها إلا بعلم يحفظها كما حفظت الصور المحسوسات في نفوسنا وعامت بضوابط حسابية ، فكما أن العلوم الرياضية رباط العلوم الطبيعية وحفاظ لها هكذا العقائد الثابتة في الأمم رباط الجماعة الانسانية تحفظها من الهلاك والتشقق ، ولذلك نجد دين الاسلام شرع الأمرين معا : وحدة الخالق ، وتبعها وحدة الأمة : العرب في البداية كانوا أشتاتاً كل يفخر بأتمته وأسرته وعشيرته اغراقاً في البداوة كما يفخر بصنمه الذي يعبد ، ويحقر صنم سواه ، فهو بعشيرته وبصنمه مفتون ، هنالك تفرقوا سياسة كما تفرقوا عقيدة ، فقال الاسلام لهم : « أيها الناس : لا فضل لعربي على عجمي إلا بالقوى ، ما هذا التفرق ، ما هذا الخذلان ، ما هذا التباعد ، هذه وحدات ضيقات ضائعات متفرقات متباعدات ، اجعوا هذه الوحدات كلها في وحدة تجمعكم ، قم يا بلال أذن في الكعبة وأتم أيها العرب اسمعوا أذانه ، وإن زعمتم أنكم أولى بالكعبة من كل الأمم ، أنتم بنو آدم لابنو عدنان وخطان فقط ، فلتكونوا أيها الناس أمة واحدة ، ألم نكسر أصنامكم المفرقة لكم ، ألم نقل لكم إن إلهكم واحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق ، إذن الوحدة عامة في الكون فمن أين أتيتم بالتعدد ؟ وهذه الوحدة يجب عليكم أن تغدوها بالصلوات الخمس صحة لأبدانكم وقوة لإيمانكم وجامعة لمدينتكم وحافضة لدولتكم والزكاة من أعظم الروابط بينكم واشتراككم في صيام رمضان يقوى إيمانكم ودولتكم والجمع يجمعكم »

هذه هي أركان الاسلام التي تجمع المسلمين على عقيدة واحدة وعمل واحد وهذا العمل يقوى العقيدة ويحفظ الوحدة ، ولما ترك المسلمون الصلوات وما بعدها وتهاونوا فيها حاق بهم الذل لأن العقيدة لم تجد ما يغذيها ويقويها ويحفظها فتفرقت الوجهة وساء المصير

فقال صاحبى بعد أن سمع هذا . الله أكبر : إن هذا خير بيان في هذا المقام ولكن يتوجه اليك سؤالان

فأرجو أن تأذن لي في ذكرهما . فقلت : لك ذلك . فقال : ﴿أولاً﴾ ان اليابان عابدة الأصنام والفرنجة الذين يؤمنون بثلاثة آلهة قد اتحدوا ولا توحيد عندهم والمسامون الموحدون لارابطة لهم . إذن لاعلاقة بين العقائد ونظام السياسة ﴿ثانياً﴾ أننا الآن في تفسير البسملة في أول ﴿سورة ص﴾ وإلى الآن لم تبين ما في هذه السورة من الوحدة والكثرة وما تقدم كله إن هو إلا أشبه بالمقدمات . فقلت : أما كون الأمم التي لا توحيد في عقائدها قد نجحت في سياستها والأمم التي وحدت في عقائدها قد اضطربت سياستها كالأمم الإسلامية ، فهذا يحتاج إلى البيان . توحيد العقائد والاشراك فيها أمر يرجع إلى العلم والجهل . فهو إذن راجع لجهل الروح وعلمها . واعتقاد التوحيد قد يجرّ إلى اتحاد السياسة ونظام المجموع . وقد يقف عند الإيمان المجرد فإذا غدى ذلك الإيمان بما يزيده يوماً فيوماً من الاجتماعات العامة في الصلوات كالصور الأولى ، وبما يؤدّي الناس من الزكاة للضعفاء والمرضى ، وبما يحجبون ويصومون ويتصدقون

فهذه كلها مغذيات منميات لتلك الوحدة وينتقل التوحيد من العلم إلى العمل ويصبح الناس اخواناً . وإذا دهمهم عدوّ تألبوا عليه وازدياد الحوادث تزيدهم اتحاداً . فأما إذا بقي التوحيد أمراً قلبياً إيمانياً أو يقينياً بالعلم ولم تسمع الأمة إلى إيجاد روابط عملية بالصلوات والاجتماعات العامة في خطب الجعات والأعياد فمن أين يتمدّي التوحيد العقول ويسرى إلى الأجسام ويوحدها . فليس كل من وحد استوفى شرائط التوحيد ولا كل آمن بالله جديراً بنصره . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون - ولا جرم أن أركان الاسلام الخمس هي النواة والحجر الاساسي لبنيان الأمة وسلامتها وحفظ كيائها . هذا هو السبب في تخاذل المسلمين وعدم اتحادهم في القرون المتأخرة

إن اتحاد الأمم في السياسة له طرق شتى ونواح مختلفة وترجع كلها إلى توحيد وجهة الأمة وذلك كما يحصل بالدين يقوم بالعصبية والوطنية والاتحاد في اللغة وفي النسب وفي الاتباع للملك جامع لهم وفي المعاهدة وفي مصاهرة الملوك وفي الاستعباد بأن تتبع الأمة من استعبدوها وهكذا مما ذكره العلامة الفارابي في كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة »

كل هذه جعلها النوع الانساني طرقاً ومسالك للاتحاد وهي درجات بعضها فوق بعض فان قاموا بشرائطها جمعهم وان لم يقوموا بها تفرّقوا شذروا ، وبهذا تفهم كيف اجتمعت اليابان فقد جعلتها الحاجة إلى الدفاع عن وطنهم واتحادهم في النسب واللغة والوطن وقد قاموا بما يجب لهذا كله والله يقول - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - فهم لما أصلحوا أحوالهم النظامية لم يكن ظلمهم بالكفر سبباً لاهلاكهم كما أن الحيوانات التي في الغابات لا تحصر لها تعيش في أمن وسلامة فليس الانسان أدنى منزلة منها لأن الله رحيم يسع في ملكه كل من أصلحوا معيشتهم في الحياة الدنيا وان كفروا بآخر الأديان إما لأنه لم يبلغهم على وجهه كما هو المعروف الآن وأما للتكبر والأنانية والعظمة وهذا قليل

فقال صاحبي : لقد اجتمع أهل مصر وتونس وطرابلس والجزائر ومراكش وسوريا والعراق والموصل في اللغة والدين وتجاور الأوطان وفي النسب فلماذا لم يتحدوا ؟ فقلت له : الجواب على ذلك ظاهر مما تقدم . فكما عجزوا عن تغذية العقيدة الدينية بالظواهر المغذية لها التي توجب اتحادهم في السياسة الدينية فضلاً عن محبة الله والسعادة الأخروية هكذا عجزوا عن القيام بحق اللغة وآدابها ونشرها وعن قراءة علم تاريخ أسلافهم وتواصل المودات بينهم والتعارف فالعجز عن مغذيات الدين بأعماله الظاهرة نظيره العجز عن مغذيات اللغة والنسب وقرب الجوار في الوطن . كل ذلك متروك كما ترك غيره . فأما الأمم الأخرى فان لهم روابط كثيرة بل ان أوروبا المسيحية تجتمع ضد الشرق وتحاربهم مراراً ويكون الدين من أهمّ روابطها لأن المدار على الاعتقاد والاعتقاد له جميعات تحافظ عليه فاستبان بهذا وظهر ظهوراً لا مبرية فيه هذا الموضوع وعرفت أيها

الذكيّ أسباب اتحادهم وعاقبها وضعف أعم وسقوطها . ولا يظنّ ظانّ أن اتحاد التلاميذ في ملابسهم ونظامهم في الأعمال والمخرن الرياضى والدروس وهكذا قراءتهم في المدارس الثانوية علوما رياضية وطبيعية وتاريخية وفلكية لم يقصد به تلك الوجهة الهامة . إن اتحاد العقول في علوم عامة واتحاد الأجسام في مظاهر ملابسها ورونتها كل ذلك ذرائع لاتحاد الأمة حتى ان الأمة الواحدة قد تنسج لأديان كثيرة ولكن كثرة المقومات للوحدة تمنع تفريق المجموع ولو بحسب الظاهر والقانون . ولا ريب أن أقوم مقومات اتحاد الأمم هو الدين اذا قام الناس بحقه . نفي ما أنزل الله للناس هو هذا الدين الذى جمع الناس عقلا وعقيدة ودنيا وآخرة . ولما أهملوا حاماه أصبحوا في مؤخر الأمم . واعلم أن الانسانية لن تسعد ولن تستريح راحة تامة إلا بوحدة شاملة . كذب هذا الانسان . كذبت المدينة الحاضرة

عجبي : نسمع أن الأمة التركية قد تركت دين الاسلام أى ان الحكومة أعلنت ذلك ولكن قرأت في مجلة « السياسة الأسبوعية » في شهر يونيو سنة ١٩٣٠ مامدخصه أن جماعات أتت الى بلاد الترك من أمريكا وهم من السود الممتزجين بأهل البلاد الأصليين وهؤلاء يبلغون نحو مائة أوزيريدون على ما أذكر وانهم عرفوا الاسلام هناك من جمعية الرفق باليتام وانهم يقولون : « نحن آمننا بالدين المسيحى الذى أتنا به الجنس الأبيض (وهم الاوروبيون) ومع ذلك لا يزالون يكرهوننا ومتى رأوا من أحدنا ذنبا حقيقيا من قوه شرّ ممزق واخوانهم بهذا فرحون : ونحن لما سمعنا بالاسلام وسهولته فهمناه حقّ فهمه . ولم نفهم الدين المسيحى . وهانحن هاجرنا من أمريكا الى هذه البلاد لنعيش مع اخواننا الترك المسلمين » أقول وقد قابلت أحدهم بعد ذلك بمصر وهو عالم عظيم ولا جرم أن هذا القول ينطبق على السود الذين هم في الولايات المتحدة فهم هناك يمزقونهم كل ممزق على صراى ومسمع من الشرطة في تلك البلاد . إذن الانسانية اليوم لاتزال طفلة . فالتعصب يكون للدين كما يكون للون وللوطن فالناس لا يزالون في أحضان الجهالة يتربون . عجب وألف عجب لدين الاسلام الذى لا يفرق بين أمة وأمة ولا وطن ووطن ولا لغة ولغة ولا لون ولون وأذان بلال بالسكبة شاهد صدق على ما نقول أمام العرب المتعصبين لوطنهم ونسبهم . إذن فلتخجل الانسانية السالفة فان مدنيتهما مدنية جاهلة سراء أكانت بالوطن أم باللغة أم بغيرها . وخير المدنيات أن يكون جميع الناس متعاونين

إن الأمم التى عندها اجتماع ما بلغة أو بدين أو وطن كأهل أوروبا وأمريكا فهى أمة عوراء وهذا العور أفضل ألف مرة من العمى لأن أمة العرب المتجاورة لم تعن به بل بقيت منعزلة كأنها لم تسمع بالاسلام أولم تسمع باللغة أو بالوطن أو غيرهما . إذن الأمم عمياء اذا لم يكن لها اجتماع بوحدة مما تقدم . عوراء اذا اجتمعت بلغة أو بدين أو وطن وهكذا . بصيرة اذا اجتمع الانسان كله اجتماعا صادقا مع العدل وحفظ العقول والعلوم واستخراج قوى النفوس وقوى الطبيعة

فيأتيها المسلمون : نحن أمة أكثرنا لم يصل الى درجة العور فنحن في أخريات الدرجات فارتقوا درجة واتحدوا كالأمم حولكم ثم بعد ذلك ارتقوا بالانسانية الى الدرجات العالية وهى أن يكون النوع الانسانى كله على بصيرة . لذلك نفهم معنى كونه صلوات الله عليه رحمة للعالمين . وهل يكون رحمة العالمين تعصب أمريكا على السود والجر أو تعصب أوروبا على سوريا وتمزيقها الى دول صغيرة وتشتيت شمل المسلمين في بلاد الجزائر ومراكش واذلالهم في عقد دارهم . كلا . فهذه ليست رحمة

الأمم الحاضرة لاتصلح لرقى نوع الانسان . واعلموا أيها المسلمون أن هذا الكتاب ستعقبه نهضة في الشرق يتلوها رجة في الغرب يعقبها سعادة الانسان . ولتعلن نبأه بعد حين . وبهذا تم الكلام على سؤالك الأول ﴿سورة ص﴾ وإنى لم أبين ما في هذه السورة من الوحدة والكثرة فأقول :

اعلم أن أسماء الله الحسنى دالة على صفاته وصفة الرحمة مصاحبة للعلم والارادة والقدرة لأن رحمة الله لم نعرفها إلا بالآثار ولا آثار إلا حيث كانت قدرة أظهرتها والقدرة تتبع الارادة ولا ارادة إلا حيث يكون العلم ، فالرحيم الذي لا علم عنده كالأم تكون رحمتها مضرّة ، والرحيم الذي لاقدرة له عاجز عن إيجاد ماقصده من الخير فالرحيم العالم المرید القادر هو الذي يستعان به ، ولذلك تجد للرحمة سورة بتمامها كما أشرنا اليه سابقا في سورة أخرى إذ جعلت ﴿ سورة الرحمن ﴾ كلها كالتفصيل لآثار الرحمة ، بل جميع ما في هذه الدنيا والآخرة آثار للرحمة وحديث : « ان لله مائة رحمة وإن رحمة واحدة منها جعلت في الأرض بها ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه وأن هذه الرحمة تنضم الى ٩٩ رحمة الأخرى تكون لأهل الجنة » يوضح هذا المقام ، فعالم الدنيا والآخرة آثار الرحمة ، فإذا لم تسكن هذه العوالم لم نعرف الرحمة . إذن الوجود آثار من الرحمة والعدم آثار الغضب ولا جرم أن القرآن من الرحمة ولذلك يقول الله - الرحمن - علم القرآن - فالقرآن من الرحمة وما في هذه السورة طبعاً من الرحمة ، وما في الدنيا والآخرة من الرحمة وهذا هو الباب الذي دخل منه سيدنا على كرم الله وجهه إذ نقل عنه انه لو شاء لكتب وقرسبعين بهيرا في تفسير البسملة وهذا حق لأن الرحمة شملت العالم العلوي والسفلي والآخرة والدنيا وهذا هو السر في الابتداء بها في أول كل سورة ، ومعاني القرآن كلها داخلة تحت أسماء الله الحسنى الدالة على صفاته ، إذن الأمر ظاهر ولكن ليس معنى هذا أن يكون تفسير القرآن كل شيء بل القرآن يفسر بالطرق التي يراها المفسر أقرب لعقول أهل زمانه ويكتب ما يفهمونه هذا هو المقصود من التفسير لأنه يكتب كل شيء بل يكتب بحسب ما يناسب زمانه لا غير فإذا حاد عن ذلك لم يكن مفسراً بل هو ناقل وكل بعير فهو ناقل

فإذا سمعت ما يأتي في هذه السورة من قصص سليمان وداود اللذين أغدقت عليهما النعم وسمعت قصة أيوب الذي ابتلى بالنقم فاعلم أن النعمة والقيمة يرجعان لأمر واحد وهو الصبر بل الصبر على النعمة أشد على النفس من الصبر على النقم كما ذكرناه سابقاً نقلاً عما نسب الى (أرسطاطاليس) إذ أرسل الى الاسكندر يهنئه بالنصر في فارس ويذكره بأن النعم تنتقل من دولة الى دولة اذا ترك الناس في حال أمنهم فبطروا العيش وسمّوا الرخاء وأن الناس في حال الخوف والحرب أنشط وأسرع عملاً وفي حال الأمن هم يكسلون ويبطرون ويذهب ملكهم . فهم يحتملون أيام المخافة ولا يكادون يصبرون على النعم لأنها تقيمهم وتقتلهم بالبطنة وساءت مصيرها

ومن هذا الباب ماجاء على لسان سليمان في ﴿ سورة النمل ﴾ - هذا من فضل ربي ليبارني أشكر أم أكفر - إذن سليمان عليه السلام المذكور في هذه السورة ابتلى بالنعمة بل ابتلاؤه أشد من ابتلاء أيوب على هذا القياس . فهنا أمران : رحمة بالابتلاءين الخير والشر ووحدانية فان الخير والشر وان كانا متغايرين جمعهما الابتلاء . فهنا وحدة وههنا كثرة والوحدة بها جئت الكثرة كما ان تعجب الكفار بقولهم - أجعل الآلهة إلهاً واحداً - الذي أملاه عليهم الجهل يدحضه الوحي والعقل ويرجعان الى التوحيد . إذن الوحدة في الالهية يوجبها الوحي والعقل والتفريق يوجبها الجهل . والوحدة في نظام الأمم يوجبها الوحي والعقل والتفريق يوجبها الجهل . والنظام في الأمم إما لا أساس له كالأمم الوحشية واما متوسط الأساس وهو نظام الأمم الحالية واما ثابت الأساس وهو اتحاد الأمم جميعاً والله يهدي من يشاء الى سواء الصراط . انتهى الكلام على الفصل الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

(الفصل الثاني)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحْنِ مَنَاصِي * وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ
كَذَّابٌ * أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاضْبِرُوا عَلَى
الْهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَهْزِلْ
عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِي * أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ
رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ
جُنْدٌ مَا هُنَاكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ *
وَمُؤُودٌ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ * إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِي *
وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْعَةً وَاحِدَةً مَأْهَلًا مِنْ فَوْقِ * وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ *
أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ
بِالْعَمِيِّ وَالْإِبْرَاقِ * وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْ
الْخِطَابِ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا
أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِيجَةً وَلِي نَعِيجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسُوءِ النَّعِيجَةِ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرٌ أَمِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَقَلِيلٌ مِمَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا
لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ * يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ
الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ *
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ *
أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ * كِتَابٌ
أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ * وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ

إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْخِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ
 رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ * وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا
 عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْزُبَنِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ
 أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ
 وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِن لَّهِ
 عِنْدَنَا لُزُفَى وَحُسْنٌ مَّآبٍ * وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ *
 ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا
 لِأُولَى الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ *
 وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
 الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ * وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ
 الْأَخْيَارِ * هَذَا ذِكْرُ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنٌ مَّآبٍ * جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ * مُتَكِينِينَ
 فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ
 لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَّكَادٍ * هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَّآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا
 فَنَبِّئُكَ لِيَوْمِئِذٍ هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ * هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ
 مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ * قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَجِبَاءٌ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدِمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ
 الْقَرَارُ * قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ * وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا
 نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ * أَخَذْنَا هُمُ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ
 النَّارِ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 الْوَزِيرُ الْقَهَّارُ * قُلْ هُوَ نَبَوَّا عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِاللَّهِ الْأَعْلَى إِذْ
 يَخْتَصِمُونَ * إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ
 طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتَّجِعُونَ *
 إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي
 اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ
 فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ *
 قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ

مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ * لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَتَمِّعِينَ * قُلْ
مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنَّهُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمَنَّ نَجَاةُ
بَعْدَ حِينٍ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ص) تقدم في سورة آل عمران والعنكبوت والروم ويس بعض أسرار الحروف وسنخصصها بالكلام في الفصل الثالث لتعرف أنها مغزى السورة كلها والمقصود الملم منها (والقرآن ذي الذكر) أي أقسم بالقرآن ذي الشرف والبيان أنه لمعجز وان محمدا صادق (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) أي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه ، وإنما ذلك الكفر لعزة أي استكبار عن الحق وشقاق أي خلاف لله ورسوله ، وإذا ثبت أن القرآن معجز وأن هؤلاء معاندون لم يبق إلا انذارهم ولذلك قال (كم أهلكنا من قبلك من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب فأجابتهم الملائكة قائلين (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين مناص أي نجاة لأن وقته فات (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي بشر مثلهم (وقال الكافرون) فيه وضع الظاهر موضع المضمحل للتشنيع عليهم بالكفر (هذا ساحر) فيما يظهره معجزة (كذاب) فيما يقوله على الله (أجعل الآلهة إلها واحدا) بأن جعل الألوهية منحصرة في واحد (إن هذا شيء عجاب) بليغ في العجب فانه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا (وانطلق الملائكة منهم) أي انطلق أشرف قریش من مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ قائلين بعضهم لبعض امشوا وابتنوا على عبادة آلهتكم فلا تنفعكم مكالمتهم وهذا قوله (أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا شيء يراى) أي إن هذا شيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له (ماسمعا بهذا) أي بالذي يقوله (في الملة الآخرة) في الملة التي أدركنا عليها آباؤنا (إن هذا إلا اختلاق) كذب ثم أخذوا ينكرون اختصاصه بالوحي وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرياسة فقالوا (أنزل عليه الذكر من بيننا) ثم أضرب عن انكار ذلك الى ذكر سبب انكارهم وهو الشك لميلهم الى التقليد ثم أضرب عنه أيضا الى أنهم الى الآن لم يدوقوا العذاب ومتى ذاقوه فانهم يلجئون الى التصديق وهذا قوله تعالى (بل هم في شك من ذكرى بل لما يدوقوا عذاب) ثم أخذ يتكلم بهم قائلا (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أي بل أعندهم خزائن رحمة وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شأوا ويصرفوها عن شأوا فيتخيروا للنسوة بعض صناديدهم (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) أي بل لهم ملكهما أي ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء من خزائنه تعالى وان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى عرش هذا الملك حتى يستووا عليه ويدبروا أمر هذا العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهذا قوله تعالى (فليرتقوا في الأسباب) الارتقاء الصعود ، والأسباب المعارج والطرق التي يتوصل بها الى الاستيلاء على العرش ، ثم وعد بنصر نبيه ﷺ فقال : هؤلاء الذين يقولون هذا القول (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) الكفار المتحزبين على المؤمنين مغلوبون في الوقائع هنالك في مصارع بدر وغيرها فأني لهم تدبير الامور الإلهية والتصرف في الخزانة الربانية وما في - جند ما - مزيدة للتقليل ، أخبر الله نبيه ﷺ وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين وهذا عجيب لأنه وهو بمكة لا جند له جاء تأويلها يوم بدر ونحوها وهذه من أعظم المعجزات ثم عزى الله نبيه ﷺ فقال (كذبت قبلك قوم نوح واد وفرعون ذوالأوتاد) أي ذوالملك

ولقد غنوا فيها بأنهم عيشة ✽ في ظل ملك ثابت الأوتاد

(وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة) وأصحاب الفيضة وهم قوم شعيب (أولئك الأحزاب) يعني المعتزّين على الرّسل الذين جعل الجند المهزوم منهم كالأحزاب الذين تحزّبوا عليك ، ثم بين سبب انهم أتهم وعقابهم فقال (إن كل إكاذب الرّسل حقّ عقاب) يعني أن أولئك الطوائف والأُمم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين إذا نزل بهم العذاب (وما ينظروا هؤلاء) أي وما ينتظر كفار مكة (إلا صيحة واحدة) وهي النّفخة الأولى (ما لها من قواق) أي من توقف مقدار نواق وهو ما بين الحلبتين ، أو ما لها من رجوع ، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة ، ويقال فواق الناقة أيضا ساعة يرجع الدر إلى ضرعها وهو بالضم والفتح (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) قسطنا من العذاب الذي تبرعنا به وهو من قطه إذا قطعه ، ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس أي عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها (قبل يوم الحساب) وهذا الاستعجال على الوجهين منهم استهزاء (اصبر على ما يقولون) فيك واحذر أن تهين في مصابرتهم وتحمل أذاهم (واذ كر عبدنا داود) أي قصته ليغاموا أنه مع عظم شأنه وبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفتن ، فلتعذر أنت حتى تصون نفسك أن تزل وقوله (ذا الأيكة) أي ذا القوّة في الدين (إنه أوّاب) رجع إلى مرضاة الله ✽ روى أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (إننا سخرنا) ذلنا (الجبال معه يسبحن) أي مسبحات بتسبيحه إذا سبح والمضارع اختير للتجدّد (بالعشيّ والاشراق) العشيّ وقت العصر إلى الليل والاشراق هوحين تشرق الشمس أي تضيء وهو وقت صلاة الضحى كما فسرّه ابن عباس ، وأما الشروق فهو الطلوع تقول شرقت الشمس ولما تشرق بضم التاء (والطير محشورة) أي أي وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية (كل له أوّاب) أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجع إلى التسبيح مع المداومة على ذلك (وشددنا ملكه) وقوّيناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود ✽ روى أن رجلا ادّعى بقرة على آخر وعجز عن البينة فأوحى إليه أن اقتل المدّعى عليه فأعلمه فقال صدقت أنى قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فعظمت هيئته بذلك (وآتيناه الحكمة) النبوة وكمال العلم واتقان العمل والإصابة في الأمور (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل ، ثم ابتدأ سبب حانئ نبأ عجيبا من أنبائه وشوّق إلى استماعه بالتعجب منه فقال (وهل أتاك نبأ الخصم) أي خبر الخصم وهو يطلق على الواحد والجمع (إذ تسوّروا المحراب) أي صعدوا وعلاوا سور الغرفة التي كان يشتغل فيها داود بالطاعة (إذ دخلوا على داود) متعلق بتسوّروا (ففرغ منهم) ذلك أن ملكين بعثهما الله إليه في صورة إنسانين طلبا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فنههما الحرس فتسوّرا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففرغ من ذلك لدخولهما في وقت الاحتجاب لأنه كان يجزئ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته (قالوا لا تخف) نحن (خصمان) متخاصمان (بني بعضنا على بعض) وهذا من باب الفرض (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر في الحكومة (واهدنا إلى سواء الصراط) أي وسطه وهو العدل (إن هذا أخى) بالدين والنصيحة (له تسع وتسعون نهجة ولى نهجة واحدة) هي الأثني من الضأن (فقال أكفنيها) ملكنيها (وعزّنى في الخطاب) وغلبني في مخاطبته إياي (قال) داود قبل أن يسمع كلام المدّعى عليه للمدّعى (لقد ظلمك) المدّعى عليه (بسؤال نهجتك إلى نهاجه) أي والله لقد ظلمك بذلك ، ثم استطرد فقال (وإن كثيرا من الخلقاء) الشركاء (ليبغى) ليتعدى (بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) أي وهم قليل وما مزيدة للإيهام والتعجب من فعلتهم ، فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه وضحك وصعدا إلى السماء فعلم داود أن الله ابتلاه إذ قال له الخصمان - احكم بيننا بالحق ولا تشطط

واهدنا الى سواء الصراط - حكم المدعى بدون أن يسمع كلام خصمه (وظن داود) أى أيقن (أما فتناه)
 ابتليناه وامتنحنا لحكمه للمدعى قبل أن يسأل المدعى عليه (فاستغفر ربك) لذنبه (وخزراكه) للسجود
 مصليا كأنه أحرم بركته الاستغفار (وأنا) ورجع الى الله بالتوبة (ففغرنا له ذلك) أى ما استغفر عنه
 (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى لقربة بعد المفرة وحسن مرجع فى الجنة ، وأما ما روى أن بصره
 وقع على امرأة فعشقها فأوحى الى رئيس الجيش أن يقرب زوجها أوريا بين يدي العدو فيقتل وأنه تزوجها
 بعد ذلك فإن ذلك من كلام القصاصين . ولقد روى عن علي رضي الله عنه أنه قال : « من حدثكم بحديث
 داود على ما روي القصاص جلدته مائة وستين » وكيف يليق ذلك بمن يخاطبه الله قائلا (ياداد إنا جعلناك
 خافقة فى الأرض) أى استخلفناك على الملك فيها (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الحق (ولا تتبع الهوى)
 ما تهوى النفس من المبادرة الى تصديق المدعى قبل سؤال المدعى عليه (فيضلك عن سبيل الله) دلائله التى
 نصيها للحق (إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بسبب نسيانهم
 وهو ضلالتهم عن السبيل فإن تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى ومن الهوى الاسراع الى تصديق أحد
 الخصمين لجودة إلقائه وحسن بيانه وما أشبه ذلك من استئجار المحامين الذين هم أقدر على البيان فى هذا
 الزمان ، فالقاضى بسبب ذلك معرض للزلل كل حين . ولما كان آدم وبنوه خلفاء الله فى الأرض يقوون
 بالعدل والنظام على مقدار طاقتهم وقياهم بالعدل تابع للنظام العام كما قال تعالى - ووضع الميزان - ألا تظفوا فى
 الميزان - ناسب أن يذكر عدله وحكمته فى السموات والأرض فقال (وما خلقنا السماء والأرض وما
 بينهما باطلا) مبطلين عابثين أولالباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى العدل (ذلك ظن
 الذين كفروا) أى خلقهما باطلا ظنهم (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظن وذلك لأنه حكم
 بلا دليل كما يحكم القاضى لأحد الخصمين قبل سماع الآخر كما تقدم . وإذا كنا فتننا داود فى القضاء وعلم أنه قد
 فتن بسبب اصفائه لأحد الخصمين دون الآخر فنتننا هذا الانسان على وجه الأرض وامتنحناه فى نظامنا
 فمنهم من يرى أن إمانتنا واحياءنا واحداث الأمراض والأرزاء فى الأرض والوباء والحروب والأكاذيب
 والأراجيف والفتن كل ذلك باطل لا معنى له فيعيش الانسان ويموت وهو يقول : لِمَ هذا كله ؟ وهلا خلق
 الله الناس فى راحة وطمانينة وسعادة لا يمرضون ولا يشقون ولا يحاربون ولا يخاصمون ولم أصرا لآساد أن تأكل
 الظباء والأرانب وحدد أنياب الآكلات ومنع المأكولات السلاح والمقاومة . والناظرون فى هذا على قسمين
 قسم ينكر ذلك انكارا قلبيا فمنهم من يظهره كبعض الذين تعاموا فى العصر الحاضر تعلما سطوحيا . ومنهم من
 يخفيه وهم كثير من المتدينين بأى دين . وقسم يقرأ علوم الحكمة ويستوعبها وهذا يشعر بأن هذا النظام
 جميل وأن كل ذلك فيه مقدمة لحال أعلى من هذه وقد أوضحناه فى هذا التفسير ايضا كثيرا . إن من يحكم
 أن نظام هذا العالم باطل أشبه بمن يحكم لأحد الخصمين . فإذا أراد أن يحكم بالحق فليقرأ علوم الحكمة التى
 تبحث فى نظام هذا الوجود وهذا هو الذى يبين قضية الخلق وكيف خلقه الله ؟ فكأن الانسان اذا نظر فيها
 قد أصغى أيضا الى المدعى عليه وفهم حجته وحجته هو هذا النظام البديع ومتى أدركه الناس بطالت الفكرة الأولى
 وهى ان هذه الدنيا مبعة غير منظمة الى آخر ما تقدم . وما يشير الشكوك فى نظام هذا العالم أن الظلم فيه
 مجسم ولا سيما فى هذا الانسان ، كيف لا ونحن نرى أن المصلحين والصالحين فى الأرض مغبونون لا ينالون
 جزاء أعمالهم فى الدنيا ، ونرى كثيرا من المفسدين متمتعين بالنعمة والعافية ، فأى عدل وأى نظام هذا
 ولكن اذا أدرك الناس أن هذه الحياة ستعقبها حياة أخرى ترجع فيها الامور الى حقائقها كما دل عليه علم
 الأرواح المنتشر حديثا فى أوروبا وأجمعت عليه الديانات . فانهم يعرفون أن النظام عدل لذلك أعقبه بقوله
 (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) هذا انكار للتسوية

بين المؤمنين والكافرين ، ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم فان من يسوى بين هؤلاء يكون سفيها هذا (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليتدبروا آياته) أى ليتدبروا ويتفكروا فيها (وليتذكروا أولوا الأبواب) أى وليتفظ بالقرآن أولوا العقول السليمة ، ويستحضروا ما هو مركز في عقولهم من تمكنهم من المعرفة بالدلائل الكونية والجهانب الخلقية . روى عن الحسن انه قال : « قد قرأ هذا القرآن شبيد وصبيان لاعلم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيحوا حدوده » اهـ

وهذا القول منطبق على أكثر المسلمين في هذا الزمان ، إن الأمة اليوم لا تقرأ القرآن غالبا إلا للتعبد وأما التفكير فلا وهذا هو السبب في ضياع ملك الاسلام وعظمته ووقوعه نهبا مقسما بين دول أوروبا ولكن هذا هو الزمان الذى أذن الله فيه اذنا حقا ببعث هذه الأمة من مرقدتها وتقوم بواجبها كما قال تعالى - ليظهره على الدين كله - وهذا هو الزمن الذى سيظهر فيه وهذا أمر حتم سيكون قريبا

﴿ قصة سليمان عليه السلام ﴾

قال تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) سليمان (إنه أوأب) رجاع الى الله بالتوبة (إذ) ظرف لأوأب (عرض عليه بالعشي) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر ولا يكاد يكون ذلك إلا فى العرب الخالص (الجياد) جمع جواد وهو الذى يسرع فى جريه (فقال) لما عرضت عليه فأجروها أمامه وذلك لاستعدادها للفرز (إني أحببت حب الخير) آثرت حب المال ومنه الخيل المعروضة (عن ذكر ربى) أى انى لأحبها لأجل الدنيا ونصيب الغنى وانما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه ثم أمر بأجرائها وأعدائها حتى توارت تلك الخيل بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهذا قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) ثم قال (ردوها على فطوق) يمسح (مسحا بالسوق والأعناق) أى يمسح سوقها وأعناقها شمرينها لها لكونها للجهاد والجهاد من أعظم الأمور وليباشرا الأمور بنفسه ليقتردى به الوزراء ورجال الدولة كما كان يفعل صلاح الدين الأيوبي إذ كان ينقل الأحجار بنفسه فى بناء الأسوار أيام الحروب الصليبية وليكشف عن أمراض الخيل وعلاها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض

﴿ فتنة سليمان عليه السلام ﴾

روى صرفوعا أن سليمان عليه السلام قال : « لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل ، فوالذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا » فهذا قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه (وألقينا على كرسيه جسدا) وهو شق الطفل المذكور جىء به على كرسيه فوضع فى حجره (ثم أناب) رجع الى الله مما فعل وهو أنه لم يقل ان شاء الله والأنبياء يحاسبون على ما لا يحاسب عليه سواهم لشدة قربهم من ربهم ، وأما حديث الخاتم والشیطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود وذلك أنهم قالوا ان زوجته كانت تسجد لصورة أبيها ودام ذلك أربعين يوما وهو عليه السلام لا يعلم فلما علم كسر الصنم وعاقب المرأة ، ثم إن الله عاقبه بأن سلط شيطانا يسمى صخرأ فأخذ خاتم الملك فصار الشيطان فى صورته عليه السلام أما هو فأصبح منكرا لا يعرفه أحد فتكذب أربعين يوما ثم طار الشيطان ووقع الخاتم فى البحر فالتقطته سمكة واصطادها صياد فوَقعت فى يد سليمان نحر ساجدا لله . هذه هى الأباطيل اليهودية ويكون صخر هو الجسد الذى ألقى على كرسيه (قل رب اغفرلى) ذنبى (وهب لى ملكا لا يذنب) لا يصلح (لأحد من بعدى) أنت أنت الوهاب تهيب الملك والنبوّة لمث تشاء وذلك لأنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بالانه الحديد وعيسى باحياء الموتى ، ولذلك روى انه عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين قال إن عفریتا من الجن تفلت على البارحة

ليقطع صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تظنوا إليه
 كما كنتم فذكرت دعوة أخي سليمان - رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي - فرددته خاسئا
 ثم قال تعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء) أئنة ليست بعاصفة (حيث أصاب) حيث أراد (و) سخرنا
 له (الشياطين كل بناء) يبنون له (وغواص) وآخرين مقرنين في الأصفاد) فاذن الشياطين منهم بناؤن
 ومنهم غواصون يستخرجون اللؤلؤ من البحر ، ومنهم هرمة الشياطين يقرن بعضهم مع بعض في القيود
 والسلاسل للتأديب والسكف عن الفساد ، والصغد القيد ، وربما كانت الأصفاد تمثيلا لسكف شرهم وجبسهم
 حبسا يناسب أجسامهم النارية (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فأعطاه
 ما شئت من المنة وهي العطاء (أو أمسك) عن العطاء ، وقوله (بغير حساب) حال من عطاؤنا أي جفا كثيرا
 لا يكاد يقدر على حصره (وان له عندنا لزلفى) في الآخرة مع هذا الملك العظيم في الدنيا (وحسن ما ب) وهو الجنة

﴿ قصة أيوب عليه السلام ﴾

قال تعالى (واذ كر عبدنا أيوب) وهو ابن عيص بن اسحق (إذ نادى ربه) يدل من عبدنا (أي
 مسنى الشيطان) أي بأئى (بنصب) تعب (وعذاب) ألم ومرض وبلاء وانما نسب المس إلى الشيطان لأنه
 بسبب وسوسته أعجب بكثرة ماله فسه الله بالمرض لأجل ذلك فأرسل الله له جبريل فقال له (اركض برجلك)
 الأرض فضرب فنبهت عين فقيل هذا مغتسل أي ماء يغتسل به ويشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وهذا قوله
 تعالى (هذا مغتسل بارد وشراب) ثم قال تعالى (وهبنا له أهله) بأن جعلناهم عليه بعد تفرقهم (ومثلهم
 معهم) حتى كان له ضعف ما كان (رحمة منا) أي لرحمتنا عليه (وذكرى لأولى الألباب) تذكيرا لهم ليفتظروا
 الفرج بالصبر أولا والاتسجاء إلى الله ثانيا فيما يحقق بهم ، وعطف على - اركض - قوله (وخذ بيدك ذنبا)
 حزمة صغيرة من الحشيش ونحوه (فاضرب به ولا تحنث) . ذلك أن زوجته رجة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت
 حاجة فأبطأت خلف ان برىء ضربها مائة ضربة فخلل الله يمينه بذلك ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة
 من المائة وهذه الرخصة باقية على شرط إصابة المائة للمضروب كما عرفت (إنا وجدناه صابرا) على ما أصابه في
 نفسه وأهله وماله وليس شكواه إلى الله من الشيطان جزعا (نعم العبد) أيوب (إنه أوأب) مقبل على الله
 (واذ كر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار) أولى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين
 (إنا أخاصناهم بخالصة) جعلناهم خالصين لنا بخالصة خالصة لا شوب فيها هي (ذكرى الدار) ذكرى الدار
 الآخرة دائما فانما نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخاصناهم بحب الآخرة وذكراها (وانهم عندنا
 لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الأخيار) جمع خير وخير بالشديد والتخفيف (واذ كر
 اسماعيل واليسع) لام التعريف دخلت على يسع (وذا الكفل وكل) أي وكلهم (من الأخيار) يقال ان
 ذا الكفل هو ابن عم يسع أو هو ابن أيوب ويقال انه فرأى إليه مائة نبي من بني إسرائيل من القتل فأواهم
 وكفلهم . ثم ان أول السورة - ص - والقرآن ذى الذكر - وقد ذكر قصص الأنبياء وصبرهم وأعمالهم
 الشريفة . ولما أتم الكلام عليهم قال (هذا ذكر) كأنه يقول هذا ذكر مما اشتمل عليه القرآن المذكور
 في أول السورة أي الذي يتلى عليكم شرف وجيل تذكرون به

﴿ وصف الجنة ﴾

قال تعالى (وان للمتقين لحسن ما ب) مرجع ثم عطف على حسن ما ب عطف بيان فقال (جنات
 عدن) حال كونها (مفتحة لهم الأبواب) متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ووعندهم
 قاصرات الطرف أتراب) مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة ومتآخيات لا يتباغضن

ولا يتحاسدن ، ومعنى قاصرات الطرف أى قصرن أطرافهن على أزواجهن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى لأجله فان الحساب عملة الوصول الى الجزاء أى قيل للمؤمنين - هذا ما توعدون - الخ ويقول أهل الجنة (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) انقطاع بل هو دائم كما قال تعالى فى سورة أخرى - أكملها دائماً - (هذا) أى هذا الأمر كما ذكر

﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (وان للطاغين لشر مآب * جهنم يصلونها فبئس المهاد) المهد والفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالنم تقديره جهنم (هذا) مبتدأ وقوله (حميم وغساق) خبر وجلة - فليذوقوه - اعتراض والغساق هو ما يغسقى أى يسيل من صديد أهل النار والحميم الماء الحار . وقال ابن عباس : الغساق هو الزمهرير يحرقهم بيرده كما تحرقهم النار بحرّها ، وعذاب (آخر من شكله) من مثل العذاب المذكور فى الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر أى أجناس وأصناف ، ثم يقول الخزنة للقادة اذا دخلوا النار ودخل بعدهم أتباعهم (هذا فوج) جمع كثيف (مقتحم معكم) أى دخل النار فى صحبتكم ، والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة والقحمة الشدة (لاصرحبا بهم) أى الأتباع تقول لمن تدعوله صرحبا أى أتيت رحبا من المكان لاضيقا وتدخل عليه لا فى دعاء السوء ، وهذه الجملة من كلام الرؤساء (إنهم صالوا النار) أى داخلوها (قالوا) أى الأتباع (بل أتم لاصرحبا بكم) مخاطبين رؤساءهم الذين دعوا عليهم (أتم قدتموه لنا) أى قدتم العذاب لنا أى دعوتهمونا الى الكفر فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) النار (قالوا) أى الأتباع أيضا (ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) مضاعفا (فى النار * وقالوا) أى رؤساء الكفرة (مالنا لانرى رجالا) هم فقراء المساكين (ككنا نعتهم) فى الدنيا (من الأشرار) من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخريا) ينكرون على أنفسهم ويؤنبونها على استسخارهم منهم فى الدنيا (أم زاغت عنهم الأبصار) أى مالت فلانراهم ، ومعنى ذلك أن الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لانرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم ترهم حين دخلوها (إن ذلك) الذى حكينا عنهم (لحق) لابد أن يتكلموا به هو (تخاصم أهل النار) فى النار وذلك لأن قول القادة للاتباع والأتباع للقادة لاصرحبا بكم من باب الخصومة (قل) يا محمد للمشركين (إنما أنا منذر) أنذركم عذاب الله (وما من إله إلا الله الواحد) الذى لا شريك له (القهار) الغالب وفى ذلك رهبة لهم ثم أعقبه بما يدل على الرجاء فقال (ربّ السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) فهو مرب والترية احسان وكرم وجود وهو غفور للذنوب وإن عظمت وكل هذا دال على الرجاء (قل هو) أى القرآن (نبؤ عظيم * أنتم عنه معرضون) لانتفكروا فيه فتعلمون صدق فى نبؤى

﴿ قصة آدم عليه السلام ﴾

قال تعالى (ما كان لى من علم بالألأ الأعلى) يعنى الملائكة (إذ يختصمون) فى شأن آدم فهذه فى صورة الخصومة والمناظرة والافاللة لا يخاصم يعنى انما علمت هذه الخصومة بوحي من الله تعالى (ان يوحى الى إلا إنما أنا نذير مبين) أنذركم وأبين لكم ما تأتونه وتجتنبونه بلغته تعالىونها ، ثم بين الخصومة فقال (إذ) بدل من - إذ يختصمون - (قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين) يعنى آدم (فاذا سوّيته) أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) أضاف الروح الى نفسه للشريف والاضافة للملك كما تقول بيت الله ، وأيضا الروح جوهر شريف قدسى (فقعوا له ساجدين) وقد تقدم هذا الموضوع فى البقرة (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس استكبر) تعظم (وكان) وصار (من الكافرين) بسبب استكباره واستنكافه عن المطوعة (قال يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أى خلقتة بنفسى من غير توسط كآب وأم ، وفى تثنية

اليد اشعار بما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل (أستكبرت أم كنت من العالين) أى أنعمت
 بنفسك عن السجود أم كنت ممن علا واستحقّ التفوّق ، فأجاب ابليس (قال أنا خير منه) يعنى لو كنت
 مساويا له فى الشرف لقبح السجود له فكيف يكون الحال اذا كنت خيرا منه ؟ ثم بين ذلك فقال (خلفتني
 من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه . ففضل على بشرف عنصري الذى خلقت منه
 ألا ترى أن النار تغلب الطين وتحرقه (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السموات (فانك رجيم) مطرود
 من الرحمة (وإن عليك لعنتي) عذابي وسخطي (إلى يوم الدين) يوم الحساب (قال) ابليس (رب فأنظرنى)
 فأجلنى (إلى يوم يبعثون) من القبور (قال) الله (فانك من المنظرين) المؤجلين (إلى يوم الوقت المعلوم)
 إلى النفخة الأولى (قال فبئزتك) فبساطتك وقهرك (لأغوينهم أجمعين) إلا عبادك منهم المخلصين) الذين
 أخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة (قال) الله (فأخى) يعنى أوقسى ، وقوله (والحق أقول) جملة
 اعتراضية وجواب القسم قوله (لأملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (ومن تبعك منهم) من
 ذرية آدم (أجمعين) أى لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين لأترك منهم أحدا (قل ما أسألكم عليه من
 أجر) أى على القرآن أو على تبليغ الوحي (وما أنا من المتكافين) المتصنعين بما ليسوا من أهله على ما عرفتم
 من حالى فأنتحل النبوة وأتقول القرآن (إن هو إلا ذكر) عظة (للعالمين) للتقلين (ولتعلمن نبأه) وهو
 ما فيه من الوعد والوعيد وصدقه (بعد حين) عند ظهور الاسلام أو ظهور العاوم التى تضمنها ولم تكن معروفة
 من قبل . انتهى التفسير اللفظي

﴿ الفصل الثالث فى مقصود السورة ﴾

أى فى معنى - ص - وفى قوله تعالى - واصبروا على آهتكم - وقوله - اصبر على ما يقولون - وقوله
 - وهل أتاك نبؤا الخصم - وقوله - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا - وقوله - وألقينا على
 كرسيه جسدا - وقوله - إنا وجدناه صابرا نعم العبد - الخ وقوله - هذا ذكر - وقوله - فسجد الملائكة -
 كلهم - الخ وقوله - قل ما أسألكم عليه من أجر - وقوله - إن هو إلا ذكر للعالمين * ولتعلمن نبأه
 بعد حين -

لقد عرفت ما للمحروف التى فى أوائل السور من المعانى الشريفة فى سور كثيرة ولكن لها خواص فى
 كل سورة بحسبها فتأمل فى لفظ - ص - فانها فضلا عن صفتها العامة لها مقاصد سامية فى هذه السورة ،
 إن فى السورة تحليلا لشوائب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليقتدى بها ، ولقد جاءت الصاد فى لفظ - اصبر على
 ما يقولون - وفى لفظ - واصبروا على آهتكم - وفى - إنا وجدناه صابرا - وهكذا تجد معنى الصبر واضحاً فى
 مسألة الخصمين إذ دخلوا على داود فانه لم يصبر حتى يسمع كلام الخصم فحكم وفى قصة سليمان إذ عزم أن
 يدخل على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتى بولد ذكر يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله ، ولقد
 عوقب على هذا ، فكأنه عليه السلام لما لم يكل الأمر لله بذكر المشيئة عدّ كأنه غير صابر ، هكذا كل كافر
 يظن أن السموات والأرض خلقتا باطلاً بلا نظام فان هذا الزعم منه ناشئ من تسرعه وعدم صبره على المشقات
 فى سبيل البحث فى الحكمة حتى يعرف كيف كان العالم منظماً وهكذا ابليس تكبر واعتز بأصله ولم يسجد
 لآدم وهذا لأنه لم يصبر على تحمل مكارم الأخلاق . صبر أهل مكة على آهتهم وتواصوا بالصبر على ذلك وتحمل
 كل مضىض فى سبيل ابقاء العقيدة الموروثة عن الآباء ونبذ كل برهان معقول ومغالبة الأدلة المحسوسة . كل
 ذلك لحفظ العقائد الموروثة فأمر الله رسوله أن يقابل صبر هؤلاء المبطلين بصبر الصادقين فقال : - اصبر على
 ما يقولون واذكر عبدنا داود - وقص قصص الخصمين وذكرا أنه قد لأمه الله على تسرعه بالحكم لأحدهما

قبل سماع الآخر هكذا أنت يا محمد قد قاومتك قومك وصبروا على مقاومتك فإياك أن تمل وتصبر ولا تستعجل واعلم أنك منصور ولقد امتحناك بهم كما امتحنا داود بالخصمين فاصبر على الامتحان فبديك المزمع أريهان إنا امتحنا داود في الحكم بين الخصمين فأسرع ولما فرج إلى ربه فنحن بذكر قصصه نذكرك ونحذر كل مؤمن أن يحكم قبل التحقيق والياتسون من نصر الله عند الصدمات والشدائد لا ينالون المعالي لأنهم ليسوا صابرين . وإذا صبر المبطلون فما أحرى الصادقين أن يصبروا لأن الصادقين منصورون ، هما صابران أحدهما مغلوب والثاني غالب ، وإذا كان المغلوبون في العاقبة يصبرون فأجدر بالذين لهم العقبي أن يكونوا أدوم صبرا وأقدر على المقاومة ، فليثابر كل مؤمن على الأعمال الصالحة فإنه منصور وليتروا - أن امشوا واصبروا على آهتكم - ويطروا معها - واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود - وليحجب كيف كان آخر الصبرين أبقاهما وأنفعهما وأدومهما ، ثم لينظر كيف كان لفظ - ص - في أول السورة يتضمن هذه المعاني الجليلة ، ولما كان الصبر أهم الأمور في الحياة الدنيا والمداومة على الأعمال والثقة بالله تعالى في إنجازها أهم الأمور كلها إذ لا عمل في الدنيا ولا الآخرة إلا بالصبر ، ابتداء السورة بقوله - والقرآن ذي الذكر - وختمها بأنه ذكر للعالمين ، وقال بعد قصص الأنبياء في وسط السورة - هذا ذكر - وقال أيضا - كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدتبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب - فهذه كلها تشير إلى أن السورة مسوقة للصبر على المشاق والأعمال وأن المدار على العمل لأعلى ألفاظ القرآن بل الأسر كله في الصبر ومقاومة الصعاب

حتم الله الصبر على من أصابته البأساء ومن منح النعماء فأيوب صبر على بلائه وسليمان وداود قد عوقبا على عدم الصبر في بعض عملهما . يقول الله اني امتحن جميع عبادي لافرق بين الملوك وغيرهم ، لم أخل سليمان في ملكه ولا داود في قضائه ودولته من الامتحان في الصبر وهكذا أيوب المبتلى . كل من هؤلاء وهؤلاء مبتلون ، ابتلى الله من هم في مجبوحة النعيم والملك العظيم ومن هم في البلاء والبؤس يألمون ، وهذا معنى قوله تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - ولذلك قال الله على لسان سليمان عليه السلام - هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر - كما تقدم ، ومعلوم أن الشكر ملازم للصبر فمن عمل برًا فقد صبر عن الشر الذي هو قادر عليه في مقابلته ، فمن نظر في المصحف فهو في الوقت نفسه قد صبر على غض طرفه عن النظر للمحرّمات عليه ، ومن تلا القرآن والعلم فهو في الوقت نفسه صابر عن توجيه همته من هجر القول والنم والضعف وما أشبهها إلى القول النافع المفيد . ألا تعجب كيف كان لفظ - ص - رمزاً إلى مقصود السورة وكيف جمع صبر المبطلين من الكفار وصبر نبينا ﷺ وصبر أيوب وأن هؤلاء الأنبياء مثني عليهم وغالبون فائزون ، وكيف كان ذلك أيضا رمزاً إلى اللوم على من لم يصبر ولم يتم عمله فكأنه قيل : فكروا في الصبر واحترسوا من الاسراع ، وكيف كان من لم يفكر في نظام هذه الدنيا حتى يقف على الحقائق وأسرع بالحكم على نظام هذا العالم وأنه باطل أشبه بمن أسرع في الحكم لأحد الخصمين قبل سماع الآخر ، وكيف كان ذلك رمزاً إلى أن المقصود من الحياة إنما هو الحكمة والعلم ، فأما القضاء ونحوه فأنما هو لنظام نوع الانسان في الحياة الدنيا ، ولعمري ما أبعد الفرق بين المقامين مقام القضاء بين العباد ومقام معرفة الحقائق والوقوف على الدقائق في نظام السموات والأرض . ان أولهما مقدّمة وثانيهما نتيجة ، لذلك تجد قضاء داود تبعه ذم الذين يظنون أن السموات والأرض خلقتا باطلا . إن في هذه السورة حثاً على حسن القضاء بين العباد لحفظ الدولة ونظام الأمة وبهذا النظام وقيامه يقدر الناس أن يفكروا ويفقهوا فأما إذا لم يكن قضاء ولا نظام فلامفكرين ولا حكماء لأنهم لا يجدون أمناً في البلاد فلا يقدرّون على التفكير ولا العلم

يقول الله في آخر السورة - ولتعلمن نبأه بعد حين - وهذه الآية شرحها طويل ، فمن نبأ القرآن هذه الأمة الاسلامية المترامية الأكتاف التي تبلغ الآن نحو (٣٥٠) مليوناً من المسلمين ، أفليس هذا من أعظم

أنبأها ، ومن نبأ القرآن العلوم التي كشفها الناس حديثا . وكيف جاء علم الأرواح الحديث مطابقا لهذا القرآن وأن الأرواح بعد الموت أحياء وأن من الأرواح من هم مغرمون بالمادة والمال والحياة والصيت والذكر في هذه الدنيا وهؤلاء يكونون بعد الموت مجذوبين الى المادة معذّبين بذلك ومنهم من يكونون أرقى علما وحكمة وأخلاقا ، وهؤلاء يتباعدون عن المادة ويقربون من ربهم وأن أعلى الأرواح والطنين وأعاهم وأرقهم من يتخلص من المادة ويقرب من الله ويراه وإن من الأرواح من هم في غاية الصفاء واللطف ومنهم من هم في ظلمة وكشافة فلا تقدر الأرواح العالية أن تلهيهم ، وإن من الناس في هذه الأرض من لطف نفوسهم فلا تقدر الشياطين على الوسوسة اليهم كما لا يقدر الصعاليك على مقابلة الملك كما قل تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - أفلا ترى أن هذا معجزة للقرآن ، أفلا ترى أن هذه الامور المذكورة في هذه السورة قد أصبحت تنال في الجامع النفسية علما وهذا هو نفس القرآن (وبعبارة أخرى) هو ما في هذه السورة من ذلك أن يظن أن نبأ بقاء الأرواح بعد الموت وحسابها يظهر في الدنيا قبل يوم القيامة

﴿ حكاية عجيبة ﴾

هل لك أيها الذكي أن تسمع ما أروي به لك عن حال نفسي : كنت أيام مجاورتي بالجامع الأزهر نائما به إذ رأيت كأنني في قرينتنا (كفرعوض الله حجازي) وكأن قائلا يقول لي : انظر انظر ! فنظرت فرأيت كرة بيضاء تميل الى الحرة وسط زرقة الجو تعاو عن المقابر قليلا مقدار خمسة أمتار فقال هذه هي الروح ، وكان ذلك ليلة الخميس فاستيقظت وقت مع اخواني المجاورين لتتوجه الى قصر النيل وما جاوره للرياضة فوجدت عند أحدهم كتاب ابن مسكويه في علم الأخلاق ولا علم لي بهذا الكتاب ولا بهذه العلوم فددت يدي الى الكتاب فقرأت في أوله مسألة الروح والاستدلال على وجودها فحجبت كل العجب وصرت مغرما به وبغيره ، ثم تمادى الزمان حتى هذه الأيام الأخيرة أي بعد هذه الحادثة بأربعين سنة فاطلعت على علم الأرواح فوجدت انهم لما سألوهم في الجامع النفسية أي لما أحضروا بعضها قالت : « إن الأرواح بعد الموت ترتفع في الجو على مقدار خلاصها من المادة وكلما كانت أجل أخلاقا وأغزر علما كانت أبعد عن الأرض » فحجبت كل العجب من موافقة تلك الرؤيا لأقوال الأرواح التي خاطبوها وأنا الآن لست أقول ان هذا تحقيق المقام بل أقول ان الموافقة هي العجب العجيب ، وأعجب من هذا انها توافق آراء ابن سينا والفلاسفة القائلين هذا القول وأن الانسان على قدر انجذابه الى المادة يبعد عن الله وبقدر بعده عن الله يقرب من المادة ولعل مرتبة الروح في الفلاة عند صهرودها دالة على مرتبتها في جهنم . أليس هذا قول الله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا منهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون -

يقول علماء الأرواح : « إن النفس بعد الموت اذا كانت متردية رداء الذنوب جلاتها وزملتها وحجبتها عن الأرواح العالية حتى لا تقدر على تعليمها » ويقولون أيضا : « انه كلما كان الانسان أشد انكارا للبعث كانت روحه عند الموت أشد عذابا لأنه يتنازعها عاملان : عامل الانجذاب الى المادة والياس من حياة أخرى وعامل خروج الروح الذي قضت به النواميس الإلهية في الأرض ، وكلما كان الانسان أكثر صلاحا كان أكثر سهولة في انفصال روحه من جسمه . قالوا : وأرواح الأشرار بعد الموت الظاهر تبقى متصلة بجسمه مدة حتى يحس المنتحرون برعى الدود في أجسامهم ويحكم عليهم بعد الموت بامور فظيعة لأنهم لم يصبروا على ما أصابهم فيضطرون لعذاب عظيم لا يطاق هناك »

وقالوا : « إن النفس متى خرجت من الجسد اطلعت على جميع أعمالها مسطرة في جسمها كأنها تشاهدها لا تحتاج في التعريف ، الى شيء آخر ، وهناك تعرف مقدار ما عملت وتعرف الثواب وتعرف مقدار

العقوبات التي ستناها ، وكل نقص في النفس يتبعه ألم هناك ، وهناك يكون العذاب والنعيم الذي أصاب النفس مقبلا حول الروح فهو هناك كالمهوء هنا ، فهم إما في إطار من شقاء أو من نعيم »
 يا عجباً كل العجب ، جاء في الحديث : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وهذا هو الذي جاء في العلم الحديث اليوم ، ويقول الله - اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - وهو عين ما تقدم

انظر كيف يقولون أيضا : « إن عواطف المحبة والبغضاء والحسد والغيرة والندامة والاشفاق وما أشبه ذلك تكون لها سرائل روحانية محيطية بالنفس فهي كروائح الزروع المختلفة في جسم الانسان . إن علم النبات يفهمنا ذلك ففيه الروائح العطرية المختلفة وفيه الروائح السكرية الكثيرة والانسان يميزها بشممه ، فإذا امتنا ميزنا سرائل الفضائل المختلفة كما يميز روائح النباتات المتميزات واذن يظهر للراء قوله تعالى - كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - فيعرف الانسان كل شيء بنفسه كما يميز في بعض الأوقات حبيبته من عدوه مما يشهر به في نفسه من الميل ومن النفور »

ويقولون أيضا : « إن كل خلق ذميم تتأذى به هناك له عقاب ، وكل ما يصيبنا من آلام الدنيا ومصائبها يزيل عنا بعض هذه العيوب ويبقى منها ما يلزمنا بعد الموت ، والروح في حال البرزخ يعذب عذابا ماديا أو معنويا على مقتضى ذنوبها حتى ان المتكبر يقاسى آلاما لا تطاق في حال البرزخ »

وقالوا : « إن المغمم بالمال والحشم والخدم والشهوات يصاب بألم نفسي لأنه يطلع فيرى الناس اقسما وما له وأخذوا ثروته وهو يراهم ولا يقدر على منهم وهذا عذاب لا يطاق »

ويقولون : « إن القتلى والسفاهة كين تطاردهم أشباح من أماتهم فلا يهدئون ولا يقدر على الاحتجاب من هذا العذاب ، وهؤلاء وأمثالهم لا يطلعون على بعض أحوال مستقبلهم للظلمات المتركة عليهم »

ويقولون : « إن الأرواح العالية ترى مالا عين رأت بعد الموت وتطير الى العلا جماعات جماعات ويتنهجون بالجمال الإلهي واحكام الصنعة البديعة في السموات و يبقون سكرى آمادا وآمادا وهم يسرون زمرا متحابين كل جماعة في درجتهم الخاصة التي ماتوا عليها وهم متحابون متجاذبون كتجاذب المواد الأرضية وتظهر على أيديهم العجائب في عالم الأثير البهيج البديع ، والذي يجمعهم انما هو انخلاصهم من السكرية واتحادهم في الفضائل وتكون أجسامهم خفيفة لطيفة غلبت روحانيتها »

ويقولون : « انهم يوقعون في طبقات الأثير ألقانا بديعة وقد يجتمعون حول روح أعظم منهم فيعطيه تعالىم ترقيمهم ، ثم إن أجسامهم لا تعرض كأجسامنا للطافتها وخفتها »

ويقولون : « انهم يقيمون أفراحا وأعيادا باجتماع الأرواح العالوية من أقطار السكون كله وكل منها يتلأأ بسناه اللطيف الدال على صفاته ودرجاته في الرقي »

هذا هو الذي أحببت أن ألقه لك الآن من كتب الأرواح المسطورة أممي ، إياك أن تظن أني أجعل هذا القول المنقول عن المجامع النفسية قولا لا يحتاج الى دليل انما المقام مقام تفسير قوله تعالى - ولتعلمن نبأه بعد حين - فنقول نعم ياربنا عرف عبادك بعض ما جاء في كتابك فهاهم أولاء عرفوا أن الأرواح لها نعمات وموسيقى في اجتماعها وهذا هو الذي قاله بعض المفسرين في قوله تعالى - إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون - فعدوا من ذلك النعمات الموسيقية وعرفوا انهم نزع ما في صدورهم من غل أخوانا على سرر متقابلين وهذا لا يكون إلا للأرواح الخالصة من شوائب الحسد والغل الخ وعرفوا أن الروح تقرأ أعمالها في شكل جسمها الروحي وغير ذلك مما أوفضته في هذا المقال ، فليس المقام مقام تحقيق صدق هؤلاء وكذبهم بل المقام في أنه طابق ما في القرآن ، ولست أيتها الذكي ملزما أن تبحث عن كون قولهم حقا أو باطلا

فأما لك القرآن نصّ عليه فإن أردت البحث فأقرأ طرق تحضير الأرواح من كتابي المسمى «الأرواح» واستحضرها بالطرق الواضحة هناك وكن مختصا في البحث لأجل العلم والعرفة لا لأجل الدنيا فستعرف الحقائق بنفسك لا بأهل أوروبا الذين أخبرونا أن أرواح القديماء الصالحين عدا شأنهم وهكذا الطالحون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين . انتهى الفصل الثالث في مقصود السورة

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (١) في بعض أسرار - ص - وسورتها
- (٢) في قوله تعالى - يادادود إنا جعلناك خليفة في الأرض -
- (٣) في قوله تعالى - رب اغفر لي وحب لي ملكا - الخ
- (٤) في قوله تعالى - قال فبهزتك لأغوينهم أجمعين -

﴿ اللطيفة الأولى في بعض أسرار - ص - وسورتها ﴾

(كتب صباح يوم الجمعة ٢٤ يناير سنة ١٩٣٠)

استيقظت الليلة بعد نصف الليل وكنت نمت قبل أن أصلي العشاء فصليتها وفي ركعات الوتر قرأت آيات من ﴿سورة ص﴾ وفيها - يادادود إنا جعلناك خليفة في الأرض - الخ فرت بفسكري بعض عجائب هذه السورة وبعض عجائب الأرض والسماء وذلك أن (ص) كما قدمنا جاءت في أول حروف الصبر وأول كلمة في السورة جاءت الصاد في أولها - واصبروا - واهمة فيها للوصول ، ثم أمر ﷺ أن يصبر في آية - اصبر على ما يقولون - في مقابلة قولهم - امشوا واصبروا على آلهتكم - إذن الكفر عند أهله لا يتم إلا بالصبر والنبوة عند أهلها لا تتم إلا بالصبر ولكن يابعد ما بين الصبرين ، وهنا أعقبه بقوله - واذكر عبدنا داود - الخ فإذا نرى ؟ نرى أنه ذكر داود وسليمان وأيوب ثم إبراهيم واسحق الخ ، فهنا رأينا داود وسليمان ملكين وأيوب ابتلى بنقم الدنيا مرضا وفقرا ولكن هذان النبيان مع هذا الملك قد ابتليا بما يشبه المعصية وهذا يحزنهما كما حزن موسى بقتله القبطي . إذن الألم عند الأنبياء ﴿نوعان﴾ نوع يرجع إلى الألم الروحي الديني الذي يورث الندم ، ونوع يرجع إلى الألم الجسمي والمالي ونحوهما ، فالنوع الأول ظاهر في أمر موسى وداود وسليمان ، والثاني ظاهر في أمر أيوب وإبراهيم واسحق وإسماعيل ، فالأول بيدنه وماله وأهله والثاني بالنار وبذبح ولده والثالث والرابع بذبحه هو فصبر الجميع ففازوا ونجوا . إذن في الملك امتحان وفي الجسم امتحان وفي الفقر امتحان وهذا كله لم يقصد منه في القرآن أن يعلم الله الأنبياء كلا والله بل قصد منه تعليمنا نحن ، ومعنى هذا أنني أجد في نفسي خزيا وحزنا من أمور سبقت إذا تذكرتها دلت على أنني كنت غير كامل الخلق ولا ممتازا بالصبر كأن أنطق بقول لاقيمة له أو أفعل فعلا غير جيد فيقول الله لي إن موسى لم يمنعه قتل القبطي الذي أورثه الندم أن يكون نبيا ورسولا وأن داود وسليمان اللذين ابتليا بما ظاهره أنه ذنب فندما ولكن هذا الندم ليس معناه انهما أذلا نفسيهما طول الحياة وقعدا عن الأعمال . كلا . بل إن الندم مظهر يدل على أن النفس به ترقى وربما تكون بعد الذنب خيرا منها قبله فإن معصية توجب ذلا وانكسارا خير من طاعة توجب عزا واستكبارا ، وهكذا قد يهتري أحدنا نقص في الأموال والأنفس والثمرات فيقول الله له إياك أن تقنط فكما صبر أيوب على النقص في ذلك وصبر إبراهيم واسحق ويعقوب على ما ابتلوا به ففازوا جميعا هكذا أنت اصبر تنل ، إذن يكون هذا تطبيقا على آية البقرة - وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - فذكر البشارة

والصلوات والرحمة والهداية لهم هو الذي ظهر مثله هنا بفوز داود وسليمان وأيوب وأمثالهم بعد أصابهم جميعاً بمصائب روحية دنيوية أو مصائب جسمية ومالية إذ يقول الله يا محمد إذ ذكر عبدنا داود الخ فهو لاء جميعاً ابتلوا بأنواع من البلاء في أنفسهم وأهلهم وأنت ابتليت بأهل مكة إذ كذبوك وقد صبروا على كفرهم فاصبر على إيمانك وصابرهم وستفوز كما فاز من قصصهم عليك من الأنبياء ، فهكذا أنا وقرأء هذا التفسير يقول الله لنا كل ما يصيبكم لا يخرج عذابكم فهو إما مصائب من أذى الناس وإما من ذنوب تقدمت وإما من نقص الأنفس والأموال والثروات وقد صبر نبينا ﷺ على الأول وبعض الأنبياء على الثاني وبعضهم على الثالث ففازوا جميعاً وأنت تفوز كما فازوا إذا تعلقت الصبر وهذا هو بعض سر (ص) في أول السورة إذ ظهر أن المداوحيه في هذه السورة على شيء واحد وهو الصبر

أقول : ثم بعد أن خطر لي هذا الخاطر تذكرت أمراً عجيباً وهو قوله تعالى - كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب - فقلت فما الذي يتذكره أولوا الألباب ياترى في هذه الآيات ؟ هنالك وجدت رابطة وثيقة بين الصبر المتقدم بجميع فروعه وبين صبر القضاة على القضاء بالحق لأنهم معرضون لسخط الناس وسخط الملوك الذين ولوهم ، والله يقول هنا - فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى - وهذا لا يكون إلا بالصبر . فهذا أيضاً من سر (ص) فهناك ما جاء في كتاب «العقد الفريد ، للملك السعيد» من صبر القضاة على العدل وقول الحق ثم فوزهم ، وفي هذا المقام عشر قضايا وهذا نصها :

﴿ خاتمة لهذا الركن ﴾

من عادة من له خاطر وقاد وفكر نقاد وقاب الى ادراك الفضائل منقاد انه اذا وقف على القواعد السكينة في المقاعد العلية والمقاصد المرعية لاسيما في الراصد الشرعية أن يتطاع الى الوقوف على شيء من جزئياتها ويتوقع معرفة شيء من أحوال سالكي طرقاتها ليكون على بصيرة من التفاروت بين الجامعين أصناف صفاتها القارعين وصيد صفاتها وبين القانعين منها بمجرد أسماء شبهاتها التابعين أهواء نفوسهم الأماراة في ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت من جماعة من القضاة المتقدمين القاميين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للتوسمين وإدكار نافع والنذكرى تنفع المؤمنين تصدع بأن قضاة الشريعة هذا وضعها وولاة أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة عنهم كثيرة يبعد جمعها وفي ذكر بعضها تبصرة يعم نفوسها ويعظم وقعها وقد وقع الاختصار من أحكامها على ذكر عشرة لاحاجة معها الى زيادة تذكره

﴿ القضية الاولى عن عدل محمد بن عمران الطلاحى ﴾

قال نعيم المندفي قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلاحى متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكروه فأمرنى أن أكتب الى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم فقلت له تعفينى من ذلك فانه يعرف خطي فقال اكتب فكتبت وختمت فقال والله ما مضى به غيرك فضيت به الى الربيع حاجبه وجعلت أعذر اليه فقال لا بأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم انى دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولا يبداًنى بالسلام ثم خرج وبين يديه المسيب والربيع وأنا خلفه وهو فى ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي ﷺ فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم الجالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب فاذا قام القاضي من مجلسه فدعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فرد عليه السلام وقال

له جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرت لك بمسيرة آلاف
صلاة لك فاقبضها فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلاة فما أبرك سلك السنن القويم والتابع
المصراط المستقيم

﴿ القضية الثانية عدل عاقبة بن يزيد القاضي ﴾

نقل أن عاقبة بن يزيد القاضي كان يلي القضاء ببغداد للمهدي فجاء في بعض الأيام وقت الظهر للمهدي وهو
حال فاستأذن عليه فاما دخل عليه استأذنه في من بسم اليه القمطر الذي فيه قضايا مجلس الحكم واستعداده من
القضاء وطالب منه أن يقيه من ولايته فظن المهدي أن بعض الاولياء قد عارضه في حكمه فقال له في ذلك وأنه
ان عارضك أحد لنكر عليه فقال القاضي لم يكن شيء من ذلك قال فما سبب استعدائك من القضاء قل
يا أمير المؤمنين كان تقدم إلى خصمان منذ شهر في قضية مشككة كل يدعي بينة وشهودا ويدعي بحجج تحتاج
إلى تأمل وتثبت فرددت الخصوم رجاء أن يطلعوها وأن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما أني أحب الرطب
فعمد في وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب فجمع رطباً لايتيمأ في وقتنا جمع مثله لأمر المؤمنين ومارأيت أحسن
منه ورشاً بوابي بدراهم على أن يدخل الطبق على ولايبالي أن يرد عليه فلما أدخله على أنكرت ذلك
وطردت بوابي وأمرت برد الطبق فرد عليه فلما كان اليوم تقدم الخصمان إلى فاستاويا في عيني ولاقاي
فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حالي لو قبلت ولا آمن أن تقع على حيلة في ديني وقد فسد الناس
فأقاني يا أمير المؤمنين أقالك الله واعفني عفا الله عنك

﴿ القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضي الكوفة ﴾

روى عمر بن هياج بن سعد قال أنت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم
فقلت أنا بالله ثم بالقاضي قال من ظلمك قالت الامير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين كان لي بستان على
شاطئ الفرات فيه نخل ورثته عن أبي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطا وجعلت فيه رجلا
فارسيا يحفظ النخل ويقوم به فاشترى الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتي وسارموني ورغبني فلم أبعه فلما
كان هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام رفاعل فاقتلوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئا واختلط بنخل
اخوتي فقال يا غلام أحضر طينة فأحضر ختمها وقال امض الى بابه حتى يحضر بك خوات المرأة بالطينة
المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال قد أعدى القاضي عليك وهذا ختمه فقال ادع لي صاحب
الشرطة فدعاه فقال امض الى شريك وقل ياسبحان الله مارأيت أعجب من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح
أعديتها على قال صاحب الشرطة ان رأي الامير أن يهفني من ذلك فقال امض وياك نفريه وقال لغلامه
اذهبوا واحلوا لي الى حبس القاضي بساطا وفرشا وما تدعوا الحاجة اليه ثم مضى الى شريك فلما وقف بين يديه
أدى الرسالة فقال لغلام المجلس خذ بيده فضعه في الحبس فقال صاحب الشرطة والله قد علمت انك تحبني
فقدمت ما احتاج اليه الى الحبس وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال له رسول أدى رسالة أي
شيء عليه فقال شريك اذهبوا به الى رفيقه الى الحبس فحبس فلما صلى الامير موسى العصر بعث الى اسحق
ابن الصباح الاشعفي والى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك وقال لهم أبلغوه السلام وأعلموه
أنه استخف بي واني لست كالعامة فضوا اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما
انقضى كلامهم قال لهم مالي أراكم جثتموني في غيرة من الناس فكمتموني من ههنا من فتيان الحى فأجابه
جماعة من الفتيان فقال ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس ما أتم الاقنة وجزاؤكم الحبس
قالوا له أبدا أنت قال حقا حتى لا تعودوا لرسالة ظالم فحبسهم فركب موسى بن عيسى في الليلة الى باب السجن

وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجنان فأخبره فمدعا بالقدر
نفسه ووجه به الى منزله وقال لفلانة اخطى بثقلى الى بغداد والله ما طلبنا هذا الاصر منهم ولكن اكرهونا
عليه ولقد ضمنوا لنا فيه الاعزاز اذ تقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد وبلغ الخبر الى موسى
ابن عيسى فركب في موكبه فلحقه وجعل يشاهده الله ويقول يا أبا عبد الله تثبت انظر اخوانك تحبسهم مع
أعوانى قال نعم لأنهم شؤا لك فى أمر لم يحجز لهم المشى فيه ولست ببارج أو يردوا جيعها والا مضيت الى أمير المؤمنين
المهدى فاستغفيتهم مما قلدنى فأصر موسى بردهم جيعا الى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاء السجنان فقال
قد رجعوا جيعا الى الحبس فقال لأعوانه خذوا بلجام دابته بين يدي الى مجلس الحكم فمروا به بين يديه
حتى أدخل المسجد وجلس فى مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال هذا خصمك قد حضر فقال موسى
وهو مع المرأة بين يديه قبل كل أمر أنا قد حضرت أولئك يخرجون من الحبس فقال شريك أما الآن فنعم
أخرجوهم من الحبس فقال ماتقول فيما تدعيه هذه المرأة قال صدقت قال ترد ما أخذت منها وتبني حاطها سريرا
كما كان قال أفعل ذلك قال لها أبقى لك عليه دعوى قالت بيت الرجل الفارسى ومتاعه قال موسى بن عيسى
ويرد ذلك كله بقى لك عليه دعوى قالت لا وبارك الله عليك وجزاك خيرا قال قومي فقامت من مجلسه فلما فرغ
أخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلسه وقال السلام عليك أيها الأمير أنا سر بشئ فقال أى شئ أسر وضحك
فقال له شريك أيها الأمير ذاك الفعل حتى الشرع وهذا القول الآن حق الادب فقام الأمير وانصرف الى
مجلسه وهو يقول من عظم أمر الله أذل الله عظماء خلقه

﴿ القضية الرابعة عدل القاضى شريك أيضا ﴾

قال عمر بن خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضى شريك فأتيته يوما فى منزله باكرا فخرج الى
في رداء وليس تحته قميص وعليه كساء فقلت له قد أصبحت عن مجلس الحكم فقال غسلت ثيابى أمس لم تجف
اجلس فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير إذن مواليه قال ما عندك فيه وما تقول فيه وكانت الخيزران
قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة وكتبت الى موسى بن عيسى أن لا يعصى له أمر بالكوفة وكان
مطاعا بالكوفة فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق ومعه جماعة من أصحابه وعليه جبة خزوطيلسان وتحته بردون
فاره واذا بين يديه رجل مكشوف وهو بصيح واغوثاه أنا بالله ثم بالقاضى واذا فى ظهره آثار السياط فسلم على
شريك وجلس الى جانبه فقال الرجل انا بالله ثم بك أصلحك الله أنا رجل أعمل هذا الوشى أجزى كل شهر
مائة أخذنى هذا منذ أربعة أشهر واحتبسنى فى طراز يجرى على القوت ولى عيال قد ضاعوا وهلكوا وأقبلت
اليوم نحوهم لأراهم فلحقنى ففعل بظهرى ما ترى فقال القاضى قم فاجلس مع خصمك يا نصرانى فقال أصلحك
الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة صر به الى الحبس قال قم وياك واجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال
ما هذه الآثار التى يظهر هذا الرجل من أثرها فقال أصلحك الله القاضى انما ضربته أسواط بيدى وهو يستحق
أكثر من ذلك صر به الى الحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره وأخرج سوطا ثم ضرب بيده الى مجامع
ثوب النصرانى وهو يقول لا تضرب والله بعدها المسلمين فهم أعوانه أن يخلصوه فقال شريك لفتيان الحى
خانسوا هؤلاء الى الحبس فهرب الاعوان وبقى النصرانى فصر به أسواط فجعل يبكي وهو يقول ستعلم فلما
فرغ من ضربه ألقى السوط فى الدهيل وقال لى يا أباحفص ماتقول فى العبد يتزوج بغير إذن مواليه فأخذنا فيما
كننا فيه كأنه لم يصنع شيئا وقام النصرانى الى البرذون ولم يكن له من يسكه فجعل النصرانى يضرب البرذون فقال
له شريك أرفق به وياك فانه أطوع لله منك ثم قال خذ فيما كننا فيه قال حمير فقلت له مالنا ولهذا لقد فعلت
اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكررة فقال لى أعز أمر الله يهزك الله خذ فيما كننا فيه فذهب النصرانى الى

موسى بن عيسى فقال شريك فعل بي كيت وكيت فقال له والله ما أعرض لشريك القاضي النصراني الى بغداد ولم يمد يدها الى الكوفة

القضية الخامسة عدل عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقعة

قال الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب قال كان عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقعة وكان الرشيد اذا دأب بها لجاء رجل الى القاضي فاستعدي اليه علي عيسى بن جعفر فكتب اليه القاضي ابن ظبيان أما بعد أبق الله الأمير وحفظه وأتم نعمته أتاني رجل فذكر أنه فلان بن فلان وأن له على الأمير أبقاه الله تعالى خمسمائة ألف درهم فان رأى الأمير يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلًا ينظر خصمه أو يرضيه فعل ودفع الكتاب الى رجل فأتى باب ابن جعفر فدفع الكتاب الى خادمه فأوصله اليه فقال له قل له كل هذا الكتاب فرجع الرجل الى القاضي فأخبره فكتب اليه أبقاك الله وأمتع بك حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقا فسير معه الى مجلس الحكم أو وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عوانين من أعوانه فحضر باب عيسى بن جعفر ودفعها الكتاب اليه فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب اليه حفظك الله وأمتع بك لا بد أن تسير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم فان أبيت أنهيت أمرك الى أمير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه ففعلوا على باب عيسى بن جعفر حتى طاع فقاما اليه ودفعها اليه كتاب القاضي فلم يقرأه ورمى به فعادا فأبلغاه ذلك فختم قطره وأغلق بابه وقعد في بيته فبلغ الخبر الى الرشيد فدعاه وسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعفني من هذه الولاية فوالله لا أفليح قاض لا يقيم الحق على القوى والضعيف فقال له الرشيد من يمنعك من إقامة الحق فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لبراهيم بن عثمان سر الى دار عيسى بن جعفر واختم أبوابه كلها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل اليها أحد حتى يخرج الى الرجل من حقه أو يسير معه الى مجلس الحكم فأحاط إبراهيم بداره خمسمائة فارس وأغلق الابواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأى في قتله ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب وارتنع الصراخ في منزله وضح النساء فسكتن ثم قال لبعض الاعوان من غلمان إبراهيم ادع لي أبا اسحاق لأكله فأعاسود فجاء حتى وقف على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا فأخبره بنجر القاضي ابن ظبيان فأمر باحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فاحضرت وأمر أن تدفع الى الرجل فجاء إبراهيم الى الرشيد فأخبره فقال اذا قبض الرجل ماله فافتح أبوابه وعرفه أن القاضي من عمل حكمه فيك مارأيت فيالك ومعارضته

القضية السادسة جراءة عمر بن حبيب القاضي

قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس الرشيد يوما فحرت مسألة فتنازعها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم أبو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقالت أنا الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ وأبو هريرة صحيح النقل صدوق القول فيما يرويه عن رسول الله ﷺ فنظر الى الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلي فلم ألبث أن جاءني غلام فقال أجب أمير المؤمنين اجابة مقتول وتحنط وتسكفن فقلت اللهم انك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك أن يظعن على أصحابه فسامني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصرتي قال يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلقيتني به وتجرات علي فقال يا أمير المؤمنين ان الذي قلته ووافقت عليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به فانه اذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشرعية باطلة والفرائض في الأحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود

مردودة غير مقبولة فالله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصنع اليه وأنت أولى أن تفار لرسول الله ﷺ قال أحبيتي يا عمر بن حبيب أحيالك الله أحييتني أحيالك الله وأصرك بهشرة آلاف درهم

﴿ القضية السابعة عدل حفص القاضي ﴾

قال يحيى بن الليث باع رجل من أهل خراسان جمالا على مرزبان المجوسى وكيل أم جعفر بثلاثين ألف درهم فطله بثمنها وعوقه عن سفره فطال ذلك على الرجل فأتى الى بعض أصحابه وشاوره كيف يعمل فقال اذهب الى مرزبان وقل له أعطني ألف درهم وأحل عليك بالمال الباقي وسافر الى خراسان فاذا فعل فعرفنى حتى أشير عليك ففعل الرجل وأتى الى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع الى الرجل فأخبره فقال له عد اليه وقل له اذا ركبت غدا فاجعل طريقك على القاضي حتى أوكل رجلا يقبض المال منك فى دفعات وأروح أنا الى خراسان فاذا جاء وجلس الى القاضي فادع بمالك كله فاذا أقر حبسه القاضي وأخذت مالك منه فرجع الخراسانى الى مرزبان وسأله ذلك فأجابه وقال غدا انتظرنى بباب القاضي فلما ركب من الغد قام اليه الرجل وقال ان رأيت أن تنزل الى القاضي حتى أوكل يقبض المال وأروح فنزل مرزبان فتقدم الى القاضي وكان حفص بن غياث فقال الرجل أصالح الله القاضي لى على هذا تسعة وعشرون ألفا درهم وادعى عليه فقال له حفص ما تقول يا مجوسى قال صدق أصالح الله القاضي قال قد أقر لك قال يعطيني مالى والا الحبس فقال للمرزبان يا مجوسى ما تقول قال هذا المال على السيدة أم جعفر قال له حفص يا أحمق تقر ثم تقول هذا على السيدة ما تقول يا رجل قال ان أعطاني مالى والا حبسته فقال حفص يا مجوسى ما تقول قال المال على السيدة قال حفص خذوا بيده الى الحبس فلما حبس بلغ الخبر الى أم جعفر فغضبت وبشت الى السندى وقالت وجه بمرزبان الى وعجل فأسرع السندى فأخرجه من الحبس وبلغ الخبر الى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا ويخرج السندى والله لا جلست للقضاء أو يرد مرزبان الى الحبس وغلق باب بيته فسمع السندى ذلك فجاء الى السيدة أم جعفر فقال الله الله فى فان حفصا من لا تأخذه فى الله لومة لائم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لى بأمر من أخرجه ردي به الى الحبس وأنا أكلهم حفصا فيه فأجابته وردته الى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد قاضيك هذا أحمق حبس وكيلى واستخف به اكتب اليه وصره لا ينظر فى الحكم فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصا ذلك فقال للرجل أحضر لى شهودا لا سجل لك على المجوسى بالمال وجلس حفص وسجل على المجوسى فجاء خادم السيدة ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن فى حكم شرعى حتى نفرغ منه فقال كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم وقرأه وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأته وقد أنفذت الحكم عليه فقال الخادم قد عرفت والله ما صنعت أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى نفرغ مما تريد والله لأخبرن أمير المؤمنين بما فعلت قال له حفص قل لى ما أحبيت فجاء الخادم وأخبر هارون الرشيد بذلك فضحك وقال للحاجب صر لحفص ابن غياث بثلاثين ألفا درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصرفا عن مجلس الحكم فقال أيها القاضي قد سررت أمير المؤمنين اليوم وقد أصر لك بثلاثين ألفا درهم فما كان السبب فى هذا فقال حفص تمم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلايته ما زدت على ما أفعل كل يوم قال ومع ذلك قال لا أعلم الا أننى سجلت على مرزبان المجوسى بمال وجب عليه فقال يحيى فن هذا سر أمير المؤمنين قال حفص الحمد لله كثيرا من قام بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة

﴿ القضية الثامنة عدل القاضي أبي حازم ﴾

قال أبو الحسن عبد الواحد الحصببي حضرت القاضي أباحازم وقد جاءه طريف النامدي من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال يقول لك أمير المؤمنين لنا على فلان مال وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك الفلاس وقد قسطت لهم ماله فاجعلنا كأحدهم وقسط لنا فقال أبو حازم قل له أطال الله بقاءه إذا كرر لما قل لي وقت أن قلدي القضاء قد أخرجت الأمر من عنقي وجعلته في عنقك ولا يجوز أن أحكم في مال رجل المتع إلا بينة فربيع طريف وأخبره فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعني رجلين جليين من أعيان الدولة كتابا في ذلك الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل عنهما فإن زكيا قبلت شهادتهما وإلا أمنت ما ثبت عندي فامتنع أرائك من الشهادة فزعا أن لا يقبل قولهما ولم يدفع للمعتضد شيئا فيمكن أن يكون القضاء السديد

﴿ القضية التاسعة نادرة في عدل أبي حازم عبد الحميد القاضي ﴾

ذكر وكيع القاضي قال كنت أتقصد لأبي حازم عبد الحميد القاضي وقوفي أيام المعتضد بالله منها وقف الحسن بن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالخلافة أدخل فيه بعض وقف الحسن بن سهل الذي تحت يدي وانظري وهو مجاور القصر وبلغت السنة آخرها وقد جيت مال الوقف إلا ما أخذه المعتضد فجئت إلى القاضي أبي حازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنت في قسمته في سبيله على أهل الوقف قال هل جيت ماعلى أمير المؤمنين فقلت ومن يجسر يطالب الخليفة فقال والله لا قسمت الارتناع أو تأخذ ماعليه والله لأن لم ترج إليه لاوليته عملا ثم قال امض إليه الساعة وطالبه فقلت ومن يوصلني فقال امض إلى صافي الحرمي وقل له أنك رسول أنفذت في مهم ليستأذن لك فاذا وصلت إليه فعرفه فأقلت لك فجئت فقلت لصافي ذلك فاستأذن لي وأدخلني وكان آخر النهار فلما صرت بين يدي الخليفة ظن أن أصرا عظميا قد حدث فقال هيه فقلت اني أتولى لعبد الحميد قاضي أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين إلى قصره ولما جيت مال هذه السنة امتنع من تفرقة إلى أن أجبي ماعلى أمير المؤمنين وأنفذني الساعة قاصدا بهذا السبب وأمرني أن أقول اني حضرت في مهم لاصل اليك قال فسكت المعتضد ساعة متفكرا ثم قال أصاب عبد الحميد ياصافي أحضر الصندوق فلما أحضره قال كم يجب لك قل قلت أر بعائة دينار قال أفتعرف النقد والوزن قلت نعم قال هاتوا ميزانا ثم قال أترن أر بعائة دينار فقبضتها وانصرفت إلى أبي حازم فعرفته ذلك فقال أضعها إلى ماعندك من الوقوف وفرقه غدا في سبيله ولا تؤخر ذلك فمن حكم بالحق نفذ حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه وأبرأ ذمته

﴿ القضية العاشرة عدل اسماعيل القاضي ﴾

قال الدارقطني سمعت عبد الرحيم ابن القاضي اسمعيل بن اسحاق يقول كان في حجر أبي يقيم فبلغ وله أم وأختها في دار الخليفة المعتضد بالله فقالت أم اليتيم لأختها كلي أمير المؤمنين حتى يرفع اسمعيل القاضي الحجر عن ولدي فسكمته فدعا المعتضد عبيد الله بن سلمان بن وهب وزيره وقال له قل لاسمعيل القاضي يفيك الحجر عن فلان فقال له الوزير أن أمير المؤمنين يأمر بك أن ترفع الحجر عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يخبر عنه برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والدته الصبي إلى أختها وسألتها أن تعاد أمير المؤمنين وكان المعتضد لا يعاود الخشونة فعاودته فقال أليس قد أمرت فقالت لم يرفع عنه بعد فدعا وزيره عبيد الله ثانيا وقال أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضي بأن يرفع الحجر عن فلان فقال قد كنت قلت له عن ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال قل له يرفع الحجر عنه فدعا الوزير ثانيا وقال له وأمر المؤمنين يأمر بك أن ترفع الحجر عن فلان فأطرق القاضي

ساعة ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيئاً وختمه فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتاباً ولم يقل له شيئاً لمحل اسمعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له توصل هذا الى أمير المؤمنين فانه جوابه فأخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم أن هذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لا تعاوده في هذا فأخذ عبيد الله الوزير الكتاب وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ياد اود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

فهذه سيرة القضاة المتصفين بما سبق من الاوصاف المقتفين في أعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت أحكامهم وجرت أقلامهم وشكرت أيامهم ولم تعثر بهم آثامهم اهـ

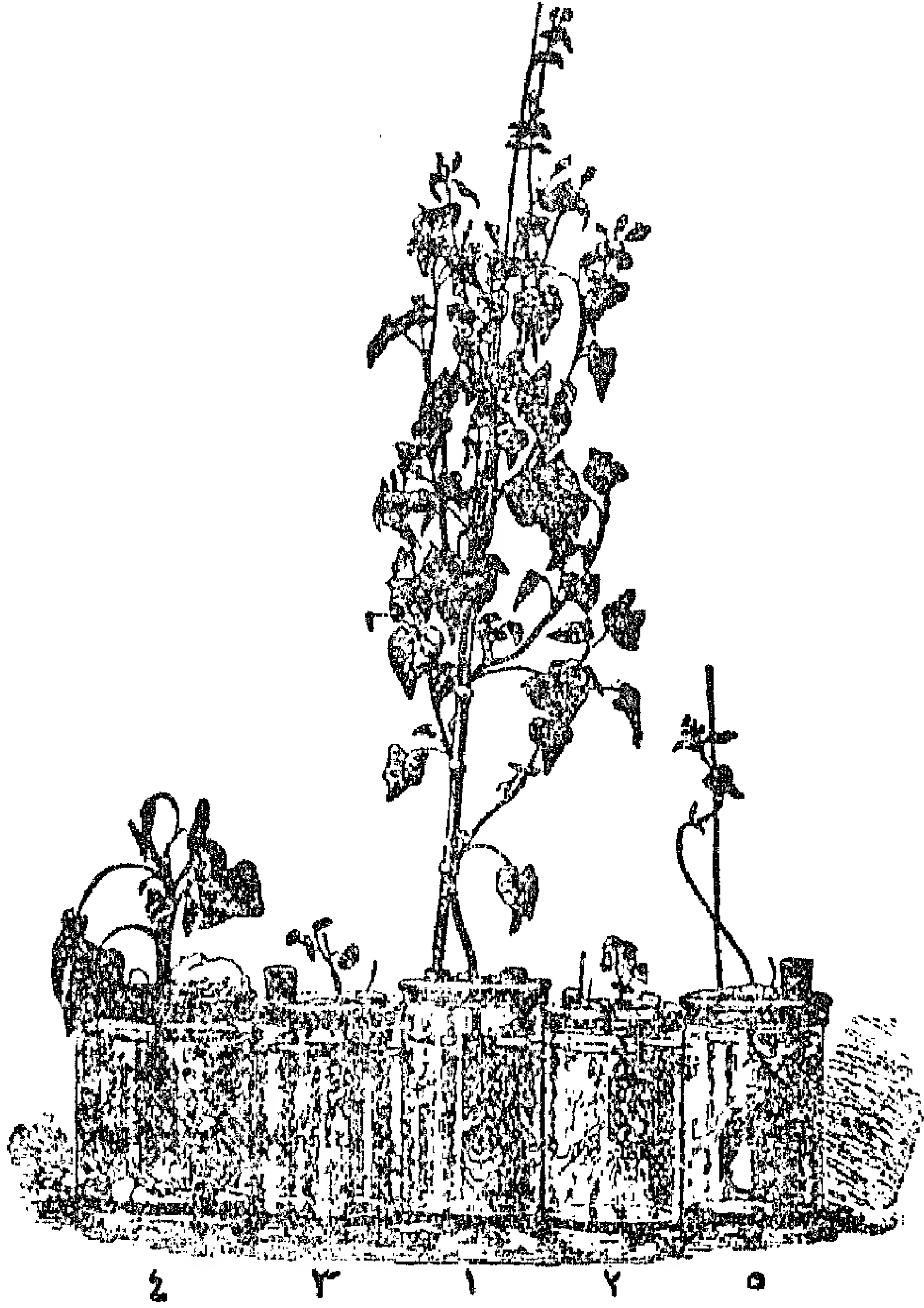
هنالك أخذت أفكر في قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار - الخ ههنا يتذكر أولو الألباب المناسبة بين خلق السموات والأرض وبين العدل في القضاء وليس من الميسور أن يعرف الناس تلك المناسبة بقراءة علوم السموات والأرض وهنا يكون العجب من الأمم الإسلامية المتأخرة ، حرمت علوم السموات والأرض غفراً عليهم السقف من فوقهم ولكن الأمم الإسلامية في العصور الأولى كانوا يفهمون هذه الأمور بعقولهم وهكذا الأمم الذين بعضهم في زماننا وبعضهم بعد مفارقتنا هذه الدار سيفهمون هذا حق الفهم ويقولون إن الله يقول لداود - فاحكم بين الناس بالحق - ثم أعقبه بأن السموات والأرض لم يخلقنا باطلاً وفي آية أخرى قال - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق - ثم يقولون فلننظر عسى أن نجد في علم النبات هدى فيجدون أن العناصر التي تدخل في تركيب النبات بتجليله تحليلات كيميائية هي :

الكربون . الاوكسجين . الايدروجين . الاوزون . الكبريت . الفوسفور . البوتاسيوم . الكالسيوم الحديد . المغنسيوم

ويحصل النبات على الكربون من الهواء وعلى معظم الاكسوجين والايدروجين من الماء ، أما بقية العناصر فيحصل عليها من الأملاح الذائبة في التربة

﴿ اثبات ضرورة العناصر السابقة للنبات ﴾

إذا عمل محلول من ماء أذيت فيه أملاح تشتمل على العناصر الآتية الذكر فإن النبات ينمو فيه بحالة طبيعية (شكل ٢ - ١) وإذا أنقص من المحلول أحد هذه العناصر فقد ينمو النبات الى حد ما (شكل ٢) ولكنه يضعف ويموت بعد ذلك ، وقد يحتوي النبات النامي في التربة عدا ما تقدم على عناصر السليس والصوديوم والكلور إلا ان هذه العناصر ليست ضرورية جداً ويمكن للنبات أن ينمو بدونها بحالة طبيعية . والنبات لا يمتص المواد الضرورية له بنسبة واحدة فهو يحتاج مثلاً الى مقدار قليل جداً من الحديد في حين أنه يحتاج لكميات أكبر من الاوزون كما أن نسبة كل من العناصر الموجودة في النباتات تختلف باختلاف النباتات نفسها (انظر شكل ٢ في الصفحة التالية)



(شكل ٢)

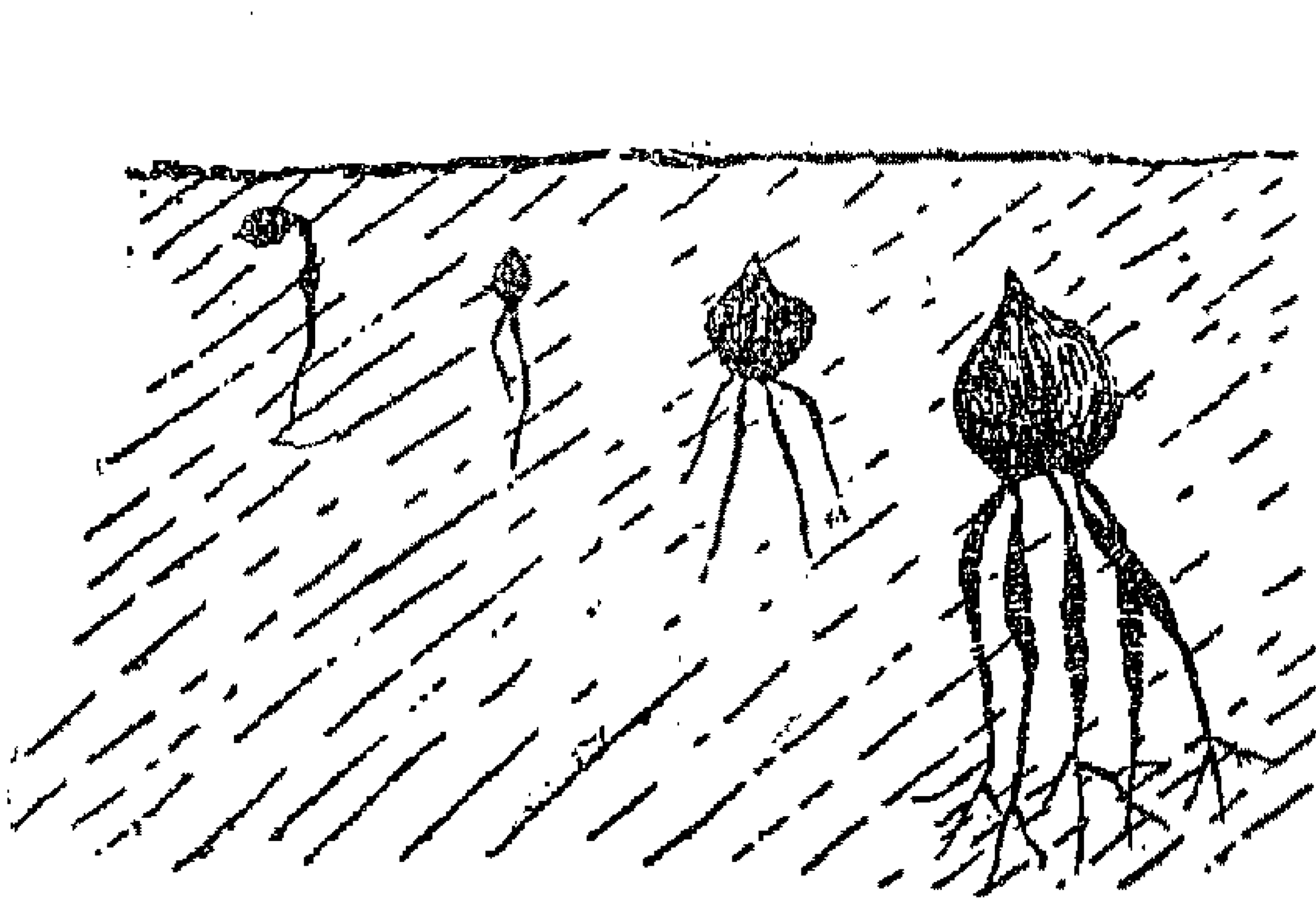
- (١) نبات نام في محلول يحتوى على جميع العناصر الضرورية
 (٢) نبات نام في محلول يحتوى على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم
 (٣) نبات نام في محلول يحتوى على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم الذى استبدل بها الصوديوم
 (٤) نبات نام في محلول يحتوى على جميع العناصر ماعدا الكالسيوم
 (٥) نبات نام في محلول يحتوى على جميع العناصر ماعدا الازوت

فاذا رأوا ذلك قالوا هذا مثل من أمثلة السموات والأرض وانهما لم يخلقا عبثا ولا لعبا بل خلقا بالحق كما قال تعالى - ما خلقناهما إلا بالحق - وذلك الحق كالحق المذكور في آية داود - فاحكم بين الناس بالحق - الله حق وفعله في تغذية النبات حق بحيث اذا نقص النبات في (شكل ٢) السابق البوتاسيوم فقط كان صغيرا جدا واذا نقص الازوت كان أكبر وهكذا ، أما اذا كان تام التغذية فانه يتم كماله . هذا هو الحق في نظام النبات وهو فعل الله ، وليس هناك اختلاف في هذا القانون ، فلم يسمع الناس أن نباتا نقص أحد هذه العناصر ثم كان تاما في شكله غير منقوص وهذا هو نفس الحق الذى تقدم في القضايا العشر التى نقلتها لك عن القدماء ، وأى فرق بين عدل محمد بن عمران الطلحي إذ يكتب الى المنصور فيحضر فيحكم عليه وبين نقص النبات أماننا اذا نقص عنصرا من عناصر التغذية ، واذا كنا نحن خلفاء الله في الأرض على رعايانا من الأعضاء والحواس والأسرار والممالك فوجب أن نقبض من استخلفنا ووزن الامور على مقتضى وزنه لتصح لنا الخلافة في الأرض وبهذا نستحق أن نكون - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - فهذه العنصرية تقتضى ذلك الحق فيعدل محمد بن عمران ويحكم على الخليفة ويعدل شريك ويحكم على الأمير موسى بن عيسى وهكذا فهذا الفعل مناسب تمام المناسبة لما رأينا من العدل في أمر تغذية النبات كالا ونقصا ، فن وفى من الزرع

بالعناصر وفيت له ومن نقص نقصت له بقدر لازية ولا نقص وهذا عين قوله تعالى - أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفاسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار - الخ أى كما لم نجعل ناقص التغذية من النبات الذى خلقناه بالحق ليس ككامل التغذية ، فالناقص كالفاسدين فى الأرض والكامل كالمؤمنين

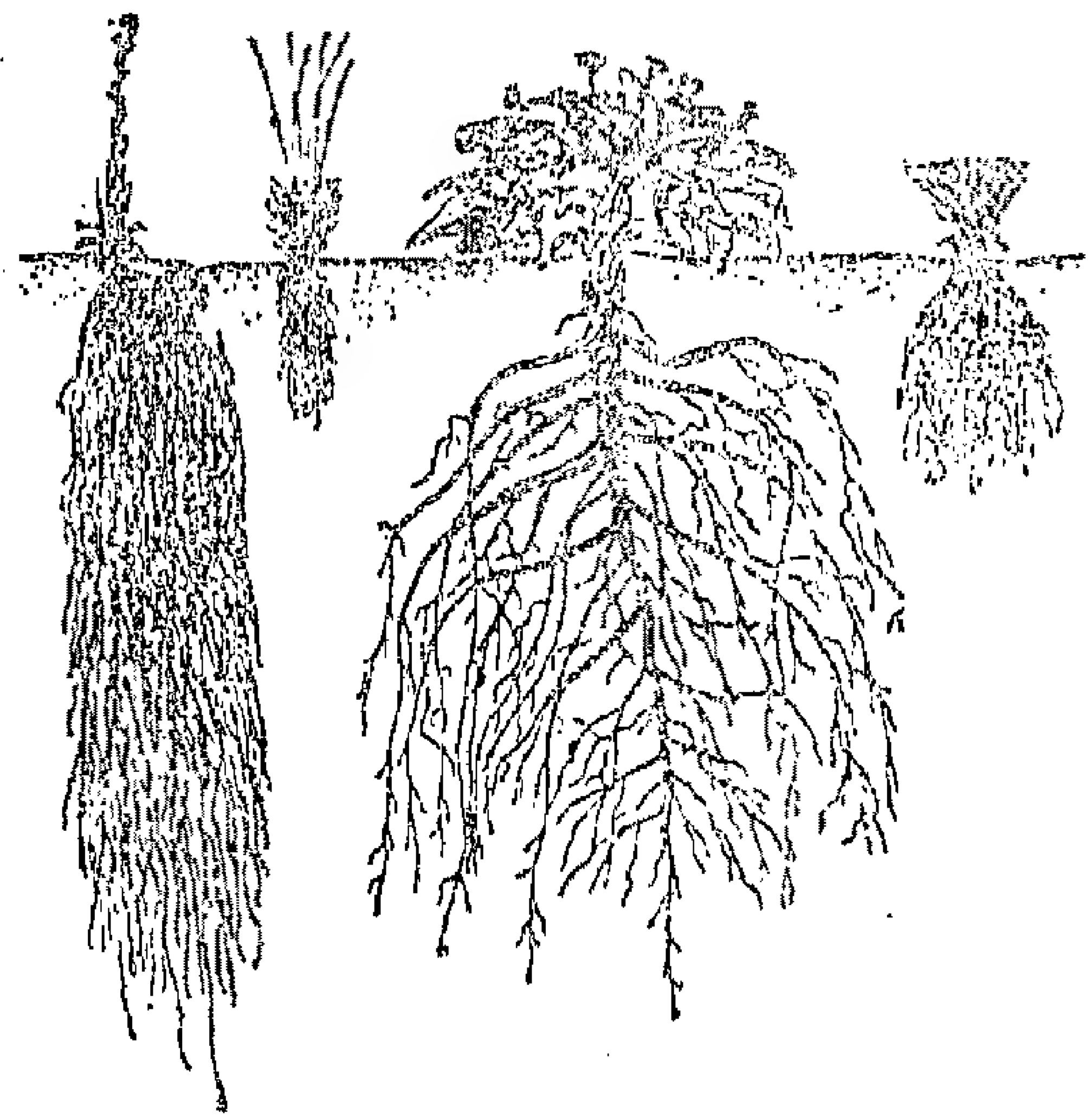
فاذا عرف هذا أهل العلم من المسلمين فى زماننا والذين بعدنا يزدادون علما بالله عز وجل وعلما بمصنوعاته وحكمته وتكون لهم سعادتان : سعادة روحية ، وسعادة جسمية ، أما السعادة الروحية فهو الحب الحقيقى لصانع العالم ، وإذا كان الانسان يهيم شوقا ويحجب أيماء عجاب بشريك القاضى ومن معه لاحقاقهم الحق فى القضايا فبالك بمن قضايه لانهاية لهددها وكهاحق وأصبح الناس يشاهدونها بعقولهم ، وأما السعادة الجسمية فهى ازدياد ثروة الأمم الاسلامية بازدياد العلم والحكمة ومعرفة حقائق الأشياء ، إن الأمم التى يكثرفيها المحبون للعلوم على هذا النمط الذى فى هذا التفسير وهم طبعها يحبون الله تعالى ويحبون عباده بالاجتهاد فى ترقية ترقى سريعاً وخواصها المذكورة أوصافهم يكونون فى سعادة وازدياد علم لا يعرفه سواهم لأن حب العلم وحب الله وحب رقى الناس متى اجتمعت فى امرئ ترادفت عليه أنواع السعادات العالمة وانشراح الصدر وكان الله فى عونته - والله يحب المحسنين -

فهؤلاء الذين يزدادون علما بعدنا لا يقفون عند حد فيه فيرون أن جذور الأنواع المختلفة لا يتزاحم بعضها مع بعض فى مستو واحد من التربة بل تمتد الى أعماق مختلفة (شكل ٣) بخلاف جذور النباتات الحولية إذ تمتد وتتفرع فى العادة بالقرب من سطح الأرض ، أما جذور النباتات المعمرة فانها تمتد الى أعماق أبعد ولكل منها عمق خاص تنمو جذوره فيه فاذا اقتلعت إحدى الأبصال وزرعت فى مستو أعلى من مستواها الطبيعى تتكوّن عليها جذور خاصة تعرف بالجذور الشاذة تلتوى كالبرية فتجذب البصلة الى أسفل حتى تصل بها الى المستوى المناسب (انظر شكل ٤)



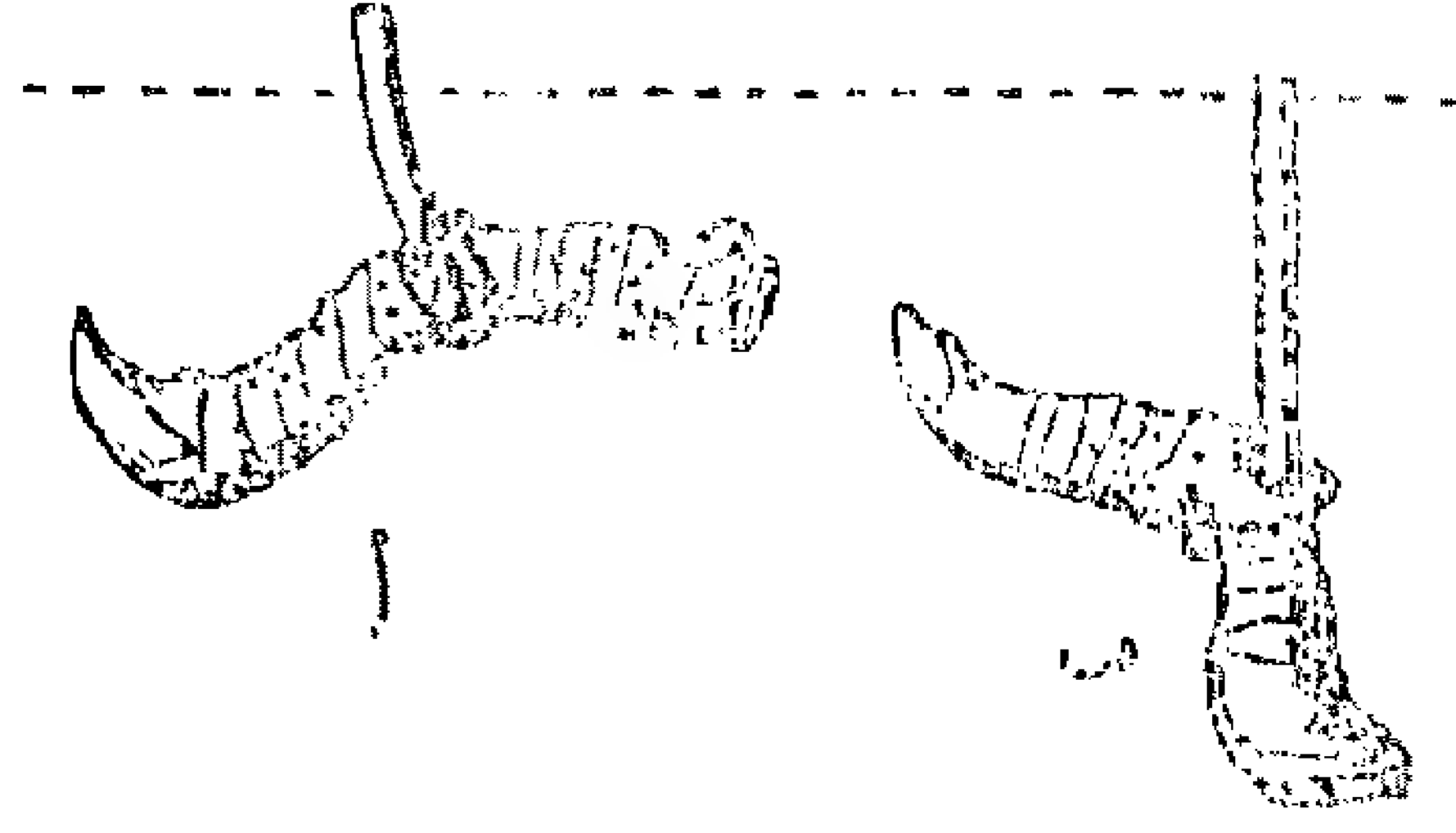
(شكل - ٤)

المستويات التى توجد عليها البصلة الواحدة فى سنوات متتالية بعد انبات البذرة لاحظ الجذور الشاذة التى تجذبها الى أسفل



(شكل ٣ - نمو جذور النباتات الصحراوية فى مستويات مختلفة)

وكذلك اذا زرع أحد النباتات ذات الريزومات الأرضية فى مستو غير مستواه الطبيعى فان الريزوم يتجه الى أسفل أو أعلى حسب الظروف حتى يصل الى العمق الخاص المناسب لقوّه وبعد ذلك يسير موازياً لسطح الأرض (انظر شكل ٥ ، ب فى الصحيفة التالية)



(شكل ه)

- (أ) ريزوم زرع في مستوى أعلى من مستواه الطبيعي فاتجه الى أسفل
(ب) ريزوم زرع رأسياً في مستوى أعظم من مستواه الطبيعي فاتجه الى أعلى متخذاً وضعاً أفقياً

وفي السنوات التي يقل فيها سقوط الأمطار عن المعتاد يشاهد أن الشجر المزروع في هذه الأراضي يقف عتوّه تدريجياً ثم يجف في حين أن النباتات البرية لا تتأثر كثيراً ، وذلك لأن جذور الشجر توجد كلها في مستوى واحد وتزاحم بعضها مع بعض فلا تجد المقدار الكافي من الماء ، أما النباتات البرية فإن ترتيب جذورها على درجات مختلفة المستوى يمنع تزاحمها فيتمكن كل منها من الحصول على الماء اللازم له . وما يلاحظ أن الأمطار تسقط بكثرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط ويقل سقوطها شيئاً فشيئاً كلما بعدت عن الشاطئ فيقل عدد النباتات النامية وتتحول الأراضي الى صحار قاحلة بالتدريج . انتهى ما أردته من كتاب علم النبات إذن يرقى المسلمون الذين يزدادون علماً في زماننا والذي بعده فيدرسون ويقولون هذا الشجر اذا جف الماء ضعف كله وهكذا القمح وجميع النباتات التي نزرعها لأنها جذورها في منطقة واحدة من مناطق التربة الأرضية ، أما النباتات الصحراوية فإن جذورها تمتد في مناطق مختلفات وكل منطقة فيها تربة خاصة يتغذى بها نبات خاص ، ذلك لأن الزارع لها هو الله وهو عدل ومن عدله أن أعطي كل نبات منطقة خاصة يعيش بغذائها ولكن لو كانت كلها في منطقة واحدة لأهلك أقواها أضعفها ، فأما أمثال الشجر والقمح فإن الله جعل الانسان قائماً عليها ليسقيها واذا نبت معها نبات يشاركها في منطقهها الطينية فان الانسان نفسه هو الذي يحافظ على زرعه كما ان حيوان البرية لا أمراض تلحقه والحيوانات التي مع الناس تلحقها الأمراض والناس يداوونها

﴿ تذكرة ﴾

أفلا ترى أيها النكبي أن المسلمين الذين يقرؤون هذه العلوم هم الذين تكون لهم سعادة في الحياة الدنيا والآخرة ، ألا ترى كيف اجتمع هنا علم النبات وعلم القضاء وأخبار القضاة العادلين الجيلة ، أليست ترى أن عدل الله في النبات قد طلب من الانسان أن يسير على منواله ، أليس هذا هو نفس قول المسلم - اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم - والصراط المستقيم هو صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض فهذا هو صراط الله ، أليست ترى أن الانسان كلما أوغل في هذه العلوم حصلت له ملكة بها يكون رجلاً نافعا وهامهم أهل أوروبا قد سبقونا في هذه العلوم ولهم دول عظيمة وأهل أمريكا واليابان والصين ففاقونا بهذه العلوم إذا كسبتهم ملكة التفكير والاختراع ونحن من ذلك محرومون . أليس هذا بعينه هو قول الله تعالى - أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور -

﴿ عبرة في التاريخ ﴾

لقد ذكرت في سورة يونس اني أرسلت خطاباً (وهناك نصه) الى المجلس النيابي المصري في أول حياته

والى رئيس الوزراء والى وزير المعارف وقلت فيه « إن الأمة المصرية كانت عندها العلوم قبل الاحتلال فى المدارس الثانوية . وفى زمن الاحتلال أصبح التاميز يجهل تشرح جسمه ومعرفة دابته التى يركبها والسماء التى فوقه وطبقات الأرض تحته ، فسيصبح القاضى والوزير والمهندس كل هؤلاء جاهلين بهذا الوجود ، فأنا أقترح أن يجعل التعليم الثانوى خمس سنين كما كان ويرجع علم المواليد الثلاثة وعلم الفلك وطبقات الأرض كما كان قديما » هذا هو الذى كتبته منذ بضع سنين ، وبعد ذلك قرروا خمس سنين ، وقرروا علوم النبات والحيوان ، أفلا أجد الله إذ يكون ما نقلته اليوم من الكتب التى ألفها الشبان فى أيامنا هذه فى المدارس المصرية . إذن رقى الأمم الإسلامية سيكون سريها كما ذكرناه من قبل وبرهانه ما أقوله الآن ، والذى مهمنا فى هذا المقام أن نقول : « ومن الدليل على أن ترك هذه العلوم مضعف للأمم أن المحتلين لبلادنا منعوه أيام سلطتهم وهامى ذه رجعت لنا بعد سلطتهم ، وانما كتبت الخطاب المذكور لمجلس النواب وللحكومة لأنى أعلم انهم تهاوموا فى زمن الاحتلال وأكثروا لم يعرفوا هذه العلوم إلا قليلا ، كما انى كنت فى أيام التدريس بالمدارس أؤلف كتباً للمسلمين وأقول فى نفسى اذا كان المحتلون منعوا هذه العلوم من البلاد فهأنذا أكتب مجملها فى كتبى لتكون تذكرة للمسلمين جميعا »

أما الآن فانى أجد الله إذ رجعت العلوم لبلادنا مع الاستقلال النوعى الذى ينتظر أن يتم فى المستقبل . وأقول إن هذا التفسير كتاب دينى والذى شيقروءه إن شاء الله المسلمون ويحجدون فيه هذه العلوم مبسوبة مشروحة ، فهم إذن لا يقف فى طريقهم عائق يصدهم عن قراءة هذه العلوم لأن الذى يمنع العلوم الكونية من أرضية وسماوية عن المسلمين شيطانان : شيطان داخلى ، وشيطان خارجى . أما الشيطان الداخلى فهو ما يدعى به الجهلاء فى الدين أن هذه العلوم تنافى الدين ، والشيطان الخارجى هم المحتلون لأى بلد من بلاد الاسلام فانهم قد يمنعون العلم عنهم كما حصل فى بلادنا قبل تأليف هذا التفسير ، فهؤلاء حين يرون أمثال ما أكتبه الآن لا يرجعون عن هذه العلوم مهما كلفهم ذلك ، وعليه أقول : إن أم الاسلام بعد هذه النهضة الحالية سيكونون خير أمة أخرجت للناس

﴿ وصية المؤلف ﴾

وانى أوصى كل من يقرؤن هذا التفسير أن يذيعوا بين الناس كل ما يعرفونه لأن اذاعة العلم بين الناس ونشره يرجع فى نفس الحياة الدنيا على الناشر بازدياد العلم لأن دورة العلم تمر بالناس ثم ترجع اليه وفيها ازدياد فيزداد هو علما كما اتفق لى فان تقرير هذه العلوم فى البلاد المصرية كان سببا فى أن الحكومة أمرت بعض الشبان فبحثوا فى النباتات المصرية كلها ونشروها فى الكتب ومنها بعض ما كتبناه فى هذا المقام ، فلولا أن هؤلاء الشبان قرؤوا هذا وبحثوه ورسموه ما نشرت شيأ منه ولا عرفته ، ألا ترى أنى كنت أنقل لك ما كتبه الانجليز ورسموه فى كتبهم ، ولما قرأت كتب أهل بلادى فى الحركة الحديثة كتبت ما تقدم من كتبهم ، فلتكن كل أمة دارسة نبات بلادها وحيوانه وكل شئ فيها والا كانت فى الأذلين . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(فى قوله تعالى - ياد اود إنا جعلناك خليفة فى الأرض - فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب -)

﴿ كيف نربى قضاة الأمم الإسلامية وحكامها وخلفاؤها ﴾

أحجرك اللهم على نعمك ، وأشكرك على ما ألهمت من العلم وحجوت من الحكمة ، نزل القرآن ومضت

أجيال وأجيال والأهم الإسلامية ساكنة نائمة بعد الصدر الأول وبقى القرآن مهجورا والعلم محبوسا حتى انبجس في أمم أخرى بعيدة عن الاسلام . إن كتابك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . إنك لم تنزله للناس لتحبس عقولهم وتسكب أفهامهم كما يظن الجاهلون . كلا . بل أنزلته هدى وتبصرة وذكرى وقلت فيه - لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة - وقلت - ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا - وقلت - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقلت - أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها - . أفلم يأن للمسلمين اليوم أن يسمهوا ويعقلوا ؟ نعم آن ذلك فأقول :

تربية الأمة وقضائها وحكامها

لقد قرأت في « جمهورية أفلاطون » عجبا في ذلك فلاذكره أولا ثم أقفى على آثاره بما يناسبه من الكتاب والسنة : « يعلم المسلمون أن القرآن لا يزال بكرا وأنه يستحيل علينا أن نعقل ما فيه ونعرفه حق معرفته إلا بمقدار ما نعرف من علوم الأمم . إن القرآن بلاعقول مفكرة تعقله ولا نفوس قيمة تفهمه لكتاب مهجور متروك ، الحفظ وحده وفهم المعاني اللفظية لا يفينا قليلا ، أليس من العجب أن نسمع أفلاطون وأستاذه سقراط قبل نزول القرآن بنحو عشرة قرون يقول : « إن من العار علينا أن يكثري بلادنا صنفا من الناس وهم القضاة والأطباء ، فكثرة القضاة في البلاد دليل على سوء التربية وقلة الأدب والجهالة . ويقول : نعم نحن أبجنا بعض الموسيقى البسيطة ولكننا لا نبيع الايغال فيها والتفنن ، إن التفنن في الموسيقى يجر إلى الفضول والفضول والفسوق يجر إلى المشاحنات الموجبات للتقاضى عند القضاة »

وهكذا أخذ يذم كثرة ألوان الطعام والتغالي فيه فذلك موجب للأمراض المختلفة وهذا يسبب طلب الأطباء . إذن الأمة يكون فيها جيشان وهما عالة على الأمة ، وهذان الجيشان أكبر دليل على نقص الأمة وقلة تربيتها ، وعليه يجب أن تربي الأمة كلها على القناعة لحفظ الصحة وعلى التهذيب الأخلاقى الذى يبعد النفس عن الخلعة فيقل القضاة والأطباء

ولما قرأت هذا القول دهشت أشد الدهش من أمة الاسلام ، تلك الأمة التى يتهافت بمجموعها على المحاكم وعلى الأطباء لاسما في زماننا بمصر فإن الحمامة صناعة رائجة في بلادنا ، وعندنا ثلاثة جيوش جارية : قضاة ومحامون وأطباء ، وهؤلاء أكبر دليل على نقص فى الأخلاق وفى الصحة وأن الماء كل غير منمنظمة والأحوال غير حسنة وحسبنا الله ونعم الوكيل

وما أشبه الليلة بالبارحة ، لقد نقلت عن الامام الغزالي سابقا أن علماء الاسلام أكبروا على علم الفقه لأنه يوصلهم الى كراسى القضاة وأخذ يذمهم ويقول : « يقوم هذه فتنة . ما الفقه إلا علم واحد والمسلمون يحتاجون الى علوم كثيرة » وقد تكرر هذا فى التفسير . إذن علماء الاسلام السابقون كانت حياتهم وشرفهم وعظمتهم تتوقف على أمر واحد وهو جهل الأمة وقلة تربيتها . ومتى شاع الأدب فى البلاد قلت القضايا فقل القضاة وهكذا متى صحت الأبدان قل الأطباء

لما كتبت هذا اطلع عليه صاحبي فقال : أحب أن أسمع بعض أقوال (أفلاطون) فى هذا . فقلت هذا نصه فى المحاوره بينه وبين غلاكون :

(س) وهل تنكر على الاثنيين تأتقهم فى صنوف الحلوى

(غ) بشدة أنكره

(س) فليس من الخطأ موازنة نظام المعيشة بنظام الموسيقى والغناء المستعمل فى مختلف الأوزان

(غ) لاشك فى انها موازنة صحيحة

(س) أوليس صحيحا أيضا انه كما يولد التنوع الموسيقي فجورا في النفس تولد الأطعمة عللا في الجسد .
أما البساطة في الألعاب الرياضية فانها تولد الصعقة كما انها في الموسيقى تولد العفاف

(غ) بلاشك

(س) واذا انتشرت في المدينة الأمراض وصور الفجور أفلا تضطر لانشاء المستشفيات والمحاكم ؟ أولايته
الطب والحقوق عجبا متى وقف كثيرون من الشرفاء حياتهم على هذه المهنة بوافر الرغبة

(غ) وماذا عسانا أن نتوقع غير ذلك ؟

(س) فآية حجة على سوء تهذيب المدينة وانحطاط سكانها أقطع من افتقار أهاليها الى نطس الأطباء
وأساطين القضاة ؟ ليس فقط بين طبقات العمال الدنيا بل أيضا بين من يدعون شرف النبوة ،
أولايته انحطاطا أدبيا ودليل نقص وتهذيب اضطرارنا الى شريفة يسنها الأجانب كسادة وقضاة
لنا بسبب فقر الوطن ؟

(غ) لا اهانة أعظم من ذلك

(س) أو تظن انها إهانة أخف على الانسان أن يقضى الجانب الأكبر من حياته في المحاكم بين مدع
ومدعى عليه ، بل انه زاد على ذلك انه جهلا منه يفتخر بأنه حرّيف في ارتكاب الكبائر وأستاذ
في الحيل والمواربة والدهاء والمكر بملصه من قبضة العدالة والنجاة من براثن العقاب ، وكل ذلك
لقاء أشياء طفيفة تافهة جاهلا بأفضلية الحياة المنظمة المستقيمة وجاهلها على مثوله أمام قاض خامل

(غ) تلك إهانة أعظم مما سبق ذكرها

(س) أو لا تحسب الاحتياج الى المعالجة الطبية عيبا ، اللهم إلا ما كان لجرح أو لمرض موسمي وافد ؟ أعني
به احتياجنا الى المعالجة بسبب كسلنا ونوع معيشتنا فتملاؤنا الرياح والأخلاق كما تملأ المياه القدرة
الحياة فيلزم أبناء اسكولاييوس أن يستنبطوا أسماء جديدة للأمراض كتطبل البطن والزكام

(غ) حقا إن هذه أسماء جديدة غاية في الغرابة .

(س) اذا مرض النجار مثلا تناول من طبيبه علاجا لا يفراز مرضه بالقيء أو بالاسهال أو بالسكى أو بعملية
جراحية . أما اذا أشار عليه طبيب بالمعالجة الدائمة كالامساك عن الطعام والأربطة على الرأس ونحو
ذلك من أساليب العلاج نفرحالا وأجاب مشيره الطبي أن لا وقت عنده للامساك عن الطعام وأن الحياة
على هذا النظام لا تستأهل عناء الآلام الدائمة والخاوف الشديدة مهتما بمرضه مهملا عمله فيودع
طبيبه ويعود الى حياته العادية فلما أن يستعيد صحته ويستمر في عمله أو اذا لم تحتل بغيره ذلك
أراحه الموت الزؤام من شقائه

(غ) نعم ذلك ما يظن انه نفع المعالجة الطبية لرجل في مثل هذه الحال

(س) صحيح أن الأطباء يحرزون مهارة عظيمة اذا قرئوا منذ الحداثة درس الطب بمعالجة عدد وافر من
شرّ الحوادث المرضية واختبروا في أشخاصهم كل أنواع المرض ولذلك لا تكون لهم صحة جيدة
لأنى لا أظن أن جسد الطبيب هو الذى يشقى أجساد الآخرين والا لما جازله أن يكون ذا علة
أو أن يمرض ولكن عقله هو الذى يشقى . فاذا أصيب فى عقله تعذر عليه أن يكون طبيبا ماهرا

(غ) انك مصيب

(س) ولكن القاضى يا صديقى يحكم العقل (١) بالعقل فلا يجوز أن ينشأ عقله منذ نعومة أظفاره فى بيئة
فاسدة العقول ويأثلف معشرها ويقترب كل أنواع الشرور اقتداء بها لكي يختبر فى نفسه ماهية

(١) وردت فى بعض الترجمات (النفس) بدل العقل فلا ينس القارى ذلك

الأجرام فيتمكن بهذا الاختبار من زلات الآخرين بقياسهم على نفسه على نحو تصرف الطبيب في الأمراض الجسدية بل بالعكس يجب أن يكون الحاكم منذ الحادثة حرا من هذا الاختبار وبمعزل عن عوامل الشر والفساد إذا أريد أن يتصف بالكمال الفائق ويحسن رعاية العدالة وهذا هو السبب في سهولة انخداع الصالحين في شديبتهم إذ ليس في نفوسهم مثل يقيدون شرور الاردياء به

(غ) نعم وهم معروضون كثيرا لهذا الانخداع
(س) ولذا لا يكون أفضل القضاة شابا بل شيخا عرك الدهر وخبر البطل لا كشيئ استقر في نفسه بل كأمر خارجي أدركه ودرسه درسا طويلا مدققا في حياة الآخرين ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ انه يقاد بالمعرفة لا بالاختبار الشخصي

(غ) حقا إن ذلك أشرف نوع في الحكم
(س) وهو صالح أيضا ، هذه هي نقطة البحث لأن ذا النفس النقية صالح ، أما القاضي المريب الذي اقترف كثيرا من موبقات الآثام وهو يزعم انه بارع لكونه عاشرا أمثاله من الشبان فيبدي شديد الحذر قياسا على ما في داخله من نماذج الشر وهي نصب عينيهِ كل يوم . على أنه متى اجتمع بالشيخ والأبرار ظهر بازارهم غرا أحق بريته الشاذة وجهله السجية الكاملة لفقدانه مثلا لها في نفسه وانما لأن علاقاته بالأشرار أكثر منها بالأبرار لاحتاج له ولأمثاله انه حاذق لا أحق

(غ) غاية في الصواب
(س) فلان نشدنا حاكما الصالح في هذا الصف بل في سابقه لأن الرذيلة لا يمكنها أن تعرف نفسها والفضيلة معا . أما الفضيلة في الكامل التهذيب فانها بمرور الزمن تتمكن من معرفة الأسمين : نفسها والرذيلة . فالقاضي الحكيم في مذهبي هو هذا الفاضل لاذك الرذيل
(غ) أوافقك في ذلك

(س) أفلا تنشئ في مدينتك ادارتين : طيبة وقضائية . تتصف كل منهما بما ذكرناه من الأوصاف ؟ فتسبغان بركات خدمتهما على أصحاب الأبدان والعقول مع اهمال سقماء الأبدان فيموتون واعدام الأشرار الفاسدين غير القابلين اصلاحا

(غ) نعم وقد تبرهن أن ذلك خير للدولة ولأولئك السقماء
(س) وواضح أن الشبان يحترسون من افتقارهم الى هذه الشريعة ماداموا يمارسون الموسيقى البسيطة التي قلنا انها تنشئ رزاة النفس
(غ) دون شك . انتهى ترجمة الاستاذ حنا خباز

فقال صاحبي عندئذ : عجبا ! هانحن أولاء في هذا القول رأينا ﴿ عجيبين : العجب الأول ﴾ في سورة يس إذ تقدم هناك أن علم الموسيقى والشعر وعلم الفلك كلها من واد واحد واتضح لنا هناك إذ ظهر أن حساب الفلك يرجع الى دوائر منتظمات مكررات كما في السنين الكبيسة والبسيطة ومثلها في ذلك نظم الشعر ونغمات الموسيقى والطير ﴿ العجب الثاني ﴾ هنا فقد أصبح الطب والقضاء توأمين في أن كثرة كل منهما دليل على سقوط أخلاق الأمة وآدابها . ولقد اضطرت حكومتنا المصرية في هذه السنة أن توسع مستشفى القصر العيني وهي تبني بناء عظيم يسع (٤٨٠٠) سرير للرضى . إذن هذا دليل على الجهل المطبق في هذه الأمة وهكذا كثرة القضاة والمحامين شرعيين وأهلين . كل ذلك دليل على سوء تربية الأمة وعلى سوء ملكة أهلها . فقلت نعم حق ما تقول وذلك السوء ليس من طبيعة بلادنا بل ذلك أمر يتبع احتلال الأجني لبلادنا . ومن أقبح

ما اطلعت عليه بنفسى الى منذ أربع سنين قبل كتابة هذا الموضوع ذهبت الى وليمة وقد كانت بلادنا أخذت استقلالاً جزئياً فسمعت الموسيقى تصدح في تلك الوليمة اذا هي موسيقى الحكومة المصرية فكان دهشى عظيماً إذ سمعت كل الأشعار من أقاويل الجهال والسخفاء وأحقار الطبقات وكلها تنطق بالفسوق والجهالة والهمى فسألت الرئيس فبكى بكاء مرّاً وقال إن السطة للرئيس الأجنبي ولما عارضنا في ذلك عاقبونا فأرغمنا أن نغنى هذا الفناء الحقيقى . ففلمت بهذا وبغيره أن الأمم التى تتدهور أخلاقها كما حصل لأمتنا إنما يكون ذلك أكثره من الأجانب المحتلين للبلاد

فقال صاحبي : عرفنا تربية الأمة على سبيل الاجال فنريد أن نعرف تربية الأمراء والقضاة ونحوهم . فقلت : لقد تقدّم في ﴿سورة يس﴾ عند الكلام على الموازنة بين الموسيقى والفلك أن أفلاطون يحتم أن يقرؤا الرياضيات من الحساب والهندسة والجبر والفلك وأن يمارسوا النضائل وتكون دراستهم لتلك العلوم موجهة في ظواهرها الى منفعة العموم العملية وفي باطنها الى أن تتلمس الروح من الحساب البديع المنظم مبدع العالم فتعرف من استقرار الحساب وجريه على وتيرة واحدة في الأحوال الفلكية وغيرها أن وراءها قوّة ثابتة وعاما وحكمة ورسمه وهناك تتصل نفوس الأمراء والقضاة والملوك بتلك الذات القدسية فيحسّ هؤلاء بأنهم خلفاؤه في الأرض وانهم هم آباء الناس والناس أبناؤهم . وكما نراه أرجب الرياضة البدنية والعفة على العامة أوجبها على الجيوش وعلى الأمراء . إذن القاضى والأمير والملك يجب أن يكون أكلهم وشربهم بسيطين وأن يكثروا التمرين الجسدى والعقلى بالعلوم الرياضية . وأن يفكروا في منظم السكون بحيث يقتربون منه بعقولهم حتى يحسوا بأنهم خلقوا أشبه بخلق الذهب في المعادن . فاذا استحقّ الذهب أن يكون حاكما في معاملات الناس وله السيادة على المعادن فهكذا يجب أن يعلم القضاة الحقيقيون أنهم خلقوا لذلك

فقال : أنا الآن فهمت خوى كلام أفلاطون الناقل عن سقراط فأين هذا القول في القرآن وفي الحديث كما وعدت أنت ؟ فقلت : يقول الله تعالى في ﴿سورة البقرة﴾ يصف الملك - إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم -

فقال : هذا كلام اجالى فأين التصيلي كما فصل سقراط . فقلت : اقرأ القرآن . ألم تر أن هذا الملك نفسه هو الذى أمر قومه أن لا يشربوا من النهر وأن من شرب منهم لم يقدر على المقاتلة ومن لم يشرب أو شرب قليلا حارب والذين لم يشربوا كانوا قليلا والذين شربوا كانوا كثيرا ولم يحارب إلا أولئك الأقلون فانتصروا . وهل هذه القصة موجهة لأحد إلا إلينا معاشر المسلمين الآن وذلك أن نعلم الشعب الاسلامى العفة لتم الصحة والعافية والشجاعة ويقل الاحتياج للأطباء . أفليس هذا يكون سببا في قوّة البدن المذكور في الآية وهو قوله - وزاده بسطة في العلم والجسم - . فقال : زدنى من هذا . فقلت : يقول الله تعالى - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون - ويقول - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميرا - ويقول - نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا -

أفلا يكفيك هذا في أن ما قاله أفلاطون وسقراط قد وضح في القرآن . فقال : هذا في علم الحقوق فماذا في الطب . فقلت : يقول الله سبحانه - وكانوا واشربوا ولا تسرفوا - ويقول - أوتيتهم الكتاب الذى هو أدنى بالذى هو خير - فاقرأ معنى هاتين الآيتين : الأولى في سورة الأعراف والثانية في سورة البقرة . فقال : أين التمرينات العضلية التى ذكرها أفلاطون . فقلت : إنما في «السبق والرمى» الآتى الكلام عليهما قريبا هنا فقال : أين مقابل الموسيقى . فقلت : هى الصلاة فالصلاة التى جاءت بالوخى هى التى تحفظ كيان الأمة وتهذب أخلاقها . والبرهان على ذلك أن الصلاة عاشت بها أمم وأمم وفتحوا بلادا وبلادا وعمروا أرض الله . أما

نعالم أفلاطون فلم نجد لها أمدا دامت عشرات السنين . فقال : حسن هذا كله . فأريد الآن أن تفيض القول فيما جاء في السنة (١) من حيث بساطة الطعام والشراب (٢) ومن حيث التمرينات العضلية . فقلت : جاء في كتاب « رياض الصالحين » تحت عنوان « باب فضل الجوع » مانعه :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ماشع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض » متفق عليه (١) . وفي رواية « ماشع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض » وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول « والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار . قالت : يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت الاسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم مناجح وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيستقينا » متفق عليه . وعن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صرّ يقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل وقال خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير . رواه البخاري . « مصلية بفتح الميم أي مشوية » وعن أنس رضي الله عنه قال : « لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات وما أكل خبزا مرققا حتى مات » رواه البخاري . وفي رواية له « ولا رأى شاة سميطا بعينه قط » وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : « لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه » رواه مسلم . الدقل تمر ردي . وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : « ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل : له هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل ؟ قال ما رأى رسول الله ﷺ منخولا من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل له كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال كنا نطحنه وننفعه فيطير ما طار وما بقي ثريناه » رواه البخاري . وقوله النقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الخبز الحواري وهو الدرمك وقوله ثريناه هو بشاء مثناة ثم راء مشددة ثم ياء مثناة من تحت ثم نون أي باللناه وعجناه * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أوليلة فاذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوما فقاما معه فأبى رجلا من الأنصار فاذا هوليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله ﷺ أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيا فامني فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدينة فقال له رسول الله ﷺ إياك والحبوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم . رواه مسلم . (قوله) يستعذب أي يطلب الماء العذب وهو الطيب ، والعذق بكسر العين واسكان الذال المعجمة وهو الكباشة وهي الغصن والمدينة بضم الميم وكسرها هي السكين والحبوب ذات اللابن والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لسؤال توبيخ وتعذيب والله أعلم ، هذا الأنصاري الذي أتوه هو أبوا هيثم بن التيهان كذا جاء مبينا في رواية الترمذي وغيره * وعن خالد بن عمر العدوي قال خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميرا على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صباة كصباة الاناء يتصاها صاحبها وانكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما يحضركم فانه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا والله لتعلم أن أفحجتكم ولقد ذكر لنا

(١) معنى هذه أن البخاري ومسلم اتفقا عليه

أن ما بين مصرعين من مصاريح الجنة مسيرة أر بعين عامي وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام ولقد رأيتني سبع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشسداقنا فالنقطت بردة فشققها بيني وبين سعد بن مالك فانزرت بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من من الأمصار واني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً . رواه مسلم . قوله آذنت هو بعد الألف أي أعلمت وقوله بصرم هو بضم الصاد أي بانقطاعها وفنائها وقوله وولت حذاء هو بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة ثم ألف ممدودة أي سريهة والصبابة بضم الصاد المهملة وهو البقية اليسيرة وقوله يتصاحبها هو بتشديد الباء قبل الهاء أي يجمعها والسكطيظ الكثير الممتلي ، وقوله قرحت هو بفتح القاف وكسر الراء أي صارت فيها قروح . وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء وازارا غليظا قالت قبض رسول الله ﷺ في هذين (متفق عليه) . وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، ولقد كننا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحبله وهذا السمر حتى ان كان أحداً ليضع كفاً تضع الشاة ماله خلط » متفق عليه . الحبله بضم الحاء المهملة واسكان الباء الموحدة وهي والسمر نوعان معروفان من شجر البادية . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » متفق عليه ، قال أهل اللغة والغريب معنى قوتا أي ما يسد الرمق . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال والله الذي لا إله إلا هو ان كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وان كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه فرأى النبي ﷺ فتبسم حين رأي وعرف ما في وجهي وما في نفسي ثم قال أباهر قلت ليبيك يا رسول الله قال ألحق ومضى فأتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخلت فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهده لك فلان أو فلانة قال أباهر قلت ليبيك يا رسول الله قال ألحق إلى أهل الصفة فادعهم لي قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، وكان إذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فاذا جاؤا أمرني فكنت أنا أعطيهم فقلت وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال أباهر قلت ليبيك يا رسول الله قال خذ فاعطهم قال فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فأعطيته الآخر فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال أباهر قلت ليبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال أقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا أجده له مسلوكا قال فأرني فأعطيته القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة . رواه البخاري . وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لقد رأيتني واني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة رضي الله عنها مغشياً علي فيجئ الجائي فيضع رجلاه على عنقي ويرى أني محنون وما من من جنون ما من إلا الجوع . رواه البخاري . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير » متفق عليه . وعن أنس رضي الله عنه قال « رهن النبي ﷺ درعه بشعير ومشيت إلى النبي ﷺ بخبز شعير واهالة سنخة ، ولقد سمعته يقول ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمسي وانهم لتسعة أبيات » رواه البخاري . الاهالة بكسر الهمزة الشحم الذائب والسنخة بالنون والحاء المعجمة وهي المتغيرة . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما

أزار وأما كساء قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكهفين فيجمعونه بيده كراهية أن ترى عورته . رواه البخاري * وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان فراش رسول الله ﷺ من آدم حشوه ليف » رواه البخاري * وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا جالوسا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار فسلم عليه ثم أدبر الأنصاري فقال رسول الله ﷺ يا أبا الأنصار كيف أخى سعد بن عبادة (١) فقال صالح فقال رسول الله ﷺ من يهوده منكم فقام وقفا معه ونحن بضعة عشر ماعلينا فقال ولا خفاف ولا قلانس ولا قص نمشي في تلك السباح حتى جئناه فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه . رواه مسلم * وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران فما أدري قال النبي ﷺ مرتين أو ثلاثا ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » متفق عليه * وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يا ابن آدم انك ان تبدل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * وعن عبيد الله بن محصن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أصبح منكم آمنا في سربه ، معافى في جسده ، عند قوت يومه ، فسكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » رواه الترمذي وقال حديث حسن . سربه بكسر السين المهملة أي نفسه وقيل قومه * وعن عبيد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « قد أفلاح من أسلم وكان رزقه كفافا وقعه الله بما آتاه » رواه مسلم * وعن أبي محمد فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخرّ رجال من قانتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال : لو تعلمون مالكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة . رواه الترمذي وقال حديث صحيح . الخصاصة الفاقة والجوع الشديد * وعن أبي كريمة المقداد بن معديكرب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ماملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلاث لطعامه ، وثلاث لشرا به ، وثلاث لنفسه . رواه الترمذي وقال حديث حسن . وقوله أكالات أي لقمة * وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي رضي الله عنه قال : « ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوما عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ ألا تسمعون ألا تسمعون ان البذاذة من الإيمان ان البذاذة من الإيمان يعني التقحل . رواه أبو داود . البذاذة بالباء الموحدة والذال المعجمتين وهي رثانة الهيئة وترك فاخر اللباس ، وأما التقحل فبالقاف والحاء قال أهل اللغة المتقحل هو الرجل اليا بس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه * وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه فتلقى عيرا القرشي وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فسكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة فقل كيف كنتم تصنعون بها قال نمصها كما يمص »

(١) « فائدة » سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه هو سيد الأوس كنيته أبو عمرو وهو الذي ثبت في

الصحيح أن رسول الله ﷺ قال فيه « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » وفيه أنشدوا :

وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

انتهى من هامش بعض النسخ منقولاً من خط المصنف رحمه الله تعالى اه

الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتسكفينا يومنا الى الليل وكنا نضرب بهصيدنا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله قال
وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم فأتيناه فاذا هي دابة تدعى الغنبر
فقال أبو عبيدة ميته ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فاكلوا فأقننا عليه
شهرنا ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأينا نفترق من وقب عينه بالقلال الدهن ونقطع منه القدر كالشور أو كقدر
الشور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقدهم في وقب عينه وأخذ ضلعا من أضلاعه فأقامها ثم
رحل أعظم بهير منها فر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا
ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا فأرسلنا الى رسول الله ﷺ منه
فأكله . رواه مسلم . وقوله الجراب وعاء من جلد معروف وهو بكسر الجيم وفتحها والكسر أفصح ، وقوله نفسها
بفتح الميم ، والخطب ورق شجر معروف تأكله الابل ، والكتيب التل من الرمل ، والوقب بفتح الواو واسكان القاف
وبعدها باء موحدة وهو ثقرة العين ، والقلال الجرار ، والقدر بكسر الفاء وفتح الدال القطع ، وقوله رجل
البعير بتخفيف الحاء أى جعل عليه الرجل ، والشائق بالشين المعجمة والقاف اللحم الذى اقتطع كيقدر منه
والله أعلم . وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت كان كم قيص رسول الله ﷺ الى الرصغ . رواه
أبو داود والترمذى وقال حديث حسن . الرصغ بالصاد والرسغ بالسين أيضا هو المفصل بين الكف والساعد
. وعن جابر رضى الله عنه قال : « إنا كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجأوا الى النبي ﷺ
فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال أنا نازل ثم قام وبطنه معسوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لاندوق ذواقا
فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كتيبها أهيل أو أهيم فقلت يا رسول الله ائذن لى الى البيت فقلت
لا صرأتى رأيت بالنبي ﷺ شيئا مافى ذلك صبر أفعدك شيء فقالت عندى شعير وعناق فذبحت العناق
وطحننت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي
قد كادت تنضج فقلت طعيم (كذا) لى فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان قل كم هو فذكرت له فقال كثير طيب
قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى فقال قوموا فقام المهاجرون والأنصار فدخلت عليها فقلت
ويحك قد جاء النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم قال ادخلوا ولا تضغطوا
فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا أخذ منه ويقرب الى أصحابه ثم ينزع فلم يزل
يكسر ويعرف حتى شبعوا وبقى منه فقال كلوا هذا وأهدى فان الناس أصابتهم مجاعة « متفق عليه وفى رواية
قال جابر « لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خصا فأنكفأت الى امرأتى فقلت هل عندك شيء فأتى رأيت
برسول الله ﷺ خصا شديدا فأخرجت الى جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحننت
ففرغت الى فراغى (كذا) وقطعتها فى برمتها ثم وليت الى رسول الله ﷺ فقالت لا تضغطنى برسول الله ﷺ
ومن معه فجئت فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحننت صاعا من شعير فتهال أنت ونفر معك
فصاح رسول الله ﷺ فقال يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سؤرا فخيرلا بكم فقال النبي ﷺ لا تنزلق
برمتكما ولا تخبزن عجينةكم حتى أجيء فجئت وجاء النبي ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت بك وبك
فقلت قد فعلت الذى قلت فأخرجت عجينا فبسط فىه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبسط وبارك ثم قال ادع خابزة
فلتخبز معك واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لا كلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا
لتعطب كما هي وان عجينا ليخبز كما هو « وقوله عرضت كدية بضم الكاف واسكان الدال وبالياء المثناة تحت
وهي قطعة غليظة صلبة من الأرض لا يعمل فيها الفأس ، والكتيب أصله تل الرمل والمراد هنا صارت ترابا
ناعما وهو معنى أهيل ، والأثافي الأشجار التى يكون عليها القدر وتضاغطوا تراخوا والمجاعة الجوع وهي بفتح
الميم والنقص بفتح الحاء المعجمة والميم الجوع ، وانكفأت انقلبت ورجعت ، والبهيمة بضم الباء تصغير بهيمة

وهي العناق بفتح العين ، والداجن هي التي ألفت البيت ، والسور الطعام الذي يدعى الناس اليه وهو بالفارسية وحيلا أي تمالوا وقولها بك وبك أي خاصته وسبته لأنها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفيهم فاستجيت وخفي عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه المعجزة الظاهرة والآية الباهرة ، بسق أي بصق ويقال أيضا بزق ثلاث لغات وعمد بفتح الميم أي قصد . واقدسي أي اغرفي ، والمقدحة المفرقة . وتقط أي لغليانها صوت والله أعلم . وعن أنس رضي الله عنه قال قال أبو طلحة لأم سليم قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء ؟ فقالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخذت خبزا لها فلففت الخبز ببعضه ثم دنتني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالسا في المسجد ومعه الناس فقامت عليهم فقال رسول الله ﷺ أرسلك أبو طلحة فقلت نعم . فقال الطعام ؟ فقلت نعم . فقال رسول الله ﷺ قوموا فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يأم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما يطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا فقال رسول الله ﷺ هاهنا ما عندك يأم سليم فأنت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت عليه أم سليم عكة فأدتمته ثم قال فيه رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأكلوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة حتى أكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلا أو ثمانون متفق عليه . وفي رواية « فما زال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ثم هيأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها » وفي رواية « فأكلوا عشرة عشرة حتى فعل ذلك ثمانين رجلا ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا » وفي رواية « ثم أفضلوا ما بلغوا جيرانهم » وفي رواية عن أنس قال جئت رسول الله ﷺ يوما فوجدته مع أصحابه وقد عصب بطنه بعصاة فقلت لبعض أصحابه لم عصب رسول الله ﷺ بطنه ؟ فقالوا من الجوع فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان فقلت يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصاة فسأت بعض أصحابه فقالوا من الجوع فدخل أبو طلحة على أبي فقال هل من شيء فقالت نعم عندي كسر من خبز وتمرات فان جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه وان جاء آخر معه قل عنهم وذكركم تمام الحديث . انتهى ما أردته من كتاب « رياض الصالحين » والحمد لله رب العالمين

فلما سمع ذلك صاحبي قال : لقد أصبحت موقنا أن دين الاسلام في المستقبل سيفهم فهما غيره بالأمس فقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ كان يجوع هو وأصحابه ، وأن خبزه لا ينخل ، وأن أهمل بيته يمر عليهم الهلال واللال فلا يوقدون نارا ، ومعنى هذا انهم عاشوا عيشة الصحة فان العلم اليوم أثبت أن الخبز بدون النخالة والسق كله ضرر كما تقدم في هذا التفسير ، فترك النخالة والسق اليوم جهالة تورث الأمراض والشقاء والدل وأثبت أيضا أن القوة لا تكون إلا فيما لم يطبخ ، أما الطعام المطبوخ فان قوته قد ذهب أكثرها . إذن عدم طبخ الطعام أيضا صحة جيدة أثبتته الطب الحديث . إذن النبوة المحمدية في واد والمسلمون في واد ، فالمسلمون ينخلون الدقيق ويكثررون الطبخ ويتفاني علماءهم وصلحاءهم وملكهم في ألوان الطعام جهلا منهم فلاهم أطاعوا النبي ﷺ ولاهم قرؤوا العلوم الطبية الحديثة المشروح مقصودها في هذا التفسير فيما تقدم ولقد نجد السيدة فاطمة رضي الله عنها كما في حديث البخاري تطلب منه ﷺ أن يعطيها جارية من السبي لتساعد في طحن الدقيق بالرحى فأبى وأمرها بالعبادة علما منه أن الطحن يعطي الجسم قوة فقد جمعت إذن بين العفة وتمارين العضلات فازدادت قوتها واذا ظهرت هذه الحقيقة ووضحت فأرجو أن تذكر ما وعدت به من « السبق والرمي » فقلت جاء في كتاب « تيسير الوصول . لجامع الأصول » تحت العنوان الآتي مانعه

﴿ كتاب السبق والرمى ﴾

(وفيه فصلان)

﴿ الفصل الأول في أحكامهما ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا سبق إلا في خف أو حافر أو نضل » أخرجه أصحاب السنن . والمراد بالخف الابل وبالحافر الخيل وبالنضل السهم . والسبق بفتح الباء الجمل وباسكانها مصدر سبقت أسبق سبقا . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يضمم الخيل يسابق بها » أخرجه أبو داود . وعنه رضي الله عنه قال : سابق رسول الله ﷺ بين الخيل وفضل القرع في الغاية « أخرجه أبو داود . وعنه رضي الله عنه قال : « أجرى رسول الله ﷺ ما ضم من الخيل من الحفيا إلى نزية الوداع ومالم يضم (بتشديد الميم) من النزية إلى مسجد بني زريق » أخرجه الستة . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أدخل فرسا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فليس بقمار ، ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد أمن أن يسبق فهو قمار » أخرجه أبو داود . وعن أنس رضي الله عنه قال كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء لا تسبق لجاء أعرابي على قعود فسبقها فشقي ذلك على المسلمين فقال ﷺ حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه » أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي .

وعن فقيم اللخمي قال : قلت لعقبة بن عامر رضي الله عنهما تختلف بين هذين الفرضين وأنت شيخ كبير ويشق عليك فقال نولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه سمعته يقول : « من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا ، أو قد عصي » أخرجه مسلم ومساناة الشيء مقاساته وملاسته . وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب في عمله الخير ، والرامي به ، والممد به » وفي رواية « ومنبله فارموا واركبوا وأحب إلى أن ترموا من أن تركبوا ، كل طوباطل ، ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة : تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله ، فانهن من الحق ، ومن ترك الرمي بعد ما علمه فانها نعمة تركها أوقال كفرها » أخرجه أصحاب السنن ، وهذا لفظ أبي داود ، والنبل الذي يناول الرامي النبل ليرمي به وهو الممد به وقوله كفرها أي جحدتها .

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على نفر من أسلم ينتضون بالسوق فقال ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بني فلان فأمسك أحد القرينين بأيديهم فقال مالكم لا ترمون ؟ فقالوا كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال ارموا وأنا معكم كالكم . أخرجه البخاري . اهـ فلما أتممت ذلك قال صاحبي الآن حصحص الحق . لقد استبان الآن أن كثيرا من عاوم الأمم مفصلات ومبينات ومشيرات لمعاني القرآن والاف كتاب السبق والرمى يقرؤه المسلمون في جميع أقطار الاسلام ولا يعمل كثير منهم به فوجب على طلاب العلم جميعا وأكثر العامة أن يكون لهم ساعة في كل أسبوع ليتقنوا هذا الفن لأنه يعطي قوة بدنية وصناعة حربية وشجاعة . والمحافظة على الصلاة تؤلف بين القلوب لاسما إذا كانت في جماعة وهذا قوله ﷺ « الصلاة وماملكت أيمانكم » للإشارة إلى أن للصلاة أثرا فعالا في المعاشرة وهذا سر قوله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر -

إن سقراط يقول « الموسيقى تهذب الخلق ولكن لها شروط فاذا فقدت فسدت الأخلاق واحتاج الناس إلى القضاء » فأما الصلاة فانها اذا زادها الانسان فانه يقرب من ربه وقد دلت التجربة على أنها تنهى عن الفحشاء

والمسكر كمنص الآية . وقد تقدم قول بتمام أن النظافة تحسن الأخلاق ولم يذكر الصلاة وعدة هذه النظافة من محاسن الدين الاسلامي ونسي هو أن يذكر الصلاة لأنها ليست من دينه فهو يتجاهلها . وعليه يجب على الأمم الاسلامية

- (١) أن تذيب الصنائع اليدوية بين المتعلمين لأنها تقوى البدن والعقل
- (٢) وأن تذيب السبق والرمي
- (٣) وأن تعمم تعليم الجندية بقدر الامكان
- (٤) وأن يكون القضاء من أفضل هؤلاء وأعمالهم
- (٥) وأن يكون الأمراء والملوك أعلى من الجميع أخلاقا وعلما وصحة واستقامة فيكون علمهم أكمل وأجسامهم أصح وأراؤهم أعلى ، فأما الاتسكال على نسبتهم لأبائهم وحدها فانه ضرر ومخالف للدين الاسلامي ، فليكن الملوك والقضاة أصح أجساما وأرق عقولا وعلوما من جميع الأمم المحكومة بهم وإذا وجدنا أن النحل تربي خشرمها أي الملكة التي تحكمها وهكذا الأرضة فلماذا لا تربي الملوك والقضاة تربية خاصة كما فعلت هذه الطوائف من الحشرات . ألم تر أن النحل تجعل عسلا أبيض خاصا بالملكة التي تربها فيكون جسمها أكمل وتميزها أتم ، وهكذا نجد ملكة الأرض أكبر حجما وأقوى تميزا من جميع محالها كما تراها مرسومة فيما تقدم في ﴿سورة سبأ﴾
- فالله الذي ألهم بعض الحشرات أن تربي رؤساءها تربية خاصة هو نفسه الذي يقول في القرآن - وزاده بسطة في العلم والجمع - والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم -
- فليعلم المسلمون ذلك وليعملوا به والله هو الولي الجيد . كتب ليلة الأربعاء بعد نصف الليل ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٠ بشارع زين العابدين بقسم السيدة زينب بمصر المحروسة . تمت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب *)

فسخرنا له الريح - الخ)

اعلم أن الناس بالنسبة للنعم على ثلاثة أقسام : عامة ، وخاصة ، وأما العامة فانهم يفرحون بظواهر النعم مثل روائحها العطرية ولذاتها المختلفة وبهجة زينتها والافتخار بكثرتها وازدحام مخازنهم بها وتحبب الناس بغنائهم وأعظامهم في المجالس لكثرة أموالهم . وأما الخاصة فانهم لا يقفون من النعم عند ظواهرها وإنما يغنيهم من الأغنية ما يفيدهم الصحة ويعينهم العافية ويزدرون ما وراء ذلك من اللذات التي يفرح بها العامة ، ولا يقفون في الموسيقى عند ظواهر نغماتها ، ولا في الفلك عند ظواهر حساب الشهور والسنين الذي ينفعهم في نظام الحياة بل يرتقون الى ما فوق ذلك من التعجب من القوانين البديهة المحكمة التي تظهر في الأشعار والموسيقى ونغمات الطيور وعلم الفلك وحساب الأوزان في علم الكيمياء مثل ما في تركيب الماء من الأكسوجين والهيدروجين . فهذه كلها نسبها منظمة موسيقية لأن نسبها كلها هندسية على وتيرة واحدة فهناك تصبح العلوم كلها عندهم علما واحدا ونظاما واحدا ويحسون في نفوسهم بسعادة عامة . وأما خاصة الخاصة فهم يرتقون فوق هؤلاء درجة ولا يكتفون بهدايا الملك ونعمه وإحسانه والنظر في ملكه وسياسة دولته بل يشعرون بقرينهم منه ولطفه وعطفه عليهم ومؤانسته لهم . وهناك يجدون لذة فوق الطائفتين السابقتين (انظر هذا المقام من روحاني ﴿سورة يس﴾ عند آية - والشمس تجري لمستقر لها - الخ) فهنا نقول إذا كان سليمان عليه السلام طلب أن يعطيه الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فلن يكون إلا من الطبقة الثالثة

بل هو في أعلى طبقات هذه السرجة وليس يريده الجرد ظواهر الطيارة الطائفة في الريح على سبيل المجزة ولا الجرد عظمة الملك وسطوته ولا الجرد حفظ ملكة بني اسرائيل وأنها بل هو يريد ما هو أعلى من ذلك وهو أن يفرح بالمنعم من حيث هو منعم لا بالنعمة فالنعمة وسيلة لا غاية . فإذا فرح العامة بالنعمة لأجل لذاتهم هم وحدوا ربهم على ذلك . وإذا فرح الخاصة بالنعمة من حيث أنها صادرة من الله تعالى وأنهم أهل لرعايته واختصاصه بخاصة الخاصة إنما يفرحون بالمنعم نفسه من حيث هو منعم . فالملك الذي طلبه سليمان عليه السلام الذي لا ينبغي لأحد من بعده هو المذكور في الآية وهي تسخير الريح وما بعده . وهذا الملك لم يشاركه فيه أحد ألا ترى أن الريح لم تسخر لموسى ولا هيرى ولا لنبينا ﷺ وإذا ظهرت الطيارات في الجوّ اليوم فلم تكن إلا بالصناعات العلمية والحدق والدربة والمران في تلك الصناعات ولم تسخر الرياح لأحد منا وإنما التسخير هناك بلاصنعة صانع ولا حكمة حكيم فهي هناك مجزة وهنا صناعة كما ان الجهال قد يعرفون بعض المستقبل بطريق الرؤيا ولكن الأنبياء يعرفون بعض المستقبل بالوحي فهما وان كانا من عالم واحد قد اختلفا وأحدهما أقل من الآخر (٤٥) صرة وليس يطلب سليمان الملك من حيث هو ملك كالعامة بل طلبه من حيث أنه وسيلة للانتقال من النعمة الى المنعم وهناك يصل الى الغاية المطلوبة والنعمة المحبوبة ويرتقى من الأدنى الى الأعلى في لمح البصر أو هو أقرب ويكون ظواهر الملك هنا أشبه بالنفقات اللواتي ترجع بالنفس الى عالم الجلال والكمال و بظواهر الجلال المذكرات بالمبدع الحكيم

أما نبينا ﷺ فإنه أعطى الكوثر وهي النعم الكثيرة وأعطى المقام المحمود الذي يحمد فيه الأولون والآخرون فالجهتان منفكتان ، فسلیمان طلب نعمة الملك الدنيوى ليكون القرب من هذه الناحية ، فأما موسى فبالكلام ، وأما عيسى فبالروحانية العامة ، وأما محمد ﷺ فبأمور كثيرة من مقام الجود والكوثر وهكذا . انتهت اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - قال فبهزّ تلك الأغوينهم أجمعين -)

عزّ الله وتعالى وتنزّه أن يطلع على جماله وبهاء كماله وحسن اتقانه وعجيب نظامه إلا أولوا الألباب ، أما أكثر الناس فإن لهم في بدوهم وحضرهم ومدنهم وقراهم وجهلهم وشهواتهم في مأكلهم وملبسهم واقضارهم بجاهلهم وما لهم وأحسابهم وأنسابهم ، وفي أضغانهم وأحقادهم على أعدائهم وتنافسهم وتكاثرهم لشغلا شاغلا وغمرات هم فيها ساهون

قديم غوى ابليس آدم ، وسديثا غوى ذريته ، والتاريخان متطابقان ، ألا ترى رعاك الله أن بني آدم فوق الأرض قد مثلوا نفس القصص الذي ذكره الله في آدم ، آدم أغواه ابليس فأكل من الشجرة فبدت له هو وزوجته سواتهما فواريا عوراتهما بورق الشجر وأخرجوا من الجنة وأصبح الأبناء أعداء وأخذوا يسعون للرزق ليلا ونهارا

هذه قصة آدم فانظر في قصة بنيه ولا ينبئك عنها إلا الجغرافية الأرضية عند تفصيلها ، فهناك قوم في خط الاستواء عثر عليهم السائحون قريبا لا يجعلون بينهم وبين ضوء الشمس سترا ، فهم يعيشون عراة ويموتون عراة كما أثبتته الرحالة (ستافلي) وتمرّ على القوم عشرات السنين فلا يسمع الناس عنهم بفاحشة ولا خنا ولا زنا وهم من هذه المفاصد آمنون . ثم انظر بعد ذلك الى ما تقدّم في آخر ﴿ سورة يس ﴾ في آية - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - وكيف رأيت ذلك الشكل المرسوم فيه صورة الرجل الذي تحلى بمالبس في بعض جزائر المحيط وكأها من ورق الموز . أليس أولئك العراة يقابلون آدم قبل الأكل من الشجرة وذلك

الرجل الذي لبس ورق الشجر الذي رأيته يمثله وزوجته بعد أن ارتكبا الخطيئة . وسوس الشيطان لحواء وهي ساعدته على اغواء آدم فنبذا عيش البساطة والسهولة وأخذنا يتفننان في طرق الحياة ويزاولان حياة جديدة ما كان أغناهما عنها لولا القدر المقدور . ونفس الشيطان وسوس لأبناء آدم كذلك فأخذ يدخل بين رجال القبائل ونسائهم ويهبطاد العقول في أقاصى السودان وجزائر المحيط ويقول لأولئك العراة الذين يجهلون الحنا والزنا ويعيشون في بحبوحة الهناء والرخاء يقتاتون من الفاكهة ويشربون من سلسبيل العيون ولا يصيبهم في حياتهم نصب ولا يحلّ بساحتهم طيب ولا جراح أريب إذ لا مرض يزورهم ولا يؤس يصيبهم وهم في جنة الأرض التي هم بها آمنون . فلا تزال الوسوس تتغلغل في قلوبهم والهواجس تتابع في أفئدتهم حتى يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير . وهل الأدنى إلا التبعاع عن الحياة الطبيعية رويدا رويدا والتهافت على ماتنتب الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصاها وقطنها وتيلها وحرير دودها من كل ما لا ينبت إلا بشق الأنفس ولا يحصل إلا بكثرة الرجل وجمّة المرأة ومزاولة الطبخ والحرق والسقى والحصد والخزن ومقاومة الأعداء ودفع ضرائب الحكومات والغزل والنسيج والخياطة والغسل والتنظيف وإظهار الزينة والتغالى في إبداء المحاسن والتبجح بأنواع الصبغ والتلوين والتطريز وما أشبه ذلك من كل ما استغنى عنه الفريق الأول الذين هم في جنات الحياة يسعدون ، إذن تاريخ الإنسان الحاضر في كرتنا الأرضية اليوم أعاد لنا تاريخ آدم المذكور في القرآن ، ياسبحان الله ، لماذا يكرر الله لنا قصة آدم في بضع مواضع في القرآن ؟ ولماذا يعيدها تكرارا مع قصة إبليس ؟ أما الجهلاء وصغار العلماء في كرتنا الأرضية فهؤلاء يقرؤون ولا هم يذكرون ، فأما الحكماء وأما أولوا الألباب فهم الذين يذكرون ويقولون : « لقد تكررت قصة آدم واغواء إبليس له تذكيرا لنا نحن فلم يكن الله بالقرآن ليعلم آدم ولا بنيه ولا حواء وزوجه وإنما يريد أن يعطينا النموذج الذي ظهر لنا باتساع العلوم في زماننا ، فآدم لم نره ولكننا رأينا آثار القصة فينا ، فبينما العراة الأظهار كآدم في أول أمره وبينما الذين خصفوا ورق الشجر على أجسامهم ، وبينما فئة ثالثة نسيت فواكه الجنة الأرضية مأكلا وأوراقها ملبسا وأخذت تجدد في استنبات الأرض لتسد الحاجة في مطعمها وملبسها ، فنظر الله للناس نظر الأب الشفيق لطفله الصغير - ولله المثل الأعلى - إذ يلح في الطلب فيجيب لما طلب فأكثر لهم الماء كل والملابس وعلى مقدار تفننهم أعطاهم ما سألوا وذلك رحمة منه لأنه يعطى بقدر ويمنع بقدر وهؤلاء هذه هم تبتهم من الوجود وهذا استعدادهم في الحياة

هذه هي قصة الإنسان الموافقة لقصة آدم . فهذه قصة جغرافية وافقت القصة التاريخية الأثرية . والعلم إن لم يثمر العمل ضائع . والكلام إذا لم يفد سامعه فوائد فلماذا يقوله . ومن أجلّ مقاصد هذا التاريخ الذي استوى فيه آدم وبنوه أن نفكر نحن معاشر المسلمين في زماننا ونقول : « التاريخ للعبارة أما مجرد القراءة أو التعبد فانهم مبدآن لانهايتان وهذا التاريخ يعلمنا أن هذا الإنسان كله استعبده الشهوات وأفسدته البيئات وأخذ في طعامه وشرابه ولباسه يخطط يخطط عشواء ويمشي على غير الصراط السوى حتى أصبحت أنواع الحذرات وأصناف الملابس الصناعية يستعملها المستعمرون شبكة يصطادون بها الضفءاء من الأمم ويسترقون الغافلين . إذن هذه الشهوات الطارئة اتخذها الإنسان وسائل لاذلال أخيه بالتجارة كما اتخذها الشيطان قديما وسيلة لاستدراجه فأخرجه من الجنان . إذن لا ثقة بما عليه حال هذا الإنسان الآن في جميع ضروب الحياة . وليس اسباغ النعم وتراكم الخيرات واللذات بدليل على أن هذه سعادات للإنسان . فإذا حرمانا من نعمة الحياة الأولى التي خلقت من ذل السكدة والكسح ومن ذل الفواحش التي فيها عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولا سبيل للرجوع اليها فهلينا أن نبحث ضروب هذه الحياة من جديد . ولكن ليس معنى ذلك أننا نترك الأمم حوانا وشأنها . كلا . بل علينا أن ننظر ماذا قال العلماء في عصرنا في هذا الموضوع ولأي حد

وصلوا . فاذا عرفنا آراءهم وجب علينا أن ندقق في أحكامهم وننظر في آرائهم ونمتحنها ونساعد في رقي نوع الانسان لأن الناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا بخدم

والذي وصل اليه الآن من آراء الأمم في هذا الموضوع أى موضوع اللباس شذرات تصلح للبحث فيها والنظر والتأمل وتلك الشذرات ترجع الى مسألة (الفيتامين) أى مادة الحياة التى لم يعرفها الناس إلا فى قرننا هذا وهو القرن العشرون . يقولون إن ضوء الشمس هو القوة التى نستمد منها الحياة . فالحب والفاكهة تعطينا قوة وهى التى اكتسبتها من نور الشمس والطعام المطبوخ والمحفوظ فى العلب والمغلى وما أشبه ذلك كله قد ماتت منه تلك القوة فليس مفيدا لنا . ونظريه النوع الانسانى فى حرارة النار التى يخبز بها الخبز ويطبخ بها الطعام نظرية خاطئة كاذبة . ولا معنى لطبخ الطعام بالنار إلا إماتة الحياة منه . ولا معنى لجعله فى العلب أمدا طويلا إلا أنه يفقد خواصه وتزهق منه روح الحياة ، وهذه الملابس الحريرية والقطنية والسكتانية ماهى إلا موانع من سعادة الحياة وسد حصين وسور يفصل ما بين أجسامنا وحرارة الشمس التى بها الحياة ، وإذا كنا نحتاج الى الحياة بتعاطي الحبوب والفواكه التى خزنت فيها أضواء الشمس فندخلها فى أجسامنا لتعطينا قوة الحياة الشمسية المخزونة فيها فأولى ثم أولى أن نلاقيها بأجسامنا مباشرة فنلامسها كما تلامس كل نبات وكل حيوان فتدخل فى منافذه وتتصل بعروقه وتساعد دورته الدموية فتعطي النشاط

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

بينما أنا أكتب هذا إذ حضر صديقى العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى هذا التفسير فقال : مأجل قولك وما أدينه وما أحسن هذا الاستنتاج ولكن هناك أسر جدير بالذكر وهو أنك بهذا خالفت أصول الدين ونبذت سلوك سبيل المؤمنين ، أتريد أن الناس يصلون وهم عراة ؟ أم تريد أن يتجرد الرجال والنساء من الملابس ومن حلال هذا فقد كفر والعياذ بالله تعالى ، أنت لست كسقراط إذ يحدث تلاميذه ولادين له . كلا . إنك الآن فى تفسير القرآن فلتكن المباحث غير خارجة عن الشرائع الاسلامية . فقلت : أيها الأخ : هل رأيتهى لوّحت أو صرّحت بما تقول ؟ فقال : كلا . ولكنك عممت القول وهذا ربما يأخذه جاهل أو حاسد فيؤوّله الى ما ذكرته . فقلت : أذكرك بأنى قلت فى أول هذا المقال اننا نريد أن نقرأ مباحث الأمم ثم نبحث فيها لا اننى آتمت البحث وهل الانسان يستغرق فى الطعام طول نهاره ؟ قال : كلا . بل يكون وقتا دون وقت . قلت فليكن هكذا استضاءة أكثر الجسم بضوء الشمس وقتا دون وقت مع مراعاته الشرع ، أنا أذكرك بقصة آدم فى ﴿ سورة الأعراف ﴾ ألم تر أن فيها خصف الورق على جسمه وجسم زوجته ليواريا سواتهما . قال بلى . قلت : ألم أقل لك ان الحال الأولى لاسبيل للرجوع اليها . قال بلى . قلت : أنت ذكرت ذلك فى أول هذا المقال تريد بذلك أن هنا أحوالا جديدة يجب البحث فيها . قلت : ألم يقل الله فى هذه الحال الجديدة - يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - فأباح لنا كل ما أعطانا ولكنه أعلننا بأنه لا يحب المسرفين منا ، وقال - يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير - فجعل المدار على التقوى ورفع النفس ، فأما اللباس الظاهرى فالشرع يراعى فيه الأحوال الطارئة على الانسان إذ - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - وليس فى سعة الناس التخلّى عن عاداتهم فى الملابس ، فالأنبياء لا يكفون الناس مالا يطيقون فيقولون كونوا عراة كأبيكم آدم بل ينظمون بأمر الله أحوالهم التى هم عليها ، والنظام هو الاعتدال وعدم الاسراف ولكنه ذكرنا فقال : السرا الظاهرى ليس أجل مقصود بل المقصود الأهم لباس التقوى فأحسنوا الظواهر فعبى أن تسلمح البواطن . إذن هو أباح لنا كل طعام ولباس على شرط عدم الاسراف . فقال : وهل للاسراف من قواعد ؟ فقلت قد قدمت بعض تلك القواعد فى ﴿ سورة الأعراف ﴾ فقال انك لم تذكر هناك مسألة (الفيتامين) بل انك لم تكن تعلم

عنهما شيئاً فالمقام يحتاج الى ايضاح . فقلت اقرأ ما تقدم في سيرة النبي ﷺ وكيف كان آل محمد ﷺ لا يورقد في بينهم نار الهلال والهلال والهلال ، وكيف كانوا لا ينخلون الدقيق . أليس هذا يكفيناك فتعرف أن النبوة قد أوضحت ما أجله القرآن من نبد الاسراف . فقال ولست اكن اذا ظهر أن آثار النبوة الحممدية قد ظهرت في زماننا وأن الأطباء أخذوا يرجعون النوع الانساني عن عاداته الرديئة ويقرّبونهم من الأخلاق النبوية فجدير بك أن تسميني مقالا في الاصلاح الحديث وان لم يكن تاما حتى اذا وافق الأخلاق النبوية والسيرة الحممدية ورأينا أن النبي ﷺ قد وافقه العلم الحديث في الطعام فهناك يكون أمر عظيم ﴿أولاً﴾ انه معجزة جديدة لم تظهر إلا في قرننا هذا ﴿ثانياً﴾ ان المسلمين يرجعون للسيرة النبوية ويعرفون ماصحّ ومالم يصحّ في طعامه وشربه ثم يدرسون العلوم الحديثة في الطعام ثم هم أنفسهم بالامرية سيفيرون طرق ما كلّهم متى عرفوا الحقيقة . فقلت لقد قدّمت في هذا المقام كلاما في ﴿سورة البقرة﴾ عند آية - أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - وفي ﴿سورة الأعراف﴾ عند آية الاسراف ، وفي ﴿سورة الحجر﴾ في النصف الأول منها عند الإشارة الى قصة آدم ، وفي ﴿سورة طه﴾ عند قصة آدم في آخرها ، وفي ﴿سورة الشعراء﴾ عند قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين - وهناك مواضع أخر . فقال ولست ازال أقول ان العلم في زماننا سريع الترقى فاذ كر لي آخر ما رقت عليه في أمر الطعام . فقلت : سأسمعك « مقالين » الأول « هو ما جاء في كتاب « دستور التغذية » لصديقنا الاستاذ محمد فريد وجدي » فسأذ كر هنا لباب ما ترجم من آراء الدكتور الأربعة وهم : هيج الانجليزى ، وكنتانى النليانى ، وسوبرسكى الفرنسى ، وكوهن الألمانى . هؤلاء وغيرهم الذين يريدون من الانسان الرجوع الى حال الفطرة في الطعام كآدم قبل الأكل من الشجرة وهذا من أسرار القرآن التي لم تظهر إلا في هذا الزمان ، ثم أقفى على آثار ذلك بضرب مثل لآراء هؤلاء العلماء بنهر النيل والمزارع المصرية مع الجسد وما فيه من الهم الخ فيكون ذلك « فصلين » وأتبعهما بفصل ثالث في ست فوائد طبية عن علماء عصرنا

﴿ الفصل الأول فيما ترجمه المؤلف من آراء أولئك الدكتوراة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين ، ﴿أما بعد﴾ فان الانسان بتطوّراته المتوالية في المدنية ، وذهابه في الابداع الصناعي كل مذهب ، وبما استتبع ذلك من اخلاذه الى معيشة الترف ، واغراقه في طلب الملاذ البدنية ، قد أخرج مسألة التغذية عن حقيقتها فبعد أن كان يأكل طلبا لا قامة حياته وحماية جثمانه من العطب أصبح يفعل طلبا للذة المججلة حتى دفعته هذه العاطفة الى تناول الأغذية الضارة المبيدة لجثمانه وهو يعلم ذلك ويشعر به ، إلا أنه قد شعر بأن خروجه هذا على القوانين الطبيعية كان له أسوأ تأثير على جسده وعقله معا ، وأن هذا المتاع الحيوانى سريع الزوال ثم يعقبه دور من الآلام والأعراض يطول أمده عليه ولا يزال به حتى يصصره على أبشع الأحوال بعد أن يحرمه من جميع الطببات الجسدية والعقلية

عنى العلم منذ عهد الأول بسنّ سنن مقررّة للتغذى ، وما زال العلماء والفلاسفة يجعلون هذا الموضوع من أهم مباحثهم حتى يومنا هذا بل استحال أمره في العهد الأخير الى اعتباره أولى بالناية من الوجهة الصحية والعلاجية من كل المسائل التي لها علاقة بالحياة الجسدية لما ثبت أن الغذاء هو العامل الأكبر في الصحة والمرض ، وفي طول الحياة وقصرها حتى قال العلامة البكتريولوجى (متشنيكوف) مدير معهد باستور بباريس « ان الانسان خلق ليعيش ثلاثمائة سنة (١) وانما هو يقتل نفسه بسوء سيرته في تغذيته » وأقرّ

(١) الذى يقوله الجمهور غير هذا وهو أن الانسان يعيش مائتى سنة بناء على أن مدة نموه (٢٥) سنة

بهذه الحقيقة جمهور الباحثين والمنقبين ، وجاءت العلوم الكيماوية فأيدت أقوالهم بالتحاليل إذ بينت ما يحويه كل نوع من أنواع الأغذية من المواد المختلفة وما يحتاج اليه الجسد كل يوم من كل منها ، وحدثت بجانب هذه الفتوحات الكيماوية فتوحات أخرى طيبة أثبتت بالتجليل أن أدواء القلب والسرطان والروماتيزم والبول السكري والزلالي وتصاب الشرايين والشلل والامساك المستعصي الى ما اليها مما يطول عدده كلها متولدة من سوء التغذية وعدم تخير صنوف الطعام فأصبحت هذه المسألة والحالة هذه في عداد المسائل المحسوسة الممكن تجربتها تحليلا وتركيبا ، فهب الفيورون على الانسان في أوروبا الى وضع المؤلفات في هذا الصدد حتى صار لا يمكن إحصاء ماصدر منها في هذه الجسين السنة الأخيرة

﴿ مذهب الطب ﴾

للطب اليوم مذهبان أحدهما يرى أن الجسم يحتاج أحيانا الى العلاج بالمواد المختلفة مع استخدام التدابير الصحية ويرى الآخر أن العلاج قديفيد العضو المريض فيعوله من حال الى حال ولكنه في الوقت ذاته يوجب مرضا على عضو آخر قد يكون فيه هلاك الشخص . فالطب في نظر هؤلاء يجب أن يقتصر على استخدام قوى الطبيعة من هواء طلق وغذاء جيد صحي خال من اللحم والمهيجات وعمل جسد معتدل واستحمام بالماء الفاتر أو البارد وغير ذلك من التدابير التي تعين الاعضاء المريضة على مكافحة المرض الذي حل بها . ان هؤلاء يقولون ان العلاج لا يشفي المصاب ولكن الذي يشفيه هي القوة الحيوية في جسمه ، تلك القوة تظهر للمحس بفعلها على الجراح . ألم تر أنه لو أصابك جرح أخذ بهد حين في الاندمال من نفسه فلا يزال سائرا في طريقه حتى يصح العضو الجروح ويصير كأن ليس به شيء وتعود اليه جميع وظائفه ولم يبق للجرح عين ولا أثر . هذا الاثر المحسوس للاندمال والشفاء التدريجي هو أثر القوة الحيوية التي خلقها الله لتحفظ لنا وجودنا الى حين . فاذا أصاب أحد الاعضاء مرض لاهم لنا لقانون الصحة تولته القوة الحيوية بالعناية والعلاج كما تولت الجرح فلا يجوز أن يكون لنا إذ ذاك من عمل المساعدة فعل القوة الحيوية باتباع قوانين الصحة وصراعاة الحمية والعناية باستنشاق الهواء النقي وغير ذلك فتعمل القوة الحيوية عملها في ذلك العضو ولا يمر غير قليل حتى يشفي المريض . أما لو أعطى علاج وهو في تلك الحالة ازدادت حالته سوءا وتفاقم مرضه فان نجاحه فلا يكون ذلك الا ببذل مجهود كبير من قواه الحيوية تهيئه لمرض مزمن . قالوا وقد جاءت شهادات كبار الأطباء في ضرر العلاجات تؤيد ذلك

قال الدكتور (غراينشتاتن) وهو من أقطاب الطب بألمانيا وقد نقله عنه الدكتور بلز في كتابه الطب الطبيعي : « الضعف في درجاته وأشكاله التي لا تحصى ليس هو على وجه عام النتيجة العلاج بالعقاقير سواء أ كانت جيدة أم رديئة . العلاجات ان استعملت كما ينبغي تغلبت على المرض الاصلى ولكنها تترك دائما في الجسم بقايا تظهر آجلا أو عاجلا وتكون نتائجها غير قابلة للشفاء . وعليه فلناس الحق في تسمية هذا النوع من الضعف بالضعف العلاجي . ثم قال : « من عهد ماجدت علينا الكيمياء بالمركبات المختلفة للزئبق والانتوان وقشر الكنكينا (كذا) وحض البروسيك والرصاص والزرنيخ والكبريت الخ ومن عهد السماح بتعاطيها بنوع من الجرأة المتناهية باعتبارها علاجات قوية التأثير ضد الآلام التي كانت مجهولة في العصور السابقة ، من ذلك العهد انتشر الضعف بحالة يؤسف لها وانتقل من الآباء الى الأبناء . فالذي يلقي به القدر مرة واحدة تحت كلا كل هذا المرض يكون قد وقف حياته على التردد على الصيد لات

وقال الدكتور (كيسر) كما نقله عنه الاستاذ بلز في كتابه المتقدم ذكره « ان الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء ، والطبيب شرا من المرض ، هي صحيحة في كثير من الاحوال . ان عددا

كثيرا من الأمراض تشفى بتوى الطبيعة وحدها وآمانى الأمراض كافة فالشئ الوحيد الذى يجب على الطبيب عمله ويستطيعه هو حصر وابعاد المؤثرات القاتلة عن المريض ، وإبطال الحركة غير الطبيعية لبعض أجهزته وأعضائه . فان فعل أكثر من هذا ليرضى المريض المحب للدواء ويحقق نظريته الوسواسية وشهوته النفسية فقد أضره كل الضرر . على هذه الطريقة كثيرا ما يولد الاطباء الامراض الصناعية ويمكن القول بأنه فى كثير من الامراض التى يعالجها الاطباء عدد كبير من الامراض المزمنة منها ما قد سببه الأطباء أنفسهم . وفى الحالة الحاضرة للطب العملى يجب أن يجعل المريض بمنزل عن كل طبيب كما بمنزل عن كل سم قتال . هذا ما يشهده تاريخ الطب ، فان كل نظرية طبية خاصة استدعت عددا من الضحايا البشرية لم يتوصل الى الفتك بمثلها أنكأ الاوبة ولا أطول الحروب »

وقال الاستاذ (سقيفس) أستاذ الكلية الطبية بنيويورك كما نقله عنه الاستاذ بلز : « كلما تقدم سنن الاطباء قل اعتقادهم فى تأثير الادوية وزادت ثقهم فى قوى الطبيعة . ثم قال : رغما عن كل المخترعات الحديثة التى أحيطت بالتهليل فان المرضى لا يزالون يشكون الامراض كما كانت حالتهم قبل أربعين عاما . ثم قال : ان سبب بقاء تقدم الطب ناتج من ان الاطباء بدلا من أن يدرسوا الطبيعة درسوا كتابات من تقدمهم »

وقال الاستاذ الدكتور (سميث) كما نقله عنه الاستاذ بلز : « كل العلاجات التى تدخل فى الدورة الدموية تسمم الدم بعين الطريقة التى تسمم بها السموم الجالبة للأمراض . الادوية لا تشفى أى مرض كان بل الذى يشفيها هو الخاصة الطبيعية ليس الا مما قال . ان الديجيتال قد قتل ألوف من الناس وحض البروسيك كان يستعمل بكثرة فى أوروبا وأمريكا ضد السل الرئوى وقد عاجلوا به ألوف من المرضى فلم يشف منهم واحدا بل انه قتل مئات منهم انتهى وقد نقل الاستاذ بلز عن أكثر من ثمانين عالما من علماء الطب الرسميين مثل هذه الاقوال التى تؤيدها المشاهدة فثبت من ذلك كله ان أثر العقاقير فى شفاء الامراض أثر مهلك وجدير بالانسان اذا أصابه مرض ان يحتمى عن الاسكل وان يعنى بأمر الصحة مستخدما الوسائل التى ذكرها الاطباء الطبيعيون من الاستشفاء بالماء والهواء ذلك خير من التعرض لخطر العلاجات المختلفة : لم يكن العالم الى اليوم من الطب من فائدة غير تخفيف الآلام بالمسكنات وكلها سام قتال واقد كثرت الاطبات والصيدلات ولا تزال الامراض والمرضى آخذين فى الازدياد وقد طرأت أمراض ما كان يعرفها آبائنا ولا تعرفها الآن الأمم الخالية التى لا تعرف طبيا ولا علاجيا فما أثر الطب بعد ذلك ؟ يظهر لنا ان علم الطب سيضمحل ويحل محله علم قانون الصحة وسيزول كل ما يعزى للعلاجات من التأثيرات والخواص لظهور أثر الغلو فيها ولن يبقى الا علم الجراحة فهو العلم النافع الذى لا شك فى نفعه . هذا ما يقوله أنصار الطب الطبيعى

﴿ أساليب العلماء فى معالجة الأمراض ﴾

ويقولون أعجز الاطباء معالجة أقل الامراض خطورة فلم يتوصل طبيب الى ازالة فقر الدم وضعف الاعصاب وغيرهما مما يهترى الناس من جراء أعمالهم بمحض خواص العقاقير فأكثر الناس يشكون الضعف وفقر الدم وقد صرفوا السنين فى تعاطى العلاجات المقوية بدون فائدة . هذا بالنسبة للضعف وفقر الدم أما بالنسبة لغيرهما من أمراض القلب والرئتين والكبد والمعدة والمخ فحدث ولا حرج وان قلت ان واحدا من يصاب بهذه الامراض لم ينل خيرا من العلاجات الطبية وانتهى أمره الى اليأس لما كنت بعيدا عن الواقع . هذا العقم الظاهر من العلاجات دفع كثيرا من فضلاء الاطباء الى تلصص وسائل جديدة لشفاء الأمراض فأطالوا البحث وصرفوا العمر فى التجارب فاهتدوا لنتائج ان لم تكن هى الواقع بعينه فقد أدت خدما جلية . نذكر من هؤلاء العلماء الاطباء هيج الانجليزى وكنتانى الايطالى وسوبرويسكى الفرنسى . وقد أحدث كل من هؤلاء

حوادث من الشفاء عزت على الطب والاطباء وطارت شهرتها الى أقصى المعمور

﴿ أسلوب الدكتور هيج في علاج الاضرار ﴾

يقول الدكتور هيج ان أسباب الأمراض هي الحوامض السامة التي تنضاف الى الدم من سوء التغذية أكبرها خطراً حمض البولييك (اسيدأوريك) وحمض الاوكساليك والنظرون وصرح بأن لاسبب للنوراستانيا وهو مرض ضعف الاعصاب الذي ينتشر اليوم انتشاراً مريعاً بين جميع الطبقات الاحض البولييك ، وكذلك هو من الاسباب للاصابة بالنقطة والروماتيزم وآلم الرأس والصداع والصرع والجنون وضعف القلب ووقوفه والربو والتهاب الشعب وسوء الهضم والبول السكري وأمراض القلب . ليس هيج أول من عرف ضرر حمض البولييك ولكنه أول من حدد دائرة نفوذه الضار من الوجهة المرضية . قال هيج ، وهذا القول أساس مذهبه ، ان السميات التي تتخلف من المواد الغذائية تثبت في تفرعات الاوعية الدموية وتسد الاوعية الشعرية فتقل قوة سريان الدم ويشتد ضغطه على القلب ويكون سبباً لضعف عام للبنية واختلال جميع الأعضاء فاذا أبطأت الدورة قلت تغذية الاعضاء ومتى اشتد الضغط على القلب يحدث له مرض ثم تنتشر سموم الاغذية بتوالي تواردها في سائر الاعضاء فتمرضها أيضاً . فيشكو صاحبها العوارض المختلفة ويمرض نفسه على الاطباء فيشخصه كل منهم على ما تسمح له به نظرياته فتارة ينصحونه بتعاطي المنقيات وأخرى بأخذ المنومات ومرة يأمرونه بالسياسة وأخرى بالراحة وحيناً يمزقون جلده بابر الحقن وهم في ذلك كاه بعيدون عن حقيقة الداء فلو علموا انه ناشئ عن سموم الاغذية وعنوا بمعرفة مقادير السموم منها وأشاروا بحمية صحيحة اشفى المصاب ولكنهم يعتمدون على العقاقير الطبية فتتضم الى كمية السموم وتزيد فعلها . يقول هيج ان تراكم حمض البولييك في أوعية الدم يسبب انحرافاً في العقل واضطراباً في الحياة وهي أخص أعراض النوراستانيا فاذا سهل خروج حمض البولييك تغيرت حالة العقل حالاً كأنها حادثة سحرية وتقلب الحياة في نظر صاحبها سارة حتى ان الانسان ليحدث نفسه باتيان الاعمال المستحيلة . وقال هيج ان جميع الامراض تزول بازالة حمض البولييك فاحذفوا هذا الحمض تعيشوا مائة سنة ولا يوجد هذا الحمض غير الغذاء . بالتفصيل وجد أن هذا الحمض يوجد في اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصولياء واللوبياء الجافة والشاي والقهوة والسكاكو . ثم قال وعليه فيجب الاكتفاء بأكل النباتات . وخصوصاً الاسفاناخ والخبازي والسكرنب والقرنبيط والفواكه واللبن والجبن والامتناع عن اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصولياء واللوبياء الجافة . اذا سار المصاب بأي مرض على هذه الحمية مدة تحلت السموم وتسربت من الكليتين والجلد وغيرها وطهر الجسم منها وزايلته جميع الاعراض المرضية

﴿ أسلوب الدكتور كانتاني ﴾

قاعدة الدكتور كانتاني غير قاعدة هيج وان كانت النتيجة واحدة فانه قال بأن حمض البولييك هو سبب كل مرض في جسم الانسان ولكنه ليس هو العلة بل العلة قلة الاوكسيجين في الجسم لتحويله الى بول ونزوله مع الفضلات . قال والنبي يوجب نقص مقدار الاوكسيجين في جسمنا انه يستهلك باكثرنا من تناول الاغذية الايدراتية الكربونية (كالسكر والنشا) والدهنية . فان لم يتناول الانسان هذه الاغذية بقي الاوكسيجين في دمه فحول حمض البولييك الى بول فأبقى الجسم شره كلما تكوّن . وعلى ذلك فالدواء الوحيد لجميع الأمراض عند الدكتور كانتاني هو اتباع حمية فلاياً كل الانسان فيها الدهنيات ولا السكر والنشا ويمتنع عن الحل والمخللات واللبن والجبن والامراق والعجينات والرز والبطاطس والحلوى والتوابل ويكتفي بالبيض والنباتات الخضراء والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق .

﴿ أسلوب الدكتور سوبرويسكى ﴾

يقول هذا الدكتور ان سبب جميع الامراض فساد تركيب الدم ومافسده الا كونه حامضاً غير محتو على قلوبات فصلاحيته أن يكون قلوياً حلوياً ، وعدم صلاحيته أن يكون حامضاً . والدليل على أن سبب الامراض هو خلو الدم من القلوبات انك لا تجد في الدم ولا في البول املاحاً قلوية في جميع الامراض الحية وهذا برهان على أن هذه الأملاح حرب لتلك الأمراض فقد ثبت أنها تقتل الميكروبات البدنية وتلاشى سمومها كما يقتلها السليمانى فالأفضل للمرضى أن يعطوا أغذية كثيرة القلوبات فان المرض يزول مهما كان نوعه حتى تسالط الدم بالقلوبات فالفواكه والليمونادة تشفى أكثر مما تشفيه الخجور غالية الثمن ولا يسقط سريض بضعف القلب اذا أعطى قلوبات كافية فاذا انكثرت سم في الدم انقرضت حالاً بفعل تلك القلوبات . ولما كانت الوظائف الحيوية تسرع الحيات فتستهلك القلوبات فيجب إعطاء المريض أغذية قلوية . أما المرق فلاحتوائه على البوتاس يضعف القلب والفواكه أولى منه بالعناية . الامراض المزمنة تشفى بإعطاء الدم قلوبات ويذوب الرمل الصفراوى تحت تأثيره ويشفى البول السكرى والنقطة . وعدم وجود القلوبات في الدم يوجد الهرم الباكتر

وقال الدكتور سوبرويسكى . كل تاكسيدى بطىء التغذية والتصرف فلا يصل للأعصاب غذاء كاف فيبطل نشاطها فيغترى الانسان ما لا يحاسب من أمراضها وكل الذين عاشوا كثيراً كانوا قنوعين جداً . فبالافراط فى الاكل تبقى فضلات كثيرة وعلى قدرها يستهلك الجسم القلوبات من الدم . لا يوجد للدم نقاءه وزيادة قلوباته الا النباتات من الفواكه والاعشاب وأفضلها ما كانت قلوباته أكثر . الامراض كثيرة وسببها واحد وهو اختلال أعضاء التصريف ففى لم تختل فلامرض وتلك الأعضاء المصرفة هي الرئتان والكليتان والجلد والأمعاء فان مرضت احداها وقع الجسم فى المرض لا محالة . ان مرضت الرئتان يبقى فى الدم كثير من حمض السكر بون وهو سم ، وان تعبت الكليتان بقيت البولينا (الاورية) وحمض البوليك فى الدم وناهيك بهما من غولين للصحة ، وان انسدت مسام الجلد تبقى فى الجلد السموم التى يجب أن تتصاعد منه بالتبخر الجلدى ، وان تعبت الأمعاء بقيت الفضلات فى البدن . فالذين يقعون مرضى كانوا مرضى من قبل بأحد هذه الأعضاء فأهمواها ثم أخذ الدكتور سوبرويسكى يفصل فى قيمة الأغذية من الوجهة القلوية فقال النباتات التى تحتوى على القلوبات الشكوريا والراوند والاسفاناخ والكمثرى والحماض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل أما النباتات التى لها خاصية طرد حمض البوليك فهي الاسفاناخ والكرنب والقربيط وكرنب بروكسل والبالزة الخضراء لان بها حوامض تعيق افراز حمض البوليك (الاوريك) . هذه أساليب الدكاترة الثلاثة فسكلها ترمى الى غرض واحد وهو العناية بأمر الغذاء وعدم ادخال شئ الى المعدة بغير حساب . فالطب كل الطب أن يعتدل الانسان فى غذائه وأن يكون نباتياً معتمداً فى تقويم جسمه على النباتات والفواكه الناضجة فان أصابه مرض فعليه أن يعتمد الى الطرق الطبيعية من استنشاق الهواء النقي وتعهد الجلد بالنظافة والحمية التامة والله الشافى . هذا رأى رجال من أقطاب الطب المصرى وهو رأينا أيضاً ولكل انسان بصيرة يتحرى بها الصواب والله يهدينا الى سواء الصراط . ولأبأس من تعزى هذا البحث بإيراد رأى عالم المانى كبير فى أسباب الامراض فإليك :

﴿ العلامة (كوهن) الالمانى يرى أن لجميع الامراض سبباً ﴾

(واحداً وعلاجاً واحداً)

تنقل مذهب العلامة (كوهن) الالمانى المشهور عن الاستاذ بلز فقد نشره فى المجلد الاول من كتابه الطب الطبيعى صحيفة (٩٣٣) فنقول : يرى كوهن أن الأمراض كلها لها سبب واحد وعلاج واحد كذلك

فهو يقول انه لا يوجد الا مرض واحد يظهر بمظاهر مختلفة . والعلة الحقيقية لهذا المرض هي اجتماع اجسام غريبة في جسم الانسان ليس لها دخل في تركيبه وحفظه ، فهي اجسام غريبة وان شئت فقل جراثيم مرضية لم تستطع الأعضاء المفرزة وهي الامعاء والكليتان والجلد والرئتان افرازها . هذه الاجسام الغريبة يرى (كوهن) أنها تنسرب الى ابداننا من تعاطينا اكثر مما نحتاج اليه من الاغذية ، ومن تناولنا اغذية ضارة ومضادة للشروط الفيزيولوجية للحياة الانسانية كاللحم والتوابل والاشربة السكرولية المخدرة من التبغ والبيرو والبرق والقهوة والشاي الى غير ذلك فهي من جهة ليس فيها قيمة غذائية ومن جهة أخرى تحدث تهيجاً للجسم يعقبه الضعف لا محالة . ومن الاجسام الغريبة التي تسبب لنا الامراض في رأى (كوهن) السموم الصيدلانية التي تناولنا باسم علاجات والتبغ والسعوط (النشوق) وسم تلقيح الجدري الذي اذا دخل الجسم قل أن يخرج منه ويكون مصدر جراثيم مرضية له : وما يوجد الاجسام الغريبة في البدن ما يحمله معه الهواء الفاسد والابخرة المتصاعدة من الاصطبلات والغازات التي تستعمل للتطهير في البيوت ، وما يتصاعد من عرق الغير والعثير الثائر في الطرق الخ كل هذه تنسرب الى ابداننا وتمكث فيها فتسبب لنا الامراض المختلفة . ثم ان مما يحدث المواد المرضية التعب فانه يهلك عددا عظيماً من خلايانا فتتمكث في ابداننا بسوء نوع معيشتنا بدل أن تنصرف في الدم ومنه تخرج الى الجو بواسطة الأعضاء المفرزة للسموم . هذه المواد الغريبة المرضية المختلفة من الاغذية يحاول الجسم بخضوعه للقانون الطبيعي الذي يدبر كل حياة ان يبعده عنه باعتبار أنه غير نافع له أو ضار به . ولكن أعضاءنا المفرزة لا تستطيع نظراً لكثرة المواد ان تفرزها كلها في آن واحد فيتراكم ما يبقى منها في الجهة السفلى من البطن . ومن هنالك تتجه رويدا رويدا الى الأطراف وتلبث هناك تبعا لناموس الثقل وتبعا للوضع العام للجسم إما ذات اليمين أو ذات الشمال أو أمام أو خلف . فتبقى هذه المواد غيرة محسوس بها أو تصيب صاحبها قشعيرات واضطرابات لا يمكن التعبير عنها وقاق عام . وبالجملة تصيبه جميع الاعراض التي تسبق الأمراض الحادة أو الحية . تلك المواد التي تتخلف في الجسم هي مواد عفنة أو متخمرة . والتخمر نوع من التعفن سببه التحلل الواقع في بعض المواد العضوية فاذا حدث سبب داخلي أو خارجي أو برودة أو حرارة أو انفعال تحيا هذه المواد المرضية وتتخمر ثم تبحث لها عن مخرج فتتحرك على موجب مواضعها والمراكز اللينفاوية للجسم متجهة الى أعلى الجسم وإلى الجلاء أولاً . فاذا وجدت مانعا يحول بينها وبين الخروج تحدث تمدا في الجهة التي تتحل فيها فتولد ورما ظاهرا أو باطنا : وقد يحدث ان هذه المواد المرضية تسقط الى الاطراف السفلى فتتمكث في الساقين والقدمين . هذه المواد تنادف على الدوام للبعد عن مستودعاتها على قدر الامكان والتمسك الى الاعضاء البعيدة عنها كالرأس والعنق والأيدي والارجل والاصابع وابهام القدم . وهنالك تقف لأنها لا تستطيع ان تخرج من مسام الجسم لعدم العناية بصحة الجلد ولأن العيشة ضد الطبيعة جعلت المسام الجلدية كأنها لم توجد أو قليلة الفائدة . وقد يكون الجلد على مايرام من تأدية وظيفته ولكن تدفق تلك المواد عليه فجأة لا يمكنه من تصريفها بمسامه دفعة واحدة . فاذا كان نشاط الجلد ضعيفا أو مهدوما . والامعاء والكليتان والرئتان لا تؤدي وظائفها على ما ينبغي كما هي الحالة العامة الآن تسبب عن تلك المواد الغريبة في الانسجة الجسمية تغيرات مرضية تفسد الشكل الطبيعي للجسم رويدا رويدا فتجمد الانسجة وتتوتر العضلات بهدأ أن كانت لينة في اللس ويكون توترها ظاهرا محسوسا في أثناء تحركها . وفي أحوال أخرى يسبب وجود المواد الغريبة في الجسم تمدا فيه . ويمكن التحقق من صحة هذه الاحوال . ويكفي أن نلاحظ أصحاب الاجساد السمينة الذين تمددت ابدانهم بتراكم المواد السمية الغريبة فيها أو ان تتأمل في الاشخاص النحفاء الذين نتجت انسجتهم متوترة على درجات مختلفة . قلنا ان المواد الغريبة تميل على الدوام أن تتجه الى الاطراف . والرقبة تكون كمضيق بين الجزع والرأس فتظهر تلك المواد الغريبة فيها متراكمة على الخصوص

هذا سبب الامراض فما هو الدواء ؟ قل (كوهن) لما كان سبب جميع الامراض واحدا كما رأيت وهو تراكم المواد الغريبة في أجسادنا من جراء تعاطينا أغذية لا توافق تركيبنا وتعرضنا لتهب المفرط واستنشاق الغازات الضارة . فليس لها الادواء واحد وهو ينحصر في الامرين الآتين اللذين نقيجتهما قطاع الامداد عن تلك المواد السمية وتسهيل خروجها .

(أولا) الاقتصار في الغذاء على النباتات

(ثانيا) استعمال الحمامات الجذعية والحمامات الجلوسية مع ذلك الجسم بفوطه خشنة مبتلة والحمامات البخارية . الحمامات الجذعية هي أحواض يغمر الانسان فيها جذع جسمه فقط أى من عنقه الى فخذه . والحمامات الجلوسية هي أحواض تغمر فيها المقعدة مع جزء من الظهر والبطن . والحمامات البخارية هي احاطة الجسم بالبخار . جميع هذه الحمامات تباع في محل التجارة .

﴿ ملخص هذا المقام ﴾

هذه هي الأساليب الثلاثة لهؤلاء الأطباء الثلاثة الاول ، فالسبب عند (هيج الانجليزى) هو أن يكون البول حضا بمواد لا تلائم الجسم ، وهذه المواد تقف في فروع العروق فتستدما فيحصل الضغط على القلب وتكون أمراض مختلفة يعطى لها الأطباء أدوية مختلفة قتالة والدواء عندهم (الاكتفاء بالنباتات والفواكه) وترك اللحم وبعض الحبوب المذكورة كالقول الخ والشاي وما عطف عليه . والدكتور كاتناني كلامه مثل كلام هيج ولكنه أشبه بمن يقول : « يجب أن يكون في شوارع القاهرة زبالون لحمل الكناسات من البيوت » فالدكتور هيج أشبه بمن يقول : « قذارة البيوت سببها بقاء الكناسات فيها » والدكتور كاتناني يقول : « نعم قولك صحيح ولكنى أقول : إن عدم الزبالين هو السبب فالزبال لرفع الكناسات من المنازل والذي يكون سببا في إيجاد هذا الزبال لازالة القمامات من المنازل (هو النباتات الخضراء والفواكه والبيض مع ترك الخلل والمخللات والجبن والمرق والمجينات والأرز والبطاطس والحلوى والتوابل)

والدكتور (سورويسكى) يقول : « إن هذه الزباله تخلت رائحتها جميع طبقات المنزل . وذلك أن المادة الضارة اذا كانت في الماء فهي في الدم والعلاج هو أكل النباتات »

إذن أكل النبات متفق عليه للشفاء من جميع الأمراض عند الثلاثة الاول وقد اختلفوا في اللبن وما تفرّع منه وكذا البيض ونبذوا ما يتعاطاه الناس من التبغ ونحوه . وكوهن الألماني جعل السبب أعم وهي أجسام غريبة تتخلل البنية والمعنى واحد . فهو متحد مع من قبله اجمالا والدواء واحد وهو الأغذية النباتية أيها النكي : خذ النتيجة التي ساقها الله لنا . كل النبات والفواكه ودع اللحم والقهوة والشاي والخمر والتبغ والسكر وما اشتق منه من الحلويات

هذا ملخص ما تقدم . أما اللبن ففيه خلاف سببه أن البهيمة ربما كانت مريضة فينتقل المرض اليها من لبنها . هذا ملخص هذا المقام . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في ضرب مثل لأجسامنا ودمها وغذائها وأمراضها بالأرض المصرية ونيلها (والغرين) وهي المواد التي تجعل لونه قريبا من الحرة وهي أهم أغذية النبات والسدود التي تمنع الماء أن يصل الى بعض الأرض)

اعلم أن كثيرا من الناس يقرؤون كلام الأطباء فيستحيرون ويصعب عليهم الفهم . فاعلم رعاك الله أن أجسامنا كالأرض ودماءنا كماء النيل (والغرين) الذي فيه وهو المسمى بالطمي في بلادنا أشبه بالمواد الغذائية

التي تجرى مع الدم ليوصلها للأعضاء الباطنة والظاهرة . النيل وفروعه كالعروق الصغيرة والكبيرة والتمثيل صحيح وأعضاؤنا كالزروع والأشجار التي يسقيها ماء النيل . فلواتنا سدنا ماء النيل من أى مكان بسد أو سدنا أى فرع من فروع النيل فإن الماء يرجع الى الوراء وهناك يحصل ضرران كبيران وهما حرمان ما بعدهما السد من السقي فيحصل تلف في الزرع من جهة قلة الماء . وهلاك الزرع الذي قبل ذلك السد بطفيان الماء عليه هكذا في الجسم اذا سد عرق كبير أو صغير بمواد لا توافق الصحة حصل افراط فيما قبل هذا السد وتقر يط فيما بعده فتحصل أمراض مختلفات في الجسم على حسب استعداده . وكما أننا اذا أردنا تلافى اهلاك زرعنا في حقولنا فتحنا تلك السدود سدًا سدًا . هكذا اذا أردنا الصحة أزلا الحواجز التي في تلك العروق وفروعها . وماتلك الحواجز إلا المواد الغريبة

هذا ملخص كلام هؤلاء الأطباء الأربعة . فاذا سمعت قول هيج الطبيب الانجليزي أن حض البولييك وحض الاوكساليك والنطرون وغيرها هي أسباب (النورستانيا) والنقطة والرووماتيزم وألم الرأس الخ فما خرج عن انه نظير قولنا ان ماء النيل اذا سد في أى بقعة اختل نظام النبات فهالك أكثره إما بقلة الماء وإما بكثرتة والنبات مختلف وألنا عليه يكون على مقدار نفعه هكذا هنا فانها تحصل أمراض مختلفات يعبر عنها بعبارات مختلفات كما يقال في النبات قد هلك القمح والبرسيم والبطيخ وهكذا واسكل واحد من هذه النباتات منزلة عندنا نتألم لنقده بسببها ، واذا سمعت قوله أيضا : « إن تراكم حض البولييك في أوعية الدم يسبب انحرافا في العقل واضطرابا في الحياة » أوقوله : « إن السميات التي تتخلف من المواد المغذية تثبت في نقرعات الأوعية الدموية وتسد الأوعية الشعرية فتقل قوة سريان الدم » فانه كقولنا « إن وقوع الحجارة والطين في مساقى النيل يمنع الماء عما خلفها ويضر بكثرة الماء ما أمامها من الزروع »

واذا سمعت هيج يقول : « أزيلوا حض اليولييك تعيشوا مائة سنة » فهو كقولنا « أزيلوا السدود من المساقى يشرب زرعكم ويدرك زرعكم وتعيشوا الى حين »

واذا سمعت هيج أيضا يقول : « دع الفول والعنبر والبازلة والفاصوليا واللوبياء الجافة والشاي والقهوة والسكاكو » فهو أيضا كقولنا : « امنعوا الحشائش من مجرى الماء لنسقي الزرع في الأرض »

واذا سمعت أن البلاد المصرية من قبل حكم المغفور له (محمد على باشا) لم يكن بها مهندسون فكان الماء يجري بلا قانون فكثرت الجفاف في وقت وكثر الماء في وقت آخر فاضمحت مصر لقلة زرعها ، هكذا نقول في مزرعتنا ومساقينا وهي أجسامنا ، فنحن اذا أكلنا السكر والنشا والدهنيات والخل والمخللات ولبن البهائم المجهولة صحتها وجبنها والمرق والجبنيات والارز والبطاطس والخلوى والتوابل من كل ما ذكره (كانتاني) الايطالى أو أفرطنا في الأكل كما قال الدكتور (سوبر ويسكى) الفرنسى ، أو تعاطينا اللحوم والتوابل والأشربة الكحولية المخدرة من النبيذ والبيرة والعرق والقهوة والشاي ، أو تدأينا بالسموم الصيدلية ، أو استعملنا السعوط (النشوق) أو أكثرنا الوقوف في الأماكن التي فسد هوائها وتصاعدت أبخرتها مثل الاصطبلات أو كان فيها غازات للتطهير في البيوت ، أو جلسنا مع القوم الذين عرقهم له رائحة ، أو سرننا في الطريق ذات الغبار ، فهذه كلها تدخل أجسامنا وتضعفها كما قاله كوهن الألماني

أقول : اذا فعلنا ذلك كله أو بعضه كما قاله هؤلاء الأطباء فان أجسامنا تكون سعادتها وصحتها على حسب المصادقة كهية الأمة المصرية قبل أيام (محمد على باشا) فقد كان سكانها نحو مليونين فقط لأنهم كانوا يعيشون بالمصادقات . فأما اذا أكلنا النباتات الخضراء والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق كما قاله كانتاني المذكور وفصله الدكتور (سوبر ويسكى) الفرنسى وقد ذكر بعضها وهي المحتوية على القلويات مثل الشكوريا والراوند والاسفنانج والكمثرى والحمض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل

فهذه وأمثالها هي القلويات وهناك نباتات أخرى تضارعها في فائدتها ولكن من طريق طرد ما يضر الجسم مثل حمض البولييك كالاسفاناج أيضا والكرونب والقنبيط وكرونب بروكسل والبازلة الخضراء التي بها حوامض تعيق إفراز حمض البولييك

أقول : إذا سرنا على هذه الطريقة وأضفنا إليها ما يقوله الدكتور كوهن الألماني وقفينا ببعض تجاربه كالحمامات الجذعية والحمامات الجلوسمية مع ذلك الجسم بفوطة خشنة مبتلة والحمامات البخارية أقول : إذا اتبعنا هذا الصراط في حياتنا (لأسيما إذا قرأت أيها الذكي تمام الكلام على تلك الحمامات ونحوها وفوائد أخرى في ﴿سورة الشعراء﴾ عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين - وآخر ﴿سورة طه﴾ عند قصة آدم فانك تجد هناك تفصيلا وشرحا كافيا لتلك الحمامات وغيرها ، وهكذا نظائر أخرى في ﴿سورة الحجر﴾ عند الإشارة لقصة آدم في أولها وهكذا في ﴿سورة الأعراف﴾ عند آية - ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - وهكذا عند آية - أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - ففي هذه المواضع كلها ملخص علم الصحة وشذرات جيلة في علم الطب) فاننا نكون في صحتنا أشبه بالمصريين من حيث نمو السكان في هذا القرن إذ صلحت الترع والمجاري بهناية المهندسين وصار السكان (١٤) مليوناً بعد مليونين قديماً

﴿ تذكرة ﴾

أيها الذكي : ها أنا ذا مثلت لك أجسامنا بالأراضي المصرية والنيل كالدم والسدود فيه كالأحماض الضارة والأجسام الغريبة فيه ، فأنت بين «أمرين اثنين لا ثالث لهما» إما انك تعيش كإعيش أغلب نوع الانسان الذين أشبهوا آدم حين أكل من الشجرة ولم يتعضوا بقصته ولم يعلموا مقاصد الكتب السماوية من انزال هذه القصة وأمثالها وتكرارها في القرآن ، فاذن كل كما يأكل الناس مقلدا لهم ، وأما انك تنظر في هذه الحياة وتسلك سبيلا آخر بحسب الطب الحديث على مقدار طاقتك ، فهناك ترجع لحال آدم قبل الأكل من الشجرة . ويظهر لي أن النوع الانساني مقبل على زمان أجل وأبهج ، فإذا سلكت هذه السبيل الحديثة فاعلم انها هي التي تؤخذ من قصة آدم . فالناس جميعا آكلون ما يشتهون من هذه العوالم الأرضية وهم غافلون عما يضر وينفع . وها هو ذا زمان ظهور عجائب القرآن . فأنت اذا أكلت النباتات والفواكه وهكذا فان هذه النباتات نفسها تفتح سدود جسمك ولا تحتاج الى ما يحتاج اليه النيل من المهندسين . واذا أكلت الأطعمة الأخرى كاللحم أو المخمل أو السكر وكل ما اشتق منه فانك تحتاج الى مهندس يفتح سدودك وهذا المهندس هو الطبيب يعطيك مركبات سمية وينزل عليك بالابر فيملا جسمك سما زعافا مع تقطيع الجلد ودخول الحقن السامة . الله هدانا النجدين فلتتبع أسهل النجدين . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني وهو ضرب مثل بالنيل وفروعه للجسم ودمه الخ

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في نصائح عامة من كبار الأطباء وهي ست نصائح منقولة من ذلك الكتاب)

﴿ النصيحة الأولى ﴾

(رأى الاستاذ هندهيد فيما يأكله الانسان في اليوم)

أهم ما يجب أن يدقق فيه من يريد لنفسه دوام الصحة هو مسألة التغذية فان عليها مدار الحياة والخطأ في وجوها الطبيعية يؤدي الانسان الى أشنع الأمراض المسببة لأشد الآلام . لذلك عنيانا في هذا الكتاب بالافاضة في هذا البحث وسنفيض فيه ما وجدنا للافاضة موضعا . وقد اطلعنا على بحث جليل لأحد أطباء الانجليز نشرته إحدى الجرائد نقلها عنها المقطم فرأينا أن ننقله لقراء كتابنا هذا فان فيه فوائد جلية وقواعد قيمة

قال «المقطم» في عدد ٨٣٨٩ الصادر في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ ما يأتي :

« وقد طالعنا مقالة لأحد أطباء أوروبا يتبين منها أن الذين اعتادوا أكل اللحم والبيض وما يدخل في حكمهما من الأطعمة يفرطون في الاكثار منها فيؤذون أنفسهم أذى كبيرا من حيث لا يدرون . وهذه المقالة مفهومة بالفوائد فآثرنا اقتطاف أهم ما ورد فيها ونشره عملا بما جرينا عليه من نشر المقالات المفيدة في حفظ الصحة . استهل الطبيب الكاتب مقالته بهذا السؤال وهو : كم يحتاج الجسم البشري من البروتين (الالبومين) لكي يؤدي وظائفه حق الأداء ؟ والبروتين اسم جنس للأطعمة النتروجينية أو الالبومينية وهو العنصر الجوهري في اللحم الطبر والبيض واللبن والأجزاء الالبومينية في بعض البقول . والموضوع من أهم مواضيع حفظ الصحة فان الأمراض الناشئة عن الافراط في أكل البروتين كثيرة والوفيات بها تزيد على الوفيات بسواها فان أمراض القلب والكليتين والكبد ناشئة عن سوء تمثيل البروتين . فحرفة ما يجب أكله من اللحم والبيض واللبن ونحوها من الامور التي تعد أساسا لحفظ الصحة وإطالة العمر . ثم إن أعظم الأطباء مجمعون على أن بعض الأمراض الأخرى العضالة كالسرطان ناشئة عن الخطأ في تعيين مقدار (البروتين) في الطعام وحسبنا هذا وذلك دليلا على وجوب افراغ العناية في هذا البحث . وأول من بحث في هذا الموضوع الدكتور (هندهيد) النمركي فظهر له من أبحاثه أن (٢٥) غراما من البروتين في اليوم تكفي الشخص العادي وتحفظ صحته . وكان المظنون قبلا أن المقدار اللازم يبلغ أربعة أضعاف هذا القدر . وقد قال هذا الطبيب : « إن زيادة هذا المقدار في الطعام مضر للجسم »

ولا يخفى أن أكلة البروتين كاللحم والبيض هي أغلى الأطعمة وأن الفقراء والمتوسطين يتعبون كثيرا في تدبير أمتانها ولكن متى ثبت لنا أن الناس يدفعون الأثمان العالية لشراء الضرر والأذى وقصر العمر غلب علينا الضحك لولا أن المسألة من المبكيات . وقد دقق الدكتور هندهيد في تجاربه توصلا الى النتيجة التي استنتجها فكان يختار رجالا من الذين يعملون الأعمال اليدوية العنيفة ويكيل لهم الأطعمة ويزنها ويدقق في وزن مفرزات أجسامهم ويفحص قوتهم وأعضاءهم . وبين التجارب التي جرّبها انه جاء برجلين اقتصر في اطعامهما عاما كاملا على البطاطس والمرجرين (الزبدة النباتية) وكان يحسن الطعام يوميا بحيث يكون أقل ما يصب الواحد منهما كل يوم ما لا يقل عن (٢٠) غراما الى (٢٥) غراما من الالبومين بدلا من (٨١) غراما وهو المقدار الذي عين من قبل بالتجارب العلمية . والمعالم أن البروتين قليل جدا في البطاطس . فاستخلص المقدار المطلوب من الالبومين في البطاطس يقتضي ثلاثة أرطال منه فكان الطبيب النمركي يطعم كلا من هذين الرجلين هذا المقدار من البطاطس كل يوم مع ست أوراق (٥٤) درهما من المرجرين ويمنعهما من أكل اللحم والبيض واللبن فكانت صحتهما في آخر العام من أجود ما يكون وحاضر أحدهما مع العدائين فقطع (٢٦٤) ميلا في (٩٩) ساعة أي في أقل من الوقت المفروض . وهذا بعض ما استنتجه الدكتور هند هيد من أبحاثه وتجاربه :

(١) إن الالبومين الموجود في الأطعمة النباتية يغني في الجسم عن الالبومين الموجود في الأطعمة الحيوانية كاللحم والبيض واللبن وأن مقدار الالبومين الذي يحتاج الجسم اليه أقل من المقدار الذي كان يظن لازما له

(٢) إن الأطعمة التي يقل الالبومين فيها تزيد قوة الجسم على احتمال المشقة والتعب فقد قال الطبيب المذكور : « لا أعرف واحدا من الذين يكثرون من أكل اللحم أحرز قصب السبق في محاضرة طويلة

(٣) إن عدد الوفيات بأمراض الكبد والكليتين والامعاء يبلغ بين سكان المدن المترفين نحو أربعة

أضعاف ما يبلغه بين الفلاحين الذين معظم طعامهم من الخبز والبطاطس والأدهان (الزيوت) وقال « إن العرب الذين يأكلون الخبز والتمر فيهم من صلابة العود وشدة الصبر على التعب ما يدعش الاوروبيين وأن جناية جنود السخ الهنود وهم من أشد جنود الدنيا عبارة عن كأسين من اللبن و٢٥ أوقية من الخبز وأوقيتين من الزبد وأربع أواق من الفاصوليا وخمس أواق ونصف أوقية من البطاطس وهم لا يأكلون اللحم إلا مرتين أو ثلاثة في الشهر ونعم ما يفعلون »

ويخلص استنتاج الدكتور هندهيد بقولنا أن قيمة الالبومين النباتي أفضل من قيمة الالبومين الحيواني ولكن يجب الاعتدال جدا في استعماله وبكميات معينة وانه يجدر بالناس أن يقلوا من أكل اللحم وأن لا يكون أكله مع القلة مستمرا بل أن يؤكل في فترات متباعدة

قال الطبيب الدكتور : « ولو كانت تجارب الدكتور هندهيد فريدة في بابها لما أعرناها هذا الاهتمام فقد اتفق غير مرة للعلماء أن أخطوا في البحث مدفوعين بعامل الحاسة الى استنتاج ما يتوقون الى تأييده . وأعظم التجارب تدقيقا قد لا يخلو من الخطأ فيؤدى الى نتائج مغاظة . ولكن التجارب المذكورة تطابق ما توصل اليه باحثون آخرون . فمن ذلك أن الأستاذ تشندن تعمق في مثل هذا المبحث فاقنع هو وأنصاره بأن تنقيص البروتين في الطعام هو سبيل الصحة وأن السواد الأعظم من الناس ينكب عن هذا السبيل عمدا

وقد جرّب الأستاذ تشندن هذه التجارب بنفسه وبجماعة من زملائه وتلاميذه وبينهم نفر من لاعبي الألعاب الرياضية فألفى أن صحته تحسنت وقوته زادت بانقاص ما يأكل ولا سيما من أطعمة البروتين ووافقته على ذلك آخرون فكانوا يقوون وتجدد صحتهم اذا نقصوا مقدار الطعام الذي يأكلونه

ومما يبعث على الاستغراب في هذه التجارب أن نتائجها كانت متماثلة في لاعبي الألعاب الرياضية وفي الذين يعيشون عيشة ساكنة هادئة فان قوتهم ازدادت بانقاص ما يأكلون من اللحم والبيض عما ألفوه قياسا على ما يطلبه قابليتهم . وقد تبين للأستاذ تشندن أن هذه القابلية التي نحسبها طبيعية ونعتمد عليها في الدلالة على مقدار ما يجب أن نأكله ليست دليلا مأمونا بل هي نتيجة عادات سيئة في الأكل حادت بالانسان عن جادة الصواب فان القابلية اذا كانت طبيعية لا تسمح للمرء أن يأكل من الطعام إلا نصف القدر الذي يأكله الناس عادة أو ثلثه »

الى أن قال : « ولكن الأمر المهم في مسألة الطعام هي عدم الافراط في شئ منه ولكن الخطر كل الخطر ناشئ عن الافراط في أطعمة البروتين أي اللحم والبيض واللبن . ويجب ملاحظة الفرق بين الآكلين فالذي يعمل أعمالا بدنية عنيفة يجب أن يعطى من الطعام أكثر مما يطعم من كان قليل الحركة أو كان شغله من الأشغال العقلية . وختم الطبيب مقالته ببعض الوصايا العامة التي يجدر بالمرء مراعاتها في طعامه وهي :

- (١) الاعتدال في الأكل من جميع أنواع الطعام التي تقدم على المائدة ولأننا نأكل من طعام واحد مرتين
- (٢) اترك المائدة وأنت شاعر بأنك تستطيع أن تأكل زيادة عما أكلت
- (٣) زن جسمك مرة بعد مرة وقابل بين أوزانه وعدل طعامك بحسب ما ترى من نقص الوزن أو زيادته فان لم تهتم هذا الاهتمام القليل وتعن هذه العناية اليسيرة بجسمك فلا يحق لك أن تشكو اذا اعتلت صحتك ولا ينتظر أن تكون من طويلى العمر » انتهت النصيحة الأولى

النصيحة الثانية

ضرر الافراط في الأكل

(مترجمة من كتاب « صناعة إطالة الحياة » للعلامة الدكتور جاستون دورفيل)
قال الدكتور دورفيل : « الافراط في الأكل جرح دام في جسم الانسانية . واني لأستطيع أنؤكد

بأنه يقتل يوميا أكثر مما يقتله السلّ والسرطان مجتمعين وأنه غالبا سبب هذين الداءين . وقد قال المفكر الكبير تولوستوى وأصاب : اننا لنا كل ثلاثة أضعاف ما تتطلبه أجسامنا فنصاب بأعراض لا عدد لها تقطع الحياة قبل بلوغها أقصى حدّها »

وقال الفيلسوف سنيك : « الحياة ليست بقصيرة ولكننا نقصرها بأيدينا » وقد كان الدكتور المشهور (هيكه) يمزح قائلا لطهارة مرضاة الأغنياء : « أنا مدين لكم بالشكر أيها الأحباب على ما تؤدّونه من الخدم اليّنا معاشرا الأطباء » وكان الفيلسوف سنيك المتقدم ذكره يقول : « إنكم تشتكون من كثرة الأمراض فاطردوا طهايتكم » وقد ذكر الدكتور كارتون في كتابه « الثلاثة الأغذية المميّنة » المصارعين الذين تراهم ممتلئين عضلا ودما من كثرة ما يعنون بالأكل . ثم قال : إن دولة قوّة هؤلاء الأقوياء قصيرة الأمد وأن قوتهم المفرطة هذه ليست إلا كنار القش لأنهم كالفلتات الطبيعية أو النباتات المدفوعة للإفراط في النمو المعرضة لأن تحترق في يوم من الأيام بحرارة السباد الشديدة الذي هو سبب نموّها غير الطبيعي »

قال الدكتور جاستون دورفيل بعد إيراد هذه الآراء : « بعض المفرطين في الأكل ليسوا ممتلئين شعما ففهم من يكونون على العكس نحاف الأجسام ، ويستوى القسمان في الهلاك بسرعة وإن جهل كل منهما ما يؤديه اليه سم الأغذية من سوء المصير ، فترى الناس يحسدون الأولين (السمان) ويرحون الآخرين (النحاف) فيظنون أن بهم ضعفا أو فقرا دمويا ويزيد الأطباء حالتهم سوءا باعطائهم المنبهات والمقويات ، فياحسرة على هؤلاء الضعاف الذين يصف لهم الأطباء اللحوم النيئة المهلّكة وزيت كبد الحوت الذي لا يستطيع أن تهضمه أشدّ الأمعاء ، فكّم من الزمن يجب علينا أن نقضيه في الصياح ليعلم الناس أن الرجل الضعيف لا يفقد دمه كراته الحمراء إلا لأن سم الأغذية يبيدها ويسدّها ، فاعطاؤه اللحم يزيد في تسممه الذي هو سبب هلاكه ويقربه من حفرة القبر ، من الناس من يفرط في الأكل ولا يصيبه أذى بل تظهر عليه علامات الصحة الكاملة ، فترى وجهه موردا ومحياه متلاثا فيعيش السنين الطوال لا يشتكي بأقلّ وجع ثم لا تلبث أن تسمع بأنه قد مات وهو في عنفوان القوّة فتدهش لذلك ولا موجب للدهش فإن هذا الأكل لم يكن له في جسده مراقب عتيد يعاقبه على كل إفراط وتفریط فتدّى في شأنه فتراكمت عليه السموم فقتلته ولا كرامة ، ولكن من المفرطين في الأكل من لا ترايلهم الأعراض المرضية فنزكهم إلى دمل إلى نزيف إلى مرض جلدي ، وما هذا كله إلا أدلة على أن جسمه يقاوم السموم فيصرفها كلما تراكمت فيه بهذه الأمراض المتوالية وهو عندي أفضل من الأول الذي يعيش صحيحا محسودا سنين معدودة ثم يصعق فجأة ، وترى الأطباء يرون الضعيف المفرط في الأكل مصابا بدمل أو بمرض جلدي أو بنزيف أو بغير ذلك فلا يسألونه عن كيفية معيشته ولا مقدارا كاه ولا أنواع غذائه بل يسعون في مكافحة الأعراض المرضية فتزداد حالته سوءا وربما هلك بين أيديهم » انتهت النصيحة الثانية

النصيحة الثالثة

ضرر الأغذية المركزة

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « إذا كان الإفراط في الأكل من الأخطار الكبيرة فإن تناول الأغذية المركزة كالسكر واللحم بقصد التقوى أو تحسين التغذية أشدّ خطرا على الصحة ، نعم إن تلك الأغذية التي نعتبرها مقويّة توجد لنا قوّة فنحس بسعادة جسميّة ولكنها سعادة مؤقتة إذ تنقلب إلى ضعف وانحطاط ، فهذه الأغذية التي نخيل للناس أنها مقويّة هي كضربة سوط تنزل على الحصان المعبي فتجعله يجري قليلا ثم ينحط انحطاطا لا قيام له منه . فمن من الناس فحيا هذا القرن الذي يقال أنه قرن النور ؟ لم يتناول الأغذية المركزة من خلاصات اللحم ومستخرجات اللحم والبيتون والأنبذة والفوسفاتات والدقيق المشحون بالازوتات والبرشامات المملوءة

بالمهيجات والسكريات والشكولاتات الخ مما لا يمكن استيعابه ؟ قليل من علم الفسيولوجيا يفهمك نتيجة فعل الأغذية المركزة على خلايا أجسامنا . ذلك ان الأغذية التي نتعاطاها قسمان : قسم يعوض أنسجة أجسادنا وهي المواد الزلاية . وقسم أعد للاحتراق فباحتراقها بفعل الاوكسوجين الذي في الدم تعطينا قوة تسرى في عضلاتنا وأعصابنا وتحفظ حرارتنا

« للأغذية وظيفة ثالثة وهي تهيج خلايانا الجسمية . من هذا التهيج ينتج التبادل الذي يميز حياتنا . فاذا كان الغذاء الذي نتعاطاه ذاتيا كان تهيجه لطيفا بطيئا متوقيا ولكن اذا كان الغذاء مركزا كان تهيجه قويا فجائيا . فلنفرض أن غذاءنا مكون من الخبز والبطاطس بمقادير مناسبة ومن النباتات الخضراء والفواكه فان خلايانا بعد انضمام هذه الأغذية تأخذ منها الزلال بمقادير صغيرة ضرورية لتعويض مادتها الحيوية المستهلكة . وأما المواد الاحتراقية فتأتي بكمية مناسبة أيضا وذائبة من البطاطس والخبز والفواكه فتتأثر خلايانا بتهيج لطيف أي فسيولوجي . ولكن اذا كان الغذاء مؤلفا كما هي عادة معاصرنا من المشروبات والحلاوات المشبعة بالسكر والشكولاتا والكحول مهما كان مقداره صغيرا اتجهت هذه المواد الى خلايانا مجتمعة فأحدثت فيها اضطرابا غير فسيولوجي بتوهم انه قوة بدنية ولكنه في الحقيقة ليس إلا خطوة نحو الصدمة النهائية »

قال الدكتور (باسكولت) في كتابه « التهاب المفاصل والافراط في التغذية » ما يأتي : « التهيج اللطيف للخلايا يحفظ الحياة بتسهيله تمثيل الاصول المغذية ، والتهيج القوي يختصر الحياة بحملها على الاسراع في عملها بحيث يهترى بها النصب والانحلال قبل موعده الطبيعي »

وقال الدكتور (بول كارتون) في كتابه « الثلاثة الأغذية المميتة » مانصه : « حين تصل الى خلايا الجسم أغذية شديدة الركن تتسبب تلك الخلايا هجوما عنيفا يميتا مضادا لحياتها الطبيعية وهذا التهيج المضاد للفزيولوجيا يقتضي رد فعل فجائيا شديدا من الخلايا الجسدية يفرح به صاحبها في حينه ولكنه مع الادمان ينقلب مضعفا هادما مولدا للمرض ، هذه الجهود المفرطة التي يجب أن تعملها خلايانا لتساوى مع شدة التهيج الغذائي تخيلها دائما مظهرا كاملا من مظاهر الحياة والصحة ، فكلمات الآلة وارتعدت تحت تأثير الحرارة المفرطة افتخر صاحبها وارتاح ، وكلما صار الأولاد أكثر تورا وسمنا تحت تأثير المعجم والسكر ازداد أهلهم سرورا بهيم ومع ذلك فلا شيء أكثر خدعا من هذه الظواهر الغشاشة ولا شيء أكثر خطرا من هذه النتائج الجيلة التي يتعمسون لرؤيتها غاية التعمس لأن عقابها التي لامناص منها الانحطاط والفساد والمرض والموت الباكر لجسم استنفدت جميع ذخائره الحيوية » انتهت النصيحة الثالثة

﴿ النصيحة الرابعة ﴾

(ضرر السكر الصناعي وفوائده الطبيعي)

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « السكر أحد الأغذية المهلكة لأجسادنا فالتناول منه كعادة معاصرنا من أربعة الى ست قطع فوق الغذاء المفرط يكون بمثابة الحسم على الجسم بزيادة الحركة زيادة مرضية مميتة ، لقد كان آباؤنا منذ ثلاثة أجيال يجهلون السكر الصناعي وكانوا أبطأ منا انحطاطا في قواهم ، تقدم الينا الآن الأغذية السكرية فنتناول منها بافراط ونعطى منها لأولادنا ، وقد شوهد أن كثيرا من أحوال الأرق لاسبب لها غير الافراط في تعاطي السكر ، وذلك سهل التفسير فان السكر أقوى الأغذية الاحتراقية يعطينا ميلا شديدا للعمل فكيف يمكن النوم مع هذا الميل ، ولقد عاجلت حالات أرق مستعص بمنع المصابين من تناول السكر مساء ، هل معنى هذا الامتناع عن تعاطي السكر بتاتا ؟ لا ولكن الواجب معرفته أن السكر الصناعي علاج كالعلاجات يضر وينفع ، فهو نافع لأهل الأعمال الجسدية كالزراع والصناع ، وضار لنوى الحياة الجلوسية

كالمؤلفين والسياسيين فلا يجوز لهم أن يتناولوا منه أكثر من قطعتين في اليوم ، ويجب عليهم الامتناع عنه وعن كل الأغذية الاحترافية مساء كالنشا والحبوب أيضا ، ثم إن من الاضرار بالأطفال إعطاءهم السكريات فإن السكر الطبيعي يكفي لجميع حاجتنا وهو موجود في الفواكه حيا وعلى حالة ذوبان ، ولكن السكر الصناعي محروم من الحياة أى من قواه المضطيسية فهو غذاء ميت . إننا لنعلم الفائدة العظيمة لأجسامنا من تناول الأغذية المتمتعة بحركتها الحيوية ، وقد كان الناس يضحكون من أهل القرون الوسطى الذين كانوا يعتقدون في القوة الحيوية ولكنهم اضطروا اليوم لأن يرجعوا عن غيرهم ، فقد دلتنا الفزيولوجيا التجريبية على أنه من العبث إعطاء الضعفاء الحديد لتقويتهم لأن الحديد إذا لم يعط حياة لا يمتلئه الجسم بخلاف الحديد السلي المشهور في النباتات فإنه مقوٍ عظيم للسكرات الجراء للدم

وما قلته عن السكر أقوله عن الكحول فإن المشروبات الروحية خطيرة جدا ، يقول لنا الدكتور كارتون في كتابه « الثلاثة الأغذية المميتة : » إن المقادير التي تستهلك من اللحوم قد بلغت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل ثلاثين سنة فلاتنس أنه بجانب هذه الزيادة المضافة الى زيادة مقادير الكحول والسكر نشاهد أن السل الرئوى يحتاج سنويا أكثر من ١٠٠.٠٠٠ والسرطان أكثر من ٣٠.٠٠٠ نسمة

الضرر لم يقف عند هذا الحد المادى بل تناول العقول أيضا ، وحسبى أن أقول بأن عدد المجانين كان سنة ١٨٦٥ نحو ١٤٠٠٠ فبلغ ٧١٥٤٦ فى سنة ١٩١٠ وزاد كذلك عدد المنهجرين حتى بلغوا أكثر من ثمانية أضعاف ما كانوا عليه منذ بضع سنين » انتهت النصيحة الرابعة

﴿ النصيحة الخامسة ﴾

(متى وكيف وماذا يأكل الانسان ويشرب)

(مترجمة من كتاب « الطب الطبيعى » للأستاذ بلز)

قال الاستاذ (بلز) مامعناه تحت عنوان « متى وكيف وماذا نأكل ونشرب ؟ » فى كتابه « الطب الطبيعى » ما يأتى :

« أريد أن أعطى نصائح فيما يخص هذه المسائل وهى : متى وكيف وماذا يأكل الانسان ؟

(١) — « متى نأكل »

العادة أن الناس يأكلون ثلاث مرات فى اليوم حتى تستطيع المعدة أن تستريح فى خلالها ، ولكن مما يجب ملاحظته هنا أن العشاء لا يجوز أن يكون كثيرا ولا متأخرا لأن الأعصاب المعدية والنخية تزيد عمل المخ فينتج منها نوم غير هادئ ، ومثل هذا النوم لا يكفي فى تعويض ما فقدته الانسان . وتنتج عين هذه النتيجة أيضا ان دخلت السرير عقب اتعابك المخ بشئ من الاشتغالات العقلية كالمطالعة والتفكير والمجادلة والبحث فى السياسة لأنك بذلك تسكون وجهت التيار الدموى نحو المخ ويكون النوم أقل تقوية للجسم لما يتخلله من الأحلام الكثيرة

(٢) — « كيف يجب أن يأكل الانسان ؟ »

الشرط الأول فى ذلك أن تمضغ اللقمة جيدا وفى مدة أطول ما تستطيع وذلك بالنسبة لجميع الأغذية على السواء ، وهذا لسببين : أولهما لأن إجادة المضغ وإطالة أمدده هما العاملان الوحيدان فى خلط اللعاب بالمواد الغذائية واللعاب ضرورى للهضم بل هو العامل الأول فيه ، وثانيهما لأن عمل الأسنان يهيئ عمل المعدة وبغير ذلك لا تستطيع المعدة أن تستخرج من الأغذية كيموسا كافيا ولكن لأجل أن يؤدى الانسان هذا الواجب لجسمه يجب أن يكون لديه أسنان كفاء للمضغ وهو الأمر النادر فى جيلنا الحاضر ، فإذا أردت أن تحفظ أسنانك صحيحة لحفاظ على نظيفها وابتعاد عن الأشربة وعن الأغذية الساخنة فإن فى ذلك ضررا عظيما على الأسنان

وعلى الخلق وعلى المعدة أيضا ، ثم يجب على الانسان أن لا يداول في الأكل أو الشرب بين ساخن وبارد لأن ذلك يضرّ بالطلاء البراق الموجود على الأسنان فيتلفه ويكون من وراء تلفه تأكل الأسنان وسقوطها . ولا يجوز الاكثار من الشربة أو المرق . وينبغي أن يكون الخبز جافا وغير مغموس في الماء فقد خلقت الأسنان للمضغ فيجب عليك أن تعملها فيما خلقت لأجله فقد ثبت أن الأسنان التي تؤدّي وظيفتها كما يجب تقع في المرض والانحلال . ويمكنني هنا أن أقول بأن الانسان في ظروف مساعدة يمكنه أن يحفظ أسنانه سليمة حتى يموت . نعم ان الذي له أسنان ضعيفة بالوراثة لا يستطيع تقويتها وارجاعها سليمة ولا يتم ذلك في نسله إلا بعد أجيال ولكن من المؤكد أن الناس لو نجحوا في تحسين حالة أسنانهم أتى عليهم وقت بطلت فيه شكاواهم من مرض الأسنان . ألا ترى أننا قلنا أن نصادف في عالم الحيوانات أفرادا منها لها أسنان مريضة

يوجد مثل قديم يقول : « كل على قدر ما تشتهي » هذا المثل صحيح ويستحق الاعتبار نظرا للاحوال الحاضرة المضادة للطبيعة التي يعيش فيها الناس . فهو صحيح من الوجهة الطبيعية لأن لا تصوّر أن الطبيعة تعطي للانسان شهية في الوقت الذي فيه معدته لا تستطيع القيام بوظيفتها ، ولكن مما يوجب الأسف أن صاحب الشهية اليوم يتناول من الأشرطة والأغذية أكثر مما يلزم لجسمه ولا يتفق مع صحته فيضرّ نفسه ضررا بليغا فيجب أن ينظر الى هذا باعتباره حالة من الأحوال المضادة للطبيعة لا الموافقة لها ، ألا تنظر للطيور والحيوانات الأخرى فهل رأيت فيها ما يترجم عقب الأكل من الإفراط فيه

رغمما عما يقوله الناس اليوم من أنه لا ينبغي لمن أكل وملا معدته أن يضطجع ، أنصح بالاضطجاع عقب الأكل مدة من (٣٠) الى (٤٥) دقيقة فان الأعضاء الأخرى متى ارتاحت انصرفت دورة الدم كلها الى المعدة فتم هضمه على مايرام ، ومما يجب العناية به أن يتنفس الانسان تنفسا طويلا جلة مرات عقب كل أكل في الهواء الطلق ليخلط المقدار الكافي من أوكسوجين الهواء بالدم ليتم الهضم على أحسن حال

(٣) — ماذا ينبغي للانسان أن يشرب ويأكل ؟

يجب على الانسان أن لا يتناول إلا الأغذية السهلة الهضام الحالية من الاصول المضارّة ، وهذه الأوصاف تنطبق على جميع الفواكه والحبوب وخصوصا القمح ، فهو فضلا عن وفرة أصوله المغذية يحتوي على جزء عظيم من الفوسفور وهو العنصر الضروري لحفظ سلامة المخ ، فقد قال مولخوت : « اذا لم يكن فوسفور فلا فكر » ويجب أكل النباتات الخضراء والفواكه ، واذا كان الانسان اليوم لا يكتفي بها وحدها فقد كانت في الأزمان السالفة هي الغذاء الوحيد لكثير من الناس . واقد كثر اليوم مبدأ الإفراط في العمل وهو أمر مضاد للطبيعة . وانا لآرى أن هذا الإفراط ليس ضروريا بل هو ناشئ من سوء النظام . وفي نظرنا أن نصف هذا العمل يكفي لاقامة أمر الحياة كما يجب واذ ذاك لا يحتاج الانسان أن يتناول الأغذية الثقيلة الدسمة كما هو حاله اليوم

فلقد أثبت لنا الدكتور (ناتار) و (سوكسى) بصيامهما ورياضتهما أن الانسان يكفيه قليل من الغذاء والذي نراه انه لا يجوز أن تخلو المائدة من الفواكه يوما واحدا لأنها مرطبة ولها دخل عظيم في حفظ الصحة . أما اللحم فيجب أن يعتبر في الأطعمة من توأملها لا غذاء قائما بنفسه فان له تأثيرا مهيجا ضارا بالبدن ولناخذ الانسان دليلا على ضرره وتهيجه من اجماع الأطباء على تحريم تعاطيه للمصاب بالحمى . والأغذية التي تضرّ المرضى الأضواء لا محالة وان يكن الأضواء لا يحسون بضررها بسرعة على . أن القيمة الغذائية للحم ليست بالقدر الذي يظنه الناس عادة فان الرطل من الحنطة أو من الحبوب الأخرى أو من النباتات الخضراء الخ يزيد في القيمة الغذائية عن رطل من لحم البقر الجيد . وهنا ننبه على أن أكثر الناس يخطئون خطأ عظيما في اعتقادهم أن اللحم يزيد أجسادهم قوّة ويملأهم حياة وفتوة . بل الأمر بالعكس فان الاكثار من أكل

اللحم ضارّ للدرجة القصوى . وأما النباتات فهي الغذاء الجيد الصالح لحفظ قوّة الانسان الجسدية والعقلية وتوفير سعادته البدنية ، فكما أن الطبيعة تهيد في كل فصل شبابها وتستدعي بذلك اعجابنا ، كذلك تفعل النباتات في أجسادنا فانها تهيد اليها قوتها وتملؤها حياة ونشاطا بخلاف سواها من الأشربة والأطعمة كالقهوة والشاي والبيرة واللحم والتبغ . أما التوابل فانها تهيج المعدة وتنشطها حتى قد تبلغ بها ضعف قوتها ولكنها تنتهي باضعافها فلا يهود الانسان قادرا على الهضم ، وكما أنس الانسان بالأشياء المضادة للطبيعة بعد عن الموافقة لها ولا يستردّ سيرته المعقولة في موافقة الطبيعة إلا بالتعود ، قد يتبرّم الانسان من اخلاف عاداته حيناً من الزمان ولكن متى زال أثر العادة السيئة حلّ محلها أثر العادة الطيبة بما يستتبعه من راحة وصحة وهناء وعليه فاني أنصح بعدم أكل التوابل والاكتفاء بتعاطي الأشياء مجردة فان كل صنف تابل فيه . أما ما يشربه الانسان فلا ينتظر من مثلي أن ينصح بتعاطي الأشياء الضارة ولو كان في الناس من يعزّ عليه أن يقلع عن عاداته فليصر عليها حتى الممات ولكني أخطب أولاده وأحاول أن أقنعهم بما يجب عليهم أن يتعدوا عنه . أنا لا أستطيع أن آذن لأحد بتعاطي البيرة ولا العرق ولا النبيذ ولا القهوة ولا الشاي . فاذا لم تكن لتستطيع أن تقلع عنها بتاتا فقلل منها ما استطعت . أما المشروب الوحيد النافع للانسان الملائم لصحته فهو الماء الصافي العذب فاشرب منه ماشئت . والذين لا يستطيعون إساقعة الماء القراح فهم مرضى ولا يزالون مرضى حتى يستطيعوا إساقعته دون سواه

أنا لا أريد أن أرجع بالانسان الى دور الوحشية الأولى ولكني أريد أن يستفيد الناس من هزايا الاخشياب في الأكل وهي المزايا التي يتمتع بها دوننا المتوحشون . ولا أريد كذلك أن أتخذ من حال الهنود المتبربرين مثالا نحتديه في حياتنا فانهم أيضا قد أصابهم هدى مدنيتنا فأصبحوا عن الصراطنا كبين يظهر من حال طبيعتنا اننا لم نخلق إلا لأكل النباتات دون سواها . فاذا تأملنا في تركيب أجسادنا رأينا أنه ليس فينا ما لأكلة اللحوم من الحيوانات من القابلية لتعاطي اللحم فليس لنا أنياب الوحوش ولا مناسر الكواسر الخ وقد أحكم الله كل ما وضعه فلا يصح أن نفرض انه غلط أو حاد عن جادة الابداع وعليه فلا أدل للانسان في أمور عيشه وسعادته من القانون الطبيعي فهو لا يهدينا إلا لما فيه المصلحة ولا يزعمنا إلا عما في تعاطيه المضرّة . فاذا خرج الانسان عليه ولم يخضع لارشاداته عاد أمره عليه بالوبال . وذاق من جراء عصيانه أسوأ الأحوال

فاذا كان الله جلّ شأنه خالق لكل كائن استعدادا خاصا لأنواع الغذاء لا يجوز له أن يتعداه ساغ لنا أن نجزم هنا بأنه تعالى خلق الانسان نباتيا صرفا . واذا كان الأمر كذلك فلا يعقل أن انسانا يستعيد صحته وينال سعادته إلا اذا عاد للأغذية النباتية وترك ما سواها سواء أكان ذلك طرفة أم تدريجا ، ولا عجب اذا كان الانسان وهو أكرم المخلوقات وأشرفها يقتصر من غذائه على أكرم الأطعمة وأطهرها وهي الفواكه الناضجة اللينة ، وقد دلتنا الطبيعة أيضا أن الانسان اذا اقتصر من الأغذية على ما يناسب استعداداته وهو الأطعمة النباتية دون سواها عاش عمرا طويلا مهنا في نفسه مهاف في بدنه بخلاف ما لو تعاطى ما يخالف استعداداته كالعرق والبيرة والقهوة والتبغ الخ

ومما يؤسف له أن نحوا من (٩٠) في المئة من الناس يعيشون في شروط معيشية تناقض الطبيعة ، وليس بعد ما قدّمناه حجة في أن هؤلاء متعزّون بهذا السلوك السيئ لأفدح المصائب وأكبر الآلام الانسان يعيش اليوم مقودا لتقليد الجمهور محتملا في هذا السبيل الآلام المختلفة وصنوف الضعف والذبول فما أجدره بقراءة المؤلفات الموضوعة في الطب الطبيعي لينتشل نفسه من وهدة هذا السقوط . نعم إن من يريد أن يتبع نصائحي يجب أن تكون له ارادة من حديد . ومما آسف له أن هذه الارادة صارت اليوم أعزّ من

أئمن أنواع الجواهر

إن الطبيعة لتربنا ، وحال آدم في الجنة شاهد علينا ، بأن ليس الحيوان وحده هو الذي خصّ بوجدان غذائه حاضرا أينما سار ، بل أنعم الله على الانسان أيضا بهذه المزية وكفاه مؤنة هذه المشاق التي يحملها نفسه في تحضير الغذاء ، فضلا عن أن الانسان قضى على نفسه بنفسه أن يكون غذاؤه بعيد المنال كثير التكاليف أوجب على جسده أيضا حاجات مصطنعة وهمية تمدّ جيش آلامه وتزيد في ويلاته على غير جدوى . انتهت النصيحة الخامسة

﴿ النصيحة السادسة ﴾

(إراحة المعدة وأعطائها زمنا كافيا للهضم)

(مترجم عن كتاب سرّ الصحة تأليف الاستاذ دو فورست)

« أولا » يجب اعطاء المعدة زمنا قليلا ترتاح فيه بين ساعات عملها فان مضى خمس أو ست ساعات من بعد انتهاء الأكلة الى ابتداء ما يليها فليس بالوقت الطويل فان الهضم المعدي يتطلب من (٤) الى (٥) ساعات في أغلب الأحوال

« ثانيا » كل الأغذية يجب أن تكون خارج المعدة قبل ساعة النوم لأن النوم يضرب الهضم ضررا بليغا « ثالثا » اذا كانت الأكلات مستوفاة وتعوطيت في الأوقات التي تكون قوى الجسم فيها على أتمّ ما يكون (أى في الساعة ٨ صباحا و١٢ ونصف بعد الظهر مثلا) فان أكلتين في اليوم تكفيان أكثر الناس وخصوصا من كانت حياتهم جلوسية فاذا كانت الساعات التي عيناها لاتوافقهم فالأولى أخذ ثلاث أكلات في اليوم بشرط أن تكون الأخيرة خفيفة وتؤخذ بين الساعة (٦) و (٧) للمصابين بالحمى أو بأمراض أخرى ممن يخضعون لنظام الأغذية السائلة وكذلك الأفراد الطاعنون في السن والضعاف والأطفال ممن دون السنة يستثنون من هذه القاعدة

﴿ الضلالات الغذائية ﴾

(عن الاستاذ دو فورست أيضا)

« أولا » الأكل بين الأكلات : اذا استسلم الانسان لهذه العادة أفسد عليه نظام معدته فان الجهاز الهضمي معدّ للعمل بطريقة منتظمة ولايستطيع أن يعمل في كل وقت ، مثله في ذلك كمثل كل عضلة من العضلات الجسدية فيجب أن لايدخل شئ الى الفم بين أكلة وأكلة ولوكان تفاحة « ثانيا » الأكل بسرعة : اجتنب هذه الضلالة بأخذ الأغذية الجامدة فان حفظ الحياة لا يكون بقدر الأغذية المزودة بل بقدر الأغذية التي يمثلها الجسم ، ولأجل الحصول على تمثيل تام يجب أن تكون الأغذية التي تؤخذ جافة تستحيل الى عجينة بواسطة الأسنان واللعب

« ثالثا » الأغذية الحارة جدا تضعف المعدة وكذلك السوائل الحارة جدا

« رابعا » الأغذية التي تدخل المعدة باردة تقتضى من جهة الجسم صرف قوة حيوية لا يصلها الى درجة الحرارة الجسمية قبل أن يبتدىء هضمها

« خامسا » الأغذية الدسمة (المقاوة على الخصوص) المركبة تهيج الشهوة ولكنها تصعب الهضم جدا ولا تعطى دما جيدا

«سادسا» الفلفل والخردل والقرنفل والقرفة وجميع التوابل ليست من الأغذية لأنها تهيج المعدة والمجموع العصبي وتحدث نزلات وأمراضا عصبية معدية (بكسر العين) وعلاا أخرى وتفسد الشهوة بتقوية الطعم الطبيعي للأغذية

«سابعاً» الجبن والمحفوظات في الخلّ من الأغذية أي المخلات واللحم وما يستعمل نقلا من الأجسام الدسمة المركبة وخصوصا اذا أدخل اليه من بيكربونات الصودا وقشدة التاوتر (وهي تتخذ مما يرسب في براميل النبيذ الخ) لا يجوز بأى وجه من الوجوه أن تدخل الى المعدة الانسانية ولا يجوز أن تكون جزءا من غذاء انسان يريد أن يستعيد صحته أو يحفظها في حالة جيدة ، والمنبهات من السوائل والمشهيات والخمر والشاي والقهوة والشكولاتا هي أكثر ضررا أيضا ، أما التبغ فلا يجوز أن يدنس جسم الانسان الذي يحب حياته وصحته . انتهى الكلام على النصائح الست والحمد لله رب العالمين

﴿ المقام الثانى ﴾

فيما ذكره أحد الأطباء في بعض المجلات الهامة تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

﴿ الفيتامينات ﴾

(موارد الحياة)

تعددت أبحاث العلماء في الفيتامينات وأنواعها فنشرت الصحف والمجلات في أوروبا عنها صفحات عدة فاثرت تلخيص أهم ما عرف عنها لقرّاء « مجلة النهضة » القراء وفي نشرها فائدة لا تخفى على حضراتهم إذ طبقوا هذه الملاحظات على غذائهم

إن العلماء عرفوا الفيتامين كما يستدل من اسمها بمورد الحياة وقسموها لأقسام : (أ) و (ب) و (ج) و (د) وقد كشفوها في موادّ الغذاء الطازج النقي وهو على حالته الطبيعية ، ومصدر الفيتامين في هذه الأطعمة هي أشعة الشمس التي لا حياة ولا غذاء بدونها وهذه الفيتامينات تفقد وتزول في الغذاء متى قدم بتأثير النار والتعفن الخ

إن هذا الاكتشاف يدلنا على منافع الغذاء الطبيعي بدون تحضير كالخضر النيئة والفواكه الطازجة التي لا تدخل النار واليك البيان : إن أنواع الفيتامينات لا توجد في صنف واحد من الغذاء بل هي في أنواع عديدة من الماء كل فيجب على الانسان أن يعدّد أصناف ما كاه حتى يستفيد من موارد الحياة هذه لأنها ضرورية ولا يستغنى عنها ونقصانها من الجسم أوفقدانها منه تسبب أمراضا عديدة خطيرة على الحياة كما ثبت ذلك من التجارب الآتية

حبس بعض العلماء بعضا من الحيوانات في مكان مظلم ومنعوا عنها الغذاء الطازج المحتوى على الفيتامين وهي بعيدة عن نور الشمس فأصبحت هذه الحيوانات بالكساح كما أن صغارها أصيبت بوقوف النوّ تماما وضعفت قوّة بصرها وهزلت وهذا تماما ما يحصل للانسان ويعرف بداء (أفيتمينوس)

ولما أعادوا هذه الحيوانات الى نور الشمس وأطعموها غذاء طازجا يحتوى على الفيتامين خلاف الغذاء الأوّل الذى أعطى لها مدة وجودها بالظلمة استعادت قوّتها وشفى صغارها من الكساح ، ثم عاد العلماء الى التجربة في الانسان فعمدوا الى ركاب البحار الذين يأكلون الأطعمة المحفوظة في العلب والتي فقدت الفيتامين فوجدوا أن هؤلاء جميعا معرضين لمرض الاسقربوط ولفساد الدم وللين العظام عند الاحداث فعالجوهم جميعا بإعادة الأغذية المشبعة بالفيتامين وبأشعة الشمس الطبيعية اذا وجدت أو الصناعية (فوق البنفسجية) فشفوا تماما في مدة وجيزة ، وقد كانوا قبلا يعالجون السنين الطوال دون أقلّ أمل في الشفاء ، مثال ذلك الاسقربوط الذى يشفى بعصير الليمون المالح والبرتقال والخضر النيئة ولا يشفى بمالح الليمون أو شرابات البرتقال أو الخضر المغلى على النار ، فثبت عاميا أن فى الماء كولات الطازجة النيئة فيتامين أو موارد حيوية لاغنى للانسان عنها فى غذائه كما ثبت أن لبعض الزيوت النيئة فائدة كبيرة فى شفاء الكساح ولين العظام عند

الأطفال فجرّبوا استعمال هذه الزيوت نفسها بعد غليها على النار أو وهي قديمة فلم تأت بفائدة مطلقاً فثبت لديهم أن فيها مواد حيوية وهي الفيتامين ، ووجدوا أن الحبوب كالقمح والبقول والذرة إذا استعملت نيئة وطازجة (كالفرّيك) تعطى قوّة عضلية عظيمة كما هي الحال في آكلها من الحيوانات كقوّة الثور على جرّ الأثقال الخ ومتى طبخت أو خبزت تفقد قوّتها الحيوية بنسبة اتلاف النار للفيتامين فيها ، ولقد دلت التجارب في الإنسان والحيوان معا حتى استعملوا أعضاء الحيوانات السليمة لشفاء الأمراض التي تصيب مثل هذه الأعضاء في الإنسان فاستعملوها نيئة وأتت بفوائد جمة ، منها استعمال خلاصة المبايض والغدد السكرية والدرقية والخصيتين والثديين الخ

وأخيرا ظهر دليل قاطع حديث وهو : عاجلوا فقر الدم الشديد الذي يصيب الأحداث من الناس عند بلوغهم وعلى الأخص النبات بجميع أنواع العقاقير والعلاجات فلم يجد نفعا حتى وفق العلم الحديث الى اكتشاف خطير وبسيط جدا ، فقد عاجلوا هذا الداء المسمى الكوروزا وفقر الدم الشديد بالكبد الذي الطازج المأخوذ من حيوان سليم وعلى الأخص كبد الجمل يأتي بفائدة مذهشة عدوها في العلم معجزة ، ولكن اذا عولج الكبد بالنار فلافائدة فيه لأن النار تفقد الفيتامين

وبعد كل هذه التجارب أذاع العلماء قرارهم هذا النهائي القاضى بتعديل طرق الغذاء علميا انتهى من مجلة « النهضة النسائية »

ولقد جاء تلفزيون في الصحف أن حكيم روسيا قضى (٢٠) سنة في التجارب أثبتت له أن الإنسان يمكنه أن يعيش (١٦٠) سنة اذا اقتصر على أكل النبات الذي لم يطبخ

فلما سمع صاحبى ذلك قال : إنك أثناء إلقاءك هذا الموضوع تبينت لى فى وجهك آثار آراء تختلج فى قلبك ؟ فقلت نعم . فقال فماذا رأيت فى هذا ؟ فقلت : الفيتامين فى العلم والدين كالفيتامين فى الغذاء ، إن الذى جاش بخاطري فى أثناء إلقاء هذا المقال هو أن الأمم الإسلامية التى ظهرت بعد القرون الثلاثة الأولى . فعلت فى الدين ما فعله الناس فى الطعام من التجافى عن الحقائق والتباعد عن الأصول والاستغراق فى مباحث القشور وظواهر الأمور اللهم إنك أنت العليم بما جناه الناس على أنفسهم فى طعامهم إذ أمتوا مواد الحياة بطبخه ونبد قشوره وما يسمونه السنّ فى القمح ، وما يسمونه النخالة (وبعبارة أخرى) ان ما يستلذه الناس من ما كان كلهم اتى اصطلمحوا عليها هو المفسدة العظمى لصحتهم ، هكذا فعلوا فى الدين ، ذلك انهم لما تمبؤوا العلم والايمان أخذوا يفعلون فى الدين ما فعلوه فى الطعام واللباس ، فكما أن حجب الجسم عن ضوء الشمس ولفه لفا وثيقا يحجب عنه الهواء والشمس وهكذا زج الطعام فى النار كل ذلك مضعف لصحته هكذا تهافت الناس على كتب المتأخرين وتركهم نفس كتاب الله تعالى وابعادهم عقولهم عن المباحث الشريفة أضعف أهمهم وأنزلهم فى الخفيض ، وما الاتسكال على الكتب الموروثة التى كانت نتائج انصهار العقول الكبيرة فى الأمم الإسلامية الغابرة وعدم تعرض عقولنا نحن الى نفس كتاب الله تعالى وكتاب رسوله ﷺ ومناظر المشاهد الطبيعية إلا كالاتسكال على ما أوقدنا عليه النار وطبخناه من الطعام (كالعلوم المطبوخة بنار العقول الكبيرة الإسلامية بعد القرون الأولى) وكالاتفاء بالملابس التى حجبت أجسامنا عن نور الشمس وهى لاتغنى عنه فتىلا ، فليكن عمدة المسلمين من بعد الآن كتاب الله تعالى وكتاب الطبيعة ودراسة علوم الآفاق والأنفس وهذه الطائفة هى التى تتولى قيادة الأمم الإسلامية بعدنا وهم هم الذين يفهمون كلام الله ، وكيف يفهم كلام الله إلا بدراسة فعله . القرآن كلام الله والعالم فعله فلندرسه دراسة تامة وبها نفهم كلامه وغير هذا لا يفيد فقال : لقد نطقت بحكمة وأفدت بعلم ولكن لازلت أحب أن تفيض فى هذا الموضوع بعض الافاضة لتبيان الموازنة ما بين آراء المذاهب والفرق المتشاكسة وما بين الطعام المطبوخ . فقلت : لاجرم أن النار التى بها نطبخ طعامنا ماهى الأثر من آثار الشمس . ألا ترى رعاك الله أن الفصح الحجرى المذكور المشروح فى أول سورة

سبأ ﴿ وهكذا الخشب وغيره كلها قد خزن فيها ضوء الشمس تصلح لانتقاد النار فيه . والشمس هي المنضجة للعجوب والنفوس . فاما رأى الناس ذلك قديما ظنوا أن النار في الطعام آثارا كآثار الشمس من حيث الاصلاح فأوقدوا النار على طعامهم والنار ما هي إلا ابنة الشمس والفرع ينوب عن الأصل كما عبدوا الأصنام النابتة عندهم من السكواكب كما هو موضح في أول ﴿ سورة البقرة ﴾ عند آية - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم - الخ هكذا فعلوا في الديانات ، ففي كل أمة متدينة علماء لهم مذاهب مختلفة صهرتها عقولهم وأوقدوا عليها نيران ذكائهم كما أوقد الناس النار على طعامهم ، وهؤلاء العلماء انما استمدوا آراءهم من دينهم مع اضافة تفكيرهم بعقولهم كما ان الخشب والفحم استمدوا الحرارة من الشمس وقد دخلت صناعة الناس فيهما وأوقدوها نارا بطبخ طعامهم ، وهل تريد لهذا بيانا أكثرهما في كتاب « الفرق بين الفرق » وكيف ظهر أن هناك نحو (٧٣) فرقة كل فرقة ترى الحق معها وتدعى جهل جميع المسلمين ، أولاترى مذاهب الباطنية الموضحة في ﴿ سورة الكهف ﴾ عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وهكذا مذهب البهائية في الفرس والأجدية في الهند وغيرهم ، فهؤلاء جميعا أشبه بمن يأكلون الطعام الذي أذهبت النار قوته الحيوية إذن فليرجع الناس الى كتاب ربهم والى فعله في العوالم ، وهذا هو الأصل الواجب اليوم على المسلمين جميعا في أقطار الأرض

أيها المسلمون : لاهياة لكم بعد الآن إلا بأن يكون القائمون بأمركم من علماء وحكماء وأصحاء وملوك أحوص الناس على العلوم الرياضية والطبيعية والتمكن منها ومن دراسة القرآن وأصح الأحاديث مع المحافظة على أركان الاسلام المعروفة ، فهناك حقا تتجلى لهم هذه المذاهب الاسلامية في الفروع وفي الاصول وهناك يظهر للاسلام رونق فوق ما نحن عليه الآن

وكما أن مادة الحياة ضعيفة في المطبوخ من الطعام كما قدمنا بسبب إيقاد النار عليه وان كانت النار ربيبة الشمس وابنتها ، هكذا الحياة العلمية والدينية في بلاد الاسلام تبقى خامدة جامدة مادامت قاصرة على دراسة الآراء المستنبطة في المذاهب المختلفة والفرق المتشاكسة والاقتصار على ذلك ، بل هذه المذاهب كلها يجب أن يضم اليها دراسة نفس القرآن وما صح من الحديث وجميع العلوم الطبيعية

إن المسموع اذا خلا من المنظور كان قاصرا على التقليد المحض وهو ناقص المعلومات ، هذا ولتجرب أيها الذكي من أن هذا المقال كله يدخل في خوى قوله تعالى - وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء - الآية وقال - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - فانظر الى الترتيب على وتيرة واحدة في الآيتين . فالمسلم يسمع القرآن والتاريخ المنتشر بين الأمم والعلوم الكثيرة . فاذا سمعها ووقف عند سماعها فهو غبي فلذلك أعقبه بذكر البصر الذي يشاهد به العلوم الطبيعية وهي تجرّه الى العلوم الرياضية ليدرس نظام الفلك وغيره . ولن يتم ذلك كله إلا بالعقل فلذلك أعقبه بذكر الأفئدة . فانظر الى ترتيب محكم في الآيتين . ثم انظر لأمة الاسلام الحالية والسابقة كيف ناموا على ما سمعوا وانسكلوا على الشيوخ السابقين ودعاهم مسموع من المسموعات فالقرآن مسموع وكلام العلماء مسموع فلماذا لا يفكر المسلم في المحسوسات التي حوله لتوضح ماسمعه ؟ ويجمع هذا كله من وجه آخر ﴿ آيتان : الأولى ﴾ - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - ومثلها آية - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - ﴿ الآية الثانية ﴾ - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - . فالأولى لتدبر المسموع والثانية لتدبر المنظور والتدبر لا يكون إلا بالعقل

إذن المسلمون بعدنا سيتجلى الله عليهم بقراءة علوم السمع وعلوم البصر وعلوم العقل وهذه تجمع القسمين وهم هم الذين يقولون كلام الله تعالى ويفهمونه أكثر من الأمم السابقة بعد الصدر الأول - والله

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد شفيت صدري وشرحت بهذا البيان . فقلت الحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم والحكمة ﴾

(في قوله تعالى أيضا - قال فبعضك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين * قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين - الى آخر الآيات وتتمام السورة)

هذه القصة الآدمية الإبلسية جاء في أولها كبر إبليس وعظمته وتكبره على السجود لآدم وامتناعه عن التواضع كما امتنعت الآساد والنمور والسباع عن الخضوع للإنسان وتنازلت في البراري والقفار والأودية وتعالى عما أحس في نفسه من القوة النارية التي خلق منها ، فاستوجب اللعنة وأخذ يفوى كثيرا من بني آدم ليطيحوه في أخلاقه فيتكبرون ويفعلون المعاصي كالقتل والحرب والحسد والعداوات ، فشكل هذه من آثار النيران المتأججة في القلوب التي تمت بصلة الى طبائع الشيطان ، ثم إن بني آدم زادوا معاصي أخرى على إبليس وهي المعاصي التي جاءت لهم من جبلاتهم وظهرت على أيديهم بسبب أصل خلقتهم وهي الحرص والبخل والشح والطمع والاسراف في الماء كل والمشارب وما أشبه ذلك ، فهذا النوع من المعاصي سببه ناجم من أصل خلقته وهي المادة الطينية ، إذن المعاصي كلها « قسمان » قسم جاء من طريق الفؤاد وهي آثار القوى الغضبية مشاكلة لأخلاق الشياطين ، وقسم يرجع منشؤه الى جيلة الانسان وهي القوى الشهوية ، وهاتان القوتان مركوزتان في أنواع الحيوان ، فما كان منه من أنواع البهائم مثلا وبعض الطيور الاثني لانا كل اللحوم وانما تغتذى بالثمار والحشائش وما أشبهها ، فهذه تغلب فيها القوة الشهوية ، وما كان منه من أنواع السباع والنسور وكل حيوان كاسر فقد غلبت عليها القوة الغضبية ، والانسان جمع القوتين وزاد عليهما قوة الحكمة والعلم والعقل وكان فيه الحكماء والعلماء ، والانسان الأول سارمع الفطرة قبل أن تفسد غريزته وتقتله بطنته وتذله شهرته وتستهويه هوايته ويدوق العذاب الأليم ، وقصة آدم كررت في القرآن لتذكيرنا بما كان عليه أسلافنا القدماء من الهناء وراحة البال والسعادة الدنيوية قبل أن تنزل بنا الرزايا والبلايا والمصائب وحلول الداء وذهاب الهناء ومن سار في كرتنا الأرضية يجد لهذه القصة الآدمية بعض الآثار من بعض الوجوه ، ألم تر الى أن بعض الفوائد التي لاتزال عند بعض أهل السودان ، فقد جاء في بعض المجلات التي تصدر في دار الهلال بمصر في زماننا مانصه :

﴿ ماذا في السودان من غرائب العادات ؟ ﴾

للسودانيين الأصليين عادات غريبة ولا سيما القاطنين منهم في أعالي النيل وماجاور خط الاستواء فانهم أقرب الى زنوج أفريقية منهم الى أهالي الخرطوم والساكين في شهاها الذين يشبهون في كثير من عاداتهم وأخلاقهم أبناء الوجه القبلي من المصريين ويحبون أن ينتسبوا اليهم ويكرمون النازلين منهم في ديارهم . ولكن مما يمتاز به السودانيون القاطنون في الجنوب عن اخوانهم أهل الشمال الجرأة والشجاعة الكبيرة التي يكافحون بها الطبيعة والوحوش السكاسة القاطنة في بلادهم كالاسود والفهود والقردة الوحشية والنمور العادية والثعابين القاتلة ذات الحجم الهائل والشكل الخيف وهذه الشجاعة تسكاد تكون هي السلاح الوحيد الذي يستطيعون به مغالبة هذه الحيوانات الشديدة البأس حتى ينتصروا عليها ويدفعوا شرها عنهم وعن أطفالهم على أن كثيرا منهم يخرج للصيد في الصحراء فاذا مالا في فيلا أو ثعبانا عظيما أخذ يطارده حتى يتغلب عليه

و يصطاده ثم يقوده الى داره ليكون طعاما له وان عنده من زوجته وأولاده . وقد أخبرني أحد الضباط انه كان سائرا ذات مرة مع ضابط من السودانيين الأصليين وكان الليل قد نشر أجنته والظلام ضخما على الطريق وهما في وسط غابة مزدجة بالأشجار والادغال ، وبينما هما كذلك اذا بهما يحسان تحت أقدامهما بلحم طري فالتفت الضابط المصري الى زميله السوداني وسأله : ماهذا يا فلان ؟ فنظر الضابط السوداني الى الأرض وبعد أن تحقق منه قال له : هذا ديب ، والسودانيون يسمون الحية عندهم ديبا ثم أمره بالابتعاد وسئل سيفه وضرب الحية ضربة قوية جعلتها تنز من مكانها فزا فاتحة فيها تريد قتله والقضاء عليه ولكنه أسرع فضررها ثانية وثالثة وهو ثابت في مكانه لا يتزحج حتى قضى عليها وصارت جثة هائلة . وبعد أن تحقق من موتها قطع رأسها ثم حملها معه . ولما وصل خيمته قطعها قطعا وشواها كلها وأخذ يلتمسها التهاما

ومن عادة السودانيين أن يأكلوا الفيل أيضا فيصطادونه ويجعلونه طعاما لذيذا لهم . وليس ذلك لقله ما عندهم من الحيوانات المستأنسة كالخراف والبقر والجاموس والابل بل إن عندهم من هذه الأنواع كثيرا ولا سيما أن هناك قبائل ليس لهم من عمل غير رعاية الابل والبقر وتربية الخراف . وقد سمعنا من بعض الذين زاروا تلك القبائل أن الخروف الواحد يمكن شراؤه هناك بتسعة قروش أو عشرة . ولبعضهم طريقة خاصة في شئ الخروف أو غيره من الحيوان فانهم بعد أن يقطعوه قطعا يدهنون تلك القطع قبل دخولها النار بالفلفل . وبعد تمام شيها يأخذون في أكلها حارة ويضيفون فوقها أثناء الطعام بعض التوابل مما يزيد في حرارتها وحرافتها . ولا تطيب لهم لذة الطعام إلا اذا كانت مضافا اليه جانب من الفلفل والتوابل ويعتقدون أن في ذلك صحة وعافية وقوة

واذا تزوج شخص عملت له عملية « البخور » وهذه العملية خاصة بضعيف البنية . ولكن بعض الأقوياء يعملونها عند ابتداء زواجهم بل وبعده . وطريقتها أن ينام الرجل على سرير من ليف مصنوع على هيئة شبكة وهو عاري الجسم تماما ثم يوقد تحت السرير موقد تضع فيه المرأة بخورا خاصا يتصاعد دخانه حتى يشمل جسم الرجل مدة من الزمن ثم يقوم فيلبس ثيابه ويتناول بعض الأطعمة المغذية كالقراخ أو الحمام ويمكث على ذلك بضعة أيام يناسب بعدها قوة ونشاطا

وبمناسبة الزواج نقول إن بعض القبائل يحجرون الزواج عند شيخ القبيلة ويسمونه في عرفهم (سلطان القبيلة) وتجري صيغة العقد بين الزوج ووالد الزوجة بواسطة سؤال السلطان عن رغبة كل منهما في المصاهرة ثم يدفع الزوج قدرا من المال الى والد الزوجة فيأخذه ويشتري به حديدا يحفظه عنده حتى اذا حصل بين الزوج والزوجة ما يوجب الانفصال دفع والد الزوجة هذا الحديد الى الزوج وأخذ ابنته

وتعدد الزوجات منتشر في قبائل السودان . ولكن لا يجد الرجل في ذلك ما ينقص عيشه بكثرة منازعات الزوجات فانهم كثيرا ما يكن على وفاق ووثام . والرجل السوداني يحب أهل زوجته حبا يقرب من العبادة وأهل هذا في الأثر هو السبب الذي ينتظم به شأنه وتزداد راحته خصوصا ان من طبائع السودانيين التعاون في الشدائد والقناعة التي تجعلهم يرضون بالكسرة اذا رأوا أن في غيرها ما يوجب النزاع . ومعظم أكلهم الذرة العويجة أو الدخن يصنعون منه (المريسة) وهي طعام محبوب عندهم . وهناك يتعففون عن سرقة بعضهم بعضا وقليل ما تقع حوادث سرقة كبيرة بل إن الرجل منهم قد يترك متاعه في الطريق ويذهب لقضاء حاجته من مكان بعيد ثم يعود فيجد حاجته كما هي لم ينقص منها شيء . وفي المواسم الشهيرة كعاشوراء ونصف شعبان يمتدون طعامهم أمام منازلهم ويسمونه عشاء الميتين والغرض منه اطعام الفقراء وغيرهم بمناسبة هذه المواسم رجاء الرحمة من الله على موتاهم السابقين . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والحمد لله رب العالمين اذا عرفت هذه القصة عجت كيف كانت هناك القناعة والأخلاق الفاضلة المفقودة أكثرها في الأمصار

العاصمة والمدن العظيمة في بعض بلاد الاسلام ومنها بعض بلادنا المصرية وهناك تفهم ما تستحقه من « اخوان الصفاء » في المحاورات بين الانسان وأنواع الحيوان وبه تفهم أن علماء الاسلام منذ ألف سنة كانوا قد بلغوا شأوا عظيما في العلم والحكمة وأدركوا بعض أسرار هذه القصة وأخذوا يذكرون النوع الانساني بما وقع فيه من الانهماك في الشهوات الذي كان هو السبب في ذلهم ذلا لا يختص بالحياة الأخرى في جهنم بل إن العذاب أخذ يحيط بالناس في هذه الحياة الدنيا وان كان أكثرهم لا يفهمون اليوم انهم قد عجل لهم العذاب الآن ، إذن هنا ذنوب لحقها العذاب في نفس هذه الحياة الدنيا وسيستمر الى آمام وآمام بعد الموت وهذا نصه :

« قال الملك : يا معشر الانس قد علمتم وسمعتم ما قل وفهمتم ما أجب ، فهل عندكم شيء آخر ؟ فقام انسى آخر أعرابي وقال نعم أيها الملك لنا خصال ومناقب تدل على أننا أرباب وهم عبيد لنا . قال الملك هات واذكر منها شيئا . قال نعم . قال وما هي ؟ قال طيب حياتنا ولذيذ عيشتنا وطيبات مأكولاتنا من ألوان الطعام والشراب والملاذ مما لا يحصى عددها إلا الله تعالى وما هؤلاء معنا شركة فيها بل هم بمعزل عنها وذلك ان طعامنا لب الثمار ولها قشورها ونواها وحطبها ، ولنا لباب الحبوب ولها تبغها وورقها ولنا شيرجها ودبسها ولها كنسها وخشبها ولنا بعد ذلك ألوان الخبز والرغفان والأقراص والجرادق من السميد والمتلون والسكرعك وغيرها ولنا ألوان الطبخ من الكباج والاسفيداج والمضائر والهرائس والجواذيت وألوان الكواميخ وغيرها من الرواصين وألوان الأشربة وألوان الشوى والخواوى والخبيص والقطائف واللوز بيج ، ولنا ألوان الأشربة من الخمر والنبيذ الخالص الجيد والقارص والسكنجيين والجلاب والفقاع ، وألوان الألبان من الحليب والرائب والماست والسوغ والسمن والزبد والجبن والسكرعك والمصل وما يعمل منها من ألوان الطبخ والملاذ والطيبات والمشتريات ولا يحصى كثرة ذلك إلا الله تعالى وكل ذلك هم بمعزل عنه وخشونة طعامهم وغلظها وجفافها وقلة الرائحة الطيبة منها وقلة دسومتها وحلاوتها دليل على قلة لذتهم منها وهذه الخصال للعبيد وتلك حال أرباب النعم الأحرار الكرام ، وكل هذا دليل على أننا أرباب لهم وهم عبيد وخول لنا أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

فنطق عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزارداستان وكان قاعدا على غصن شجرة يتنم فقام وقال الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، القديم الأبد ، الدائم السرمد بلا شريك ولا ولد ، بل هو مبدع المبدعات وخالق المخلوقات وعلة الموجودات ومسبب الكائنات من الجمادات والنباتات وبارئ المسبرات مركب السموات ومولد المولدات كيف شاء وأراد

واعلم أيها الملك الكريم أن هذا الانسى افتخر بطيب مأكولاتهم ولذيذ مشروباتهم ولا يدري أن ذلك كله عقوبات لهم وأسباب للشقاوة وعذاب أليم إذ في حرامها عذاب وفي حلالها حساب وهم فيما بينهما من الخوف والرجاء . قال الملك وكيف ذلك ؟ بين لنا ؟ قال نعم وذلك انهم يجمعون ذلك ويحصلونه بكثرة أبدانهم وتعب نفوسهم وجهد أرواحهم وعرق جبينهم وما يلقون في ذلك من الشقاوة والهوان مما لا يعد ولا يحصى من كد الحث والزرع واثارة الأرض وحفر الأنهار وسد الشق وعمل البريدات ونصب الدواليب وجذب الغروب والسقى والحفظ والنظافة والحصاد والحمل والجمع والدياس والتدريه والسكريل والقسمه والوزن والطحن والعجن والخبز وبناء التنور ونصب القدور وجمع الحطب والشوك والسرقين ووقود النيران ومقاساة الدخان وبناء الديكدان ومما كسبه القصاب ومحاسبة البقال والجهد والعناء في اكتساب الأموال والبراهم وتعلم الصنائع والمكاسب المتعبة للأبدان والأعمال الشاقة على النفوس والمحاسبات والتجارات والذهاب والحجى في الأسفار البعيدة في طلب الأمتعة والخوايج والجمع والادخار والاحتشكار والانفاق بالتقدير مع مقاساة البخل والشح فان كان جمعها من حلال وأنفقها في وجه الله فلا بد من الحساب وان كان من غير حل وانفاقه في غير وجه

الله فالويل والحساب والعذاب اذ لا بد من القوت والثياب مثل ما لا بد من الموت والحساب ونحن بمهزل من هذه كلها وذلك ان طعامنا وغداًنا هو مما يخرج لنا من الارض من أمطار سماءها من ألوان البقول الرطبة والخضرة النضرة اللينة والحشائش والعشب ومثل ألوان الحبوب اللطيفة المسكونة في غلافها وسنبليها وقشرها ومن ألوان الثمار المختلفة الاشكال وأنواع الطهوم والروائح الذكية والاوراق الخضرة النضرة والأزهار والرياحين في الرياض تخرجها لنا الارض حالا بعد حال وسنة بعد سنة بلا كد ولا تعب من أبداننا ولا عناء من نفوسنا ولا نصب من أرواحنا ولا نحتاج الى كدحراث ولا عناء ولا سقي متعب لأرواحنا ولا نحتاج الى بذر ولا حصاد ولا دياس ولا طحن ولا خبز ولا طبخ ولا شواء وهذه كلها علامات الكرام الأحرار وأيضا اذا أكلنا قوتنا يوماً بيوم تركنا ما يفضل عنا مكانها لا نحتاج الى حفظه ولا نحتاج الى خازن ولا ناظر ولا حارس ولا احتسار الى وقت آخر بلا خوف اص ولا قاطع طريق تنام في أمانكنا وأوطاننا وأوكارنا بلا باب ولا غلق ولا حصن آمنين مطمئنين مودعين مستريحين وهذه علامات الأحرار وأنتم عنها بمهزل وأيضا فان لكم بكل لذة ذكركم من فنون ما كولاتكم وألوان مشروبكم فنونا من العقوبات وألوانا من العذاب مما نحن بمهزل عنها من الأمراض المختلفة والاعلال المزمنة والاسقام المهلكة والحيات المحرقة من الفب والربع والثانية والثالثة والرابعة والتخيم والجشأ الحامض والهبضة والقوانج والقرس والبرسام والسرسام والطاعون والبرقان والديلان والسل والجذام وذات الجنب والبرص والسكتة والصداع والسكره والرمل وعسر البول والجرب والجدرى والثآليل والدماميسل والخنازير والحصبة والخراجات وأصناف الاورام مما تحتاجون فيها الى أنواع عذاب المعالجات من السكي والبط والحقنة والسموطات والحجامة والفصد وشرب الأدوية المسهلة السكرية الرائحة ومقاساة الحية وترك الشهوات المركوزة في الجبلة وماشا كل هذه من ألوان العذاب والعقوبات المؤلمة للانفس والأرواح والاجساد كل ذلك أصابكم لما عصيتم ربكم وتركتم طاعته ونسيتم وصيته فان أول الناس أول الناس - وعصى آدم ربه فغوى - ان الانسان كان ظلوما جهولا - ونحن بمهزل عن هذه كلها فن أين زعمتم أنكم أرباب ونحن عبيد لولا الوقاحة والمكابرة وقلة الحياء وأنتم ما دمتم في الحياة صحىحى البدن ففي تعب وكد لتحصيل الالتماسات والمشتريات وما دمتم مرضى ففي عقوبة وحسرة و بعد الموت في العقاب والعذاب والخطاب ووقوف الحساب ونحن فارغون من هذه الجلة فن الموالى ومن العبيد منا ومنكم قال الانسى قديصيكم يامعشر الحيوان من الامراض مثل ما يصيبنا ليس هو شئ يخصنا دونكم . قال زعيم الطيور انما يصيب ذلك من يخالطكم منا من الحمام والديك والدجاج والبهائم والأنعام أو من هو أسير في أيديكم ممنوع عن التصرف برأيه في أصص مصالحة فاما من كان منا مخلى برأيه وتديره لمصالحه وسياسته ورياضته لنفسه فقل ما تعرض له الامراض والوجاع وذلك انها لا تأكل ولا تشرب الا وقت الحاجة بقدر ما ينبغي من أجل ما ينبغي من لون واحد قدر ما يسكن ألم الجوع ثم تستريح وتنام وتروض وتمنع من الافراط في الحركة والسكون في الشمس الحارة أو في الظلال الباردة أو السكون في البلدان الغير الموافقة لطباعها أو أكل الماء كولات غير المألوفة لمزاجها فاما الذى يخالطكم من الكلاب والسنائير ومن هو أسير في أيديكم من البهائم والأنعام فهى ممنوعة من التصرف برأيها في مصالحها في أوقات ما تدعوها طباعها المركوزة في جبلتها وتطم وتسقى في غير وقته أو غير ما تشتهى أو من شدة الجوع والعطش تأكل أكثر من مقدار الحاجة ولا تترك أن تروض نفسها كما يجب بل تستخدم وتتعب أبدانها فتعرض لها بعض الامراض من نحو ما يمرض لكم وهكذا حكم أمراض أطفالكم وأوجاعهم وذلك ان الحوامل من نسائكم وجوارىكم المرضعات يأكلن ويشربن بشرههن وحوصهن أكثر ما ينبغي من ألوان الطعام والشراب التى ذكرت وافتخرت بها فتتولد في أبدانهم من ذلك اخلاط غليظة متضادة لطباع فيؤثر ذلك في أبدان الاجنة التى في بطونهم وفي أبدان أطفالهم من ذلك اللبن الرديء ويصير سببا للأمراض والاعلال والوجاع من الفالج والقوة والزمانة واضطراب

البنية وتشويه الخلق وسماجة الصورة وما ذكرت من اختلاف الاوجاع والامراض مما أنتم صرتمهنون بهامعرضون لها وما يعقبها من موت الفجأة وشدة النزع وما يعرض لكم من ذلك من الغم والحزن والنوح والبكاء والصراخ والمصائب وكل ذلك عقوبة لكم وعذاب لأنفسكم من سوء أعمالكم ورادة اختياراتكم ونحن بمعزل من هذه كلها وشئ آخر ذهب عليكم أيها الانسى تأمله وانظر فيه قال ماهو قال ان أطيب ما تأكلون والذات شربون وأنفع ما تتداون به هو غسل وهو لغاب النجس وليس منكم بل من الحشرات فبأي شئ تفتخرون علينا وأما الملبوسات الجيدة التي لكم أيضا فهي من لغاب أضعف حيوان وأما أكل ابل الثمار واب الحبوب فنحن مشاركون لكم فيها عند ادراكها رطبة ويابسة فبأي شئ تفتخرون به علينا وقد كان آباؤنا مشاركين فيها لآبائكم بالسوية أيضا أيام كانوا في ذلك البستان الذي بالمشرق على رأس ذلك الجبل كانا يا كلان من تلك الثمار والحب بلا كد ولا تعب ولا عناء ولا عداوة بينهم ولا حسد ولا استئثار ولا جنى ولا ادخار ولا حرص ولا بخل ولا خوف ولا هم ولا غم ولا حزن حتى تركا رصية ربهما واغترا بقول عدوهما وعصيا ربهما واخرجا من هنالك عريانيين مطرودين ورميا من رأس ذلك الجبل الى أسفله فوقها في بركة قفر لاماء فيها ولا شجر ولا كن فبقيا فيها جائعين عريانيين يبكيان على ما فاتهما من النعم التي كانا فيها هناك ثم ان رحمة الله تداركتهما فتاب عليهما وأرسل اليهما من هناك ملكا يعلمهما الحرث والزرع والحصاد والدياس والطحن والخبز واتخاذ اللباس من حشيش الارض والقطن والكتان والقصب وبناء وتعب وجهد وشقاء لا يحصى عندها الا الله مما قد ذكرنا طرفا منها قبل فلما تولدت وكثرت أولادهما وانتشروا في الارض برًا وبحرًا وسهلا وجبلا وضيقوا على سكان الارض من أصناف هذه الحيوانات أما كنهم وغلبوها على أوطانها وأخذوا منها ما أخذوا وأسروا منها ما أسروا وهرب منها ما هرب وطلبوها أشد الطلب وبقيتم وطفيتم عليها حتى بلغ الأمر الى هذه الغاية التي أنتم عليها الآن من الافتخار والمناظرة والمنازعة والخاصمة وأما الذي ذكرت بأن لكم مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور وما ليس لنا من الأعراس والولائم والرقص والحكايات والمضحكات والتعجيات والتهنئات والمدح والثناء والخلى والتعججان والاسورة والخلل وما شاكلها مما نحن بمعزل عنها فان لكم أيضا بكل خصلة منها ضروبا من العقوبات وفنوننا من المصائب وعذابا ألما مما نحن بمعزل عنها فن ذلك ان لكم بازاء الأعراس المآثم وبدل التهنئة التعزية وبدل الاطمان والغناء النوح والصراخ وبدل الضحك البكاء وبدل الفرح والسرور الغم والحزن وبدل المجالس والايوانات العالية القبور المظلمة والتوايت الضيقة المظلمة وبدل الحصون الواسعة الجبوس والمطامير الضيقة المظلمة وبدل الرقص الدسندان والسياط والعذاب والضرب والعقاب وبدل الخلى والتعججان والخلل والاسورة القيود والاغلال والسوامير والمقاطير والنكال وما شاكل ذلك وبدل المدح والثناء الهجو والشتم وسوء الثناء وبدل كل حسنة سيئة وبدل كل لذة ألم وبدل كل نعمة بؤس وبدل كل فرح غم وهم وحزن ومهينة مما نحن بمعزل عنه وهذه كلها من علامات الاشقياء وان لنا بدلا من مجالسكم وصحوناتكم وايواناتكم ومنادمتكم هذا الفضاء الفسيح وهذا الجو الواسع والرياض الخضرة على شطوط الانهار وسواحل البحار والطيران على رؤس البساتين والاشجار والتعلق على رؤس الجبال نسرح ونروح حيث نشأ من بلاد الله الواسعة ونأكل من رزق الله الحلال من غير تعب وكد وألوان الحبوب والثمار نجدها من غير أذية أحد ونشرب من مياه الغدران والانهار بلا مانع ولا دافع ولا محتاج الى حبل دلا الى دلو ولا الى كوز ولا قربة مما أنتم مبتلون بها من عملها واصلاحها وبيعها وشراؤها وجمع أثمانها بكد ونصب وتعب ومشقة من الابدان وعناء النفوس وغموم القلوب وهموم الأرواح وكل ذلك من علامات العبيد الاشقياء فمن أين ثبت لكم انكم أرياب ونحن شبيد لكم انتهى من اخوان الصفا

﴿ تذكرة ﴾

عما يناسب هذا المقام أن أذكر ما اتفق لي في أول شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ م عند طبع هذه السورة ذلك أني أصابني زكام وامساك وسعال في آن واحد ، وقد قرأت في الكتب الطبية القديمة أن الزكام ينفعه أن يترك الإنسان الطعام والشراب يوما وليس له ويصب الماء الحار الذي يطيقه على رأسه ويسرع بلفها في كساء حالا ، فتركت الطعام والشراب يوما وليلة ولكني سمعت قبيل القيام من النوم قائلا يقول : « ليسكن ذلك ٣٩ ساعة » فأخزت الطعام والشراب كما سمعت ، ثم شربت ماء دافئا مع عصير الليمون ، ثم تعاطيت الطعام وأخذت أستعجم بالماء المسخن كل يوم ثم أتبعه بالماء البارد فذهبت الأعراض الثلاثة متتابعة ولم يظهر لها أثر ولا أعراض ، وقد كنت لأجل السعال أشرب كل يوم فنيجالا واحدا مملوا بالزيت الحار الدفي صباحا قبل الأكل ، فلاحمد الله على صحة هذه التجربة ، وهأنذا أعيش على الخضضر والفاكهة مدة سنتين قد أحسست فيهما بصحة جيدة والحمد لله رب العالمين

﴿ حكاية عصرية تناسب هذا المقام ﴾

جاء في مجلة « الدنيا المصورة » مانصه

﴿ رجل وامرأة في جزيرة مقفرة ﴾

من أنباء برلين أن الدكتور بول ريتزر كان يعني نفسه مثل الكثيرين من أرباب الخيال الواسع بأن يطرح مظاهر المدنية ويتجرد من أسبابها ويعيش عيشة الفطرة الأولى في مكان قفر لم تطأه أقدام بني الإنسان . ولكن ما لبث أن حقق هذه الأمنية وراح يعيش في جزيرة مقفرة وهي جزيرة شارلز داروين إحدى جزر أرخبيل جالاباجوس على بعد سبعمائة كيلومتر من سواحل إكوادور في أميركا الجنوبية ولم يهبط جب معه في منفاه الاختياري إلا امرأة واحدة من صديقاته . وصرت الأيام بآدم وحواء الجديدين وهما بهيدان عن العالم لا يعرفان عنه شيئا ولا يعرف العالم عنهما خبرا حتى « اكتشفهما » المستر أوجين ماكدونالد رئيس إحدى البعثات الأميركية في جزائر المحيط الباسفيكي . وكان الدكتور ريتزر ورفيقته الفراهيدا كروين قد غادرا هامبورج في شهر يونيو الماضي ووصلا إلى ميناء جواياكيل في جمهورية إكوادور في أكتوبر الماضي ومن هناك اشتريا زورقا شراعيا وأقلا فيه إلى تلك الجزيرة النائية حتى وصلها فعاشا فيها كما كان يعيش آدم وحواء في الجنة الفردوس . وقد نفذوا مشروعاتهما بدقة . وكان الدكتور ريتزر قد عود نفسه على الحياة البسيطة من قبل . فكان في أيامه السابقة عند إقامته في برلين يعيش في منزله عاريا مجردا من ثيابه وإذا خرج من منزله خرج في ثوب خشن مكون من قطع من القماش أوصلها بنفسه في بعضها البعض . وراض نفسه على أن يعيش على الفاكهة وغلال القمح والخضروات . وكانت زوجته لا تستطيع هذه الحياة فلم يستطع أن يقنعها بأن تترك نعيم المدنية وأطايها بل هجرته وراحت تعيش في فيلا منعزلة في بادن حيث أقامت مع أهل زوجها . وإذا ذلك اتصل الدكتور ريتزر بامرأة أخرى وهي الفراهيدا كروين وكانت تشكو من اضطرابات عصبية وقدمت إلى الدكتور ليعالجها فتعارف بها وشفاهها من مرضها بأن جعلها تعيش عيشة الطبيعة والفطرة الأولى . وكانت هذه السيدة متزوجة وسعيدة في زواجها . ولكن الدكتور ما لبث أن فتنها بآرائه ومذهبه واستولى على لبها بحديثه الخلاب وأغراها على أن تطالع كتب نيتشه الفيلسوف الألماني ولقنها تعليمات البوذية وما لبثت أن أصبحت صريده مشغولة بحبته تطيعه طاعة عمياء . ولما أخبر زوجته بأنه راحل عن أوروبا وعن العالم المتمدين في صحة

امرأة أخرى لم تعارضه في ذلك بل طلبت له التوفيق في رحلته . وكان قد قرأ في بعض قصص الاسفار شيئا عن جزيرة شارلز داروين فقرر أن يعيش فيها وقضى بضعة أسابيع فيها يجمع الجهازات والادوات العلمية التي تازمه في رحلته حتى صرف كل ما يمكنه في شراء هذه الاشياء واقترض مبالغاً من المال على حساب الميراث الذي بناله بعد وفاة أبيه . ولم يكن يخشى الاشيئاً واحداً وهو مرض الاسنان ولذلك اقتلع كل أسنانه ووضع بدلها طقما صناعيا . وسافر الاثنان بعد أن أخبرا أصدقاءهما أنهما سيغيثان عرايا مثل آدم وحواء في هذه الجزيرة التي ستصبح لهما جنة عدن . ثم اختلفت أخبارهما الى أن اكتشفتهما أخيراً رئيس البهثة الاميركية عائشين في سعادة وغبطة وهناء . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

اللهم إني أحمدك جداً كثيراً على نعمة العلم والحكمة ، وعلى انك علمتنا ما لم نكن نعلم وشرحت صدورنا الى تطبيق آي القرآن على الحوادث الانسانية والحيوانية ، وكررت قصة آدم وابلis في سور كثيرة لتذكركنا بما انتاب هذا الانسان من الضعف والوهن والأصراض بسبب مجاوزته لفطرته التي فطرته أنت عليها

فيا عجباً : كيف نرى هذا الانسان يفرح ويفتخر بما هو مهلك له ، وكيف أصبحت لذته منوطة بذاته . اللهم إن هذه الحلال لها بعض الشبه بشمال المسيح الدجال الذي من دخل جنته فهو في النار ومن دخل ناره فهو في الجنة ، الناس جميعاً مغرمون بكل مالد وطاب ، وهم جميعهم إلا قليلاً منهم يرون ذلك هو عين السعادة مع انهم يرون بأعينهم العقاب العاجل لكل بطنة ولكل شهوة . اللهم إن هذه الحياة كلها على سنن واحد لا اختلال فيه . الناس جميعاً مستلذون بما العذاب نتيجته ، فاذا استلذ الشرهون بكثرة الماء كل فالعذاب واقع ماله من دافع في هذه الحياة ، واذا كثر الاسراف في الملابس وحفلات الزواج أعقبه الخراب العاجل أو الآجل ، واذا جاءت الأم المستعمرة وقالت للناس : « هانحن أولاء جئنا لغرقكم ونسعدكم » كانت نتيجة ذلك إكثار الجهل واذاغة الفسوق والعصيان وشرب الخمر ، لافرق في ذلك بين أهل الهند ومصر وغيرهما من البلدان . ألم تر الى ما حدث في زماننا أيام كتابة هذا الموضوع من أن المتطوعين المتبعين لغندى زعيمهم يقفون على أبواب الحانات ومعهم زوجة ذلك الزعيم لمنع الشاربين من الشرب وعلى أبواب حوانيت البازين ليمنعوا الناس من شراء الملابس الأجنبية ، فيرى هؤلاء المتطوعون الجند أمامهم شاكي السلاح ليمنعوهم ويأخذوهم الى السجون . إذن المستعمرون يظهرون لهم انهم نافعون لهم ولتكنهم يريدون لهم الشر والعذاب فما دخل المستعمر قرية إلا عجمها سائر المعاصي والمعاصي محبوبة للنفس ، إذن هي في ظاهرها جنة وفي باطنها نار ، فالمسيح الدجال وان لم يظهر لنا بهيئته فقد ظهرت لنا آثاره بل آثاره ملازمات لهذا الانسان ، فالانغماس في اللذات سواء أكانت ما كل أو مشارب أو ملابس أو عودا برّاقة بالرقى من الأم المستعمرة ، كل ذلك نتيجته الهلاك والسمار والعذاب

اللهم أنت جبستنا في هذه الأرض لنقص نفوسنا ، وأنزلت في القرآن قصة آدم وابلis لتذكركنا بفطرتنا وهانحن أولاء نظن أنفسنا اننا أرقى من المتوحشين في نظرنا مع انهم هم على الفطرة ونحن عاصون بهوائنا وأحوالنا وجهلنا . اللهم ألهم المسلمين أن يفكروا في نظام أرقى من هذا النظام الحالي فيكون الناس ألفة واحدة نظيفة من الغش والخداع والبطنة والسرقة وما أشبه ذلك فتحسن العقول والمدنيات ويقل المرض والعلب والتضاي والقضاة - إنك سميع عليم - انتهى صباح يوم الأحد ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٠

﴿ نور النبوة في هذا الزمان ﴾

(في الفيتامين والطيارات)

وفي قوله تعالى أيضا - قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين -

جاء في الحديث الشريف : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أخرجه الشيخان . وقال ﷺ « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم » أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي ، وهذا الحديث والذي قبله من كتاب « تيسير الوصول » المتقدم ذكره وجاء في الجزء الثالث من ذلك الكتاب مانعه : « أمتي مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله » أخرجه الترمذي وصححه . وإنما ذكرت هذه الأحاديث في هذا المقام ليتفكر فيها المسلم

أيها المسلمون : إن انتشار الطيارات في الأمم يوجب على المسلمين تعلمها والارتقاء فيها حتى ينتظم البريد الجوي بين مساحي مصر وبلاد شمال إفريقيا ومسامي الهند والصين والهرب وهذا آت قريباً ، ومتى تواصلوا ظهرت عجائب النبوة . ألا ترى أنهم في الأزمان المتأخرة لم يكن هناك ذلك التواد بينهم ولا ذلك التألم . ألم تر أن المسيحيين لما هجموا على بلاد الاسلام أيام الحروب الصليبية كانوا متحدين ، أما المسلمون فإن الذين جاهدوا وصبروا هم أهل الشام ومصر ومن حوطهم من بلاد الاسلام ، أما المسلمون في شمال إفريقيا فانهم أبوا أن يعينوا اخوانهم ، ألم تر أن المسيحيين في اسبانيا اجتاحتها بلاد الأندلس ولم يحرك المسلمون الآخرون ساكنيها ! أين الاسلام إذ ذاك ؟ أفلم تستر أن هذا الزمان أي زمان الطيارات التي ستعم بلاد الاسلام هو المراد بالحديث الشريف وأن المراد بالمؤمنين هم السكاملون ، أما المؤمنون الذين ليس عندهم هذا الشعور فهم ناقصون . ولا جرم أن المسلمين في المستقبل أولئك الذين يعرف بعضهم أخبار بعض ويهينهم على ذلك الطيارات بالرحلات والجولات في الأقطار وأنواع البرق والتلغراف ذي السلك والذي لاسلك له ، فهؤلاء هم المرادون بهذا الحديث إذ يتأثر المسلم في الصين بما يصيب أخاه في السودان عند سماع أخباره ، وهذه الطيارات كما تكون هي وغيرها سبب معرفة الأخبار الاسلامية في الأقطار النائية تكون أيضاً سبباً لتبادل المنافع بين الأمم الاسلامية خاصة والأمم كلها عامة ويصبح أهل الأرض كلهم كأنهم أمة واحدة ويعمرون الأرض ويستخرجون كنوزها ويكون الناس إذن أشبه بالطير من وجوه ﴿ أولاً ﴾ أن كل طير يأخذ رزقه الخاص به مما نتج من الأرض بغير طبخ ولا خبز لا كما يفعل الانسان ﴿ ثانياً ﴾ ان الانسان صار يطير كما يطير الطير ﴿ ثالثاً ﴾ اذا استخرجت منافع الأرض سهل على كل امرئ أن يأخذ منها رزقه فهو ليس في حاجة الى مد يده لغيره ، فكثرة المعاونة جعلت الرزق موفراً للجميع ، أوليس هذا هو معنى قوله ﷺ « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصاً وتروح بطاناً »

ولا جرم أن هذا هو الذي يظهر من أسرار الفيتامين ، فالطيور تقنات بالحلب الذي لا ضر فيه والانسان بكثرة الصناعة فيه قتل مادة الحياة فابتلى بالأمراض فاحتاج زيدا الى عمرو فشرعت الصدقات ، فأما هذه الحال العالية للأمم الاسلامية فهي التي أشار لها حديث الصدقة إذ قال ﷺ كما في الجزء الثاني من كتاب « تيسير الوصول » لجامع الاصول « في الفصل الثاني في الحث على الصدقة إذ قال ﷺ « تصدقوا فيوشك الرجل أن يمشي بصدقة فيقول الذي يعطاها لو جئنا بها بالأمس قبلتها أما الآن فلا حاجة لي فيها فلا يجد من يقبلها منه » أخرجه الشيخان والنسائي

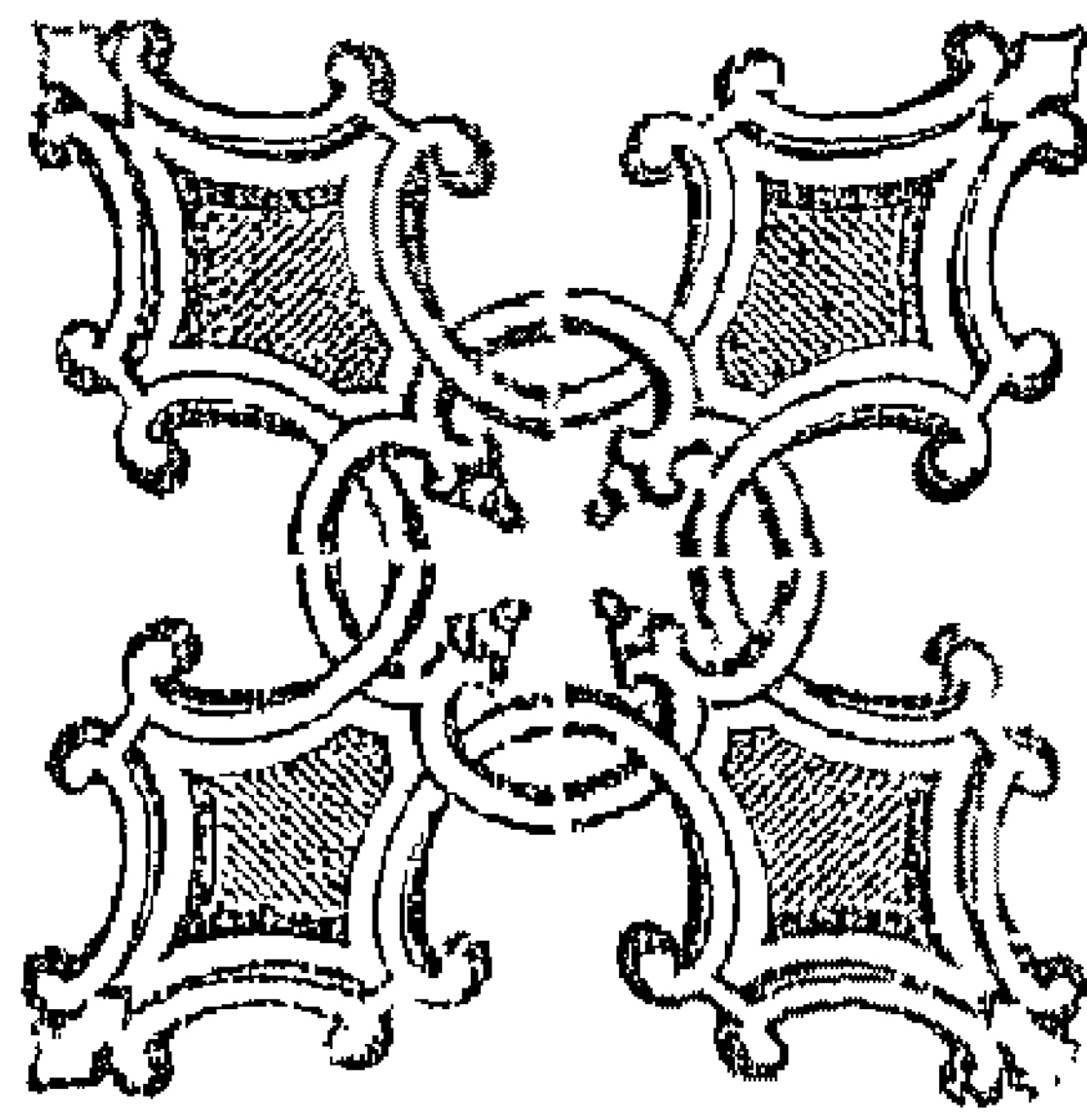
وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه

بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدا يأخذها منه» أخرجه الشيخان
فيآيات شعري . أيتها الأمم الإسلامية : لم نزلت هذه الأحاديث ؟ إنما نزلت لنشير في المسلمين الحجة حجة
الاسلام فنجعل هذه الحوادث نصب أعيننا ونسهي ونجذب لبابغ هذه المنزلة الرفيعة . نحن المسلمين قد تفرقنا
في بقاع الأرض ، فنحن في كل قطر من أقطارها . فنحن في أمريكا وآسيا وأفريقيا وأوروبا وأستراليا .
فلنهمم الطيارات بيننا مصداقا لحديث التواد والتراحم . ولنعمر أرض الله مع الأمم حتى تعم البركات والسلام
ومتى عم ذلك لم يكن للصدقة معنى . وهنالك يظهر سر التوكل وتصح الأجسام بالمحافظة على الفيتامين . وبالجملة
فأمام أُم الاسلام ما يأتي :

- (١) تعميم الطيران كالطير والبرق السلكي والذي لاسلك له
- (٢) وهذا يترتب عليه أن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد من حيث سرعة وصول الأخبار في الجسد
بالأعصاب وفي الأمم الإسلامية بطرق المواصلات
- (٣) فاذا عمروا أرض الله مع الأمم بذلك السبب كثر الرزق فأخذ كل امرئ قوته من غير ادّخار كالطير
- (٤) هنالك تردّ الصدقة ولا تقبل
- (٥) ولما كان الطير لا يمس الطعام بنار كان الفيتامين فيه موفرا فهكذا ستكون الأمم المستقبلية . أيتها
الأمم الإسلامية : هذا هو الذي فهمته في حديث التوكل ومن حديث الصدقة
- (٦) اذا فهمنا هذا عرفنا سرّ حديث الترمذي المتقدم الذي شبهت الأمة فيه بالمطر لا يدري آخره خير
أم أوله ، فهنالك نفهم سرّ هذا الحديث لأن الأمم الإسلامية التي ستظهر بعد انتشار هذا التفسير
وأمثاله ستعرف نعم الله وتفهم هذه الدنيا ، ومتى اتصفوا بالصفات الخمس المتقدمة كانوا خير أمة
أخرجت للناس . فهم يكونون كالصدر الأول من الصحابة والتابعين الذين ملؤوا الأرض نورا وعلماء
وهؤلاء سيكونون رسل السلام بين الأمم . فهناست معجزات نبوية أقيمت عليها الأمم الإسلامية
وهذا التفسير جعل مقدمة لهذه الحال الشريفة
- (٧) وهناك معجزة سابعة وهي ان المسلمين متى شاركوا الأمم في بحث الفيتامين وصاروا موقنين بسبب
البحث العلمي أن الماء كل الذي تؤكل على فطرتها كما يأكلها الطير أصبح من التي دخلتها الصنعة
وأكثر تقوية لأجسامهم وإطالة لأعمارهم فانهم حينئذ تحصل عندهم القناعة فلا يحتاجون الى
التغالي في طهي الطعام الموجب الادّخار . واذن يتركون أخذ الصدقة لاسيما اذا صارت الكرة
الأرضية كلها على وتيرة واحدة في استخراج الخيرات . وكان لكل امرئ عمله الخاص به كالطير
- (٨) ولست في حاجة أن أذكرك أيها الذكي بما تقدم كثيرا في هذا التفسير من أن هذه الحال هي
التي ستأتي في قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وهي الحال العيسوية التي فيها تكون الأمم
كلها في حال سلام كما قاله المفسرون
- (٩) فهذا هو التوكل الذي أشارت له النبوة . وهذه هي الإنسانية الصادقة في هذه الأرض .
ولما كان الصحابة رضى الله عنهم قد أمروا أن ينشروا الدين وكانت الأمم الأرضية إذ ذاك غير
صالحة للسلام العام أنزل الله آيات الجهاد وأباح الغنائم للمجاهدين . ولاجزم أن الغنائم قد أعانتهم
على اصلاح الأمم على مقدار الطاقة في زمانهم ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات وجعلوا تلك الغنائم موقوفة على الشهوات فانحطت تلك الأمم وظهر سرّ حديث « إن
أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ » وتراه في تفسير ﴿ سورة الأنفال ﴾
وغيرها . إذن للأمم الإسلامية التي جعلت الغنائم مقصدها والشهوات رائدها وأخذوا يتقاتلون

بالسيوف بعد العصور الثلاثة الأولى على الامارة والملك ليسوا متوكلين على الله حق توكاه وستكون
الأمم التي تفهم ما ذكرنا هنا من بعدنا خيرا منهم وأحسن أملا وأشرف مقاما وأعلى كهبا في
الاسلام ومن يهش يره

(١٠) إن الأمم التي ستتهف بهذه الأوصاف التسعة تكون سببا فيما يشبه حنث إبليس في حلفه في هذه
الآية إذ يقول - قال فبجزئك لأغوينهم أجمعين - إذ يكثر فيها عدد المستثنى ويقل عدد المستثنى
منه . إن الجهالة المحيطة بكرتنا الأرضية كلها (أ) يعبر عنها باغواء إبليس - الشيطان يهدكم
الفقر ويأسركم بالفحشاء - وعدته الناس بالفقر تحملهم على الحرص والطمع والجمع والادّخار والحسد
وهذا يفتح باب العداوات والشُرور والحروب (ب) ويعبر عنها بتزيين الشيطان - وزين لهم
الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل - (ج) وبالازلال - فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما
مما كانا فيه - وههنا خرج الناس في مطالعهم ومشاربهم وملابسهم عن السنن الطيبة فانتابتهم
الأمراض والفقر والحيوانات قد برئت من هذه الأوصاف . أما هؤلاء فانهم أرغموا أن يعيشوا
عيشة كاهضتك وضيق بسبب العادات الموروثة في طعامهم الذي يتأقنون فيه ومساكنهم وملابسهم
وعاداتهم وهم جميعا يريدون أن يخرجوا من نار هذه الأحوال وماهم بخارجين منها ولهم عذاب
الذل المقيم بها في الحياة وبتأججها بعد الموت ولكنهم سيخرجون فرحين بعد انتشار هذا التفسير
وأمثاله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى تفسير سورة ص والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الزمر

(هي مكية)

(إلا قوله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - الى قوله تعالى - من قبل أن يأتكم العذاب بغفلة وأنتم لا تشعرون - فدية)

(آياتها ٧٥ - نزلت بعد سبأ)

(هذه السورة ثلاثة أقسام)

« القسم الأول » في تفسير البسملة

« القسم الثاني » من أول السورة الى قوله - لنقوم يؤمنون - وفيه التوحيد والاستدلال بعجائب السموات وخلق الأنعام والانس والنبات والينابيع الأرضية ونزول المطر واختلاف الزروع وعجائبها وهكذا « القسم الثالث » من قوله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - الى آخر السورة . فيه هيئة النفخ والحساب ووصف الفريقين : أهل الجنة . وأهل النار وما أشبه ذلك

« القسم الأول في تفسير البسملة »

بالرحمة قامت السموات والأرض وانتظم العالم وبهر الوجود ، فهي كضوء الشمس ، وكما أن ضوء الشمس يأخذ منه كل حيوان ونبات ما يليق له ويوافق طبعه ويوافق هيكله وهو من الرحمة العامة أيضا ، هكذا جميع الرحمت تنال المخاوقات منها على حسب استعدادها ، وكما أن علماء الطب في زماننا كما تقدم صرارا في هذا التفسير ، يقولون انهم قدموا للفيران طعام الارز وأبقوها في الظلمات أياما فضعفت أجسامها وأخذت تقترب من الموت سراعا ، ولما قدموا لنفس الفيران البرتقال فأسكتته وهي في الظلام لا تقابل ضوء الشمس قويت واتعشت وصارت ترتع وتلهب . فاستخرجوا من ذلك أن الارز لم يأخذ من ضوء الشمس إلا قليلا . فأما البرتقال فانه أخذ منها كثيرا واستخرجوا هذه القاعدة الغذائية فقالوا : « إن الارز أكله غير صحي . أما كل البرتقال فهو متو جدا » والأول لم يستفد من ضوء الشمس إلا قليلا والثاني استفاد كثيرا . ففيه خزن الله قوة حيوية عظيمة منه تنقل الى الانسان . وقد قالوا إن ذلك في الارز المقشور . أما الذي بقشره الملاصق للحب فهو مفيد كما يفيد القمح اذا لم ينخل وأكل بحاله . وعلى هذه القاعدة كانت جميع قشور الفواكه التي يمكن أكلها مع الفاكهة نافعة صحية للانسان

كل ذلك لاستفادتها من ضوء الشمس . إذن مادة الحياة جعلها الله في ضوء الشمس وضوء الشمس يخزن في الأغذية وعلى قدر ما خزن فيه من ضوئها تكون نتائجها في حياتنا ولذلك يقولون : « إن الأجسام المكشوفة للشمس المعرضة لضوئها أصبح وأقوى من المغطاة المحجوبة عن الشمس لأن سر الحياة يتمه الجسم من ذلك الضوء . ولأرب أن استمداد القوة من نفس الضوء مباشرة بمسام الجلد أبلغ قوة وأنفذ وأتم من أخذها من الطعام

أقول : كما ان علماء الطب قالوا ذلك ووضح في غير هذا المكان وهذا في رحمة خاصة . فهكذا نقول في الرحمة العامة فهي تتفاوت مقاديرها بتفاوت القوابل لها من المخاوقات

فالعجب (ألهمك الله الرشيد وأنتم عليكم بنعمة العلم وهذا الصراط المستقيم) من طفل لا يشعر إلا بما تنوء جلداه من عواطف ومطالب ويرى أن جميع من حوله له مستخرون . فلا يرى في أمه إلا أن ترضعه

ولاقى أبيه إلا أن يداعبه ويلاعبه ولا في اخوته وأخواته إلا أن يضاحكوه . فهو لا يهتم بشؤون نفسه . فإذا ترعرع وكبر وصارت له زوجة وولد اتسعت رحماته ، فبعد أن كانت لا تمتدّى محيط دائرة جسمه أخذت تسع أسرته وبنيه ، وقد يسبغ النعمة على الأهل والجيران بل البادية بل الأمة إن كان ملكاً بل الأمم كلها إن كان عالماً عام النفع . إذن كما أننا رأينا البرتقال امتصّ من الشمس (الفيثاين) قوّة الحياة أكثر من حب الأرض وكانت تتأججهما على مقدار ما استفدنا منهما ، هكذا استمدّت نفس الصبي واستمدّت نفس الرجل من الرحمة العامّة (التي أحاطت بطواهر العوالم وبواطنها كما أحاط النور بطواهرها) رحمة خاصة فكانت عند الصبي لا تعدو دائرة جسمه وعند الرجل أعظم فتسع الدائرة شيئاً فشيئاً حتى ربما بلغت المشرقين وماهى إلا استمداد من تلك الرحمة العامّة كاستمداد الغذاء مادّة الحياة سواء بسواء

وكما إن من الناس من يعيشون ويموتون ولا يعقلون من الحياة إلا ما يعقله الصبي في مثالنا ولا يهتمون إلا بدائرة أجسامهم ، فحكوماتهم وممالكهم وتعليمهم . كل ذلك يدور على محور واحد وهو المنفعة الخاصة ولا يبالون بالمنفعة العامّة وإنما تأتي عفواً من حيث لا يقصدون ، هكذا في نوع الإنسان قوم آخرون هم في الذروة العليا ، علموا من العلم ما حرك همهم إلى المنافع العامّة ، فنفوسهم أشبه بالشموس وعلمهم وأعمالهم أشبه بأضوائها ونتائجهم أشبه بنتائج ضوء الشمس ، وهؤلاء هم عماد أهل هذه الأرض ، انظر في الشرق والغرب لا تجد إلا هذه القاعدة ، نعم إن الأمم اليوم أقرب إلى المادّة ولكن لم يرفع رأس الإنسانية إلا أناس وجدوا في أنفسهم ميلاً إلى العلم والكشف فها هو به هياماً وانقطعوا له انقطاعاً وحبسوا نفوسهم وصبروا على البلاء إيقاناً بما هم قائمون به ، ومنهم من قتل ، ومنهم من سجن . ذلك كله في العصور المتأخرة وذلك في الأمور الجزئية من كشف أمر طبيعى أو كيمائى أو فلسفى . وفوق هؤلاء هؤلاء الحكماء المحققون . وفوقهم جميعاً الأنبياء والمرسلون

فالرحمة عندهم بلغت منتهاها وانتهت إلى الذروة فصاروا هم الشموس المشرقة على الناس أجمعين . لا يريدون بالتعليم والتبليغ جزاء من القوم الذين أرسلوا إليهم ولا شكوراً . كلا . ولقد ضرب الله لهم مثلاً فيما نشاهده في منازلنا . فأننا نرى الأم ترضع ولدها وإذا سئلت عن ذلك قالت لا أريد إلا حياته ولا مطلب لى وراء ذلك فهذا منها إخلاص وهذا الإخلاص جعل فيها غريزة لا تقدر على دفعها . هكذا الأنبياء ويلهم المصلحون من المؤمنين . فتش في نفسك أيها النكى فإن رأيت نفسك فيها هذا المعنى فاعلم أنها قد اقتبست هذه الرحمة من الرحمة العامّة واعلم أنك نافذ الكلمة وإن رأيت نقصاناً فسيكون نفعك وآثارك على مقصد ما وصلت إليه من الإخلاص

إذا فهمت هذا فافهم بعض سرّ البسملة في أول سورة الزمر . إنها مسبوقة بذكر الإخلاص وما أشبهه

مرتين في ﴿سورة ص﴾

(١) - إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ويؤمنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار -

(٢) - إلا عبادك منهم المخلصين -

(٣) وقد ذكر بعدها في سورة الزمر - فاعبد الله مخلصاً له الدين -

(٤) - ألا لله الدين الخالص -

(٥) - قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين -

(٦) - قل الله أعبد مخلصاً له ديني -

ومن هذه الست أنه أمر أن يعبد مخلصاً الدين لله . وأن يعلن أنه أمر بذلك وأن يعلن نفس هذه العبادة مع الإخلاص . فهذه الثلاثة من الست المتقدمة

إذا علمت هذا فما أسهل أن تفهم الآية المذكورة قبيل هذه البسملة في آخر ﴿سورة ص﴾ - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين - وإذا كنا نرى المرأة لا تتكاف في إرضاع طفلها ونعرف الفرق بين إخلاصها في إرضاعه وبين تكافها في إرضاء زوجها الذي تكرهه مثلاً ، فهكذا نحن نعرف الفرق بين الأنبياء في إخلاصهم في تعليمهم الأمم وبين أولئك الذين يعيشون في جاودهم ويجهلون الناس كأنهم خلقوا لفائدتهم . المخلصون لا يبتغون أجراً على عملهم . فنفس العمل مسرّتهم ولذتهم وسعادتهم وإن كانوا في السجن أوفى النفي كما ترضى المرأة بالسجن والنفي ولا ترضى بالامتناع عن إرضاع ولدها ، فهذا مثل تقرّبي لآية - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين -

هذه الآية نزلت لتعتبر نحن بها ، فليداوم المرء على الطاعة والبحث والجد في العلم حتى يحسّ في نفسه بهذه العاطفة والحب العام ، وإن يكون في القلب الحب العام إلا بمعاودة النظر في هذه العوالم ككرة بعد أخرى فهناك تتربى عاطفة الحب ، فالحب لا يكون إلا بعد العلم ولا إخلاص إلا مع الحب ، فليكن تعليم المسلمين هكذا

(١) إعداد العقل للفكر

(٢) إعداد العواطف للحب

(٣) إعداد اليدين للعمل

إذا علمت ذلك فانظر في آيات هذه السورة تجدتها قد أحاطت بما يعمل المخلصون من المسلمين ﴿أولاً﴾ لهم لوحان يقرؤنهما وهما لوح السموات ولوح الأرضين وتكوير ليلهما ونهارهما وهذا في آية - خلق السموات والأرض بالحق - إلى - ألا هو العزيز الغفار -

فماذا يقرؤن فيهما ؟ يجردون في هذين اللوحين محواً واثباتاً ، ضوء يمحو الظلام ثم ظلام يعقب الضوء إذن هنا لوحان فيهما محو واثبات كألواح الصبيان في المكاتب ويرون فوق الأرض هذا العمل نفسه فيجب الإنسان مالا وولداً وفتاة جميلة فيجد المال فنى والنسوة يهترى المرض أو الموت والمعشوقة تحل جسمها أو سوء سلوكها أو كبرت سنّها ويدس جلدّها ، أو يجرد نفسه أصيب بأمراض منعت هذه اللذات كلها مع وجودها إذن لا فرق بين الظلمات والأنوار وبين الصور المتتاليات فيما نجسّه هي الأرض ، فلاجيل إلا قبح ولا شاب إلا كبر ولا صحيح إلا مرض ولا غنى إلا افتقر ولا حى إلا مات ولا حبيب إلا أعرض ، وكل غدر الأحاب وأساء الأبناء وأدبر المقبول وآذى المحسنون

هنالك يقولون : إن هذه الألواح قد استفادت هذه الصور الجميلة من عوالم وراءها كما استمدّت البرتقال قوّة الحياة الأرضية من ضوء الشمس فيما تقدم وكما استمدّت نفوسنا رجائها من رجة عامّة . فلننظر إذن ولننقّس ما لم نعلم بما نعلم . نحن علمنا أن ضوء الشمس فيه قوّة الحياة وعلى مقدار إمداده للغذاء تكون قوتنا إذن الغذاء لم تكن فيه هذه القوّة من نفسه بل من ضوء الشمس . إذن هذه القوّة لم تكن كامنة فيه بل هي اكتسبتها من الشمس . إذن فلتكن هكذا نفسى . فإذا كانت طبيعة الأرض عجّزت عن أن تعطى البرتقال مثلاً وبقية الثمار الفيتامين واحتاجت تلك الثمار إلى عالم فوق أرضنا وهي الشمس فاستمدّت منها قوتها هكذا نفوسنا المخلوقات في أجسامنا لم تكن فيها الرجة من نفس المادّة الأرضية هذه التي عجّزت أن تمدّ الفاكهة بالفيتامين بل رجتها استمدّت من رجة تعم ظواهر المادّة وبواطنها ونسبتها إلى نفوسنا كنسبة ضوء الشمس إلى أغذيتنا وفواكهنا . فإذا احتاجت مادّة الأرض إلى ضياء الشمس لتمدّ البرتقال بمادّة الحياة فلتكون رجة الأم لولدها مستمدّة من رجة عامّة عجّزت عنها المادّة الأرضية وذلك من باب أولى لأن عواطف الأرواح أرق وأعزّ من قوى الأغذية

وإذا صبح هذا القياس وإن كان اقناعياً فليصحّ القياس الآتى وهو أن هذين اللوحين الأرضي والسموي

وما صور بينهما من مخلوقات نرى طين جلالا بديعا في الأنوار وفي الصور الجيلة والوجوه الحسنة والأزهار والزروع
فنفرح ببعضها ونعشقها ونهيم بها غراما ، ثم نرى ذلك كله أصبح كأمس الدابر فيقولون إذن لا لا إن هذه العوالم
وراءها من يرسمها وينقشها ويرقشها ويجنلدها ويحسن صورها ويملؤها بالروعة والجمال ليحطينا دروس
الجمال ويلهمنا المواطن ريهامنا الحب ، ثم لا يبقى جيلا أماننا بل هو يهدم الأرض والسموات وما فيهما .
إذن لماذا هذا ؟ ليقول لنا : « أتم عرفتم أن مادة الفيتامين في الغذاء لم تكن من المادة بل من ضوء
الشمس وعرفتم أن الرحة فيكم لم تكن من عندكم بالبرهان فما أسهل أن تعلموا أن المادة لم ترسم هذه
الرسوم والأشكال ولم تبدع هذا الجمال ، إذن الجمال عندي أنا فليكن حبكم لي حبا راجعا الى جمال فوق
ما رأيتم ، لقد رأيتم آثار الرحة وأغرمتهم بآثار الجمال والنقوش والعلوم والأزهار والصور الحسان . هذه كلها
آثار الجمال لانفس الجمال ، فارتقوا في الأسباب وافرحوا بما سترون من جمالي ، هنالك ترون جمالا لاحدا
له وتحبون حبا لانهاية له « رب الدار أحب الى الزائر من نفس الدار » وهذه العوالم المنقوشة المرصوفة
المجندة المزوقة المرقشة البهجة المحكمة الصنع رسل أرسلت اليكم لتفريكم بأن تروا من نقشها وصورها
فأحسن صورها ، فاذا سمعتم قولي - الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون - فاعلموا أنني
أنا الذي أصبتكم بهذه المصائب لأنني أربأ بكم أن تعيشوا في هذه العوالم التي ليس لها عندي منزلة أكثر
من منزلة الألواح للصبيان فأنا أرسلتكم الى الأرض لتدرونها وأرسلت عليكم النكبات لتتركوها ، وبعد أن
أرسلتكم الجمال حرمتمكم منه وحرمتمكم من كل ما تحبون لأن وظيفة المادة تعليمكم ولا بد من نقلكم الى عالم
آخر يكون أجدر بنفوسكم وأحق بها وفوق كل جيل أجل منه - وفوق كل ذي علم عليم -

ليس على الأرض محبوب إلا لخصلة من خصال خمس : أن يكون جيلا أو عليما أو شجاعا أو محسنا أو بينه
وبين المحب له سر مجهول غير ظاهر ، ولا جرم أن الجمال والعلم والشجاعة الخ لا بقاء لها في الأرض فمن
أين أقبلت والى أين ذهبت ؟ ان كل هذه إلا آثار أنا خلقها والى ترجع . فكل الجمال والعلم والقدرة والحكمة
منى ظهرت والى ترجع لتوجهوا حبكم الى منبع الجمال والعلم والحكمة والقوة - وان الى ربك المنتهى -
« من ذا الذي يرى عنايتنا التامة بالحشرات فأعطينا النملة (٤٠٠) عين كل واحدة مستقلة عن أختها
وهكذا الذبابة أربعة آلاف عين وألهمناها كل ما يحتاجن اليه في الحياة : من ذا الذي يرى هذا ولا يزداد
لنا حبا وبقدرتنا وعلمنا إعجابا ويتمنى لقاءنا » والى هنا تم الكلام على الموحين : لوح الأرض ، ولوح
السماء في آية خلق السموات والأرض (ثانيا) هذه الطائفة درسان : درس خلق الحيوان والانسان .
ودرس خلق النبات وازال الماء في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها - وههنا
ذكر الأنعام وعجائب الخلق والاحكام والرحمة الخ وفي قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الى قوله
- إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب - فههنا أظهر المحاسن الباطنة والأنوار الروحانية في ابداع الخلق الذي
لا يعرف إلا بالعلم والحكمة وما تقدم أكثره في الجمال الظاهر (ثالثا) هذه الطائفة ليلها قيام وصلاة وفكر
وعلم حبا لله وشوقا اليه - أمّن هوقنت آناء الليل ساجدا وقائما - الخ (رابعا) هم صابرون ولهم مسرات
في الدنيا كما لهم في الآخرة - قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا - الخ (خامسا) من
أخلاقهم التعقل والحكمة فلا يقبلون قولا إلا بعد نقده واستخلاص الحقيقة منه - الذين يستمعون القول -
الآية (سادسا) هم خلفاء الله قوامون على عبادته يبشرونهم بالرحمة ويخوفونهم بالنقمة - قل يا عبادي
الذين أسرفوا - الى قوله - ثم لا تنصرون - (سابعا) هذه الطائفة تنال الرضا والعلم وانشرح الصدر
والهدى وأن الله يكفيهم وذلك في آية - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ وآية - وان تشكروا يرضه
لكم - وآية - أفمن شرح الله صدره للإسلام - الخ وآية - الله نزل أحسن الحديث - الى قوله - ذلك

هدى الله يهدي به من يشاء - وآية - أليس الله بكاف عبده - الخ ﴿ثامنا﴾ يكون جزاؤهم أن يكونوا في غرف من فوقها غرف مبنية الخ وأن تشرق لهم الأرض بنور ربهم ، وأن تسلم عليهم الملائكة وتحييهم وهناك يرون ماهو أعلى وأجل وهو نهاية النهايات إذ يرون الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم فتكون لذتهم أعلى اللذات ويقولون الحمد لله رب العالمين ، وهذه اللذة العقلية تقدمتها اللذة الحسية في الغرف التي فوقها غرف مبنية ، وهل هذه اللذة إلا بالعلوم والمعارف ، وهل التسبيح والتحميد اللفظيان إلا مقدمتان للتسبيح والتحميد العقليين ، وما ذلك إلا ادراك نظام هذه العوالم ، ولن تكون هذه اللذة في الآخرة إلا بقدرة في الدنيا بل من لم يدرك بعضها في الحياة فكيف يستكملها بعد الموت . إن الذكر اللفظي يراد به أن يكون وسيلة للتعقل . ألم تركب يقول الله تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - الخ فالذكر اللفظي مقدمة للتفكير والتفكير هو المقصود ومقصوده هو جمال النظام العام ، والعامية يكتفون بالحمد والتسبيح اللفظيين و ينتظرون الثواب في الآخرة بالجنة ، وهذه المرتبة هي التي يدخل فيها أكثر الناس فتكون العبادة لها مقابل وهو ثواب الآخرة وهؤلاء يقل حظهم العقلي ، أما أولئك المفكرون العارفون الواقفون على الحقائق فينالون فوق الجنة الحسية سعادة اللقاء والنظر لوجه ربهم ومقدمات هذا دراسة هذه الدنيا ، واعلم أن ما في هذا التفسير أو أكثره من الحجاب كاف لايجاد هذه الطبقة الشريفة ، فهم هم الذين يسعدون في نفس هذه الحياة بجمال العلم ويكون مبدأ الجزاء حاصل في الدنيا وهو الابتهاج بنفس هذه الحقائق ويكونون نورا للأئمة وهم خلفاء الله في أرضه عليهم يعول الناس في دنياهم وفي طريق آخرتهم والانسانية المستقبلية مدارها على أمثال هذه الطائفة

وإذا شئت زيادة البيان فاقرا ما تقدم عن « اخوان الصفاء » في جزاء المحسنين إذ جعل ثواب المحسنين في هذه الحياة الدنيا انهم يفرحون بالوقوف على الحقائق في عجائب المعادن والنبات والحيوان والسماء والأرض وهكذا نقلت جملة عن الامام الغزالي هناك في نحو هذا وهكذا تنظر ماجاء في ﴿سورة السجدة﴾ من الكلام على جسم الانسان وموازيته بالعوالم وما جاء في ﴿سورة فاطر﴾ عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - من أن معرفة الحجاب هي نهاية اللذات لهذا النوع الانساني ، وما هذه الحجاب إلا آثار الرحمة المذكورة في البسملة في أول السورة ، وتلك الآثار بمعرفتها يكون الحب والحمد المذكور في آخرها . فالرحمة أولا والعلم والحب والحمد آخرها وهذا من عجائب القرآن

ألمت بهذا أيها الذكي تفهم سر النبوة إذ روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لقيت ليلة أسرى بي ابراهيم عليه السلام فقال لي : يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ولا جرم أن العلوم والمعارف المنطوية في التسبيح والتحميد هي أعلى الجنة وهذا من عجائب النبوة .

إذا عرفت هذا فاسمع ماجاء في كتاب « تيسير الوصول لجامع الاصول » تحت العنوان الآتي مانصه :

﴿ فصل في الاستغفار والتسبيح والتلهيل والتكبير والتحميد والحوالة ﴾

عن ابن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « خصلتان أو خلتان لا يحصييهما رجل إلا دخل الجنة وهما يسرومن يعمل بهما قليل : يسبح الله دبر كل صلاة عشرا ، ويحمده عشرا ، ويكبره عشرا فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده . قال : فتلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان وإذا أخذت مضجعتك تسبحه وتكبره وتحمده مائة مرة فذلك مائة باللسان وألف في الميزان فأياكم يعمل في اليوم والميلة ألفين وخمسمائة سيئة قالوا كيف لا يحصييهما يا رسول الله ؟ قال يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول : اذكر كذا وكذا حتى ينفصل فله أن لا يفعل ويأتيه في مضجعه فلا يزال ينومه حتى ينام »

أخرجه أصحاب السنن

وعن ابن أبي أوفى رضى الله عنهما قال : « جاء رجل فقال يا رسول الله لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً فعمله ما يجزئني ؟ قال : قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال يا رسول الله هذا لله فماذا لي ؟ قال : قل اللهم ارحمني وعافني واهدني وارزقني . فقال : هكذا يديه فقبضهما فقال صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد ملأ يديه من الخير » أخرجه أبوداود بنهما والنسائي الى قوله « ولا قوة إلا بالله » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه . فقلت له في ذلك ؟ فقال أخبرني ربي اني سأرى علامة في أمتي فاذا رأيته أكرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيته - اذا جاء نصر الله والفتح - السورة » أخرجه الشيخان

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » أخرجه مسلم والترمذي وعن بسيرة مولاة لأبي بكر الصديق رضى الله عنهما وكانت من المهاجرات الاول . قالت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالتسبيح والتهليل والتقديس والتكبير واعقدن بالأنامل فانهن مسؤولات مستنطقات ولا تغفلن فتنسين الرحمة » أخرجه أبوداود والترمذي واللفظ له وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أصرّ من استغفر ولوعاد في اليوم سبعين مرة » أخرجه أبوداود والترمذي

وعن أغرّ مزينة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة » أخرجه مسلم وأبوداود ، وفي رواية لمسلم « توبوا الى ربكم فوالله إنى لأتوب الى ربي تبارك وتعالى في اليوم مائة مرة » والبخاري والترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة » قوله (ليغان) أى يغطى ويغشى والمراد به السهو

وعن أسماء بن الحنم الفزارى قال سمعت علياً رضى الله عنه يقول : « كنت اذا سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعتني الله تعالى بما شاء أن ينفعني منه ، واذا حدثني رجل عنه استحلقتة فاذا حلفت لي صدقته ، وانه حدثني أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصدق أبو بكر . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيطهر ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله تعالى إلا غفر له مائة مرة - والذين اذا فعلوا فاحشة أوظفوا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لنوبهم - الآية » أخرجه أبوداود والترمذي

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل يحمل أكثر منه ، ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياہ وان كانت مثل زبد البحر » أخرجه الثلاثة والترمذي

وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » وفي رواية عوض الثالثة « وبني له بيتا في الجنة » أخرجه الترمذي

وعن جويرية زوج النبي ﷺ رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال : ما زلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم ، قال : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتن سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » أخرجه الترمذي ، وقوله زنة عرشه أى بوزن عرشه في عظم قدره ، ومداد كلماته أى مثلها وعددها ، وقيل المداد مصدر كالمداً وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم » أخرجه الشيخان والترمذي وعنه أيضاً رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » قال مكحول : فن قالها ثم قال « لا منجى من الله إلا إليه » كشف الله عنه سبعين باباً من الضر أدناها الفقر . أخرجه الترمذي . وبهذا تم الكلام على القسم الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

﴿ القسم الثاني ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَا يَهْدَىٰ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ * لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَا أَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِلُوا تُصْرَفُونَ * إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّبُضْلٍ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ * أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ * قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّ كُمْ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
 حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * قُلْ إِنِّي أُهْرِتُ أَنْ أَعْبُدَ
 اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ
 تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ * وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا
 وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 هَدَاهُمُ اللَّهُ وَاللَّيْكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ * أَفَنْ حَقِّ عَلَيْهِ سَلَامَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ *
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ
 لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ
 زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْرِجُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ *
 أَفَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ
 فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
 رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ
 فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * أَفَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ دُوقُوا مَا كُنتُمْ
 تَكْسِبُونَ * كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * فَاذْقَهُمْ اللَّهَ الْحَرِيزَى
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ
 كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ * وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ * فَهَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَمْلُوءَةٍ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَالَّذِي جَاءَ
 بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ *
 لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَلَيْسَ اللَّهُ
 بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
 مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ * وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قُلْ

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّي أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ * إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ بِوَكِيلٍ * اللَّهُ يَتَقَى آلَ نَفْسٍ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ إِلَى أُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّالَهُمْ مَنْ اللَّهُ مَا لَهُمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَّالَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *

* التفسير اللفظي *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تنزيل الكتاب) وهو القرآن كائن (من الله العزيز الحكيم) أى لا من غيره (إنا أنزلنا إليك الكتاب) ملتبساً (بالحق) فاعبد الله مخلصاً له الدين) من الشرك والزياء (ألا الله الدين الخالص) أى هو الذى وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) أى الأصنام قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى قرابة فانهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والأرض فيقولون الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الأوثان فكانوا يجيبون بما تقدم (إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) من أمر الدين (إن الله لا يهدي) أى يرشد لدينه (من هو كاذب) فيقول ان الأصنام تشفع (كفار) باتخاذهم الآلهة (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى) اختار (مما يخلق ما يشاء) يعنى الملائكة ثم نزّه نفسه فقال (سبحانه هو الله الواحد القهار) فى ملكه الذى لا شريك له فيه ، فقهره مطلق

في المخلوقات فكيف يجوز عليه أن يقهره غيره فيموت فيحتاج الى الولد . كلا . فقهره عام في العالم العلوي والسفلي ، أما في العالم العلوي فهو قوله (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتسكوير اللف واللى . يقال كالأعمامة على رأسه وكورها ، ولا جرم أن كل واحد من الليل والنهار في متابعهما أشبه بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض . ألا ترى الى الأرض وقد دارت حول نفسها وهي مكورة فأخذ النهار الناشئ من مقابلتها للشمس يسير من الشرق الى الغرب ياف حولها طاويا الليل ، والليل من الجهة الأخرى يلتف حولها طاويا النهار ، فالأرض كالرأس والظلام والضياء يتتابعان بتتابع أكوار العمامة ويلتفان متتابعين حولها ، وهذا التعبير من أعجب ما يعلم به أن القرآن يرشدنا الى كروية الأرض أولا ويرمز الى دورانها حول نفسها ثانيا ، ذلك لأن الليل والنهار ليسا من خواص الشمس فلا ليل ولا نهار هناك وإنما هما في الأرض فتسكوير الأرض ظاهر الآية ودورانها أتى تابعا بالرمز والاشارة وقوله (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أى الى منتهى دوره أو منقطع حركته (ألا هو العزيز) الغالب على كل شئ ومنه الشمس والقمر (الغفار) حيث لم يعاجل بالعقوبة . وأما العالم السفلي فقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) أى خلق الله نفس آدم وجعل منها حواء وجعل منهما سائر الناس ولم يخلقهم بلاعباية بل أنزل الماء من السماء وأنبت الزرع والشجر وخلق الابل والبقر والغنم والمهز من كل نوع منها زوجين اثنين ذكرًا وأنثى فتكون كلها ثمانية أزواج وتلك الأزواج الثمانية تتغذى بالنبات والشجر النابتة بالماء النازل من السماء فكأنها كلها نزلت من السماء . وقيل ان هذه الأزواج الثمانية نزلت من السماء وهذا يوافق قول بعض علماء العصر الحاضر على سبيل الحدس والتخمين أن أصول المخلوقات نزلت من عالم آخر غير الأرضى والأمر في هذا غير معلوم فنكته الى الله تعالى . فالحقول البشرية لا تطبق هذه الحقائق العالية وهذا قوله تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) ثم أخذ يصف عجائب خلق الانسان والأنعام في الأرحام ويظهر العجائب في ابداعهما فقال (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نقطة ثم علقه ثم مضغة وهكذا الى تمام الخلق (في ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة (ذلكم) الذى هذه أعماله (الله ربكم) هو المستحق لعبادتهم (فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره على أن الله لم يكلف الناس بالعبادة إلا لرقى نفوسهم فأما هو فغنى عن عبادتهم . وهذا قوله (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) لأنه خلق النفوس الانسانية والعالم كله لارتقائه ونشؤته فلذلك قال - ولا يرضى لعباده الكفر - الذى هو مانع من ارتقاء النفوس وان كان بارادته لمانع قام بنفس حقائق تلك النفوس تعلقت الارادة به على ما هو عليه (وان تشكروا يرضه لكم) لأنه على مقتضى سفنه القويم العادل وصراطه المستقيم (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يؤخذ أحد بذنب الآخر (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) بالحاسبة والمجازاة (إنه عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم (واذا مس الانسان ضرر دعا ربه منيبا اليه) راجعا اليه بالدعاء لا يدعوه غيره (ثم اذا خوله) أى أعطاه (نعمة منه) من الله (نسي ما كان يدعوا اليه) أى نسي الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (من قبل وجهه لله أندادا) وهى الأصنام (ليضل عن سبيله) أى ليرد عن دين الله تعالى (قل) لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) فى الدنيا الى انقضاء أجلك (انك من أصحاب النار) وهى عامة فى الكفار (آمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) أى بل آمن هو مطيع كمن هو عاص ، وقوله - آناء - أى ساعاته ، وقوله - ساجدا وقائما - حالان من ضمير قانتا ، وقوله (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) حالان أيضا ، والقنوت القيام على الطاعة كقراءة القرآن وطول القيام ، وبالجملة كل من قام بهمل يجب عليه (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) بعد أن ذكر الله تفضيل المطيع على العاصى وذلك فى القوّة العملية أخذ يوازن بينهما من حيث القوّة العلمية فنفى المساواة بين العالم وغير العالم ولم يبين نوع

العلم اشارة الى أن وجه الموازنة بين الناس ليس مختصا بعلم واحد بل جميع العلوم ، ولا جرم أن العلوم ثلاثة أقسام علوم لا تتوقف على عمل كالعلم بالله وملائكته الخ وكالعلوم الحسكية وعلوم يستتبعها عمل كعلم الفقه وعلم قوامه العمل بجميع الصناعات ، وهذه الأقسام الثلاثة كلها فيها علم ولوقل . فالنجار والخياط والناسج كل هؤلاء صناع والعمل في صناعتهم أكثر من العلم بل لانسبة بين علومهم وأعمالهم والمهندس وعالم الفلك علمهم أغلب من أعمالهم . فكل طائفة من هؤلاء أفضل من الجاهل من حيث ما عرف . وعليه تكون الأمم العاملة بهذه العلوم أفضل من الجاهلة بها . فالفضل تابع للعلم . وعلى مقدار معارف الانسان يكون فضله . ولا جرم أن المسلمين اليوم اكتفوا بالفضة تداولت على ألسنتهم وهي أنهم مؤمنون . ومتى قال الانسان آمنت وأسامت فانه اذا ترك نفسه مهملا عاطلا حق له الفضل وهذا خطأ فاضح فان الله فاضل بين النفوس بالعلوم . فالنفس العاملة بما هو من طباعها وما تقدر عليه بحسب استعدادها أفضل من النفس الأخرى التي قدرت على علم وتركته جهالة بقدرها واتكالا على صفة الايمان . فمن كان أهلا لعلم الهندسة أو الفقه وتركه ندالة وجهالة وكسلا وكان هناك آخر مستعد بطبعه وبحاله المنزلية الى حرفة الحدادة أو البرادة فقام الثاني وأتقن حرفته وقام بها خير قيام فان هذا الثاني أفضل من الأول لأنه قام بما يقدر عليه ولو كان أقل فضلا عما يقدر عليه الآخر الذي لم يقم بما هو في امكانه تحصيله كما ان الانسان اذا ترك التعقل والتفكير ودخل في عدد الهجمات بذلك الاهمال صار ادنى منها منزلة لأنها قامت بما في طاقتها وهو قصر ولذلك قال تعالى - أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون - أي عما أودع فيهم . وعلى هذا التفسير يكون المسلمون اليوم قد تركوا مواهبهم وعطوها وأناموها وهذا نزول من المقصرين منهم عن بعض خصائص الانسانية لأن الحيوان لا قدرة له على الصناعات ولا العلوم وقد سهل الله له الرزق ولم يحشمه المشاق فوق طاقته . أما الانسان فانه جعل رزقه غير ميسور كرزق الحيوان وبسط له المواهب ليستعملها فاذا قصر فيها فقد تنزل الى الحيوانية . وقد اعتاد المسلم أن يقصر ذلك على الايمان وحده ولكن هذه الآية تهم وتدعو الى درس سائر العلوم والصناعات بحيث يخص كل فيما خلق له - لا يكاف الله نفسا إلا وسعها - فليقم كل فرد من الأمة بما يواتى بطبعه . فحرام على رجال الحل والعقد في مصر والشام وجزيرة العرب وبلاد الترك والروس والفرس وبلاد المغرب أن يبقوا مكتوفي الأيدي بل عليهم أن يعمموا التعليم ثم ليختاروا على حسب درجات الامتحان لكل علم ولكل حرفة من هم أهل لها ويراعى في ذلك القوة البدنية والاستعداد والأحوال العارضة . وحينئذ يتخرج في كل قطر من أقطار الاسلام طوائف للعلوم والصناعات جميعها ويتم النظام كما تم النظام في تزاوج الذكور والاناث إذ جاء العدد متساويا في الزوجين تقرىبا في كل زمان ومكان . هكذا خلقت الغرائز - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - . إن الغرائز خلقت في الناس على قدر الحاجة فقل الأذكىاء للحكمة مثلا وكثير أصحاب الأعمال الجسمية ليتم نظام المدن (إنما يتدكر أولوا الأبواب) فيقومون بأمر العلم ويرقون نفوسهم ونفوس غيرهم وسيأتي في اللطائف مزيد لهذا (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) بلزوم طاعته (الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) أي للذين أحسنوا حسنة في الدنيا كالصحة والعافية ، فجعل الله الحسنة في مقابلة الاحسان ، فاذا سار على طريق علم الصحة فذلك احسان ، واذا استقام وترك الذنوب واذا فعل البر والمعروف واذا قام بالطاعات ، كل ذلك احسان ، ونتيجة هذا الاحسان من الانسان الحسنات في الدنيا من العافية والصحة وحب الناس وفي الآخرة الجنة (وأرض الله واسعة) فمن تعسر عليه الاستقامة في بلد فليرحل الى غيرها ، فليهاجر الانسان من البلد التي فيها معصية الى بلد لا معصية فيها (إنما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعات واحتمال البلاء ومهاجرة الأوطان (أجرهم بغير حساب) أجرا لا يمتدى اليه حساب الحساب . وعن علي رضي الله عنه : « كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فانه يحصى لهم حثيا » وروى « ان أهل العافية في الدنيا يتمنون لو أن أجسادهم تقرض بالمقار يض لما يذهب

به أهل البلاء من الفضل . وقوله (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى أمرت بإخلاص الدين (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أى وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقتهم في الدنيا والآخرة . فقد أمر أولا بالإخلاص في الدين وثانيا بأن يكون سابقا ليقتردى به غيره (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) لما دعاه قومه الى اتباع ملة آباءه وأجداده أمر أن يقول ذلك وليكون ذلك إخافة لأمتته اذا حادوا عن الصراط لأى داع (قل الله أعبد مخلصا له ديني) أى لا أعبد سواه وهذا الحصر لا يستفاد من قوله - قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين - وأيضا ذكر هذا ليعتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا تهديد وخذلان لهم (قل إن الخاسرين) الكاملين في الخسران (الذين خسروا أنفسهم) بالضللال (وأهلهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار (الأذلك هو الخسران المبين) مبالغة في خسرتهم (لهم من فوقهم ظلل من النار) شرح لخسرتهم (ومن تحتهم ظلل) أى لهم أطباق وسرادقات من فوقهم وفرش ومهاد من تحتهم وهى من جهة أخرى ظلل لمن هم تحتهم في النار فهى ظلل بالنسبة لمن تحتهم فرش ومهاد بالنسبة لهم (ذلك) العذاب (يخوف الله به عباده) ليحذروا ما يوقعهم فيه (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى (والذين اجتنبوا الطاغوت) الأوثان (أن يعبدوها) بدل اشتغال (وأنابوا الى الله) ورجعوا الى عبادته بالكلية وتركوا ما سواه (لهم البشرى) في الدنيا بالثناء عليهم بصالح الأعمال . وعند نزول القبر . وعند الخروج من القبر . وعند الوقوف للحساب . وعند جواز الصراط . وعند دخول الجنة . وفي الجنة . ففي هذه المواطن السبعة يبشرون بالسعادة والرضوان ويسعدون سعادة بالروح والريحان (فبشر عباد) وهم الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا يريد أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة وهى انهم (يستمعون القول) في الدين وغيره (فيتبعون أحسنه) بحيث يكونون نقادين فيميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فيقدمون الواجب على المندوب في الدين والمندوب على المباح . واذا جنى عليهم وقدروا على العفو قدّموه على القصاص . واذا رأوا طريقين في أمور الحياة قدّموا ما هو أنفع للأمة كاستعمال الآلات الحديثة في الزراعة والصناعة كاستعمال الطيارات في النقل في الحرب والغواصات البحرية وكاختراق باطن الأرض لاستخراج المعادن وهكذا من كل ما به يرتقى نوع الانسان . فهو لاء يبشرهم النبي ﷺ بأمر ربه أن يسودوا في الدنيا وتثنى عليهم الأمم والأجيال المقبلة . واذا ماتوا بشرتهم الملائكة في المواقف كلها فتصل البشارة لهم في سائر المواطن (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) أى المنتفعون بعقولهم ، فانظر في هذا التعبير وكيف يقول إن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه هم الذين هداهم الله وهم أولوا الألباب . مدحهم بالهداية وبالعقول الكاملة . لماذا ؟ لأنهم يختارون خيرا لأمرين في دينهم ودنياهم . أقول : ولولم يكن في القرآن إلا هذه الآية لكفت في ارتقاء المسلمين في هذه الحياة الدنيا . ألا ليت شعري كيف نام الناس وتركوا عقولهم كأنها لم تخلق فيهم . يرى المسلمون الأمم قد ارتقت صناعاتها وتجاراتها وأعمالها وعلومها وهم نائمون . أليس هذا كلام الله ! وسيقوم قريبا في هذا العصر من يرقون هذه الأمة من أبنائها - ولتعاين نبأه بعد حين - . ولما كان الاستعداد الانساني هو الذي اليه المرجع في رقي الانسان وانحطاطه وهو تابع للقضاء والقدر ، فاذا سبق بعذاب على امرئ لم يكن للهداة قدرة على اصلاحه أعقبه بقوله (أفن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) أى أنت مالك أمرهم فمن حقّ عليه كلمة العذاب لعدم أهليته للكمال فأنت تنقذه . كلا . فليس لك أمرهم . قد كررت الهمة في الجزء لتأكيد الإنكار ووضع - من في النار - موضع الضمير إيماء الى أن دعاءهم الى الايمان سعى في انقاذهم من النار المحقة (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) يقول الله : لكفار ظلل من النار وللتقين علالي بعضها فوق بعض (تجري من تحتها الأنهار) من تحت تلك الغرف وعدهم الله ذلك (وعد

﴿ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ﴾

(والارتقاء الى أعلى الدرجات)

اعلم أن الله تعالى لما ذكر الجنة وغرفها وأنهارها وأن وعده فيها لاشك فيه أردفه بذكر انزال الماء من السماء وادخاله ينابيع في الأرض وسقى الزرع به ، ثم أعقبه بالكلام على شرح الله لصدر المؤمن للإسلام ودم الذين قست قلوبهم ، ومدح القرآن وأنه أحسن الحديث يشبه بعضه بعضاً في الحسن والتأمل تلاوته ، تضطرب منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة . ذكر أنهار الجنة وغرفها فناسب أن يذكر نعم الأرض ، كأن الله يقول لنا : « هل شاقكم نعيم الجنان ، هل أحببتم الغرف التي فوقها غرف مبنية ، هل تفرحون بأنهار الجنة وأشجارها ؟ إذا كان كذلك وهو حقاً ما فطرتم عليه فانظروا أنهارى في أرضكم وتعجبوا من المطر النازل من السماء والمسالك والمجاري والعروق التي تخلت أرضكم وقد تنوعت تلك الينابيع وتنوعت خواصها وأنبتت الزرع والكلأ والخصب ونفعت نفعا كثيراً ، إذا فكركم في ذلك فان قلوبكم تفسر للحكمة والعلم وتستنير بصائرهم بالأنوار الربانية ، فاقرأوا القرآن فهو أحسن الحديث لفظاً ومعنى ، ذلك هو السبيل المستقيم لدخول الجنة والتمتع بغرفها وأنهارها وأشجارها ، فالأنهار والزروع كما تبقى بها الأجسام ترقى بها العقول ، فالعقل بالتفكير والجسم بالغذاء والدواء » فانظر كيف جعل الله جنات الدنيا وحدائقها أسباباً للجنات الآخرة وغرفها . أنظر كيف كان التفكير في جنات الأرض سعادة نفسية كما أن الانتفاع بها سعادة جسمية ونتيجة ذلك دخول الجنة . فيا ليت شعري كيف أعرض المسلمون وغفلوا . جنات في الدنيا أصروا بالتفكير فيها ولا تفكر فيها إلا بوجودها . اللهم أزل الجهالة من بلاد الاسلام وأذقهم نعيمك كما ذاقوا مرارة النعمة والاذلال - إنك أنت السميع العليم -

ذلك قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً) أى المطر (فسلكه) فادخله (ينابيع في الأرض) عيوناً ومسالك ومجاري كما يرى للإنسان عروق ومسالك في جسده أى حال كونه ينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعاً مختلفاً ألوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وكونه براً وشعبراً وسمماً ودواءً وغذاءً الى ما لاحصر له (ثم يهيج) يجف (فتراه مصفراً) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاباً) فتأناً متكسراً فالخطام كل ما نبت من نبت وغيره (إن في ذلك لذكرى) لتذكيراً بحكمة الصانع (لأولى الأبواب) الذين تقدم القول فيهم انهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن الله هداهم ومن هدايته لهم انهم يتفكرون في هذه العجائب

﴿ لطيفة في المياه والينابيع ﴾

(الماء الصالح للشرب)

اعلم أن الله عز وجل جعل الماء الصالح للشرب محتوي على ما ينفع الجسم من المواد الغريبة عنه مثال ذلك :

(١) أملاح قليلة مركبة من الكربون والكالسيوم

(٢) وأخرى مركبة من الكربون أيضاً والمغنسيوم

(٣) وقليل من الفلور

(٤) والكلور كل منهما مركب مع مادة أخرى

(٥) والسليس

ومما يلزم في الماء الصالح للشرب :

(١) أن يكون باردا

(٢) وطعمه خفيف

(٣) ومذيب لمقدار من الهواء

(٤) ومذيب للصابون

(٥) ومنضج للبقول

ويجب أن لا تزيد الأملاح في الماء عن (٥٠) سنتي جراما في اللتر الواحد . وهذه المواد الداخلة في الماء قد جعلها الله فيه لأن البنية تحتاج إليها والأغذية لا تحتوى على مقدار كاف منها . فانظر كيف جعل الله الكالسيوم المركب مع الكربون والمغنسيوم المركب أيضا ومركبات من الكالور ومن الفلور ومن السليس انظر كيف جعلها في الماء الذي نشربه ونحن لا علم لنا بها . وجعل احتواء الماء على هذه شمرطا لانتفاعنا بالماء . فاذا نقصت هذه المواد قل انتفاعنا بالماء . واذا زادت كانت المياه ضارة بنا ولم تصلح لشربنا

﴿ المياه المعدنية ﴾

انظر الى ينابيع في الأرض كيف جعلها الله لتتويع المياه . فبينما الماء ينزل من السماء مطرا اذا هو في الأنهر جاريا ساقيا للزرع اذا هو في مجار تحت الأرض يجري والناس من فوقها لا يعلمون وانما يحفرون الآبار فتخرج مياه من تلك المجاري فيجدونها مختلفة الصفات وبها يتداون ومنها يشربون . وكثيرا ما يستخرجون من تلك المياه أملاحا نافعة في الصنائع

(١) - ﴿ المياه الحارة : مثل ماء فيشى ﴾

ومن المياه ما تكون حرارتها مرتفعة عن درجة الحرارة الاعتيادية لكونها آتية من أغوار الأرض أو لكونها بالقرب من البراكين . فهذه المياه تسمى بالمياه المعدنية الحارة وذلك كماء فيشى التي درجة حرارتها (٤٥) واعلم أن الأسماء المعدنية تختلف تسميتها بحسب المعادن التي فيها

(٢) - ﴿ المياه الغازية والمياه الحضية التي تفور بتعرضها للهواء ﴾

تلك مياه فيها حمض الكربونيك ذائبا ومركبات كربونية قلوية أيضا وملح الطعام والحديد المركب مع الكربون ومثل هذه تفور متى تعرضت للهواء . وذلك مثل ماء سلس

(٣) - ﴿ المياه القلوية : ماء فيشى ﴾

يكون فيها مركبات الصوديوم وبعض مركبات الكربون

(٤) - ﴿ المياه الكالورية ﴾

يكون فيها ملح الطعام ومركب الكالور مع البوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم وهكذا

(٥) - ﴿ المياه الكبريتية ﴾

مثل مياه مدينة حوان . ففيها مركبات الكبريت المختلفة

(٦) - ﴿ المياه الحديدية ﴾

كمياه (أورتزا) فيها حديد متحد بالكربون

فتعجب من هذه المياه المختلفة الآتية من الينابيع وانظر قوله تعالى - فسلكه ينابيع في الأرض - وتعجب كيف كان في تلك الينابيع حديد أو كبريت أو كالور والكالور قد علمت فيما مضى انه أحد العناصر المركب منهما ملح الطعام . أو كربون وهو المادة الفحمية أو غيرها من المعادن

انظر كيف تسمع الناس في مصر وغير مصر يقولون : تعال لنستشفى بماء فيشى أو بماء حوان أو بالمياه الكالورية وهم غافلون . لقد صرف الله الماء للناس ليتذكروا . انظر كيف نوع الماء لنستشفى به ! ينظر

الانسان فيرى الماء قد تخلل باطن الأرض وجرى في عروقها ومجاريها وصرت على مركبات حديدية وكبريتية وأخرى مغنيسية وأخرى كالورية . فيظن لأول وهلة أن ذلك رمية من غير رام حتى اذا نظرتناجها من أنواع الأدوية عرف أن ذلك كان لحكمة مقصودة . هذا معنى قوله تعالى - فسلكه ينابيع في الأرض - أى ان تلك المنافع التي ترونها في ماء حلاوان وفي ماء فيشى وفي ماء كرسباد المحتوي على مركب من الكبريت والصوديوم وأمثالها لم تكن مصادفة بل أنا الذي أدخلتها في الأرض وأمرتها على تلك العناصر وجعلت ذلك للداواة من الأمراض المختلفة . وانما فعلت ذلك لتفكروا لتأهلوا لعالم أرقى من عالمكم الأرضى

فهذا هو معنى قوله تعالى - إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب - فأولوا الألباب هم الذين يعقلون ذلك من وجهين : من وجه المنفعة المادية . ومن وجه المنفعة العقلية . فالسالمون اليوم عالة على أوروبا في هذه المياه وغيرها . فلاهم درسوها وعقلوها . ولاهم استخرجوها وانتفعوا بها . والأمم ان متلازمان وانما يقتلدون الفرنجة فيها وهم غافلون وحسبنا الله ونعم الوكيل

لقد غفل أكثر العلماء فنسج المسامون على منوالهم وناموا . فليبين قارئ هذا التفسير للناس عجائب الدنيا حتى يدرسوها وينتفعوا بها ويرتقوا الى الله بالتأمل في محاسنها . أما الاتكال على الفرنجة فانه عار وأى عار . فأين أولوا الألباب إذن في الاسلام وأين تذكرهم ؟

لا بد انك أيها الذكى انشرح صدرك لما رأيت في الماء من العجائب ولما أدركت من الحكم العجيبة ، لذلك أردفه سبحانه وتعالى بقوله (أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) أى بيان وبصيرة أى أفن دخل النور قلبه فانشرح وانفسح للاسلام لما يرى من تلك البدائع والعجائب المهيئة للحكمة فاهتدى بها كمن طبع على قلبه لغفلته وجهالته ورد أن علامة ذلك الانشراح الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ، وقوله (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) دليل على المخدوف الذى قدرته في الجملة السابقة . وقوله - من ذكر الله - أى من ترك ذكر الله (أولئك في ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزل أحسن الحديث) حال كونه (كتاباً متشابهاً) يشبه بعضه بعضاً في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وما أشبه ذلك كما تشابه أجزاء الماء والهواء وأجزاء النبات والزهر وأبنية الحيوان (مثانى) تثنى وتردد قصصه وأنباؤه وأحكامه وأوامره ونواهيهِ ووعده ووعيده ومواعظه وهذا ايضاح لسكونه متشابهاً ، فكما انك تجد في جميع أجزاء الهواء والماء والنبات والحيوان المواد التي تركب منها بلاخطأ ولاخلل فلاهواء ولاماء ولانبات إلا وأنت واجد في كل جزء منه الأجزاء التي تركب منها وذلك دليل على الاتقان وعدم الخلل والخطأ ، هكذا الكلام الصادق المسوق لغرض واحد تراه أينما حللته يرجع الى الامور التي اذا ركبت وأدرجت فيه تنتج الغرض الذى سيق له الكلام

﴿ حكمة ألمانية ﴾

قال لى أحد الأصدقاء يوماً وقد كان في بلاد ألمانيا : أنا قرأت حكمة باللغة الألمانية وهى : « يجب على المؤلف أن يظهر في كتابه كما ظهر الله في مصنوعاته » فما معنى هذا ؟ قلت معناه أن يكون المؤلف له غرض يرمى اليه وقد مزج الفكرة بنفسه بحيث يتصرف في القول والمعنى تصرف الله في المادة حتى انك ترى مقدماتها ترمى لغايات معلومة ، هكذا الكتاب يجب أن يكون مؤلفه أشبه بناسج الثوب ينسج على منواله وأن يفعل فيه فعل الجسم الانسانى في التصرف في الطعام وفعل النحلة حولت رحيق الأزهار الى عسل بهيئة منظمة بحيث يحول ما يقرؤه وينكر فيه الى صورة ترسمها نفسه كما يحول النبات صور العناصر الأرضية الى الهيئة النباتية فتضيق سائر صفاته العناصر وتحدث صفات جديدة . فهذا معنى التشابه المذكور في الآية ولذلك قال

تعالى - ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا - وقد عرفت الاختلاف فانك اذا ألقت كتابا ووضعت فيه أنواعا من السير والأحكام ولكنك لم تصقل ذلك بصقالك أنت كانت تلك القصص والأحكام غير منسقة ولا منظمة ونفرت منها النفوس ولم تؤد إلى الفرض المطلوب كما اذا بقيت المواد الأرضية والهوائية مفترقة غير متحدة في الصورة النباتية فانها لا تؤدى المقصود من النبات بل هي تراب وطين مثلاتستعمل لما له التراب والطين ، وقوله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) أى تضطرب وتشمئز وتأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وكذلك القلوب ، وقوله (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى بالرحمة وعموم المغفرة ، فاذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت الجلود ووجلت القلوب ، واذا ذكرت آيات الرحمة والوعد لانت الجلود وسكنت القلوب ، ومن أين يكون هذا لو لم يكن القرآن متشابه بالمعنى الذى عرفته ولو لم يكن متشابهها مثانى على وتيرة واحدة لم يحدث تلك الآثار في القلوب كما لا يحدث النبات آثاره المغذية مثلا إلا بذلك التشابه ، وعلى المؤلفين في أمة الاسلام أن ينحوا نحو القرآن بحيث تكون نفوسهم متأثرة بما يكتبون عاقلة له فانها لا محالة تحدث أثرا في نفس السامعين وهذا هو قوله تعالى - وما أنا من المتكفين - فان المتكلف في القول لا يؤثر في سامعه ولا يحدث في النفوس خوفا ولا رجاء لأن القول مصحوب بآثار نفس القائل ، وليس معنى هذا أن تكون بليغا كالقرآن بل أن تتخلق بأخلاق الله ورسوله ويكون تأليفك بناء على شوق ووجدان في نفسك والا فلا يفيد (ذلك) الكتاب أو الكائن من الخشبة والرجاء (هدى الله يهدي به من يشاء) هدايته (ومن يضل الله) ومن يخذله (فإله من هاد) يخرج من الضلالة إلى الحق

﴿ ذكر عذاب الظالمين في الدنيا والآخرة ﴾

قال تعالى (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن أى ان الانسان يتقى المخاوف بيديه صيانة لوجهه ، فاذا كان هؤلاء الظالمون في النار وغلت أيديهم إلى أعناقهم فانهم لا يتقون النار إلا بوجوههم (وقيل للظالمين) أى قيل لهم فوضع الظاهر موضع المضمرة (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وباله (كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من الجهة التي لا يخطر ببالهم أن الشر يأتي من جهتها (فأذاقهم الله الحزى) الذل والصغار كالسبخ والخسف والقتل في الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا ، أو لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) بينا للناس فيه من كل وجه (لعلهم يتذكرون) أى لكي يتعظوا (قرآنا عربيا) منصوب على المدح مستقيما (ذير ذى عوج) بريئا من التناقض (لعلهم يتقون) الكفر والمعاصي

﴿ ضرب مثل لحال المشركين والمؤمنين ﴾

قال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا) بدل و (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون مختلفون (ورجلا ساعدا لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما (هل يستويان مثلا) أى صفة أى هل تستوي صفتاهما وحالاهما (الحمد لله) الذى لا إله إلا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره ، هذا مثل ضربه الله للعابد والمعبودين له بعبد اشترك فيه شركاء فتنازعوه واختلفوا وكل واحد يدعى انه عبده ويستخدمونه في مهمين شتى وهو متحير لا يدري أيهم يرضى بخدمته ، وعلى أيهم يعتمد في حاجاته ، ومن منهم يرزقه ، ومن منهم يداويه ، فهو أبدا في حيرة ، وشبه المؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع لا مفترق

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذا المثل وان ورد في الكفر والايمان يعلمنا كيف يكون الانسان سعيدا في الدنيا ، وذلك انه

لإسعاد الإجماع لهم على أمر واحد ، ذلك ان حاجات الانسان لا تسكاد وتحصر وخطيئاته وسيئاته وما يهتوره من مصائب الدهر كل صباح وكل مساء ، فاذا تفرق همه على تلك الوجوه كلها تقطع وعاش في غاية الشقاء وانما يسعد الانسان اذا عمل كل ما في طاقته ثم هو يكل نتائج الأعمال الى الله وما ناله من مصيبة يحتملها ويصبر عليها ويجزم بأنها أجنحة يطير بها الى العلا ، وما نال من نعمة يحمد الله عليها ويتخذها ذريعة لارتقاء نفسه بالعمل الصالح فيكون شكره على النعمة وصبره على النعمة موجهين لغرض واحد ، فتى نال الانسان هذه المرتبة أصبح سعيدا ، بل متى أدرك أن هذه الدنيا والآخرة وهذه العوالم كلها كأنها جسم واحد بنظام واحد وهو واثق أن ذلك النظام في غاية الكمال وأن كل دابة أو انسان اذا لم يكن على ما هو عليه كان النظام خطأ ، فاذا أيقن الانسان بذلك لكثرة الدراسة العلمية والتفكير أصبح لا يحزن على فائت ولا ينتظر غائبا ولا يبالي بمستقبل ولا ماض ويصبح وهو راض بكل ما يكون سعيد بهذا الرضا ، واعلم أن هذه المرتبة قلما يناها الانسان في هذه الحياة ، بل تمر غالبا كبرق خاطف أو كفواق ناقة أو جلسة خطيب ، ثم يغلب الطبع على الانسان فيحزن ويفرح ويألم ويرجو ويخاف كسائر الناس ، ويندر من تصير هذه له ملكة راسخة ، ويقل من تلازمه في أغلب الأوقات ، ثم قال تعالى (إنك ميت وانهم ميتون) أى بصدد الموت أوفى عداد الموتى (ثم إنكم) أى إنك وإياهم (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا ويهتدون هم بما لا طائل تحته ، ويقول التابعون للرؤساء أظعنكم فاضلتمونا ، وتقول السادة أغوانا الشياطين وآباؤنا الأولون ، ويحتج بعض الأصحاب بأنهم مع ابن عم رسول الله ﷺ وقتلوا أعداءهم على هذا التأويل ، ويحتج أصحاب معاوية بأنهم يأخذون بدم عثمان ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرون أن هذه الآية نزلت في المسلمين وأهل الكتاب فلما كان يوم صفين ويوم عثمان عرفوا أنها في المسلمين أيضا . وفي حديث البخاري أن النبي ﷺ قال : « من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحللها اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » وفي مسلم انه ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع . قال إن المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحته عليه ثم طرح في النار »

﴿ ذكر الصادقين والكاذبين ﴾

قال تعالى (فن أظلم من كذب على الله) بإضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) وهو ما جاء به محمد ﷺ (إذ جاءه) من غير توقف وتنكر في أمره (أليس في جهنم مثوى للكافرين) المثوى المنزلة والمقام أى يكفيهم ذلك مجازاة لأعمالهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) الذى جاء بالصدق الأنبياء والذى صدق به المؤمنون وكذلك ملائكة الوحي والأنبياء (أولئك هم المتقون) الذين اتقوا الشرك (لهم ما يشاؤون عند ربهم) من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) فى أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزىهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) أى يجزيهم بمحاسن أعمالهم ولا يجزيهم بمساوئها ، أو يجعل لهم محاسن أعمالهم مثل أحسنها فى زيادة الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام إنكارى للتقرير أى جنس العبد فيشمله ﷺ والأنبياء والمؤمنين وهذا كقوله تعالى - إنا كفيناك المستهزئين - وقوله (ويخوفونك بالذين من دونه) يعنى قريشا فانهم قالوا له إنا نخاف أن تحبلك آهتنا بعيبك إياها . وأيضاً بعث ﷺ خالدا ليكسر العزى فقال له سادنهما أحذرهما

إن لها شدة فعمد إليها خالده فهشم أنفها . فكأنهم لما خوّفوا خالدا خوّفوا من أرساله وهو النبي ﷺ (ومن يضل الله) حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه مما لا ينفع ولا يضر (فأله من هاد) يهديه إلى الرشاد (ومن يهدي الله فأله من مضل) إذ لا رادّ لفعله كما قال تعالى (أليس الله بهزير) غالب منيع (ذو انتقام) ينتقم من أعدائه

﴿ تقرير الآية السابقة باللاحقة ﴾

وهي قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لوضح ذلك بالبرهان (قل) أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضرره) أي أرايتم بعد ما تبين لكم أن الله هو خالق العوالم كلها . ان آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني بضر هل هن يكشفنه (أو أرادني برحمة) بعافية (هل هن ممسكات رحمته) مانعاتها عني حتى تأمروني بعبادتها (قل) يا محمد (سبي الله) أي هو ثقتي وعليه اعتمادي (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بأن السكل منه تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) حالكم أي اجتهدوا في أنواع مكرم وكيدكم وهذا تهديد لهم (إني عامل) فيما أمرت به من إقامة الدين (فسوف تعلمون) من يأتيه عذاب يخزيه) أنا أم أتم (ويحلّ عليه عذاب مقيم) دائم وهذا تهديد وتخويف (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لأجلهم ملتبسا (بالحق فن اهتدي فلنفسه) إذ نفع به نفسه (ومن ضلّ فأنما يضلّ عليها) أي فان وباله لا يتخطاها (وما أنت عليهم بوكيل) أي وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما أمرت بالبلاغ وقد بلغت

﴿ ذكر النوم والموت ﴾

قال تعالى (الله يتوفى الأنفس) الأرواح (حين موتها) أي يقبضها عند انقضاء أجلها وهو موت الأجساد (والتي لم تمت في منامها) ومعنى ذلك انه يقبضها عن الأبدان ويقطع صلتها بها ظاهرا وباطنا عند الموت ، وظاهرا فقط عند النوم (فيمسك التي قضى عليها الموت) فلا يردها إلى البدن (ويرسل الأخرى) وهي النائمة إلى البدن عند اليقظة (إلى أجل مسمى) هو وقت الموت * روى عن ابن عباس انه قال : « إن في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس ، فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت وتوفى النفس وحدها عند النوم (إن في ذلك) التوفى والامساك والارسل (آيات) على كمال الحكمة والانقان وشمول الرحمة وعمومها (لقوم يتفكرون) في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيتها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تنفي بفناء الأجساد وما يهترىها من السعادة والشقاوة ، وكيف تتوفى ظاهرا حينما بعد حين إلى انقضاء الآجال * وعن عليّ كرم الله وجهه قال : « تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة » * وعن سعيد بن جبير : « ان أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقي في المنام فيتعرف منها ما شاء الله أن يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها »

﴿ لطيفة في معجزات القرآن في هذا الزمان بمناسبة هذه الآية ﴾

أذكر لك بمناسبة هذه الأحاديث والآية ما قيل عن الأرواح في هذا الزمان لتعجب كل العجب من قول سعيد بن جبير : « ان أرواح الأحياء والأموات تلتقي في حال النوم » ومن موافقته للعلم الحديث ، فهناك مقالة لروح مستحضرة في المجمع النفسية . قالت ماملخصه : « اذا نام الانسان انطلقت روحه من البدن وازدادت قواها عما في اليقظة فتتذكر شيئا من ماضيها وتكشف بعض المستقبل وتناجي الأرواح الأخرى في هذا العالم وفي سواه ، ألا ترى إلى الأحلام البعيدة التصديق انها ذكرى أما كن وأشياء كان رآها الانسان

أوسوف يراها في عالم البرزخ بعد هذه الأرض ، والروح غالباً وقت النوم يبحث عن ماضيه ومستقبله . ثم قالت : ما أشدّ جهالك يا بني آدم ، تجهلون أسهل الأمور ، يسألكم بنوكم : ماذا نستفيد من النوم ؟ وما هي أحلامنا ؟ فترتبكون مع انكم تدعون انكم تعرفون كل شيء ، إن النوم يحلّ النفس قليلاً من البدن فيكون الانسان وقت النوم أشبه به بعد الموت من بعض الوجوه وكل من كان أكثر استحضاراً واستدكاراً لما رأى في المنام يكون أسهل انحلالاً عند الموت والعكس ، فأمثال هؤلاء ينضمون وقت النوم الى جماعة الأرواح العالوية وينتفعون بأحاديثهم وتعاليمهم ، وهذا ينزع عنكم خوف الموت لأنكم تموتون كل ليلة على حسب قول أحد الأبرار (يريد سيدنا محمداً ﷺ في القرآن) . قال : وكلامى هذا عن الأرواح العالوية ، وأما عامة الناس الذين تبقى أرواحهم بعد الموت ساعات وأياماً على حالة الاضطراب المعائمة لكم في الاستحضار للميتين حديثاً فهؤلاء قلما يفتبهون لما يعملون وقت الرقاد . وكم من امرئ يقابل امراً في النهار فيرى في قلبه انقباضاً . لماذا ؟ لأنه قد يكون اطلع على أحاديثه وقت النوم فوجدته يبغضه . ويرى آخر فيقابل به بلهف وشوق نهاراً . لماذا ؟ لأنه قضى معه وقت الرقاد ساعات في صفاء وسرور . ثم قال : وبالاختصار إن للنوم أثراً في حياتكم اليومية وأنتم لا تشعرون . ثم قال : فالنوم للأرواح العالوية التي في الأجساد باب للناموس والمنهاج المؤدّى الى السماء حتى يوافيها الأجل وتعود الى مقرّها السعيد . ثم قال الروح : والحلم تذكر الانسان ما رآه وقت الرقاد . فلستم تحلمون دائماً لأنكم لا تتذكرون دائماً ما رأيتموه وانما تذكر ما يعرض لكم في حال الاضطراب الملازمة لمبارحة الروح وعودتها الى الجسد . ويضاف الى ذلك أمور أخرى مما تصنعونه وقت اليقظة ومشغل الأفكار وذلك هو الباعث لتلك الأحلام التي يراها الجاهل والعالم على حدّ سواء بلا فائدة . وربما كانت تلك الأحلام كرواية حذف منها جل متهددة فابق منه أصبح لاسياق له . وتستخدّم الأرواح الشريرة أحياناً الأحلام لتسكيد النفس الضعيفة » انتهى ملخصها

فعلى هذا تكون الأحلام إما أفسكار أو مشاغل ازدحمت واما مسائل منتظمة ولكن حذف منها كثير فصارت لامعنى لها واما مغامر شيطانية لإخافة النفوس الضعيفة . فأما الأرواح الشريفة فانها تنفتح وان لم تعلم شيئاً عن ذلك بالنهار . إن رواية سعيد بن جبير من مقابلة أرواح الأحياء للأموات هي عينها ما قرأته عن نفس الأرواح . أليس هذا من العجب . أليس ظهور هذا منسوباً للأرواح معجزة للنبي ﷺ . إن عقولنا لا يمكنها أن تفهم أن ارواحنا تحدث أرواح الأموات . عقولنا لا دليل عندها على ذلك وقرأنا الأحاديث فوجدناها تقول ذلك . وهانحن أولاء نرى مطابقة العلم الحديث ومحادثة الأرواح لهذا المنقول . إن هذا هو المعجزة وهذا معنى قوله تعالى - ولتعلمن نبأه بعد حين -

ثم قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) هي الأصنام (قل) يا محمد لهم أتتخذونهم شفعاء (أولو كانوا) أى الآلهة (لا يملكون شيئاً) من الشفاعة (ولا يعقلون) انكم تعبدونهم (قل لله الشفاعة جميعاً) أى لا يشفع أحد إلا بأذنه فلتكن العبادة له لأنه هو الشفيع في الحقيقة لأنه هو الآذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والأرض) لملك لسواه (ثم اليه ترجعون) في الآخرة (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت) نفرت وانقبضت عن التوحيد أو استكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه) يعنى الأصنام (اذا هم يستبشرون) يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سروراً حتى يظهر على الوجه فيتהלل (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) فهو موصوف بكمال العلم والقدرة (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين يد عن ابن المسيب : « لا أعرف آية قرئت فدعى عندها إلا أجيب سواها » وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتسكلم فإزاد أن قال : آم أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية . وفي حديث مسلم انه ﷺ يفتتح صلاته

إذا قام من الليل فيقول : اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، أهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم اهـ

ثم قال تعالى (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) هذا إقناط لهم من الخلاص (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وهذا في مقابلة - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين - (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أي سيئات أغمأ لهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي وأحاط بهم جزاؤه ، ثم علم أن قوله تعالى - وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت - الخ جاءت الآيات بعدها اعتراضية وعطف عليها بالفاء قوله (فإذا مسّ الانسان ضرّاً دعانا ثم إذا حوّلناه نعمة منا) أي أعطيناه إياها تفضلاً فان التخويل مختص به (قال إنما أوتيته على علم) أي على علم منى بوجوه كسبه أولاً ثم استحققه ، فمثل هؤلاء القوم إذا ذكر الله وحده اشمأزوا وإذا ذكر سواه استبشروا مع انهم إذا مسهم الضرّ ذكروا من اشمأزوا من ذكره ، وإذا آتاهم نعمة ادّعوا انها باستحقاقهم ومن كسبهم (بل هي فتنة) أي امتحان له أيشكر أم يكفر فكيف يدعى انه أوتيهما على علم (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (قد قالها الذين من قبلهم) أي قال إنما أوتيته على علم كفارون ومن معه فانه قالها ورضى بقوله من حوله فكأنهم قالوه وهكذا يدور هذا المعنى في ذهن كل متكبر جبار من الماضين (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات كسبهم (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فمحقطوا سبع سنين (وما هم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله ، ثم بسط لهم الرزق سبعا فقبل لهم (أولم يعلموا أن الله يمسّط الرزق لمن يشاء ويقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأن الحوادث كلها من الله وانه القابض الباسط . انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطائف القسم الثاني من السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل - الخ
- (٢) وفي قوله - خلقتكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها - الى قوله - في ظلمات ثلاث -
- (٣) وفي قوله - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الالباب - مع قوله - فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - ومع قوله - للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب -
- (٤) وفي قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع - الخ
- (٥) وفي قوله تعالى - ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل -)
 إن هذا المقام قد سبق شرحه في هذا التفسير في ﴿ سورة البقرة ﴾ وفي سور كثيرة بعدها فارجع اليه
 تره سهلاً مبسوطاً على قدر ما يحتمله هذا الكتاب

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها -)

هذا المقام مشروح مبسوط في أول ﴿ سورة النساء ﴾ فارجع اليه وفي سور بعد ذلك ، ولكن لابد من ذكر ما يناسب المقام في مسألة خلق الجنين في بطن أمه الذي هو في ظلمات ثلاث فأقول : لأذكرك في خلق الانسان خسين حكمة :

(١) جعل أعضائه قطعا لا قطعة واحدة ليسهل له الاعمال بها فجعلها على مقدار الحاجة من قصير

وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق

(٢) جعل بينها مفاصل فقتر شكل كل واحد منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها

وربط بعضها ببعض بأوتاد أثبتها بأحد طرفي العظم وألصق الطرف الآخر بها كالرباط

(٣) ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منها ومن الآخر نقرات غائصة فيها أشكال الزوائد لتدخل

فيها وتنطبق

(٤) فبهذا صار الانسان يقدر على تحريك شئ من جسده دون غيره فلو لا حكمة تلك المفاصل لتعذر

عليه ذلك

(٥) الرأس مركب من عظام مختلفة الأشكال والصور وقد ألف بعضها الى بعض بحيث استوت كرة

الرأس فمنها ستة تختص بالقحف والباقي في الأسنان وهي ٣٢ وفي اللحي الأسفل والأعلى

(٦) وجعل الرقبة مركبة من سبع خرزات مجوفات مستديرات منطبقات على بعضها متصلة بالظهر

وعظام العجز والعصعص ، ووصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف واليدين وعظام العانة

وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، هذه كلها اتصلت ببعضها وهي ٢٤٨

عظما سوى العظام الصغيرة التي جعلت ليحشى بها خلل المفاصل

(٧) وخلق العين لها أشفار بمنزلة باب يفتح وقت الحاجة ويغلق في غير وقتها

(٨) الأشفار جمال للعين

(٩) شعرها لا يزيد ولا ينقص ، فلوزاد لأضر بالعين وكذلك لو نقص

(١٠) في ماؤها ملوحة لتقطع ما يقع فيها

(١١) الحاجبان جمال للوجه أيضا

(١٢) وستر للعين

(١٣) شعرهما كشعر الأهداب لا يزيد لئلا يكون تشويها وان نقص ذهب الجمال وقلت الفائدة للعين

لأنه يحجب الضوء ويقلله

(١٤) ولما كانت اللحية وشعر الرأس زيادتهما ونقصهما يوكلان للانسان حتى اذا كان الجمال في طوله

أو في قصرهما فعمل الانسان ما يراه مناسبا للوسط الذي عاش فيه . لما كان كذلك جعلنا قائلين

للزيادة والنقص . فاذن جمال الأهداب والحواجب ثابت عند جميع نوع الانسان . وجمال الرأس

واللحية يوكل للانسان أمره فيتركه ليطول أو يقصره

(١٥) الشفتان ستر للفم وهما كباب يغلق وقت ارتفاع الحاجة الى فتحه

(١٦) وهذا الباب ستر على اللثة والأسنان

(١٧) هما تفيدان الجمال ولولا ذلك لشوه الخلق

- (١٨) هما تعينان على الكلام
- (١٩) اللسان للنطق والتعبير عما في الضمير
- (٢٠) ولتقليب الطعام ولالقاءه تحت الأضراس حتى يستحكم مضغه ويسهل ابتلاعه
- (٢١) الأسنان مفترقة وليست عظما واحدا فان تلف بعضها صلح الباقي
- (٢٢) جمع فيها بين النفع والجمال
- (٢٣) جعلت صلبة
- (٢٤) جعل في الأضراس كبر وفيها ما يشبه الزوائد لأجل درس الغذاء فان المضغ هو الهضم الأول
- (٢٥) الثنايا والأنياب لتقطيع الطعام مع الجال
- (٢٦) بيض لونها مع حرة ماحوها
- (٢٧) تساوت رعوسها كأنها الدر المنظوم
- (٢٨) في الفم نداوة محسوسة لاتظهر إلا في وقت الحاجة فلوانها ظهرت وسالت لكان تشويها للإنسان فجعلت ليبل بها الطعام حتى يسهل تسويغه من غير عنف ولا ألم
- (٢٩) فاذا لم يكن أكل ذهب من الريق ما كان زائدا وبقي ما هو للترطيب
- (٣٠) الذي بقي للترطيب يبل اللهوات والخلق لأجل الكلام ولئلا يجف ولوجف هلك الإنسان
- (٣١) النوق جعل في اللسان ليحرف ما يوافقه ويلائمه فوافقه قبله واجتنب ما لا يوافق ، ولولا ذلك لم يفرق الإنسان بين الملائم وغير الملائم فيموت ، فالنوق كخفير النحل الذي يجعل عند باب الخلية ليمنع الأجنبي عن الدخول
- (٣٢) يعرف مقدار الحرارة والبرودة
- (٣٣) شق السمع وجعل فيه رطوبة مرّة لتحفظه من الدود ، ويقتل أكثر الهوام التي تريد أن تلج الى السمع
- (٣٤) حفظ الأذن بصدفة تجمع الصوت فترده الى صماخها
- (٣٥) وفيه زيادة حس لتعسس بما يصل اليها بما يؤذيها من هوام وغيرها
- (٣٦) وجعل فيها تعاريج لترديد الصوت ولتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيقتنبه صاحبها من النوم . وهناك معان عجيبة في الأذن تقرأها في ﴿سورة آل عمران﴾ فارجع اليها تجد هناك شرح العين وشرح الأذن شرحا وافيا . أما هنا فانما هي ظواهر
- (٣٧) جعل الحنجرة مهياة لخروج الأصوات ودور اللسان في الحركات والتقطيعات فيقطع الصوت في حجار مختلفة تختلف بها الحروف لتسمع طرق النطق
- (٣٨) جعل الحنجرة مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسبب ذلك الأصوات فلم يتشابه صوتان
- (٣٩) هكذا خلق بين كل صورتين اختلاف فلم تشابه صورتان بل يظهر بين كل صورتين فرقان : فبالأول يميز السامع بين كل صوتين . وبالثاني يميز بين كل صورتين
- (٤٠) خلق اليدين لأمرين : جلب المقاصد . ودفع المضار . وجعل الكف عريضا . وقسم الأصابع الخمس . وقسم الأصابع بأنامل . وجعل الأربعة في جانب والابهام في جانب فيدور الابهام على الجميع . فالابهام يدور على الأربعة والأربعة مختلفات طولا وقصرا فصلحت للقبض والاعطاء
- (٤١) إن بسطها كانت طبعا يضع فيه ما يريد

- (٤٢) إن جمعها كانت آلة يضرب بها
 (٤٣) إن ضمها ضما غير تام كانت مفارقة له
 (٤٤) وإن بسطها وضم أصابعه كانت مجرفة
 (٤٥) خلق الأظفار على رؤسها زينة للأنامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تضعف
 (٤٦) يلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل لولاها
 (٤٧) يحك بها جسمه عند الحاجة الى ذلك فلو عديمها وظهرت به حكة لعجز عن دفع ما يؤلمه ولا يقوم
 غير الظفر مقامه في حك جسده ، إنه لاصلب كصلابة العظام ، ولا رخو كرخاوة الجلد ، فلذلك
 صالح للحك
 (٤٨) والإنسان يهتدى بظفره الى موضع الحاجة في الحك ، أما غيره فلا يهتدى لذلك إلا بشق الأنفس
 (٤٩) يطول الظفر ويقصر كما تقدم في شعر الرأس واللحية ليبقى منه ما يحتاج اليه لحاجته ويقص الباقي
 وهذه يقدرها الإنسان باختياره وهو الذي يراعى الحاجة في ذلك
 (٥٠) كل ذلك قدره الله للإنسان وابتدأ خلقه في بطن أمه ويولد فاقد التمييز ولو ولد عاقلا فلهما لحر
 من هذا الوجود الذي لم يعرفه ولم يهتد مثله وهو مع ذلك يجد غضاضاة أن يرى نفسه محمولا
 وموضوعا معصبا بالخرق ومسجى في المهد وهو في أشد الحاجة الى ذلك لضغفه فلا تنهأ له حياة
 ولا تحسن تربته ، فلما خلق غير مميز سهل الأمر وأعطى التمييز شيئا فشيئا حتى يكون رجلا كبيرا
 فهذه نبذة من آلاف من الحكم التي أودعها الله في خلق الإنسان ذكرناها لتكون تذكرا لك في هذا
 المقام وليفسر صدرك بالعلم وليعطيك صورة من الملاحظات الدقيقة والتي أنا مغمورون في حكم وعالوم
 وعجائب وطول الأنس بها واعطاؤها لنا دفعة واحدة هو الذي أذهلنا عن تعقلها ، فما أجل العلم وما أبهج
 الحكمة - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب -

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - الخ وقوله - فبشر عباد
 الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - وقوله - للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة -)
 تبين من هذه الآيات أن العالم أفضل من غير العالم ولم يخص العلم بل ذكره مجردا من المفعول وجعل
 البشرى للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وجعل للمحسنين حسنة في هذه الدنيا والمحسنون هم الذين
 يستمعون القول فيتبعون أحسنه
 تبين من هذه الآيات أن العلم بجميع العلوم والصناعات مطاوب وأن المتصفين بذلك أفضل من غيرهم
 والعلم لا يكون مفيدا إلا اذا تولاه النقاد وبحثوا فيه ، والا فكيف يتبعون أحسنه أى كيف يتبعون أحسن
 القول الذى سمعوه إلا ببصيرة نقادة . اذا تم ذلك فإن هؤلاء محسنون أحسنوا الاختيار . والمحسنون لهم
 في هذه الدنيا حسنة

يا أئمة الاسلام : هذا كلام الله وهو الذى أنزله على نبيه ﷺ :

(١) فهلى المسلمين أن يكون لهم لجان تبحث فى الفنون والعلوم والصناعات بحيث يكون هؤلاء
 أخصائيين فى العلوم المختلفة

(٢) وهذه اللجان تستعرض جميع العلوم والفنون والصناعات التى عرفتها الأمم وجميع ما يكشفه المسلمون
 فى المستقبل ثم يميزون بعقولهم النيرة وبصائرهم النقادة ما هو أكثر نفعاً للامة فيأمرون باتقائه

واستعماله وما ليس كذلك فيتركونه

(٣) يعرض على هذه اللجان علوم مافوق هذه الغبراء وما تحت الثرى من علوم الطبقات الأرضية وما

فوق السموات العلى من أوضاع فلكية وكواكب درية وما بين ذلك مما كان وما يكون

(٤) متى حصل ذلك كان للمسلمين في هذه الدنيا حسنة وهذه الحسنات ليست عند المسلمين الآن ولكنهم

في زمن قريب سيكون عندهم ذلك المجد الباذخ إذ ينظرون ويقرؤون ، ونعمة ربهم يتقبلون

فيشكرون ، انظر تفسير قوله تعالى - لا يكاف الله نفسا إلا بوسعها - في سورة البقرة ، فهناك بسط

للقيام أوفى ، ولأكتف بهذه الجوهرة :

﴿ جوهرة في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ﴾

إن هذه الآية تفتح باب الموازنات بين الأمم ، فالأمة التي ارتقت بالعلم والحكمة والصناعات أقوى من الأمة الكثيرة العدد القليلة العلم والصناعة ، خذ ذلك مثلا : هذه دولة اليابان منسنيين غلبت روسيا وكانت الأولى لا تبلغ في العدد مقدار ثلث الثانية ، وهذه الأمم الآسيوية التي تعد بمئات الملايين أقل علما وصناعة من أوروبا والكثرة العددية لا تغني عنها شيئا ، هذه بلاد جاوه وسومطره وماحولها من جزائر الهند الشرقية قد احتلتها هولنده التي تعد على أصابع اليدين أعداد الملايين وتلك الأمم تعد بعشرات الملايين ولكن القليل غلب الكثير وهذا مصداق الآية هنا ومصداق قوله تعالى - قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث - وليس معنى هذا أن هؤلاء خبيثاء وهؤلاء صالحون وانما ضربنا الآية هنا مثلا لانصافها الاختلاف بالقوة والضعف وهما ناشآن من العلم والجهل وهذا قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . إذن ليست الكثرة بمغنية قليلا أمام العلم ، فهاهوذا الانسان قليل العدد أخضع الحيوان مع كثرته ، ومن عجب أن نسل الحيوانات المفترسة قليل والحيوانات التي خلقت لغذائها كثيرة النرية . فإذن قول الشاعر :

ولست بالأكثر منهم حصي * إنما العزة للكائر

لا يصح إلا اذا اتفق الخصمان سلاحا وعلماء ، أما اذا فاق أحدهما في علمه وصناعته فهناك يختل الميزان ويصدق عليهم قول الله تعالى هنا - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون -

اللهم أنت المعلم ولوأردت تعليم المسلمين لقيضت لهم عقولا فاهمة تقول لهم إن الفعل هنا لم يذكر معموله فأشعر بالعموم ، ونحن المسلمين أقرب الى أهل أوروبا (الذين أرسلهم الله لايقاظنا بالحرب والاحتلال) من أمة اليابان الذين قلدوهم وارتقوا مثلهم ، فهلا كان فينا رجل رشيد يعلمنا أن نعمل بهذه الآية ؟ أفليس من الخجل المغيب أن الجهل اليوم لا ينطبق إلا على أمة أنزل الله في كتابها هذه الآية ، يسمعونها وكأنهم لا يسمعون ، ويقرؤونها وكأنهم لا يقرؤون ، هذه الآية تليت علينا في كتابنا المقدس فلم نعمل بها ولكن اليابان استخرجت معناها من عقول علماءها وعملت به فارتقت ، أما المسلمون فهم الذين ضرب المثل بجهلهم بين الأمم وقد آن أوان مجدهم ورقيمهم والحمد لله رب العالمين

ثم اعلم أيديك الله أن الأمم الإسلامية أمرها عجب ، قد نامت نوما عميقا ، فان لم يقم كاتب بنصيحهم لم يجاروا الأمم في رقيها . أولايعلم المسلمون أن أمة اليابان استيقظت في عشرات السنين ولحقت بأوروبا وكانت نهضتها مصاحبة نهضة مصر فقد دخلت العلل في تعاليمها فوقفت أمدا وهاهي ذه تريد ارجاع سنة الرقي ككرة أخرى . وقد جاء في جريدة الاهرام هذه السنة مانعه :

﴿ الحصول الأدبي في ألمانيا ﴾

دلّ الاحصاء في ألمانيا على أنه يوجد في كل ٢٥٠٠ نفس شخص يستطيع أن يؤلف كتابا . وقد كان

عدد الكتب الجديدة في ألمانيا (٢٤٨٦٠) كتابا في سنة ١٩٢٧ فنزل هذا المقدار في سنة ١٩٢٨ الى (٢٢٩٥١) كتابا ومع ذلك فان ألمانيا لاتزال أكثر الأمم إنتاجا للكتب . ويوجد من ذلك (٤٥٠٠) مؤلف جديد في الأدب و ٣٣٠٠ في الفنون و ٢١٠٠ في الدين و ٢١٠٠ في كل من السياسة والعلوم والاقتصاد الخ اه

واذا أردت أن أكتب في معنى هذه الآية وجب أن استحضركل ما تقدم في التفسير . إذن كل ما تقدم وماسيأتي تفسير لها ، فقضية العلم والجهل قضية الحياة والموت بعينها ولكن لابد من ذكر نبذة في الطب ، وأخرى في الاقتصاد ، وأخرى في التعليم العام إيفاء لبعض الحقوق التي تقتضيها الآية ، فهنا ثلاثة فصول :

﴿ الفصل الأول في نبذة في الطب ﴾

جاء في جريدة الاهرام في يوم (٩) ابريل سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالي مانصه :

خطري يهدد الصحة

(٣٩ مصابا من طعام واحد)

كثيرا ما نقرأ في الكتب والصحف ونسمع من أفواه رجال الصحة وغيرهم أن الوقاية خير من العلاج ! إذن كيف تكون الوقاية في موضوعنا هذا والفقراء عديدون والجهلاء أكثر ؟ مساكين الناس وخصوصا الفقراء منهم ولا سيما الجهلاء والأطفال الذين يضطرونهم الجوع والحالة الى تناول المأكولات المعروضة للبيع في الطرقات والحوانيت المعروضة للأتربة والميكروبات وهي التي جهزت وطهيت وعرضت للبيع بدون مراعاة للنظافة فتكون غالبا سما زعافا يودي بحياة الكثير أحيانا وعلى الأقل يجعلهم تحت العلاج أيا ما

نعم مساكين هؤلاء الناس فانهم يكونون ضحية هذا الإهمال ، نعم مساكين هؤلاء الباعة أيضا لأنهم لم يعرفوا للنظافة معنى ولم يقدروا لإهمالهم نتيجة لجهلهم وغباوتهم وخصوصا اذا تركوا وشأنهم فهم أحرار فيما يعملون كأن أرواح الناس وسلامتهم ليست بشئ في نظرهم ماداموا يربحون حتى ولو كانوا يعرفون الحقيقة فاذا طفت في شوارع المدينة ومنها الشوارع الهامة العظيمة أوسرت في حاراتها فانك لاتعدم رؤية هذا يبيع البقلاوة أو البسبوسة قد سترها الذباب ، وذلك يعرض الكسكسي أو الكشري قد غطى بطبقة من الأتربة والأوساخ . ولست في حاجة الى التعرض لنظافة هذا البائع الشخصية وكذا الأدوات التي يستعملها وكيف جهزت وحفظت هذه المأكولات . وحسبي في ذلك أن يستعيد القارئ صورة من هذه الصور التي يراها أحيانا ولا سيما في الأحياء الوطنية الفقيرة

بجوارنا رجل يبيع مثل هذه المأكولات وغيره كثير ، ولولا شدة حرصنا على سلامة التلاميذ والحفاظة على صحتهم ومنعهم ابتلاع وتناول تلك المأكولات المضرة لراحوا ضحية هذه السموم إذ أن معظم التلاميذ يخرجون من منازلهم في الصباح ويتناولون طعام الافطار في الخارج ، ولكن هذا البائع لم يعلم أناسا كثيرين يعرض لهم مأكولاته . وكان يوم أمس يوما تجتاز فيه صورة صحيحة من هذا الضرر الذي يهدد صحة الناس ويجعلها في خطر إذ كان يبيع كشريا كما هي عادته فلم يلبث من تناول قليلا من الطعام حتى ظهرت عليه أعراض التسمم فكنت ترى هذا يقع مغشيا عليه وآخر لا يملك نفسه من القيء وثالثا يتلوى من المغص وهكذا فدعوت رجال الاسعاف الذين كانوا يعثرون على المصابين في مختلف الشوارع المجاورة فحملوا بعضهم الى الجمعية والأخر الى مستشفى قصر العيني . ولقد كانت عربات اليد تستعمل في نقل المصابين الى الجمعية بواسطة الأهالي وبعضهم استدعى الطبيب الى منزله . وقد بلغ عددهم جميعا تسعة وثلاثين رجلا وأطفالا وأكثرهم تحت العلاج الآن في مستشفى قصر العيني وجمعية الاسعاف

ومن الغريب أن الناس لما حضروا الى هذا البائع ليسألوه عن معروضاته عقب الحادث قال لهم : إن حاجتي نظيفة وهاهو انظروا الىّ وأنا آكل كل منها ، وهنا تناول هذا البائع من طهيته فلم يكذب يستقرّ في جوفه حتى ظهرت عليه أعراض التسمم وخلق باخوانه ، والبوليس ينتظر شفاءه لاتمام التحقيق معه ، ولعله لو سئل بعد ذلك لقرّر أن حاجته نظيفة جدا

ولقد ذكرني هذا الحادث بحادث يضارعه في الاسكندرية إلا ان البائع كان مغربيا اختفى قبل القبض عليه ولم يظهر له أثر ، فهل هناك علاج لهذه الحالة ؟ وهل لحضرات أصحاب الصحف الذين كرسوا حياتهم لخدمة الأمة أن يعالجوا هذا الموضوع شأنهم في كل موضوع هام إذ الصحة أغلى شئ في الحياة اه
فياليت شعري : أليس الأمر راجعا للعلم ، فالعلم بالضرر يمنع من تناوله . ثم انظر ماجاء أيضا في « مجلة طبيب العائلة » تحت العنوان التالي مانصه :

﴿ مضار الحلوى على الأطفال ﴾

من الأسف أن أحدنا اذا مرّ بمدرسة في الصباح قبل موعد الدخول أو عصرا عند انصراف التلاميذ الصغار بصريهم مجتمعين حول بائع الحلوى يتنافسون في الشراء منه غافلين عن ملايين الميكروبات التي تحيط مع الذباب على الحلوى المعرضة للانباء ولما هو أشد فتكا من الفبار . وليس الأمر قاصرا على هذه الجراثيم وحدها وإنما هذه الحلوى في ذاتها تضرّ بالأطفال أبلغ الضرر ولو كانت من أجود الأصناف ومن أكبر المحال ويرجع ذلك الى أن المادة السكرية المصنوعة منها الحلوى تهدم صحة الطفل وتسيء الى نموّه الطبيعي وتفسد عمل الأجهزة التكوينية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ انه يجب أن نمنع السكر بأنواعه عن الأطفال . وعلينا أن نحثهم على تناول الفواكه فهي تحتوي المادة السكرية الصحية فضلا عما فيها من عناصر مفيدة للجسم كالفيتامين والحديد الخ وكذلك لا بأس من تناول العسل بنوعيه الأبيض والأسود بين فترة وأخرى دون الاكثار منهما ومن الملاحظ أن الأطفال يحبون الفاكهة بغرائزهم ويفضلونها على الحلوى عادة فخرى بنا أن نشجع فيهم هذا الميل لمنفعته الصحية فضلا عن ملاءمته لأمزجتهم

وهناك اعتقاد سائد بين الناس يقول إن الشاي يضرّ بالأطفال وهذا صحيح من جهة واحدة وذلك اذا كان الشاي من صنف رديء لأنه يحتوي في هذه الحالة على حامض التنيك الذي يفسد الأنسجة . أما اذا كان الشاي جيد النوع فلا بأس من شرب الأطفال منه مع مراعاة عدم الاسراف فيه يقول المؤلف . كلا . بل الأصح تركه كله
﴿ قائمة الأكل في المستقبل ﴾

يعرف الناس ما تشتمل عليه قائمة الأكل التي تقدّم في الفنادق . ويقول العلماء : « إن رجل المستقبل سيرى قائمة أخرى تختلف عن هذه كل الاختلاف في ألوان الطعام . وقد ذهب الدكتور برنار الكيماوى الانكليزي الشهير الى أن فطوره سيكون شعاع الشمس وغذاءه كمية من الهواء وعشاءه قدحا من ماء البحر . وعلى ذلك لن يخشى أهل المستقبل أن يعوزهم ما في الأرض من غذاء مهما كثر عددهم بل سيصبحون في غير حاجة اليه . وسينسون مذاق الخبز واللحم . وسيكون للانسان ثلاث معدات ليضم الغذاء الذي تقدّم ذكره وان يكن يرى لأوّل وهلة أنه بسيط وليس يحتوي على مادة جافة أو صلبة ولكن الانسان لن يلجأ الى التغذية بالتحليل الكيماوى إلا بعد عهد مديد فان البرازيل وحدها إذا أصلحت أراضيها الزراعية أمكن أن تكفي حاصلاتها ثلثي سكان الكرة الأرضية . ويوجد في أفريقيا من الأراضي ما يكفي لأكثر من سكان الأرض الحاليين بهذه الملايين . فاذا ازداد السكان في الكرة الأرضية بحيث لم تف بحاجياتهم الحاصلات الزراعية أمكن الاتجاء الى التغذية الكيماوية . ويوجد في الأرض المواد التي تصلح للتغذية بهذه الطريقة . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والمحمد لله رب العالمين . تم الفصل الأول

ومن أراد قراءة الطب لحفظ صحته فليرجع الى ما تقدم في ﴿سورة البقرة﴾ عند آية - استبدلون الذي هو أدنى - الخ وآية ﴿الأعراف﴾ - وكلوا واشربوا - الخ وفي ﴿سورة الحجر﴾ عند التلميح بقصة آدم وفي ﴿سورة طه﴾ عند قصة آدم أيضا وفي ﴿سورة الشعراء﴾ عند آية - واذا صرخت فهو يشفين - ولم أذكر هذه النبذة الصغيرة إلا لأذكرك بما يكفيك في تلك المواضع فارجع اليها إن شئت

﴿ الفصل الثاني في الاقتصاد وفي جمع الثروة ﴾

ولاسبيل لذلك إلا بالعلم ، ولقد مضى في هذا التفسير كثير من هذا الموضوع فقرأه في ﴿سورة ابراهيم﴾ فانك تجد تقصير المسامين في أرضهم وجبالهم وأنهارهم للجهل ، وتجد هناك مسألة البحر الميت الذي فيه ثروة تزيد على ما عند المسامين في الكرة الأرضية ، والجاهل ينظر اليه نظره الى بركة ماء منقنة حقيرة ولكن العلم هو الذي أفهمنا ذلك ، فالعالم يرى البحر الميت سعادة والجاهل لا يعقل ذلك . إذن لا يستوى الرجلان والمساهون اليوم هم الأمة التي بقيت وحدها في الجهل ولكنها اليوم استيقظت فلا بد من تعميم التعليم وذلك هو الفصل الثالث الآتي قريبا

فلأذكرك أولا التعليم في جامعات أوروبا حتى نعرف كيف ترقى المعاهد الدينية فتشمل العلوم كلها ، ثم أتبعه بما كتبه الكتاب في فوائد التعليم الاجباري ، ثم ما كتبوه في توزيع العلوم على أفراد المتعلمين :

﴿ الفصل الثالث في التعليم ﴾

﴿ في الجامعات الأوروبية ﴾

(حديث مع مدير جامعة لوزان)

جاء في جريدة الاهرام في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩ - ٩ رجب سنة ١٣٤٨ مانصه
رأيت أثناء رحلتي الصيفية أن أعرف شيئا عن أحوال الطلبة المصريين في أوروبا فلقد زاد عددهم ، وهو مانص في الزيادة عاما بعد عام ، بما ترسله الحكومة من البعثات العلمية سنويا وأحيانا شهريا من خرجي المدارس العليا والخصوصية ومن موظفيها وعممال ورشها ، وبالرغبة المتزايدة التي بدت من الطلبة ومن ولاية أمورهم لاشباع استعدادهم من علوم أوروبا وآدابها ولغاتها ومنتدياتها ، ومن الاتصال برجالها والوقوف على عاداتها ونظامها . وقد زرت فيما زرت جامعة لوزان والسربون وكلية الحقوق بباريس وقابلت بعض الطلبة وبعض المشرفين على أحوالهم في أوروبا من تعليم ومسكن ومعيشة وأخلاق وارسال التقارير لوزارة المعارف أولولة أمورهم . يزيد عدد الطلبة المصريين في أوروبا الآن عن الالف طالب . وأكثرهم يتعلمون الطب والصيدلة ، ويتعلمون القانون ، ثم يجيء بعدهم من يتعلمون الهندسة والعلوم الطبيعية والآداب والكيمياء . ويلاحظ ان عددا قليلا من الطلبة يذهبون الى أوروبا أو يطردونهم أولياء أمورهم من مصر اليها للعلم . ولكن لامضاء الوقت في اللهو والتنقل . ويهمل هؤلاء التعلم اهتماما يبلغ من بعضهم انه يعيش في باريس سنوات دون أن يحسن النطق والتخاطب والفاهم باللغة الفرنسية . ولا يعرف الا بعض ألفاظ يتعلمها أي شخص في شهر أو شهرين ! ومن الأسف ان هذا النفر القليل ، على قلته . يضر سمعة مصر . لأنه النفر الذي يغشى الاندية والمجتمعات والملاهي . أما الأكتيرة المكبة على التعليم فهي لا تختلط عادة بغير كتبها ومحاضرات أسانذتها . فلا يعرف الجمهور الأوروبي الناضج عنهم شيئا . ولذلك لا تستفيد مصر من اجتهاد هؤلاء من حيث تشریف سمعة مصر واكبار نبوغ أبنائها . ويلاحظ ان بعض الطلبة ، مع شديد رغبتهم في التعليم لا يكون معهم المال الكافي للدخول في الجامعات والاستمرار . أولا يكون معهم التحصيل العلمي اللازم

للدخول في الجامعات . فيضطر هؤلاء وأولئك الى البقاء مدة بغير استفادة ، مع اتخاب ادارات البعثات المصرية والمفوضيات والقنصليات في اعانتهم ونصيحتهم وكتابة الخطابات عنهم الى وزارة المعارف للتصرف في شأنهم . كما أن الطلبة الفقراء يشغلون أنفسهم بارسال خطابات للامراء ووزارة الاوقاف وكبار الاغنياء يستجدون مهوتهم ونادر جدا جدا أن يجاب ملتئمهم . ويلاحظ أيضا ان طلبة مرضى بهلل باطنية أو وقتية يأتون الى أوروبا فيزدادون ضعفا وبعضهم يموت أو يعود ضعيفا هزلا . لهذا نلفت نظر الطلبة وأولياء أمورهم الى عدم الذهاب الى الخارج من غير مال كاف وصحة وافية والا كان الذهاب مضيعا لآخلاقهم ومستقبلهم . لأنه ليس للاجنبي في أوروبا كرامة أو فائدة الا اذا كان معه المال وليس الحال هناك كالحالة في مصر اذ يستطيع الاجنبي المعدم أن يشتغل ويعيش بسهولة لا يجدها المصري نفسه . وذلك لأسباب معروفة ليس هنا محل لبيانها

زرت جامعة لوزان وهي في قلب مدينة لوزان نفسها بسويسرة . وقد فتحت هذه الجامعة سنة ١٥٣٧ وكانت تدرس علم اللاهوت فقط . ويلاحظ ان جامعات أوروبا قديمة في انشائها وانها كانت معاهد دينية ثم تطورت الى أن صارت جامعات مدنية . ولأن الازهر دارج النهضة الفكرية في مصر لكان هو اليوم الجامعة المصرية نفسها ولما احتجنا الآن لانشاء جامعة للعلوم المدنية ولما احتجنا لمشروعات اصلاحية للازهر تارة تعتبر متطرفة وطورا تعتبر مجحفة بالدين . حتى صار الازهر في حالة تذبذب فلا يعرف أهو صاعد أم هابط بينهما كل شئ يتطور الى الخير أو الى الشر . في سنة ١٥٤٩ عرفت جامعة لوزان باسم «الأكاديمية» الى سنة ١٥٨٧ وكانت في البناء المخصص الآن لكليتي الآداب والحقوق . واستمرت الأكاديمية الى عام ١٧٣٨ وفي المدة التي سبقت ذلك جرت تعديلات كبيرة في نظامها ليس للمقام متسما لبيانها . بعد ذلك قسمت الأكاديمية الى ثلاث كليات : كلية اللاهوت . وثانية للحقوق . وثالثة للآداب والعلوم . ووسعت دراسة التاريخ وأضيفت أساتذة جدد لتعليم الجغرافيا والآداب الالمانية والنبات والفسيولوجيا والهندسة الوصفية . وفتحت فصول حرة للخارجين أما جامعة لوزان كما هي اليوم فقد أنشئت بأمر عال في ١٠ مايو سنة ١٨٩٠ عدل بقانون في ١٥ مايو سنة ١٩١٦ . وقد ترك هذا القانون للجامعة تحديد عدد كراسي الأساتذة وأنواع الدراسات . على أن الجامعة تشمل ١ - كلية اللاهوت البرونستاتي ٢ - كلية الحقوق ٣ - كلية الطب ٤ - كلية الآداب ٥ - كلية العلوم . وقد أضيف الى كلية الحقوق مدرسة العلوم الاجتماعية والسياسية . ومدرسة الدراسات التجارية العليا . ومعهد البوليس العلمي .

وتنقسم كلية العلوم الى قسم العلوم الحسابة والطبيعية ومدرسة الصيدلة ومدرسة المهندسين ويبلغ عدد أساتذة الجامعة الآن ١٢٩

وقد أنشئت كلية الآداب في سنة ١٨٩٥ وقد جعل بها فصول صيفية للطلبة الأجانب وهي على الأخص لاتقان اللغة الفرنسية وتستمر الفصول ستة أسابيع في يوليو وأغسطس . وتعطى شهادة للطلبة المستمعين المواطنين

والجامعة جمعية عمومية من جميع الأساتذة . وهي تهيئ رئيسها الذي يكون مديرا للجامعة مدة سنتين ويختار عادة المدير بالدور بين عميدي الكليات . ولكل كلية مجلس مؤلف من الأساتذة الذين يختارون العميد لمدة سنتين . والمدارس الملحقة بالكليات رئيس يسمى مدير كمدير مدرسة الهندسة ومدرسة العلوم السياسية والجامعة شخص معنوى ومديرها يمثلها أمام جميع الهيئات والمحاكم

زرت مدير جامعة لوزان مسيو موريس باشو . وهو عالم رياضى كبير متواضع في مستهل العقد الخامس من حياته قابلنى في الجامعة خصيصا مع أنه كان في أجازة . وسألته أسئلة كثيرة . منها سؤال عن شروط دخول الطلبة الأجانب

فأجاب : أن شروط الدخول في جامعة لوزان بالنسبة للطلبة الأجانب هي نفس الشروط اللازم توفرها في الطلبة السويسريين . أما الطلبة الأجانب الذين لم يتلقوا تعليما جامعيًا منظمًا مثل تعليم جامعتنا يجب أن يمضوا امتحان دخول خاص

س : كيف يختار المدرسون لمنصب الاستاذية ؟

ج : اذا خلا كرسي استاذ بالجامعة فان مجلس الدولة (هنا مجلس المقاطعة) يختار أستاذًا خلفًا من الاشخاص المعروفين بمؤلفات ممتازة . أو تلقوا تعليمًا فائقًا في المادة التي كان يدرسها الاستاذ السابق

س : من الذي يتولى الاتفاق على الجامعة ؟

ج : تقوم الحكومة بالاتفاق على الجامعة . على أن للجامعة ايرادها الذي يبلغ حوالى مائة ألف فرنك في السنة

س : ما درجة اقبال اقبال المصريين على جامعتكم وماهى المواد التي يفضلونها وما أحوالهم ؟

ج : مئدسين مضت والطلبة المصريون يدخلون جامعتنا . وهم على الخصوص يدرسون الطب والقانون أو يدخلون مدرسة الهندسة . وقد كونوا من بينهم جمعية منهم . وهم على العموم من خيار الطلبة . ويميل عددهم الى الازدياد عاما بعد عام . ويبلغون الآن نحو الثلاثين طالبا انتهى

﴿ فوائد التعليم الاجبارى ﴾

جاء بحريدة الاهرام في يوم الأحد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٩ مانصه

(١) كان توماس جفرسون ، من أشهر رؤساء جمهورية ولايات أميركا المتحدة السابقين ولها بالتعليم العالى حتى انه كتب على قبره بعد وفاته انه أبو جامعة فرجينيا . وقد أراد أن يتحداه يوما كبار رجال التعليم فسألوه عن التعليم الأولى ، فأجاب :

لوجبرنا على أن نختار أهون الشرين ، إلغاء التعليم الاولى . أو ابطال التعليم العالى في الكليات والجامعات لتخبرنا الثانى بغير تردد . نخير لنا أن يكون مجموع افراد الامة . رجالها ونسائها مامين بالقراءة والكتابة . مستعيرين قليلا . من أن نحصر العلوم العالمة في فئة قليلة . ونخلق من خريجي الجامعات أقلية من افراد أرستقراطيين . ومن أشد الأحوال خطورة أن نترك سواد الأمة جاهلا كالذباب وتنقف طبقة غنية ثقيفا عاليا ، كماهى الحال في بعض بلدان أوروبا (في ذلك الحين) ان كل أمة تنشد الديموقراطية والنجاح قبل إلغاء الامية . تعرض ذاتها للمصائب عظيمة وتجعل بلادها مهزلة بين الدول

(٢) ولما وضع التعليم الاولى على بساط البحث والمناقشة . في مؤتمر التعليم الدولي الذي عقد في فندق كارلتون ببارك في جنيف هذا العام (عقب مغادرة جلالة الملك فؤاد للفندق ببضعة أيام) ، نهض رئيس المؤتمر دكتور مزو . من فطاحل رجال التعليم . ومنظم مدارس الصين واليابان وجزائر الفلبين . وقال ان بلدان الشرق جميعها أشد اهتماما بالتعليمين الثانوى والعالى منها بالاولى . وقد أدى هذا الخطأ البين الى نشوة طبقة من المتعلمين الذين تولوا الزعامة في تلك البلاد . بين شعب أغليته الساحقة تترغ في حجة الجهالة وأكثريته تقتله الامية . ولايشك أحد في أن استغلال هذه الفئة الصغيرة للأكثرية . واتخاذها اياها طعمته . من أكبر الاسباب في تأخر الشرق وانحطاطه . والآن لنسمع الانسة النابغة كلمة قالتها آنسة فاضلة . ولعل أقوال النساء أشد وقعًا في نفسها من أقوال الرجال . في مؤتمر الاتحاد العالمى للتربية الذي عقد أيضا في جنيف عقب المؤتمر . سابق الذكر . ألفت الدكتورة مرغرنا كامبس الاسبانيولية . خطابا ضافيا عن الامية والمحافظة على القوانين ادلت فيه بارقام ناطقة عن البلدان التي يزداد فيها ارتكاب الجرائم بنفسية الامية . وأشارت الى هولندا

والدائيرك والسويد والزويج التي انهدمت فيها الامية منذ عهد بهيد . وما تبع ذلك من القضاء على الجرائم لدرجة أن في كثير من ولاياتها لم تنهقد محاكم الجنايات فيها منذ خمس وعشرين سنة فضلا عن استتباب السلام والهدوء والسكينة . مما يحدو بالزائر أن يعتقد أن سكان تلك الممالك أقرب الى الملائكة منهم الى بني الانسان

(٣) وخطب في الاجتماع عينه دكتور هرمن ليو المندوب الصيني عن الامية والتفاهم بين الأمم . وتلاه دكتور ريان الاميركي فبحث في موضوع الامية وتأثيرها في الكساد الاقتصادي وابان أن تعليم الجمهور القراءة والكتابة أنجع الوسائل لتحسين الحالة الاقتصادية . وبرهن على أن كثرة الاميين في الامة تؤثر في المتعلمين من افرادها . لأن وجود طائفة صغيرة من أهل الثقافة بين طغمة من الجهال يحط من قيمتهم ويقتل معلوماتهم ولا يقوى فيهم الدفاع للنشاط والعمل

(٤) وقال خطيب آخر ان المدرسة القروية ينبغي أن تكون مركز الحياة الاجتماعية والادبية في القرية . كما ينبغي أن يكون معلموها زعماء القرية يرشدون الاهالي الى تحسين معيشتهم من جميع الوجوه . كرفع مستوى الصحة والاخلاق . والزراعة والصناعة . وجعل المدرسة في غير أوقات الدراسة قاعة كبيرة لاجتماع أهالي القرية للبحث في شؤونهم الاجتماعية والصحية وسماع النصائح والارشادات . والمحاضرات أحيانا

(٥) وقد شاهدت بين مندوبي المؤتمر الذي أقيمت فيه هذه الكلمات دكتور منصور فهمي . وكان بين الحضور أيضا الأنسة سفيه غزى ناطرة مدرسة المعلمات الراقية ببولاق . والاستاذ مرسى قنديل ناظر مدرسة سوهاج الثانوية . مندوبين عن مصر . وياحبذا لو ذكرنا للقراء شيئا عما فاني قدوينه من هذه الاقوال وقد فاني أن أذكر أن مندوبا هندية أراد أن يدافع عن بني جنسه الذين تغلب فيهم الامية . فأغرق في الدفاع واسترسل فيه الى حد أنه خيل الى الاذهان أنه يحبذ الامية ولا يرحب بالتعليم الاجباري فاحتد عليه الرئيس وحنق السامعون . وقد مثل الدور عينه في مؤتمر ثالث واسع النطاق لم يكن لي حظ حضوره في الدائيرك . كما علمت من أحد الاساتذة المندوبين عن وزارة المعارف بمصر . تقول الأنسة من انني أريد نشر التعليم بلا قيد ولا شرط (تقصد التعليم الاجباري طبعها) فذكرني قولها بكلام وزير معارف روسيا الذي أصدر سنة ١٨٢٤ منشورا يقول فيه . « العلم نافع فقط اذا كان كالمح الطعام . يؤخذ منه كميات قليلة جدا . فاذا زاد التعليم وكثر التنوير انقلب الى ضده . لأن تعليم القراءة والكتابة للجميع خطر على السولة

(٦) وقد فات الوزير المحترم أن الاستعارة تعوزها الدقة والضبط . لأن الملح في الطعام ينبغي أن يؤخذ حقيقة بمقادير صغيرة . ولكن هذا لا يفهم منه أن عشرة في المائة من الناس يستعملون الملح وتسعين في المائة لا يتدققونه أبدا . فيفسد طعامهم . ولكن المرحوم الوزير كان يعيش في أرائل القرن التاسع عشر فهو معذور . امانحن فقد أوشكنا أن نبدأ الثلث الثاني من القرن العشرين . فاعذرنا ؟ (اقرأ التعليم في روسيا قديما لمؤلفه دار لنجنتون)

(٧) كان غليوم الثاني امبراطور المانيا السابق يكره التعليم الاولي رغم انتشاره في بلاده . وكان من أقواله المأثورة « ان الديمقراطية في التعليم مخالفة لأوامر الله ومناقضة لمبادئ الدين والمسيحية » واليوم أصبحت ألمانيا بعده ديموقراطية في السياسة والاجتماع . في التعليم والعمل والحياة بجميع مناحيها انتهى

وهنا لابد من إتمام هذا المقام ببيان أن كل امرئ يوضع فيما استعد له فأقول : « لا ريب أن الله عز وجل ما خلق أمة إلا ولها نظام خاص سواء أجهلوه أم علموه . وهذا النظام لأشك أنه يكفل سعادتهم في الدارين ، ألا ترى أن عدد النساء والرجال يكاد يكون متساويا فقس عليه جميع ما يحتاجه الناس في حكمتهم وصناعاتهم فان بحثوا وجدوا في ذريتهم كل ما ينفعهم كما وجد كل رجل امرأة . وقد سهل الله الذكورة والانوثة

فعرفها الناس وسكنه ستر الفرائز والأخلاق السكامة لنبعث عنها بأنفسنا . وليعلم الناس قاطبة مسلمين وغير مسلمين ان نظام أهل الأرض الآن ناقص نقصا فاحشا فان جميع الأمم لم تستكمل استخراج المواهب العقلية والامتناع المادية فيجب البحث في استعداد التلاميذ مع تعميم التعليم ولتتجهن كل تلميذ امتحانا خاصا وليوضع فيما خلق له حتى ينفع أمته . ويجب أن لا يراعى إلا الاستعداد فابن النجار والحجار ربما صلح لإدارة المجموع أوللفلسفة أوللطب . وابن الغنى والأمير ربما لا يصلح إلا للامور الصناعية . فليوضع كل في مركزه ثم لتخصص كل أمة فيما استعنت له . وهذا المقام قد استوفاه كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ الذي ألفتته ونشرته منذ عشرين سنة . انتهى الكلام على اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض -)

قد تقدم في التفسير اللفظي بعض عجائب الينابيع :

(١) اعلم أن في جوف الأرض مياهها دلت عليها الينابيع العذبة التي تخرج من قعر البحر في كثير من محال مشهورة بذلك

(٢) وأيضا تنقذ مياه من جبال النيران عند ثورانها

(٣) كذلك الحفر المعدنية تفيض المياه من داخلها

(٤) إن بعض الأنهار تفيض ولا ترجع بعد ذلك أصلا فأين ذهب ماؤها ؟ لاشك أنه حبس في باطن الأرض

(٥) الأرض قد تبتلع جبلا وتظهر بحيرة عظيمة في محل ذلك الجبل فأين كان الماء إذن ؟ إنه كان في باطن الأرض

(٦) الآبار الارتوازية التي حول (مودينه) وغيرها من البلاد

﴿ الماء معلق فوق رؤوسنا أيضا ﴾

فنه السحب والضباب ويكون نلجا لا يتحرك فيتوج رؤوس الجبال الشاخنة ويغشى جوانبها وأكنافها المنحدرة ويشكلها بأشكال لازوردية شفافه . هذه جملة مخازن لانقذ فتكون دائما مددا للينابيع والعيون والنهيرات والأنهار

﴿ أسباب الينابيع ﴾

(١) الأتار الجوية المائية

(٢) ذوبان الجليد والثلج

(٣) رشح المياه

(٤) فعل القنوات الشعرية الأرضية

(٥) جرى المياه جهة الأجزاء المنخفضة من الأرض

ويوجد في معظم المحال أحواض صغيرة متفرقة منعزلة عن بعضها تأتي إليها من جوانبها مياه الأراضي القريبة لها في قنوات صغيرة تحت الأرض . فإذا قاضت عليها تلك المياه أرسلتها في قناة واحدة متصلة بحافة من حوافها تذهب بها الى ماشاء الله . وربما لا يكون هناك حوض وإنما يخرج من الصخرة تيار مختلف حجمه بدون أن يعرف أصله . وهذان التياران يسميان بالينابيع والعيون . وهذه الينابيع اختلافها عظيم

جدا ولذلك تسمى بحسب ما يحدث فيها فيقال ينابيع حارّة أو باردة وطبيعية ومعدنية ومحللة وماصة ومحبجرة ومقطعة ودورية وحقطة وقابضة وغير ذلك . وقد اشتغل الكيماويون والطبيعيون والأطباء بدراساتها ومشاهدتها وتحليلها واستنبطوا منها وسائل نفيسة لشفاء الأمراض المختلفة والمسلمون ناعمون . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

(في قوله تعالى - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون -)

قال ابن عمر رضي الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - قلنا كيف نختصم ودينا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت بأنها فينا نزلت . وروى مثله عن أبي سعيد الخدريّ ولكنه ذكر يوم حنين . وقال إبراهيم مثل ذلك في مقتل عثمان

هذا ماورد عن الصحابة . ومعنى هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يظنون أن المسلمين تنطبق عليهم هذه الخصومة فلما رأوا ما نزل بهم عرفوا أنهم يختصمون أي كما يختصم أهل الديانات المختلفة . فكما يختصم المسلمون وأهل الكتاب يختصم الحزبان المتشاجران من المسلمين . هذا هو الذي قالوه . وانظر كيف حالنا اليوم

حكم الصحابة الذين هم أعلم بكتاب الله منا بأن المسلمين يختصمون عند ربهم يوم القيامة . لماذا يختصمون ؟ لأنهم اختلفوا . واهمري إن هذا شيء يسير بالنسبة لما وقعنا فيه . اختلف المسلمون ومات بعضهم وتولى الحكم بنو أمية فإذا حصل ؟ ارتقى الاسلام ولم يسلط على المسلمين غيرهم وملكوا الأمم شرقا وغربا وانما هو نزاع قام باجتهاد فيما بينهم وكل له حجة والله هو الذي يفصل بينهم . أما نحن فواحدنا غلبنا الفرنجة فياليت الأمر كان قاصرا على عداوة بعضنا لبعض بل الأمر أعظم من ذلك جدا . اننا اختلفنا حتى خضعنا جميعا لغيرنا ، فإذا اختصم الصدر الأول عند الله فكيف تكون حالنا نحن والفرنجة يحوسون خلالنا ويمنعون العلم عنا ويعثون في بلادنا الفساد والضلال والخلاعة والنسوق ويهلكون الحرث والنسل ، أتدري لم ذلك ؟ ومن المسؤول ؟ المسؤول هم العلماء والملوك والأذكىاء ، سيقتف العلماء بين يدي الجبار والعامة والملوك وسائر الرؤساء فيقول لهم : « أعطيتكم أرض مصر واليمن والشام وبلاد الأناضول وبعض بلاد الهند والصين وبعض الجزائر وبعض أفريقية وقلت لكم إن أرضي واسعة فأياي فاعبدون . أيها المسلمون : فإذا صنعتكم تركتم جبالى فلم تدرسوا ما فيها ، وبحارى فلم تعرفوا عجائبها ، وأرضي فلم تستوعبوا منافعها . فيقول العامة : ياربنا ان علماءنا قالوا لنا هذه علوم الدنيا لا علوم الدين وقالوا لنا كماكم أن تعرفوا ما بنى عليه الاسلام واكتفوا بعلم الفقه ، فيسأل العلماء فيقولون هكذا قال من قبلنا ، ويسأل الملوك فيقولون هكذا علمنا العلماء فيقول الله لهم : لقد أهنتكم في الدنيا بدخول الأجانب في بلادكم وسأعاقبكم على تفریطكم . أنحتجون بعلم النخه وقد نص فقهاؤكم أن العلوم كلها فروض كفاليات والعقاب على تركها شامل للأفراد والجماعات . ألم يكن لكم عقول تفقهون بها ؟ ألم يكن لكم أعين وأسماع وأبصار ؟ أظنتم أني أقول - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض - لا كتفي منكم في ذلك برؤية النظر . وإذا كان النظر البصري كافيا فأى فرق بين الانسان والحيوان وبين العالم والجاهل . إذن يكون نظرا الخليل في ملكوت السموات والأرض كنظر العامة وهذا غير معقول »

« أيها المسلمون : أسطيتكم أرضي وأتيت لكم سمائي فلم تنظروا ولم تفكروا وقلتم بل ننبع ما وجدنا عليه آباءنا . ألم أقل - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم

من دونه من واب - هـ

هذا ما يقال لمن مضى من بعض الملوك والعلماء . فأما في المستقبل القريب فلا سلام شأن غريب وأمر عجيب وسعادة وأى سعادة - ولنعلم نبأه بعد حين - وبهذا نتم الكلام على القسم الثاني من السورة

﴿ تذكرة ﴾

اعلم أن هذه اللطائف الخمس كنت كتبتها أيام الكتابة العامة لهذا التفسير . ولكن أثناء طبع هذه السورة قد فتح الله عز وجل بجائب وبدائع وحكم جميلة في هذه الآيات وما بعدها . ولما كنت معتادا أن أكتب ما يستجد من الفتح رأيت أن أكتب لطائف أخرى أجل وأبدع لهذه الآيات السابقة وما بعدها بعد تمام تفسير السورة قريبا فتدبره اهـ

﴿ القسم الثالث ﴾

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِ لَكُمُ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الْأُسُوفُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ أَيْهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبُنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ

أَبْأَبْهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَسَيَقَى الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

دعا رسول الله ﷺ الناس الى دين الاسلام فقال بعض المشركين قد زيننا وقتلنا واتهمنا الحرمات فاذا أسامنا فكيف يغفر الله لنا ومن هؤلاء وحشى فانه قال إن من قتل أوزنى أو أشرك يلقى أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله . وأيضا عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المشركين أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتنوا . وأيضا قال ابن عمر كنا نقول : « ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة » فلما نزل ولا تبطلوا أعمالكم وقد فسرت المبطل بالكبائر والفواحش فن أصاب شيئا من ذلك كنا نقول هلك فلما نزلت هذه الآية استبشر بها الجميع فأسلم وحشى وعياش بن أبي ربيعة ومن معه وكفت الصحابة رضى الله عنهم عن اليأس من صاحب الكبيرة بل استبدلوا اليأس بالخوف عليه . والآية هي (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) أى تجاوزوا الحد بارتكاب الكبائر (لا تقنطوا من رحمة الله) لا تيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا (إن الله يغفر الذنوب جميعا) بالتوبة فان لم تكن فبالتعذيب فى الآخرة وذلك للمسلم ويغفرها بمجرد الاسلام لمن أسلم من الكفار (إنه هو الغفور الرحيم) ولما كان خيرا الأمرين : وهما التوبة والتعذيب فى الآخرة : أو لهما أردفه بقوله (وأنيبوا الى ربكم) أى توبوا اليه (وأسأموه) أخلصوا له العمل (من قبل أن يأتكم العذاب ثم لا تنصرون) إن لم تتوبوا ، ولما كان ظاهر الآية المتقدم ربما يجعل بعض النفوس تغتر بظاهاها أردفه بما يوجب الاحتراس فى مثل هذا المقام وعدم الاتكلى ، فالدين وإن كان واسعا قد حدد الله فيه لكل امرئ درجة ، فاذا أبلح لنا أن نأكل ما نشتهي من أنواع اللذات فليس معنى هذا أن يقساوى المنغمس فى الحلال المرتطم فى لذاته المباحة ومن هو منفق للمال متصدق به خادم للجميع بل الأول أشبه بالحيوان وأقرب للأعنام وكونه مسلما لا يمنع من نقص درجته ، ان الأول لا يذكر بجانب الثانى ومع ذلك فهو فى رحمة الله الذى وسع فى ملكه السكاب والخنزير والتمل والنحل وما أشبهها مع الانسان فى الأرض بل ذلك يعد كمالا فى ملكه لأن الملاك الذى خلا من الناقص ناقص ، فما مثل المسلمين يوم القيامة إلا كمثل تلاميذ المدرسة فيهم السابق واللاحق والضعيف . وليس انتساب الضعيف البليد الى المدرسة بمانع من رسوبه فى الامتحان واعتباره متأخرا . كلا . بل قال الله تعالى - وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا - فأى نسبة بين درجات التلاميذ بالمدرسة ودرجات المؤمنين يوم القيامة . وكفالك هذا المثال ايضا حال الرجل المقصر فى المسلمين ولذلك حض الله على الأخذ بالأحسن فقال : لا تتكلموا على المغفرة وتعدوا كاسلين بل اجتهدوا

وسابقوا الى الخيرات (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) فاذا سمعتم المغفرة فلا يحملك ذلك على الاتسكال لأن هذا يقعد بهمكم وينزلكم أسفل الدرجات وغيركم يطير الى المعالي . فقد يكون المسلم في أسفل الجنة وبعض عبيده أو خدمه أو المساكين من قريته قد طاروا الى العلالى أو نظروا وجه ربهم . فلا تهاونوا في عمل الصالحات فضلا عن التوبة والاخلاص (من قبل أن يأتكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) بمجيئه فتتداركون بادروا الى العمل واحذروا (أن تقول نفس) أى بعض الأنفس وهى نفس الكافر (ياحسرقى على ما فرطت في جنب الله) أى قصرت في جانبه أى في حقه وطاعته فالجنب كناية فيه مبالغة * قال الشاعر

أما تتقين الله في جنب وامق * له كبء حرى عليك تقطع

(وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها (أوتقول لو أن الله هدىنى) أرشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المنقين) الشرك والمعاصى (أوتقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل فرد الله عليه قائلا (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) أى قلت ليست من الله وتكبرت عن الايمان بها الخ (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) زعموا أن له ولدا أو شريكا أو قالوا الأشياء الينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى) منزل (للتكبرين * وينجى الله الذين اتقوا) الشرك والمعاصى (بمفازتهم) بفلاحهم وبالطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة . ثم بين المفازة فقال (لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون * الله خالق كل شئ) من خير وشر وإيمان وكفر (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف فيه (له مقاليد السموات والأرض) أى مفاتيح خزائنها واحدها مقلاد أو مقلد ومن ملك مقاليد الخزائن تصرف فيها كما يشاء فهو كناية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) مقابل قوله - وينجى الله الذين اتقوا - (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأصرونى أعبد) أى أجهلت فغير الله أعبد بأمركم بهذا البيان . فتأصرونى جملة اعتراضية (أيها الجاهلون) بالتوحيد ثم هدد الله المشركين موجهها الخطاب لرسوله ﷺ فقال (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الذى عملته قبل الشرك أى أوحينا اليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك لئن أشركوا ليحبطن عملهم . وقوله (ولتكونن من الخاسرين) معطوف على جواب القسم الساد مسد جواب الشرط (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به (وكن من الشاكرين) إنعامه عليك (وما قدروا الله حق قدره) وقرى بالتشديد أى ما قدروا عظمتهم فى أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) أى والأرضون حال كونهن مجتمعات مع عظمتن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته يوم القيامة كأنها يقبضها قبضة بكف واحد والسموات مطويات بقدرته ، والقصد التنبيه على عظمتهم وكمال قدرته وحقارة كل فعل عظيم بالنسبة الى قدرته والدلالة على أن تخريب العالم أهون شئ عليه (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمتهم عن اشراكهم (ونفخ فى الصور) المرة الأولى (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض) خروا مغشيا عليهم (إلا من شاء الله) كجبريل ، وميكائيل ، واسرافيل ، وملك الموت ، وحلة العرش أو نحوهم (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام) قائمون من قبورهم (ينظرون) يقلبون أبصارهم كالمهوتين (وأشرقت الأرض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يشارون فى نوره كما لا يشارون فى الشمس فى اليوم الصحو (ورضع الكتاب) أى كتاب الأعمال أو اللوح المحفوظ الذى فيه جميع أعمال الخلق (وجيء بالنبيين والشهداء) الذين يشهدون للأهم وعليهم من الملائكة والمؤمنين (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما وعدوا به (ووفيت كل نفس

ماتت) جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلا يفوته شيء من أفعالهم . ثم أخذ يفصل ذلك فقال (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) أفواجا متفرقة بعضها في أثر بعض (حتى إذا جاؤها فتمتحت أبوابها) ليدخلوها (وقال لهم خزنتها) توبيخا (ألم يأتيكم رسل منكم) من نوعكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى كلمة الله بالعذاب علينا وهى الحكم عليهم بالشقاوة (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) والمخصوص بالذم جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) أى سيقت صراكبهم كالوفود إلى الملوك (حتى إذا جاؤها وفتح أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) فزتم ونجوتهم وطهرتم وصلحتهم (فادخلوها خالدين) وجواب إذا تقديره دخلوها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الأرض) مكننا مما استقرنا عليه نتصرف فيه تصرف الوارثين فيما ورثوه (نتبوا من الجنة حيث نشاء) أى ينزل كل منا فى أى مقام أراد من جنته الواسعة (فنعلم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محديقين (من حول العرش) أى حوله (يسبحون) حال من الضمير فى حافين (بحمد ربهم) ملتبسين بحمده أى ذاكرين له بوصف الجلال والاکرام تلذذا به ، ذلك للدلالة على أن أقصى درجات السعادات الاستغراق فى صفات الحق (وقضى بينهم بالحق) أى بين الخلق فبعضهم يدخل النار وبعضهم الجنة وبين الملائكة باقامتهم فى منازلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون والملائكة . انتهى التفسير اللفظى

﴿ لطائف القسم الثالث من السورة ﴾

- (١) فى قوله تعالى - إن الله يغفر الذنوب جميعا - الخ
- (٢) فى قوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره - الخ
- (٣) فى قوله تعالى - وأشرقت الأرض بنور ربها - الخ
- (٤) فى قوله تعالى - وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(فى قوله تعالى - إن الله يغفر الذنوب جميعا -)

هذه الآية للتنبيه على أنه لا يجوز للعاصى أن يظن أنه لا مخلص له من العذاب فان ذلك قنوط من رحمة الله وهو من الكبائر ، وكذلك من آمن مكر الله ، فكل من تاب غفر الله له ومن لم يتب فأمره لله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(فى قوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه -) فى حديث رواد البخارى ومسلم عن ابن مسعود قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله يضع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك وقال - وما قدروا الله حق قدره - الآية . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون -)

فيه ذكر النور والكتاب والقضاء بالقسط والشهداء ، وجاء في الحديث أنه يتجلى الرب على خلقه فما يضارون في نوره كما لا يضارون في الشمس في اليوم الصحو
كل ذلك راجع الى ظهور الحقائق وتبيان كل شئ والعدل التام بالميزان العدل ، ولعمري إن ما ذكر من ذلك في عالم الآخرة هو الذي يشاهده العقلاء والحكماء في الدنيا ، وهل هناك فرق بين عالم وأبين الدنيا والآخرة من حيث النظام والاشراق ، الأرض تشرق بنور ربها يوم القيامة وأرضنا اليوم وسمواتنا مشرقة بنور الرب ولكن ذلك النور وذلك العدل اليوم محجوب بحجاب غليظ عن أعين أكثر الناس ، إن أكثر الناس اليوم ممنوعون عن الوقوف على الحقائق لأن هذا هو نظام هذه الدنيا ونظامها أن من فيها يكونون ضعاف البصائر فإذا تجلى الله لهم في عالم بعد هذا أدركوا أن كل أفعاله موزونة ، وهل لك أيها الذكي أن أذكر لك قلا من كل من ذلك الاشراق الذي تجلى به الله في هذه الدنيا على المفكرين وحجبه عن أكثر الغافلين لما يرون من موت وحياة ، ومرض وصحة ، وغنى وفقير وظلم وعدل ، وتفاوت في الأرزاق والأعمال والآجال والأخلاق والأجسام ، والرفعة والضعفة ، والعز والذل ، وما أشبه ذلك ، فإذا أشرق البصائر أدركت الحقائق فظهرت للبصرين ، وفي هذا المقام جواهر :

(١) — ﴿ الجوهرة الأولى : عدل الله في عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ﴾

انظر الى عالم الحيوان والنبات ، قد تقدم أن النبات يحتاج الى مقدار كبير من الكربون لغذائه وتقوية أعضائه فلذلك يأخذ من الهواء حامض الكربونيك وهو مركب من الكربون والاكسوجين فيحمله في بنيته تحليلاً تاماً ويأخذ الكربون أى المادة الفحمية لنفسه ويخرج الاكسوجين الى الهواء ، ثم ان الهواء يأخذ ذلك الاكسوجين فيوصله الى الحيوان فيستنشقه ويدور في الدورة الدموية فيصلحها ويخرج الحامض الكربونيك الى الهواء ، فالحيوان يركب في جسمه الحامض الكربونيك ويدفعه الى الهواء والنبات يتقبله فيحمله ويرجع الى الهواء الاكسوجين ، ويطلق العالم (بروفيار) أن مقدار ما يخرج به النبات من الاكسوجين يستد ما يحتاج اليه الحيوان تماماً ، فانظر للعدل ، وانظر للنظام ، ألا ترى أن نظام النبات والحيوان قد قام بالعدل أوليس هذا هو نور الله المشرق ؟ يراه المفكرون ويحجب عنه الغافلون

يقرأ الناس - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وإذا امتحنوا طالباً أعطوه مسائل من العلوم فتجيب أجاب فيها عرفوا انه عالم بتلك العلوم ، ويجالس الرجل عالماً فيعرف من حديثه مقدار علمه ونحن وان كنا لم نطلع من العلوم إلا على مقدار صغير مما تحتمله عقولنا في الأرض ندرك من هذا المثال ومن أمثاله مقدار العدل والنظام التام الذي نعيش فيه ، نعيش في الدنيا فنرى اننا لانحيا إلا مع النبات والحيوان وننظر فنجد اننا لو كنا نحن والحيوان في الأرض وليس معنا نبات وكان لنا رزق آخر غير النبات لم يستقم العيش على الأرض ، لماذا ؟ لأنه لا نبات يحلل الكربون الذي يخرج من تنفسنا ويتركبكم جيلاً بعد جيل فيفسد الهواء ويموت الأحياء ، فبالعدل والنظام وجود النبات وتحليله لذلك الكربون وإرساله ما كان مركباً معه من الاكسوجين الى الهواء أمكن أن نعيش فوق الأرض

أيها الذكي : كم من متعلم علم الطبيعة وهو يمر على هذا صرّ النسيم على الحصباء أو الصرصر على الفضاء . يقرأ كثير من الناس العلوم ولا ينظرون نظرة عامة . فالعلوم في عقولهم أشبه بالأدوات المستحضرة لبناء البيت

من لبن وطين وخشب وحجر ثم لا يجمع بينها ولا يرى لها صورة جميلة في نفسه منقوشة على صفحات قلبه يزدان بها فؤاده . ذلك مثل أكثر المتعلمين

(٢) — ﴿ الجوهرة الثانية : العدل بين البر والبحر في النبات والحيوان ﴾

يرى الناس فوق الأرض حدائق وأعشاباً وبساتين وأعشاباً ونباتات ألفافاً وزهراً باهراً وجمالاً ظاهراً ومعجبات عجايباً . ينظرون البحر فلا يرون إلا ماء أجاباً وأمواجاً ثقلاً لانبثاق فيه ولاشجر ولا حدائق ذات ثمر . لكن بعد التأمل والبحث يرى في البحر كما في البر حقول ومزارع ونضرات وأشجار باسقات عجيبات . ولأذكر لك منها الجزائر المرجانية لترى العدل قائماً بين الماء والتراب والبحر والبر

لوانك ذهبت الى المحيط الهندي الى المحيط الهادى (الباسفيكى) لرأيت هناك شجيرات المرجان الحية ذات الأغصان والفروع مغبرة أو مصفرة تسرى الناظرين أوجراء كالقرفل أو زرقاء كالزمرد تتلاعب بها الأمواج وهى لطيفة المزاج لسنة الأعطاف ثم لا تلبث بعد حين أن تبرز من اجتماعها جزائر مستديرة الشكل كأنها شكل الخاتم أو شكل الحلقة وهى مكونة من تلك الأشجار اللينة الأعطاف التى تراكت وصلت وصارت صخوراً مرجانية يبلغ محيطها فراسخ كثيرة . وترى ماء المحيط ينكسر على جوانبها البيضاء البهجة المناظر السارة للناظرين . منظرها عجيب وأمرها غريب تجذب قلوب الشعراء وتخلب لب الحكماء . وترى هناك أمرين بديهيين : أمر ماء البحر المتلاطم الأمواج المتكسر على شواطئ جزيرة المرجان وهى زرقاء سوداء لفرط عمقها وأمر الحوض الذى هو وسط الجزيرة الذى يضرب مأوه الصافى الى الصفرة والخضرة معاً . ماء المحيط متقلب يرتفع وينخفض . وماء تلك الجزيرة راكد فى وسطها ساكن . وهذه الجزيرة تملأ ارتفاعها عن الماء وسواحلها مكسوّة بنخيل الكوكو (الشكولاته) والمرجان الذى تبنى منه الشطوط المرجانية لا يعيش على أعماق من (٢٥) قامه . وما أكثر هذه الجزائر . فمنها مجموع جزائر تبلغ (١٠٠٠٠٠) مائة ألف جزيرة مرجانية ومنها مجموعة تبلغ (١٠٠٠) ألف جزيرة . وهى جزائر متناسبة الارتفاع . فالأولى هى المسماة (بلاكاديف) والثانية هى المسماة (ملاديف)

فانظر كيف اعتدل الأمر بين البر والبحر فكان نبات فى البر ونبات فى البحر ولكن لا تظن من قولنا نبات اننا نقول ان المرجان نبات . كلا . انه حيوانات كثيرة صغيرة منتظمة فى حال واحدة معاً تكون على هيئة الأغصان والأوراق والأزهار وهى حيوانات باجتماعها أشبهت هيئة النبات

(٣) — ﴿ الجوهرة الثالثة : العدل فى خلقه العيون وعدمها وهو من نور الله فى أرضنا ﴾

معلوم أن العين خلقت لمنفعة الحيوان ، ولا حيوان إلا وهو محتاج الى العيون ، ولكن ظهرت أن من الحيوان ما تكون العين بالنسبة له حلاً ثقلاً ولا ثمرة لها عنده ، ذلك أنواع من السمك تعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة والقامة مقياس مقداره ستة أقدام . وتسمى هذه بالحيوانات القارارية . فضاء الشمس معدوم عندها لأنه لا يصل إلا الى عمق (٢٠٠) مائتى قامة وما تحت ذلك فهو ظلام حالك . ولذلك لا يرى أثر للعيون فى كثير من فصائلها . ومن السمك السرطان نوع يكون له عيون وهو عائش قرب سطح الماء . فإذا عمق مسكنه وصار ما بين (١٠٠) قامة و (٤٠٠) قامة من السطح فقد عينيه وقد يبق له منهما موضع الأثر . وما يعيش منه على بعد (٥٠٠) قامة الى سبعمائة قامة يعدم الآلة البصرية

فانظر الى العيون كيف عذمت عند عدم الحاجة اليها إذ لا ضوء تبصر به وكيف ظهرت فى الحيوان عند اقترابه من ضوء الشمس وعذمت عند عدم الضوء — إن ربك حكيم عليم —

(٤) — ﴿ الجوهرة الرابعة : السمك ذو المصباح ﴾

وهل أتاك أيها الذكى نبأ السمك الذى يعيش فى قرار البحار فى الظلام الخالك الذى لا تصله الشمس

وهو مع ذلك ذوعينين كاملتين عجيبتين تلمتين . فانظر كيف يبصر بهما ولا ضوء هناك . وقد قلنا إن الضوء لا يعدو مائتي قامة فكيف وهو في أبعاد الأغوار ولا ضياء هناك . فانظر كيف أبدع الله لذلك الحيوان ما أبدعه لنا على هذه الأرض . ألم تر أننا في ظلمة الليل نوقد المصابيح السكهربائية والزيتية والشمعية وما أشبه ذلك أعطانا الله ذلك لغرض إذا احتيجنا إلى الضياء ونكف عن الاستضاءة إذا أردنا النوم والسكون فيكون الضوء تحت إرادتنا بأفعالنا . أما في النهار فالضوء عام بغير إرادتنا . فانظر ماذا فعل الله مع ذلك الحيوان ! أعطاه عضوا يشع سراجا وهاجا بحيث يكون أمام عينيه ليكشف به الفريسة . ويظهر ذلك النور أمام عدوه المفاجئ له ليهره بالنور ثم يطفئه أسرع من البرق . فهذا السمك يستعمل النور بحكمة يكشف به الفريسة ويطفئه إذا هاجه العدو وقد جعل له أمام عينيه ما ينعكس الضوء بمقياس خاص . فانظر كيف أعطى الله السمك المقتنص العيون والضوء الذي تحت إرادته ليكشف القنينة ولولا ذلك لم يقدر أن يعيش إذ حياته بالصيد ولا صيد مع العمى والظلام . وكيف منع العيون عن غير هذا النوع لأنه ليس في حاجة لذلك لأن رزقه متوافر لديه حاضر عنده والا لأعطى العيون والضياء . والضوء هناك والعيون يشبهان بما أعطى السبع من البرائن والأنياب المحددة والقوة العظيمة حتى يقدر على الصيد . وقد علمت في هذا التفسير أن الحيوانات المفترسة في البر والبحر رحمة لحفظ البر والبحر من التعفن بالرغم التي تموت فيكون الوباء العام كما أوضحناه مرارا في هذا التفسير

بهذا فلنفهم قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها - فهذا نوع من اشراق الأرض بنور الله ولا يدرك هذا النور وهو العدل والنظام في هذه الدنيا إلا قليل وأكثر الناس عن هذا الجبل معرضون فيا ليت شعري كيف يكون كتابنا هذا مقتضاه ونرى المسلم لا يقرأ علم التوحيد إلا على نمط مبهم غامض . ألا ترى كيف يجعل بحثه قاصرا على نحو « ان العالم حادث وكل حادث لابد له من محدث » وهكذا وهو مغمض العين عن هذا الجلال بعيد عن هذا المنال . يقول الله - وأشرق الأرض بنور ربها - ويقول - إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح - والمسلمون وحدهم أكثرهم يغمضون العيون عن هذا المنظر الجليل البهيج فهذا هو الاشراق النوري في الأرض وهو نظير الاشراق يوم القيامة في عالم الأرواح . وإذا أشرقَت الدنيا على هذا النمط وقد أدرك هذا الاشراق حكماء الانسان . ومعلوم أن عالم الأرواح أصفى وأبهج وأعدل فهناك فليكن العدل والعلم . وكلما كانت الأرواح أصفى وأبقى بالعلم والتهذيب والأخلاق كانت إلى الوقوف على الحقائق أقرب وبالعلم تعرج إلى العلالي والمعارج . ولا معنى للعروج إلا زيادة انكشاف الحقائق . وكل من كان في الدنيا أكثر علما وشوقا له كان في الآخرة أسرع وصولا وتحقيقا وعروجا . وهذا هو :

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين -)

في هذه الآية ذكر الملائكة وانهم جافون حول العرش وانهم يسبحون وأن التسبيح ملتبس بحمد الله وانهم في مراتبهم التي يستحقونها هم والمؤمنون وغيرهم ، وأن المؤمنين والملائكة يقولون الحمد لله رب العالمين وسيأتي في سورة حم المؤمن وهي ﴿سورة غافر﴾ أي في أولها أن الذين يحملون العرش والحافين حوله وهم السكروبيون يسبحون مع حذر بهم وأن أرجلهم في الأرض السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وجميع الملائكة يغدون ويروحون بالسلام عليهم إلى آخر ما سيأتي ، فذكر في هذا المقام هؤلاء الذين هم سادات الملائكة وهم المدبرون لهذا العالم من عرشه لفرشه ، ذلك لأن معنى اختراقهم

للعرش ووصول أرجلهم للفرش الاحاطة بالعوالم كلها وتدبيرا بأمر ربهم ، ومعنى كون الملائكة تسلم عليهم انهم يتلقون الأوامر عنهم فرجع الأمر كله الى العلم والعمل . وهذا هو الذى أوجب ذكرهم هنا للناسبة ، ألا ترى أن ما قبلها فيه أن الأرض أشرقت بنور ربها وأن القضاء عدل وأن أهل الجنة سيقيمون اليها وفتحت أبوابها لهم وسلم الملائكة عليهم وحمدوا الله إذ أورثهم أرض الجنة ، فهنا حمدان : حمد المؤمنين لما دخلوا الجنة فقالوا - الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض - الخ فهذا حمد على شيئين : صدق الوعد . وميراث أرض الجنة . وحمد الملائكة بحمدون الله حمدا ليس خاصا بأمر يرجع الى أنفسهم أو صدق الوعد معهم . كلا . بل هو حمد على تربية العالم كله علويه وسفليه . وهذا الحمد أعلى . ولذلك ترى أهل الجنة الذين حمدهم مقيد ينظرون الى الملائكة الحافين حول العرش وقد أنزلوا مراتبهم وحمدوا محمدا عالية شريفة يجلس أهل الجنة فى الجنة ويرون الملائكة حافين من حول العرش الخ . حال الملائكة أرقى من حال أهل الجنة لأنهم مديرون للعالم وأهل الجنة فى ركن منه وهى الجنة ، والعالم الروحى أرقى من العالم الجثمانى وأجل فلذلك عبر بلفظ ترى إشارة الى رفعة شأنهم وكأن الناس ينظرون اليهم نظرا لاحترام إن درجة الملائكة قبل درجة أولى العلم فى قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط - . فأهل الجنة من العامة والعلماء بعد الملائكة فلذلك كان حمدهم واجعا للنظام العام . وكما كان الانسان فى الدنيا أغزر علما بجمال هذا العالم كان أسرع رقيا فى درجات الآخرة وأقرب الى الملائكة . فلأقرب لله إلامن حيث ازدياد العلم والانكشاف والحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن ﴾

(فى آخر سورة ص وأول سورة الزمر)

من قوله تعالى - ما كان لى من علم بالملا الأعلى - الى قوله - فأنى تصرفون - سبحانه اللهم وبحمدك . تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . أنت الذى أنعمت بنعمة العلم والعرفان وشرحت صدورنا ويسرت لنا ظهور بعض الحقائق العامة التى أغفلت عنها أئمة وأمم تبين لى أن أئمة الاسلام المستقبل قد أذن لها أن تعرف من العلم ما لا يعرفه كثير من سبقها بعد العصور الثلاثة الأولى . إن حقائق العوالم والأسرار الكامنة فى القرآن كانت تكشف لأفراد فيكتمونها وجوبا ويموتون وإذا كتبوا عنها فإن ذلك كان تحت ستار . أما اليوم فانى أرى أن الحقائق ستعجل للآئمة المستقبلية الاسلامية الذين سيكونون خير أمة أخرجت للناس كما كان الصحابة والتابعون وتابعوهم - خير أمة أخرجت للناس - ونظرة فى المحاور الآتية تبين مغزى ما قلته الآن

فى يوم السبت (٦) أغسطس سنة ١٩٣٠ حضر لى صديقى الذى يباحثنى فى هذا التفسير فقال : إن آخر سورة ص وأول سورة الزمر فهما مشكلات حيرت عقلى وأدهشت لى ! إن هذا التفسير قد تجلت فيه حقائق كثيرة ولكن أكثر الحيرة والشك ترجع الى ما يأتى :

(١) الله عظم الانسان إذ أمر الملائكة الأرضية بالسجود له - فقهوا له ساجدين -

(٢) وإذ خلق السموات والأرض ، وكوّر الليل والنهار ، وسخر الشمس والقمر

(٣) أنزل له من الأنعام ثمانية أزواج الخ

ولكنه أداه بما يأتى :

(١) أباح لإبليس أن يغوى أكثر ذريته

(٢) وحكم على ذرية آدم أن يكونوا مع إبليس وذريته فى جهنم ويملأوها من القرابين

(٣) ثم إنه في الرحم يكون في ظلمات ثلاث

فهو في الرحم في ظلمات ، وإذا خرج إلى الأرض يكون تحت سلطة الشياطين ، وإذا مات دخل أكثر
 بنى آدم جهنم . إذن هذه ظلمات متواليات : في الرحم ، وفي الحياة ، وبعد الموت . فالظلمات متتاليات على
 هذا الإنسان . ظلمات جسمية في الرحم ، وظلمات عقلية بالوسوسة فوق الأرض ، وظلمات جهنمية بعد الموت
 فهذه أمور مشكلات وإذا قرأنا ما تخلل هذه الظلمات وجدنا رحمة واسعة إذ جاء فيما بين السورتين « بسم
 الله الرحمن الرحيم » وهي آية من السورة ، فذكر الرحمة هنا مشكاة . وكيف تذكر الرحمة هنا والمقام فيه
 الرحمة والغضب فهل تسليط إبليس على ذرية آدم وادخالهم جهنم يناسب الرحمة المذكورة في أول السورة ؟
 هذه مشا كل علمية لم تحلها العقول قديما إلا رمزا وما السبيل لحلها ؟ فقلت الحمد لله . إن بيانك الذي
 أردت به إيضاح الاشكال أفادني حقيقة الجواب . فقال وكيف ذلك ؟ فقلت لأوضح لك المقام إيضاحا تاما .
 أنت ذكرت أن هذه الآيات فيها أن بنى آدم في ظلمات الرحم . وانهم تحت سلطان الشياطين في الدنيا وهم
 معهم في جهنم وأن هذا كله يناقض الرحمة . هذا ملخص إشكالك . فقال نعم . فقلت : وماذا تقول إذا علمت
 أن الله لو لم يفعل ذلك لم يكن رحيمًا بنا وأن تسليط إبليس وظلمات الرحم الثلاث كلها نعمة لانقمة وما نظنه
 في بادئ الرأي نقمة هو في حقيقته نعمة لكن بعد الدرس والعلم والله جلّ أن يعطي النعمة لمن لا يستحقها
 وهل يستحق إدراك الحقائق إلا الدارسون . أنا سأسمعك الحقيقة اليوم ناصحة واضحة وهل يفهمها إلا العارفون
 أويدركها إلا المفكرون الذين درسوا من كل فن طرفا . فقال : لقد شوقني إلى الجواب وأدراك حقيقة
 هذه الأسرار . فقلت : انظر رعاك الله إلى الطفل في بطن أمه كما ذكرته أنت . انه وضع في الحجب الثلاث :
 في الرحم محافظة عليه كما هو معلوم للناس قاطبة فلوانه تعرض للشمس لم يعيش بل لو ظهر للهواء مجردا من ضوءها
 لم يعيش . فإله عز وجل لم يمنعه من نعيم الهواء وضوء الشمس ضنا بالنعمة واذلالا وانما منعه ذلك رحمة
 ورأفة وتحننا فلاحظ هذه الرحمة ولولا هذا لم يترب في بطن أمه . وأنا موقن أنك ما ذكرت هذا في الاعتراض
 إلا لأنك جعلته ضرب مثل للظلمات العقلية التي سببها إغواء الشياطين للإنسان والافأنت تعلم وجيع العقلاء
 يعلمون أن هذه الظلمات في الرحم نعمة . فالذي دعاك لذكرها انما هو التنبيه على أن هذه الحجب تذكرنا
 بالحجب العقلية التي نعثر به بعد خروجه إلى الأرض وهو يعيش مع الناس . قال حقا هو كذلك . فقلت : وماذا
 تقول إذا قلت لك ان ما جعلته أنت ضرب مثل لاذلال رأيته أنا ضرب مثل للأنعام . فقال : أنا لم أفهم
 ما قصد فأرجو إيضاحه . فقلت : إن الله حجب الجنين في الرحم في ظلمات ثلاث وقد اتفق العقلاء أن هذا
 رحمة لانقمة ، ذلك لأن الجنين لا يقدر أن يقابل ضوء الشمس ولا الهواء طبعه الضعيف فأنت انتهزت هذه الفرصة
 وجعلتها أشبه بضرب مثل لما سيلحقه من الظلمات ، وأنا أوضح لك الآن أن هذه ضرب مثل لما سيلحقه
 من النعم . إن هذا الجنين المحجوب بالظلمات الثلاث رحمة به إذا خرج إلى الأرض حجب بنحو (١٦)
 ظلمة جسمية محافظة على حياته ورحمة به ، وما يقرب من مائة ظلمة عقلية محافظة على عقله والا لاختل نظام
 تفكيره ، فاذا رأينا الجنين حفظ بهذه الظلمات الثلاث في الرحم فالرجل يحفظ من اهلاك الجسمي بظلمات
 تبلغ (١٦) ومن اهلاك العقلي بظلمات تبلغ نحو المائة ، وكما أن الجنين لو تعرض للهواء لاحتراقه ، هكذا الطفل
 والمراهق والبالغ والشيخ إن كان جوا الأرض ليس فيه طبقات من الغبار والذرات التي تحجب ضوء الشمس
 وتطفئه وتخففه ثم تكون سبب انتشاره لكانت الحياة لا تطاق ، فأنواع الغبار والدخان الخارجات من الأرض
 المعتمات لهذا الجو ما هي إلا حجب لأبصارنا وهذه الحجب لولاها لم نطق الحياة على الأرض ولم ينتظم ضوء
 الشمس حين وقوعه على الأرض ولم يكن عندنا فجر ولاصبح ولاوقت فيه شفق بل تطلع الشمس وتغرب
 فجأة ويكون ضوءها شديدا دائما فلا تطيق العيون رؤية قرص الشمس صباحا ولا مساء ويكون الضوء فجائيا

والظلام فجائيا . فهذه الحجب والظلمات في الجوّ نسبتها الى حياتنا على الأرض كنسبة الظلمات الثلاث للجنيين ومثل ما قلنا في ظلمات الجوّ النافعات في انتشار الضوء الموزعات له على الكرة الأرضية المصلحات لحال أهل الأرض نقول في وساوس الشيطان . وما وساوس الشيطان إلا أمثال ما نراه من تهافت الذباب على طعامنا وشرابنا مع اننا نأكل العسل الذي نشأ من خلايا النحل . فنسبة وسوسة الشياطين الى عقولنا من حيث انها تصدنا عن الاطلاع على الحقائق فجأة ونحن لانطيقها كنسبة ظلمات الجوّ البالغة (١٦) ظلمة من حيث انها تخفف ضوء الشمس الواصل الى عيوننا بحيث يقلّ في أكثر النهار عما يمكن أن يصل اليها فوق ألف مرّة . إذن ضوء الشمس لا بد أن يخفّ بحجب حين يصل لنا والعلوم والمعارف التي يتجلى الله بها على عقولنا اذا لم تحجبها الوساوس الشيطانية التي استعدت لها نفوسنا بشهواتنا وأخلاقنا الأرضية فانها تكون سببا في إهلاك أرواحنا لأنها لاتقدر أن تتحمل جميع الحقائق دفعة واحدة كما لاتتحمل عيوننا ضوء الشمس من غير أن يطفئ بظلمات الجوّ وكما لاتتحمل الجنين أن يعيش إلا في ظلمات تقيه

أنا أقول هذا وأنا أصبحت موقنا به إيقانا تاما . وهذا هو اليقين الذي أعلنه لأهل الأرض قاطبة ولك أنت أولا . فقل لهم جميعا إن الله أذن باظهار الحقائق

إن مافي الأرض من الأخلاق الفاسدة واغواء الشياطين الأرضية . كل ذلك رحمة لأنه لولاه لم تتحمل العقول شمس المعارف العلمية التي تستعد لها النفوس الأرضية بفطرتها . وكما أن الطعام الذي كثرت مادة الغذاء فيه كاللبن واللحم والبيض اذا داوم اصرؤ عليه فان عاقبته تكون هلاكا له غالبا لأن هذه المواد الممتلئة أغذية اذا وردت على الجسم أخذت تهجم على الحويصلات هجوما شديدا فتظهر القوة وحسن الشكل وجرة الخد ورواق الجسم ثم لا يلبث الجسم أن يصل لاحدى نتيجتين : إما أن يكون قويا فتخرج له بشور وتظهر أمراض بها تخرج تلك العلل . واما أن يكون ضعيفا فلا يقدر على ذلك التصريف بالأمراض فيفاجئه الموت بكرة أو عشيا

هذا ما تقدّم في هذا التفسير مرارا وتكرارا عن علماء الطب في العصر الحاضر . أقول : كما ان الطعام هذا شأنه هكذا العلوم والمعارف فهي أغذية للروح وللروح استعداد خاص كما للجسم . فكما أن الأغذية اللبنية واللحمية والبيضية قد يكون فيها خطر على الأجسام كما تقدّم هكذا العلوم التي تصل للعقل فجأة نهلك الروح . وكما أن الأغذية النباتية ونحوها (وفيها أغذية غير مركزة بل هي داخلية في ضمن مواد أخرى) تدخل على الحويصلات الجسمية بلطف فلا تزعجها هكذا المعارف والعلوم اذا وصلت الى الأرواح والعقول شيئا فشيئا تدريجا تكون مقبولة ولا تضر فيها ، وكما أن الشمس يظهر نورها على جميع الأرض وقد خفت بالغبار في الجوّ هكذا الأنوار الإلهية التي يرسلها الى عقولنا لا بد من تخفيفها حتى تتحملها عقولنا ، وأول حجبنا أجسامنا فهي ظلماتية ثم شهواتنا وأنواع شرورنا التي تحيط بنا احاطة الغبار والدخان في جوّنا بعيوننا ، وكما أن الغبار والدخان ظاهرهما عذاب وباطنهما رحمة ، هكذا وسوسة الشياطين التي لاتكون إلا تبعا لشهواتنا هي نعمة باطنا نقمة ظاهرا ، وأضرب لك مثلا : لقد ظهر في أمريكا غلام منذ نحو (٢٠) سنة فأكثر دخل المدرسة وأخذ يتعلم الحساب فما مضت نصف سنة وهو لم يبلغ سبع سنين حتى فاق أباه في العلوم الرياضية كلها وأتى بحساب مجهولونه فانهم كلما قالوا له : اجمع الطرح الضرب القسمة اللوغارتم المعادلات الجبرية يقول لهم أنا أعرفه وكان أبوه رئيس الكلية فطلبوا علماء الطب من أقطار الأرض فبعثوه وقالوا جميعا إن هذا الغلام قصير الأجل لأن عقله أكبر من جسمه وهذا الجسم لا يتحمل هذا العقل وقد مات وسنه (١٣) سنة ، وقد ظهر كثير أمثاله على هذا النمط ، فهؤلاء جاؤا الى الأرض ليوقفونا الى أمثال هذه الحكم ولنعرف أن حياتنا كما أن فيها ذبابا وحيات وعقارب لا يذاتنا فيها نحمل ودود قز وأنعام لاسعادنا ، وأن النقيضين لا بد منهما ، وأن النعم التي

لا تقيم معها مجهولة مكفورة بها والصد يكون سبباً في ظهور ضده . وأنا أيها الصديق أرى أني قد استوفيت هذا المقام وأنا أجد الله جديداً كثيراً ولعلك قد اكتفيت بما سمعت . فقال : أما هذا البيان فلم أسمعه في حياتي منك ولا من سواك ولكني لا أترك القول يمرّ بلا فهم ببعض ما تقدم . ماهي الظلمات التي في جوفنا ؟ وكيف تقول إن الغبار والدخان تصنعان حجباً في الجوّ تبلغ (١٦) حجبا ؟ وكيف تقول إن ضوء الشمس يكون أقلّ فوق ألف مرّة ، كل هذه أغاز لا تحلّ إلا بالايضاح . فقلت يا صاح وهل يوضح هذا إلا العلوم . فقال أي علوم ؟ فقلت علوم الطبيعة والفلك . فقال أحب أن تشرح المقام شرحاً وافياً لنفرح بالعلم ونسعد بالحكمة فقلت : اعلم أن الجاهل يعيش ويموت ولا يحظ له من هذا الوجود ، أما الحكيم وأما العالم فإنه هو يرى أن هذه الدار أشبه بالقصور المسحورة فإن مشاهدته أشدّ غرابة من مشاهد دور الصور المتحركة التي تمثل فيها الوقائع الحربية والطبيعية وغيرهما فشاهد الدنيا مملوءة بالأحوال الغريبة

(١) فانظر إلى الكواكب ليلاً والشمس في وسط السماء فانك تراها قريبة منا ، ثم انظر إلى الشمس عند الشروق وعند الغروب فانك تجدها بعيدة عنا وهذا عجب كيف تبعد الشمس في الشروق والغروب وتقرب وقت الزوال ؟ أليست الأرض تدور حول الشمس في دائرة منتظمة وبعدها من جميع الجهات متعدي في اليوم الواحد فهل تبعد عند الصباح وتقرب وقت الظهر ؟ إذن ليست تجرى في دائرة بل في خطوط منكسرة ولا قائل به

(٢) ثم انظر إلى الشمس صباحاً فاننا نقدر أن ننظرها بأبصارنا مع بعدها ، وانظر إليها وقت الظهر فاننا لا نستطيع النظر إليها مع قربها منا في رأي العين وكثرة الضوء

(٣) ثم إن النجوم الثوابت تراها قريبة منا والشمس تراها بعيدة صباحاً ومساءً كما تقدم مع أن الشمس بيننا وبينها بسير النور (٨) دقائق و (١٨) ثانية ، وبيننا وبين الكواكب آلاف وملايين السنين بسير الضوء ، فكيف كانت هذه المشاهد ساحرة لعقولنا غريبة الأطوار عجيبة الأحوال

هذه هي الغرائب الساحرة المحيطة بنا وهذا لا يفهم إلا بالنظر في علم انكسار الضوء من علم الطبيعة أولاً وبالنظر في علم الفلك من حيث ضوء الشمس وانتشاره على الأرض ثانياً ، وقبل ذلك نشرح علم الهواء . إذن هنا « ثلاثة فصول : الفصل الأول » في شرح الهواء « الفصل الثاني » في انكسار الضوء في علم الطبيعة « الفصل الثالث » في آثار ذلك الانكسار في علم الفلك . فقد جاء في كتاب الاصول الوافية في علم القسموغرافيا لأستاذنا المرحوم حسني بك

﴿ الفصل الأول في علم الهواء ﴾

تحاط الأرض من جميع الجهات بغاز ضروري لوجودنا وعلى أي ارتفاع يرتقي إليه يوجد الهواء دائماً لكن من المحقق أن هذا الهواء لا يمتد إلى غير نهاية في الفراغ بل يكون حولنا طبقة تسمى جوّاً . ويتكوّن من الجوّ والكرة الأرضية جسم واحد لأنها تجذبها إليها ويشاركها في جميع حركاتها

ويظهر أن تركيب الجوّ ثابت في جميع الأقطار وفي جميع الارتفاعات وهو مخلوط من الأكسجين والازوت بنسبة ٨٠ و ٢٠ حجم من الأكسجين إلى ٧٩ و ٢٠ من الازوت وبنسبة ثقل قدره ٢٣ جزءاً من الأكسجين إلى ٧٧ من الازوت . ويحتوي خلاف ذلك على بخار الماء وأثر من حمض الكربونيك

وللجوّ جميع خواص الغازات . ومرونته وكثافته يتناقصان كلما ارتفع الإنسان وذلك لأن الهواء جسم ثقيل كباقي الغازات وعليه يجب أن تكون الطبقات السفلى أكثر كثافة وأكثر انضغاطاً من الطبقات العليا التي تحمل ثقلها وبالاقترب من نهاية الجوّ يجب مقابلة طبقات خفيفة للغاية وقليلة المرونة جداً

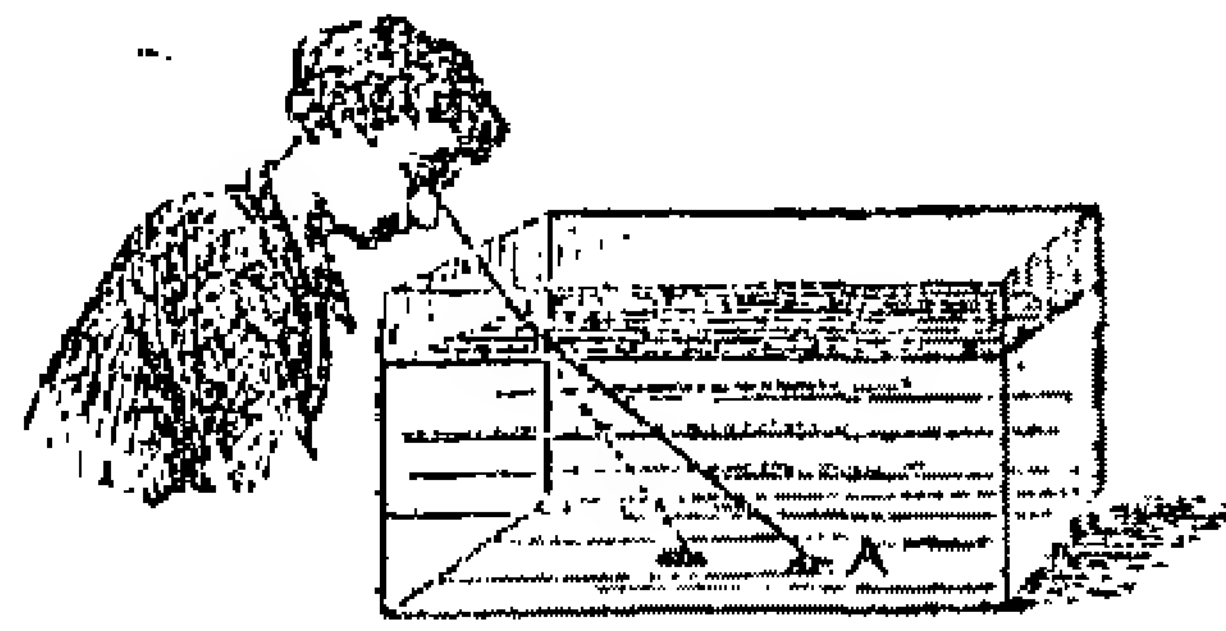
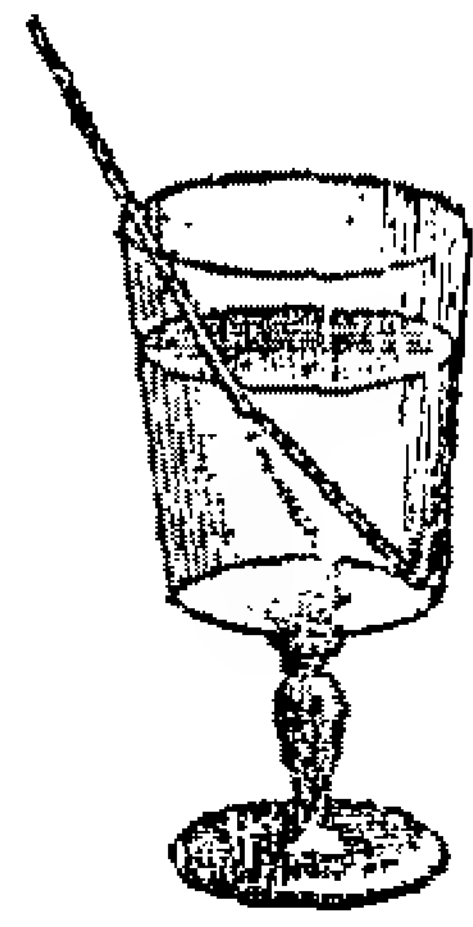
وحارة الطبقات الجوية تنقص بقدر ١° في كل ١٥٠ متراً أو ٢٠٠ متراً من الارتفاع لغاية ٧٠٠٠ متراً

- (١) فالارتفاع يقرب من (٤٨) كيلومترا
 - (٢) والتركيب من الاوزوت والاكسوجين : الأول (٧٧) جزأ والثاني (٢٣) وثقله (٥٨٥) ألف مكعب من النحاس كل مكعب ضاعه كيلومتر
 - (٣) وحرارته تنقص درجة في كل (١٥٠) مترا أو (٢٠٠) وهذا يستمر الى (٧٠٠٠) مترا وبعدها تصبح الحرارة (٦٠) درجة
 - (٤) وطبقة الهواء فوق الأرض أكتشف من الطبقة البعيدة عنها (١٦) مرة
 - (٥) وضوء الشمس في الأفق أقل منه في السميت (١٣٥) مرة
 - (٦) والضوء الآتي من الكواكب القريبة من الأفق أضعف جدا من الضوء الآتي من الكواكب التي تقرب من سميت الرأس فتكون الأولى أبعد عنا من الثانية
 - (٧) وعليه تظهر قبة السماء منحنية
 - (٨) والهواء الجوى هو السبب في انتشار الأضواء صباحا ومساء
 - (٩) ولولا الهواء لم تكن السماء إلا سوداء نهرا وترى النجوم ظهرا
 - (١٠) ولولاه لا تنقل الناس فجأة من الظلام الى النور وبالعكس
- فلنخص هذا الفصل عشر مسائل ، ولكن الكلام على انتشار الضوء هو الذي نحتاج الى الكلام عليه في الفصل الثاني

الفصل الثاني في الكلام على انتشار الضوء من علم الطبيعة

هنا قال صاحبي أريد شرح انكسار الضوء شرحا سهلا بسيطا يفهمه الجاهل والعالم . فقلت : اعلم أن الامور البسيطة هي أصول الامور العظيمة ، ضع عصا في إناء فيه ماء وانظر ألتست تراه أشبه بالمنكسر . فقال أي ور بي . فقلت : هذا هو الانكسار ، فهذه المسألة البسيطة هي أصل الانكسار المذكور في علم الفلك وأصل الصباح والمساء وانتشار النور على الأرض . فقال هذه أمور لاتزال تحتاج الى البيان . فقلت : إذن أريك ذلك عملا فأسمعك ما جاء في كتاب « العلوم الطبيعية » للعلامة (بول برت) الاستاذ في السربون ووزير المعارف العامة بفرنسا الذي ترجمته الى الانجليزية زوجته ، وقد ترجمت هذا الفصل من ذلك الكتاب فقد جاء تحت هذا العنوان « انتشار الضوء » ما يأتي :

« انظر . أنا الآن معي زجاجة مملوءة ماء وقد وضعت في الماء عودا من القش (انظر شكل ٦)



(شكل ٦)

تجربة (ا)

(عود صغير من القش يظهر للعين انه مكسور في الماء وهذا هو انكسار الضوء)

تجربة (ب)

(إن الشعاع الضوئي في الماء انكسر وصار سببا في أن قطعة النقد أخذت تظهر عند النقطة (ا))

إن العود يظهر في تجربة (ا) كأنه مكسور وهو يقرب في نظر العين من الأفق عند دخوله في الماء . ولا جرم أنك عالم

ليس بالظن أن العود لم ينكسر ولكنك قلما تقدر أن تحافظ على إحساسك من انخداعه بهذا الانكسار وهذه هي التجربة الأولى (التجربة الثانية) (ب) وهو صندوق من القصدير وقد وضعت في أسفله قطعة من النقود وهي (الپس) . تعال يا جيمس وقف حتى تنظرا بعد طرف من قطعة من النقود أمامك . وهأنذا الآن أخذت في صب الماء في الصندوق قليلا قليلا بلطف خيفة أن تنقل قطعة النقد من مكانها . أخبرني ما الذي شاهدته ؟ فأجاب أنا شاهد قطعة النقد بحسب الظاهر ترتفع وتتحرك إلى جهة (ا) وإنما حصل ذلك لأن أشعة الضوء من قطعة النقد تنعطف وتنثني كما انثنت وانعطفت قطعة العود من القش قليلا فيما سبق هذا معنى انكسار الضوء . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني الذي أتيت به من علم الطبيعة مع إيضاحه والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث في آثار ذلك الانكسار في علم الفلك

أنت أيها الذكي لاحظت العود وهو في الماء وشاهدت أنه في رأي العين قد انكسر والحقيقة أن الانكسار إنما هو في الضوء لأنه متى دخل من جسم أظف إلى جسم أكثف حصل له هذا الانكسار وهذه الظاهرة أصبحت مفهومة ، ولكن هل يدور بخلد الأطفال إذ يضعون الأعواد في الماء ويرونها قد انكسرت ويضحكون من ذلك ويعجبون ، إن هذه المسألة هي أعظم رجة أنزلها الله إلى الأرض كما سأوضح لك وما هذا العود في الماء المتقدم وانكسار الضوء فيه بالنسبة لانكسار ضوء الشمس في الجو عند ملاقاته الطبقات المعتمة إلا كنسبة الهواء المنطلق في المنزل بهيئة رياح عند إيقاد النار فيه فيرتفع الهواء فيحل محله هواء آخر من خارج الباب ، فهذه الظاهرة الصغيرة الهوائية في المنزل هي بعينها التي تحصل في خط الاستواء وغاية الأمر أن الشمس تستبدل بالنار هنا ، فالشمس تلح بحرارتها على الهواء فيخف فيرتفع فتأتي الرياح من الشمال والجنوب فتحل محل الهواء الذي ارتفع فهكذا نقول هنا ، فإذا رأينا العود لما وضعناه في الماء انعكس في الاناء وظهر لنا أنه مكسور فهذا عينه هو المسمى انكسار الضوء

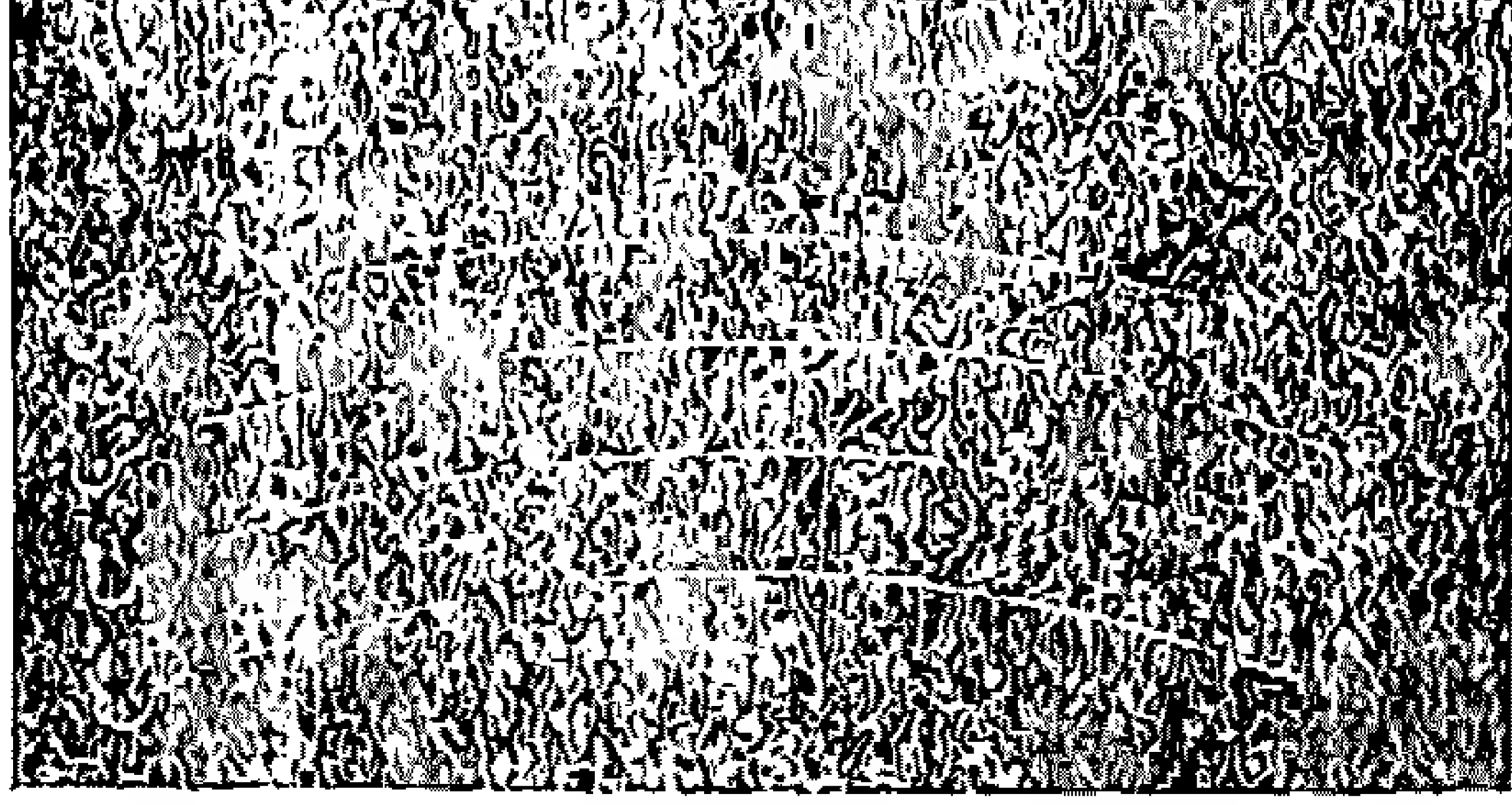
فإذا رأيت الأرض قد زانها ضوء الصباح قبل طواع الشمس وزانها الضوء بعد غروب الشمس . وإذا رأيت البلاد الشمالية بعد درجة (٦٦) حين يكون الليل أسبوعا أو شهرا أو شهرين فانك ترى البلاد هناك مستضيئة ضوءا بديعا جيلا يفوق في سناه كل جمال وهذا الضوء يبقى بعض أيام أو أسابيع لأن الشمس اذا غربت هناك فانها لا تزال تحت الأفق قريبا من سطح الأرض وهي تدور دورة رحوية . فاسعاد هؤلاء بذلك الضوء الجليل الذي يريهم الطارق الثلجية الجميلة وتكون إذ ذاك حركة البيع والشراء متسعة وتكون بحارهم جامدة يمرّون على مائتها بأنفسهم ودوابهم

فياليت شعري من أين جاءت لهم هذه النعم كلها ! جاءت بسبب انكسار الضوء اذا جاء من الجو اللطيف إلى الجو الكثيف على وجه الأرض . فالكثافة في الجو كانت أعظم نعمة على الانسان والحيوان وبسببها كان انكسار الضوء فانتشر في الآفاق ، وهاك إيضاح هذا المقام مما جاء في كتاب « الاصول الوافية » في علم القسموغرافيا المتقدم تحت الآتي وهذا نصه :

(انكسار الضوء)

يمتد الضوء على خط مستقيم في وسط متجانس لكن عند ما يقابل شعاع ضوئي السطح الفاصل بين وسطين في اتجاه مائل فانه يزوغ ويسمى هذا الزوغان انكسارا ، واذا مد عمود على السطح الفاصل بين وسطين من النقطة التي ينكسر فيها الشعاع الساقط فان هذا العمود والشعاع يهيئان مستويا يسمى مستوى السقوط ، وعوضا عن أن يستمر الضوء في طريقه على خط مستقيم يزوغ ويقرب الشعاع الضوئي المنكسر أو يبعد عن العمود بدون أن يخرج عن مستوى السقوط فيقرب من العمود اذا حصل المرور من طبقة هوائية إلى أخرى

أَكثَفَ منها ويبعد في الحالة العكسية
إذا تقرر هذا يمكن قبول أن الجوِّ مركب من طبقات متعددة المركز كشافتها تأخذ في النقص كلما بعدت
عن سطح الأرض ولتكن (س وس وس) السطوح الفاصلة بين هذه الطبقات المختلفة (انظر شكل ٧)



(شكل ٧)

فالشعاع الضوئي الآتي في الاتجاه (ل م) يقرب من العمود بدخوله في الطبقة (س س) ويتبع الاتجاه من
مثلا وفي (ن) يعتبره زوجان جديد ويتبع الاتجاه (ن ق) في الطبقة (س س) وأخيرا يزوغ في (ق)
ويتبع الاتجاه (ق و) داخل الطبقة (س س) بحيث إن الراصد الموجود في (و) يرى الشيء في الاتجاه
(ول) وفي الحقيقة لا يتبع الضوء خطا منكسرا بل خطا منحنيا لأن كثافة طبقات الهواء تأخذ في الازدياد
بدرجة غير محسوسة ، والراصد يرى الشيء المضيء (ل) في اتجاه المماس في (و) لخط السير المنحني وصورة
الكوكب أو وضعه الظاهري لا يدل حينئذ على وضعه الحقيقي وبالنسبة للراصد يكون الارتفاع الظاهري
للكوكب فوق الأفق أكبر من الارتفاع الحقيقي وتلك هي الظاهرة المسماة بانكسار الضوء وجميع الكواكب
توجد بهذه المثابة في غير مواضعها . وحيث أن الخطأ يكون أعظم كلما كانت الطبقات المقطوعة أكثر كثافة
وأكثر ميلا بالنسبة للأشعة الضوئية فلا يكون الانكسار واحدا للارتفاعات المختلفة . انتهى الكلام على
الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

﴿ نتيجة هذه الفصول الثلاثة ﴾

إن الانسان في الظلمات الثلاث وهو جنين : في بطن الأم وفي الرحم وفي المشيمة قد جعلت هذه رحمة
وصيانة له كما أنعم عليه وصين بما ملئ به جوفنا من الغبار والدخان اللذين كانا سببا في انكسار الضوء فأمكننا
أن ننظر نور الشمس وقرصها بأعيننا صباحا ومساء وانقشروا نور الصباح والمساء وأشرق الضوء نهارا على أقطار
المسكونة . كل ذلك بسبب ذلك الغبار المتخلل طبقات الهواء التي أصبحت أشبه بزجاجة نضعها على أعيننا
فنتحمل رؤية الضوء وبها نرى الشمس وقت الصبح أكبر منها وقت الظهر لأن الغبار فوق سطح الأرض
أكثر منه في أعلى الجو ، وكل ذلك بسبب انكسار الضوء ، وما هذا الانكسار الضوئي إلا نتيجة الطبقات
المعتمة التي ظاهرها انها نقمة وباطنها نعمة إذ بدون ذلك لانهنا لنا الحياة إذ لا انتشار للضوء فلا منفعة في الحياة
ومثل هذا يقال في وساوس الشيطان التي لا تكون إلا في قلوب أشربت حب الشهوات وأنواع الشرور
فتكون مأوى للنفوس الشريرة التي فارقت الدنيا وآلت من الجن ، فهذه الوساوس إنما تجول في قلوب
استعدت لها كما استعدت عين الأرمم القدرولوج الذباب بها سواء بسواء

فاذا ساعدت الملائكة الانسان بانماء الزرع وحفظ العوالم ، فهذا من نتائج سجودها لآدم المذكور في
آخر ﴿ سورة ص ﴾ كما نرى دود القز والنحل والخيل والبغال والحمير والطيور آكلات البود كلها مساعدات

لنا على هذه الحياة ، واذا رأينا الشياطين يوسوسون للناس فانهم لم يفعلوا شيئاً أكثر مما فعلت فينا الاسود والنمور والحيوانات الذرية المحدثات للطواعين في الأرض . فكما نحارب حيوانات الطاعون بهلومنا وأعمالنا هكذا نحارب وساوس الشيطان بما عرفنا من العلوم وبالحد

إن حياتنا على الأرض نفسها نعمة كبرى لولاها لم نعقل هذه العوالم المحيطة بنا ولقد عرفناها بحواسنا الخمس التي اقتصمت المعارف المحسوسة قسمة عادلة كما في فن المقولات المشروح في هذا التفسير صرارا وآثار هذه المعارف تنبعث الى النفس فتكون صورها علوما ولن يكون ذلك إلا بهذه الصور الانسانية المحبوسة في ظلمات ثلاث في الجنين وفي (١٦) ظلمة في الجو اذا صار رجلا وظلمات كثيرة في النفس من حيث الأخلاق فهذه الظلمات طبقات يترشح منها ويتخللها بعض المعلومات فترفع النفس شيئاً فشيئاً في أثناء الحياة حتى اذا مات الانسان وجد انه أصبح أرقى مما كان عليه في الحياة وهذا هو الذي غاب عن ملائكة الأرض إذ قالوا - أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك - قال لهم إني أعلم ذلك ولكني ربيتهم في تلك الشرور وأعطيتهم تجارب وعلوما في أثناء ذلك فأنا أعلم مالاتعلمون . ألا ترون انهم يعرفون أسماء الأشياء الجزئية في الأرض وأنهم لا تعلمونها . إذن هذا العمل لحكمة عظيمة . فأنا وإن غمستهم وغمرتهم في الظلمات لم أفعل ذلك احتقارا لشأنهم بل جعلته أشبه بالنظر يوضع على العين لأنهم لا يطيقون جميع العلوم مرة واحدة . فأنا ما خلقت هذا باطلا . وهذا قوله تعالى - قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون -

اللهم إني أجدك قد كشفت لنا حجاب هذه المسائل العويصة وسهلت السبل بطبعها ونشرها . وهذا آخر القول في هذا المقام والحمد لله رب العالمين . كتب في نصف ليلة الاثنين (٨) من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠

وهنا سألتني ذلك العالم صديقي قائلا : أنا الى الآن لم أفهم الحجب الستة عشر ولا الحجب التي تبلغ نحو مائة وإنما فهمتها فهما إجماليا . نعم عرفت الظلمات الثلاث وهي البطن والرحم والمشيمة ، ولكن تلك الست عشرة ظلمة وما بعدها لم تتضح لي . فقلت : إن ما تقدم واضح ولكنك أنت تريد ما هو أوضح . فقال : هو ذاك . فقلت : ألم أذكر لك فيما تقدم هنا عن علماء الفلك أن الجو الذي هو أقرب الى الأرض يقلل ضوء الشمس (١٦) مرة . قال بلى . قلت : فهذه هي (١٦) حجابا أوظلمة وأزيد عليه فأقول اقرأ ما تقدم في سورة فاطر ﴿ ألم تر الى (شكل ١٦) من الأشكال التي رسمت هناك لا يوضح آية - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة - الخ وكيف ترى فيه النسيج الهدي المبطن للقصبة الهوائية قد جعل أشبه بالكناسين والزبالين لأن تلك الأهداب تتحرك ليلا ونهارا من الداخل الى الخارج لتخرج الغبار الداخل مع النفس لئلا تفسد المملكة الرئوية الخادمة للمملكة الدموية . قال نعم أتذكر ذلك وقرأته وماذا يفيدنا ؟ قلت : ثم انظر الى سورة ص ﴿ وقد جاء في آخرها - فبعرّتك لأغوينهم أجمعين - وتأمل ما كتبه هناك عن (هيج) الانجليزى و (كاتاني التلياني) و (كوهن الألماني) وطبيب نطاسي فرنسي . ألم أذكر لك في الكلام المنقول عن أحد هؤلاء أن الغبار والدخان الداخلين في الرئة يكونان سببا في فساد صحة البدن وبذلك تحدث الأمراض ، وهذا الغبار والدخان الداخلان في الرئة يفعلان ما تفعله جميع الماء كل القوية التغذية كاللحم والبيض وتفعلان فعل المواد الأخرى المركبة من أنواع الحلاوى والتوابل ، فهذه كلها هي التي تجعل في العروق سدودا وحواجز وتلك السدود والحواجز تفعل في الجسم ما تفعله السدود في المساق فيحصل الهلاك للزرع تارة بالغرق وتارة بقلّة الماء وتكون هناك الأمراض المختلفة المضنية من الدماميل والقروح والسرطان والجذام والبرص والصداع وما أشبهها مما لا حصر له . فقال نعم تقدم هذا . قلت : فحينئذ غبار الجو ودخانه ضارّان بنا

ولأجل هذا الضرر جعل الله في باطن القصة الهوائية أهداباً لتطرد ذلك الضار وخلق أطباء يوقظوننا لأجل هذه المهلكات ويقولون : « تباعدوا عن غبار الطرقات وعن الدخان وعن كل ما فيه روائح ضارة » . قال نعم . فقلت : إذن هذه المواد القريبة في الهواء ضارة . إذن هي حجب بيننا وبين الصحة وبيننا وبين السعادة وظلمات تغشى على ضوء الشمس فيكون ضوءها صباحاً أقل منه وقت الظهيرة لأن الغبار والدخان وأمثالهما يكونان أقرب إلى وجه الأرض ويفصلان بين عيوننا وبين الشمس فتعمل عيوننا الضوء ويحصل هنا منافع لأحد لها . فهنا ضرر محقق ومنافع محققة . فالمنافع هي أن الشمس يظهر نورها ويبدأ بالتدريج كما تقدم ويكون صبح وشفق إلى آخر ما تقدم ، ولولا هذا الضار وهي الحجب لم تهنأ لنا الحياة على الأرض لأن الضوء لا ينتظم توزيعه على الأرض . فأرواحنا في أجسامنا لا تقدر على مواجهة ضوء الشمس بدون تدريج وهذا واضح وضوحاً تاماً كما تقدم ، إذن لافرق بين الظلمات الثلاث للجنين وبين الظلمات الست عشرة للرجال والنساء ، فهذه وتلك جيء بها لأن المصلحة قضت بذلك

بقيت مسألة الظلمات والحجب الآتية من الوسوسة الشيطانية وهي كالتقدمة سواء بسواء . إن الإنسان مخلوق غريب جداً فهو من جهة ملك ومن جهة بهيمة ومن جهة شيطان . وهذه الأصول الثلاثة تفرعت عنها أخلاق فاضلة وأخرى ناقصة قد تقدم أكثرها في (سورة البقرة) عند قصة آدم فارجع إليها هناك وهذه مشروحة في الربع الثالث والرابع من الأحياء فالثالث للأخلاق الناقصة والشروط والرابع للأخلاق الفاضلة . والأخلاق الفاضلة تكون لغلبة القوة الملكية على القوتين الأخرى بين الإنسان من حيث أنه ملك إلهي يكون حكماً ذكياً جميل الخلق . ومن حيث أنه بهيم يكون بخيلاً طماعاً جباناً خائفاً كاذباً . ومن حيث أنه شيطان يكون معانداً حقوداً حسوداً ظالماً متهوراً . فهذه أخلاق الشياطين . وما قبلها أخلاق البهائم . والأولى أخلاق الملائكة . وقد تصل الأخلاق الشريرة في العدد إلى نحو المائة وإليها الإشارة في بعض الآثار إلى التبيين الذي له (٩٩) رأساً بها ينهش ابن آدم . فهذا التبيين الآن موجود ويتبدى نهشه للإنسان في هذه الحياة من حقد ودغل وطمع وغش وكذب وزور وبهتان وغيبة ونميمة ، فهذه كلها طباع شريرة تؤذي صاحبها في الحياة وتظهر نتائجها بعد الموت ، فهذه كلها حجب تحجب الإنسان عن معرفة الحقائق ، ولولا هذه الموانع لاطلعت أرواحنا الملكية العالية في أصلها على المعارف صرة واحدة فهلكت كما يموت من اطلع على كنز صرة واحدة وكان ضعيف النفس وهكذا ، فهذه حجب خلقت فينا لمصلحتنا فالله كما خلق الظلمات في الرحم لمنافع الجنين وخلق الغبار والدخان في الجو القريب من الأرض وهو ضار بنا ليحول بين أعيننا وبين الشمس لئلا تستضر بها ولمنافع أخرى تقدمت ، هكذا نراه خلق فينا شهوات البهائم ورذائل الشياطين لتكون بمثابة مانع وحاجب يحجب عنا الحقائق حتى لانهاك

فلما سمع صاحبي ذلك قال : اللهم إني أحمدك جداً يوافي نعمك وضرب كفا على كفت وقال والله لقد انحلت بهذا مشكلات الدين والدنيا ، أكثر الناس يعيشون ويموتون وهم جاهلون ، ويظهران هذا التفسير قد فتح ما كان مقفلاً على أكثر الناس ، ههنا عرفنا الدين والدنيا وعرفنا الحقائق وبامتزاج العلوم الطبيعية بالعلوم الدينية أدركنا حقائق جهلتها أمم وأمم ، إذن أصبحت الوسوسة والذنوب كلها لحكمة ، وإذا قيست بالظلمات الثلاث في الرحم والظلمات الست عشرة في الجو فقد انحلت المشكلة ، إذن الناس يوم القيامة وفي البرزخ يوضعون في أماكن استحقاقها بحسب استعدادهم ، وما جهنم إذن إلا مكان تعيش فيه نفوس ناقصة لا تقدر أن تعيش في غيرها كما يعيش السمك في البحر . وهذا سر عظيم لم يتضح إلا في هذا التفسير بل هذا الذي به نفهم « بسم الله الرحمن الرحيم » ونفهم - ورحمتي وسعت كل شيء - ومن عجب أن الظلمات الثلاث بضررها في (٥) نصير (١٥) وهي تقرب من (١٦) و (١٦) بضررها في (٥) نصير (٨٠)

و (٨٠) تقرب من الأخلاق الرديئة التي قلتم انها تقرب من مائة وبهذا تجلت الحقائق . فقامت : الحمد لله رب العالمين . انتهت اللطائف التي جعل كل طائفة منها خاصا بقسم من أقسام السورة

﴿ اللطائف العامة لأقسام السورة كلها ﴾

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار - الخ مع قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع - والكلام على السنة الشمسية والبروج والمنازل وسير القمر) جاء في كتاب « صبح الأعشى » مانصه :

اعلم أن للشمس حركتين : سريعة وبطيئة . أما السريعة فحركة فلك الكلّ بها في اليوم واللييلة من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق ، وتسمى الحركة اليومية . وأما الحركة البطيئة فقطعها فلك البروج في سنة شمسية من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب . ولتعلم أن جهة المشرق وجهة المغرب لا تتغيران في أنفسهما بل جهة المشرق واحدة وكذلك جهة المغرب . وإن اختلفت مطالعتهما . قال تعالى - ربّ المشرق والمغرب - أي جهة المشرق وجهة الغروب في الجملة . إلا أن الشمس لها غاية ترتفع إليها في الشمال وتلك الغاية مشرق ومغرب وهو مشرق الصيف ومغرب . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع السماك الراح . ولها غاية تنحط إليها في الجنوب . وتلك الغاية أيضا مشرق ومغرب . وهو مشرق الشتاء ومغرب . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع بطن العقرب . وهذان المشرقان والمغربان هما المراد بقوله تعالى - ربّ المشرقين وربّ المغربين - وبين هاتين الغابتين مائة وثمانون مشرقا ويقابلها مائة وثمانون مغربا . ففي كل يوم تطلع في مطلع من المشرق غير الذي تطلع فيه بالأمس . وتغرب في مغرب غير الذي تغرب فيه بالأمس . وذلك قوله تعالى - ربّ المشرق والمغرب - ونقطة الوسط بين هاتين الغابتين . وهي التي يعتدل فيها الليل والنهار يسمى مطلع الشمس فيها مشرق الاستواء . ومغرب الاستواء . ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع السماك الأعزل . وقد قسم علماء الهيئة ما بين غاية الارتفاع وغاية الهبوط اثني عشر قسما . قالوا والمعنى في ذلك أن الشمس في المبدأ الأول لما سارت مسيرها الذي جعله الله خاصا بها قطعت دور الفلك لتاسع في ثلثمائة وستين يوما . وسميت جملة هذه الأيام سنة شمسية ورسمت بحركتها هذه في هذا الفلك دائرة عظيمة على ما توهمه أصحاب الهيئة . وقسمت هذه الدائرة الى ثلثمائة وستين جزءا وسموا كل جزء درجة . ثم قسمت هذه الدرجة الى اثني عشر قسما على عدد شهور السنة . وسموا كل قسم منها برجاً . وجعلوا ابتداء الأقسام من نقطة الاعتدال الربيعي . لاعتدال الليل والنهار عند مرور الشمس بهذه النقطة . ووجدوا في كل قسم من هذه الأقسام نجوما تتشكل منها صورة من الصور فسموا كل قسم باسم الصورة التي وجدوها عليه . وكان القسم الأول الذي ابتدؤا به نجوما إذا جمع متفرقها تشكلت صورة حمل . فسموها بالحمل وكذلك البواقي . قال صاحب مناهج الفكر : وذلك في أول ما رصدوا . وقد انتقلت الصور عن أمكنتها على ما زعموا فصار مكان الحمل الثور . وهي تنتقل على رأى بطليموس في ثلاثة آلاف سنة وعلى رأى المتأخرين في ألفي سنة . إذا علمت ذلك فاعلم أن الدورة الفلكية في العروض الشمالية تنقسم إلى ثلثمائة وستين درجة . كما تقدّمت الإشارة إليه . والسنة ثلثمائة وستون يوما منقسمة على اثني عشر برجاً المتقدم ذكرها . لكل برج منها ثلاثون يوما . وتوزع عليها الخمسة أيام والربع يوم . والليل والنهار يتعاقبان بالزيادة والنقصان بحسب سير الشمس في تلك البروج فاقص من أحدهما زيد في الآخر . وذلك أنها اذا حلت في رأس الحمل وهي آخذة في الارتفاع الى جهة الشمال . وذلك في السابع عشر من

برمها من شهور القبط . ويوافق الحادى والعشرون من آذار من شهور السريان . وهو مارس من شهور
الروم . والرابع والعشرون من حردادماه من شهور الفرس . اعتدل الليل والنهار . فكان كل واحد منهما
مائة وثمانين درجة . وهو أحد الاعتدالين في السنة . ويسمى الاعتدال الربيعي . لوقوعه أول زمن الربيع
فيزيد النهار فيه في كل يوم نصف درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما
خمس عشرة درجة . ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل
على مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى الثور فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة وينقص الليل كذلك
فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائتين
وخمس درجات . والليل على مائة وخمس وخسين درجة . ثم تنقل إلى الجوزاء فيزيد النهار فيها كل يوم
سدس درجة وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس درجات . ونقص الليل
كذلك . ويصير النهار آخرها على مائتين وعشر درجات والليل على مائة وخسين درجة . وذلك غاية ارتفاعها
في جهة الشمال . وهذا أطول يوم في السنة وأقصر ليلة في السنة . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة
شماليا صاعدا : لعودها في جهة الشمال ثم تنقل الشمس إلى السرطان وتسكر راجعة إلى جهة الجنوب .
ويسمى ذلك المنقلب الصيفي . وذلك في العشرين من بؤنة من شهور القبط . ويبقى من خريان من شهور
السريان . ويونيه من شهور الروم خمسة أيام . وحينئذ يأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان . فينقص النهار
فيه كل يوم سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ،
وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات . والليل على مائة وخمس وخسين
درجة . ثم تنقل إلى الأسد فينقص النهار فيه كل يوم ثلث درجة . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما
عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل على
مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى السنبلة فينقص النهار فيها كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك
فيكون نقص النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة ، وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخرها
على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار . ويسمى الاعتدال الخريفي . : لوقوعه في أول
الخريف . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة شماليا هابطا . لهبوطها في الجهة الشمالية . ثم تنقل إلى
الميزان في الثامن عشر من ثوت من شهور القبط . وهي آخذة في الهبوط والنهار في النقص والليل في الزيادة
فينقص النهار فيه كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس
عشرة درجة . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة
وخمس وتسعين درجة ، ثم تنقل إلى العقرب . فينقص النهار في كل يوم ثلث درجة . ويزيد الليل كذلك
فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة
وخمس وخسين درجة ، والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى القوس . فينقص النهار فيه كل يوم
سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ، وزيادة الليل
كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخسين درجة . والليل على مائتين وعشر درجات . وهو أقصر يوم
في السنة وأطول ليلة في السنة . وذلك غاية هبوطها في الجهة الجنوبية . ويسمى سير الشمس في هذه البروج
جنوبيا هابطا . لهبوطها في الجهة الجنوبية . ثم تنقل إلى الجدي في السابع عشر من كيهك وتسكر راجعة فتأخذ
في الارتفاع وتأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان . فيزيد النهار فيه كل يوم سدس درجة . وينقص
الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار
بآخره على مائة وخمس وخسين درجة . والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى الدلو . فيزيد

النهار فيه كل يوم ثلث درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة وخمس وتسعين درجة . ثم تنقل إلى الحوت فيزيد النهار فيه كل يوم نصف درجة وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار وهو رأس الحمل وقد تقدم . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة جنوبيا صاعدا : لصعودها في الجهة الجنوبية . وهذا شأنها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وهذا العمل إنما هو في مصر وأعمالها . فإذا اختلفت العروض كان الأمر في الزيادة والنقصان بخلاف ذلك والله أعلم

وقد تقدم بعض هذا ولكن ماذ كراهنا هنا أضبط وأوضح وهو من صبح الأعشى . ما أعجب هذا النظام والاتقان . فانظر كيف انتظم الحساب لانتظام السير وعلى مقتضاه رتب الناس شهورهم . فلقب شهور وللسريان شهور تخالفهم وهكذا الروم وهاك بيانها (انظر هذا الجدول)

شهور الروم	شهور السريان	شهور القبط
منسوبة لأغسطس ملك الروم	منسوبة لالاسكندر	منسوبة لقلطيانوس الملك
أغسطس	يوافق أوله ٣٠ آب الموافق لشهر	توت
سبتمبر	» ٢٧ أيلول »	بابه
أكتوبر	» ٢٧ تشرين الأول »	هاتور
نوفمبر	» ٢٦ تشرين الثاني »	كيهك
ديسمبر	» ٢٦ كانون الأول »	طوبه
يناير	» ٢٥ كانون الثاني »	أمشير
فبراير	» ٢٤ شباط »	برمهات
مارس	» ٢٦ آذار »	برموده
أبريل	» ٢٥ نيسان »	بشنس
مايو	» ٢٥ أيار »	بؤنه
يونيو	» ٢٤ حزيران »	أبيب
يوليو	» ٢٤ تموز »	مسرى

وقد نظم الشيخ ابراهيم الدهشوري شهور السرياني فقال :

وَأَبْدَأُ بِأَيُّلُولٍ مِنَ السُّرْيَانِي * تَشْرِينُ الْأَوَّلُ يَتَّبِعُهُ الثَّانِي
كَانُونُ كَانَونُ شَبَاطُ يَطْلَعُ * آذَارُ نَيْسَانُ أَيْارُ يَتَّبَعُ
نَحْمُ حَزِيرَانُ وَتَمُوزُ وَأَبُ * تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ يَهْدِي مِنْ أَحَبِّ

وقد نظم أيضاً الشيخ المذكور شهور الروم فقال :

يَتَمِيرُ فَبْرِيرُ مَارَسُ لِلرُّومِ * أِبْرِيلُ مَايُهُ خَامِسُ الْمَعْلُومِ

يُنْذِرُهُ وَيُذِيهِ ثُمَّ أَغْشَتْ شَتْمُهُ * أَوْ كَتُوبُ نَوْفَرٍ دَجْنِبَرُ

وقد نظم الشيخ أبو عبد الله السكيزاني أبياتاً ذكر فيها الأشهر التي تكون ثلاثين يوماً والناقصة عنها ولم يتعرض للزائدة عنها فقال :

شهور الروم ألوان * زيادات وتقصان

فتشريينهم الثاني * وأيلول ونَيْسَانُ

ثَلَاثُونَ ثَلَاثُونَ * سَوَاءٌ وَخَزِيرَانُ

شِبَاءٌ خُصَّ بِالنَّقْصِ * وقدر النقص يومان

قد سماها شهور الروم لموافقتها لها والافهسي للسريان اهـ

﴿ الكلام على المنازل ﴾

جاء في كتاب صبح الأعشى مانعه

ان النهار الطبيعي أوله طلوع الشمس وآخره غروبها . والنهار الشرعي أوله طلوع الفجر الثاني وآخره غروب الشمس . فيخالفه في الابتداء ويوافق في الانتهاء . وطلوع الشمس وغروبها ظاهر يعرفه الخاص والعام ، أما الفجر فان أمره خفي لا يعرفه كل أحد . وقد تقدم انقسامه الى كاذب . وهو الأول ، وصادق . وهو الثاني . وعليه التعويل في الشرعيات . فيحتاج الى توضيح يوضحه ويظهره للعيان وقد جعل المنجمون وعلماء الميقات له نجوما تدل عليه بالطلوع والغروب والتوسط . وهي منازل القمر ، وعدتها ثمان وعشرون منزلة . وهي الشرطان (١) والبطين (٢) والثريا ، والدبران (٣) والطقعة (٤) والطنجة (٥) والذراع ، والنثرة (٦) والطرف . والجهة والخرتان (٧) والصرقة (٨) والعواء (٩) والسماك (١٠) والغفر (١١) والزبانان (١٢) والاكيل . والقلب . والشولة (١٣) والنعام . والبلدة (١٤) وسعد الداج . وسعد بلع (١٥) وسعد السعود . وسعد الاخبية . والفرغ المقدم . والفرغ المؤخر . وبطن الحوت . والمعنى في ذلك ان الشمس اذا قربت من كوكب من الكواكب الثابتة أو المتحركة سترته وأخفته عن العيون . فصار يظهر (١٦) نهارا ويختفي ليلا ويكون خفاؤه غيبته . ولا يزال كذلك خافيا الى أن تبعد عنه الشمس بعدا يمكن أن يظهر معه للأبصار وهو عند أول طلوع الفجر فان ضوء الشمس يكون ضعيفا حينئذ فلا يغلب نور الكوكب فيرى الكوكب في الأفق الشرقي ظاهرا . وحصاة كل منزلة من هذه المنازل من السنة ثلاثة عشر يوما وربع سبع يوم ونصف ثمن سبع يوم على التقريب كما سيأتي (١٧) على المنازل الثمانية والعشرين خص كل منزلة ماذ ذكر من العدد والكسور ولما كان الأمر كذلك جعل لكل منزلة ثلاثة عشر يوما : وهي ثلاث عشرة درجة من درج الفلك وجع مفضل من الكسور على كل ثلاثة عشر يوما بعد انقضاء أيام المنازل الثمانية والعشرين فكان يوما وربعها فجعل يوما في المنزلة التي توافق آخر السنة وهي الجهة فكان حصتها أربعة عشر يوما . وبقى ربع يوم ونسيء أربع سنين حتى صار يوما فزيد على الجهة أيضا . فكانت كواكب المنازل (١٨) المذكورة تطلع مع الفجر منها أربعة عشر يوما ثلاث سنين وفي السنة الرابعة تطلع بالفجر خمسة عشر يوما وهالك ما يخص ماذ ذكره في حسابها

(١ و ٣ و ٧) بفتحين (٢) مصغر (٤) ٥ و ٦ و ٨ و ١١ و ١٣ و ١٤) بفتح فسكون (١٢) بضم أوله (١٥)

بضم ففتح (٩) بفتح فشدّه (١٠) مثل كتاب

(١٦) لعله يختفي نهارا ويظهر ليلا . ومع ذلك بقية العبارة غير واضحة .

(١٧) كذا في الأصل ولعله فان أيام السنة اذا قسمت على الخ .

(١٨) كذا في الأصل ولعله (المنزلة) انتهى مؤلفه

المنازل	شهور القبط	شهور السريان	شهور الروم
الشرطان أول طلوعها بالفجر	٢٣ برمودة	١٨ نيسان	ابريل
البطين أول طلوعها بالفجر	٦ بشنس	أول ايار	مايه
الثريا أول طلوعها بالفجر	١٩ بشنس	١٤ ايار	»
الدبران أول طلوعها بالفجر	٢ بؤنه	٢٦ ايار	»
الطقه أول طلوعها بالفجر	١٥ بؤنه	٩ خيران	يونيه
الهنه أول طلوعها بالفجر	٢٨ بؤنه	٢٢ »	»
النراع أول طلوعها بالفجر	١١ أيب	٥ تموز	يوليه
النثرة أول طلوعها بالفجر	٢٤ أيب	١٨ »	»
الطرف أول طلوعها بالفجر	٧ مسرى	آخر تموز	»
الجبهة أول طلوعها بالفجر	٢٠ مسرى	١٣ آب	أغسطس
الخرتان أول طلوعها بالفجر	٤ من أيام النسيء وفي السنة الكبيسة في منه	٢٧ آب	»
الصرفه أول طلوعها بالفجر	١٢ توت	٩ ايلول	سبتمبر
العواء أول طلوعها بالفجر	٢٥ توت	٢٢ ايلول	»
المسماك أول طلوعها بالفجر	٨ بابه	٥ تشرين الأول	اكتوبر
الغفر أول طلوعها بالفجر	٢١ بابه	١٨ تشرين الأول	»
الزبانان أول طلوعها بالفجر	٤ هاتور	آخر يوم من تشرين الأول	»
الاكيل أول طلوعها بالفجر	١٧ هاتور	١٣ من تشرين الثاني	نوفمبر
القلب أول طلوعها بالفجر	آخر يوم من هاتور	٢٦ تشرين الثاني	»
الشوله أول طلوعها بالفجر	١٣ كيهك	٩ كانون الأول	ديسمبر
النعام أول طلوعها بالفجر	٢٦ كيهك	٢٢ كانون الأول	»
البلده أول طلوعها بالفجر	٩ طوبه	٤ كانون الثاني	يناير
سعد الذابح أول طلوعها بالفجر	٢٢ طوبه	١٧ كانون الثاني	»
سعد بلع أول طلوعها بالفجر	٥ أمشير	٣٠ كانون الثاني	»
سعد السعود أول طلوعها بالفجر	١٨ أمشير	١٢ شباط	فبراير
سعد الأخبيه أول طلوعها بالفجر	أول برمها	٢٥ شباط	»
الفرغ المقدم أول طلوعها بالفجر	١٤ برمها	٧ آذار	مارس
الفرغ المؤخر أول طلوعها بالفجر	٢٧ برمها	٢٢ آذار	»
بطن الحوت أول طلوعها بالفجر	١٠ برمودة	٥ نيسان	ابريل

هذه هي المنازل من حيث نزول الشمس فيها . فبأجل حساسها السهل وانظامها العجيب . فإذا أردنا أن نعرف أين تكون الشمس في أي منزلة فالأمر ظاهر واضح فلنعرف الشهر واليوم يحصل المطلوب

﴿ الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له ﴾

جاء في كتاب صبح الأعشى ما نصه

وأما حركته البطيئة . فحركته من جهة الشمال إلى جهة الجنوب ، ومن جهة الجنوب إلى جهة الشمال وتنقله في المنازل الثمانية وعشرين في ثمانية وعشرين يوما بلياليها كالشمس في البروج قال تعالى - والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم - فما تقطعه الشمس من الشمال إلى الجنوب وبالعكس في جميع السنة يقطعه القمر في ثمانية وعشرين يوما . والمنازل للقمر كالبروج للشمس . وذلك أنه لما اتصل إلى العرب ما حققه القدماء برصدهم من الكواكب الثابتة . وكان لاغنى لهم عن معرفة كواكب ترشدتهم إلى العلم بفصول السنة وأزمنتها رصدوا كواكب وامتحنوها . ولم يستعملوا صور البروج على حقيقتها : لأنهم قسموا فلك الكواكب على مقدار الأيام التي يقطعه القمر فيها ، وهي ثمانية وعشرون يوما ، وطلبوا في كل قسم منها علامة تكون أبعاد ما بينها وبين العلامة الأخرى مقدار مسير القمر في يوم وليلة . وسموها منزلة إلى أن تحقق لهم ثمانية وعشرون على ما تقدم ذكره في الكلام على طالعها بالفجر : لأن القمر إذا سار سيره الوسط انتهى في اليوم التاسع والعشرين إلى المحاق الذي بدأ منه . فخذت المتكرر . فبقى ثمانية وعشرين ويزاد بالشرطين : لأن كواكبه من جملة كواكب الحمل : الذي هو أول البروج . ثم هذه المنازل على قسمين . شمالي وجنوبي كافي البروج ، وكل قسم منها أربع عشرة منزلة . فالشمالي منها ما كان طلوعه من ناحية الشام . وتسمى الشامية ، وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال . التي هي رأس الحمل والميزان صاعدا إلى جهة الشمال ، وهي الشرطان ، والبطين والثرىا . والدبران . والحقعة . والهنعة . والذراع . والنثرة . والطرف . والجبهة . والخرتان . والصرقة . والعواء . والسمالك . و بطوعها يطول الليل ويقصر النهار . والجنوبي منها ما كان طلوعه من ناحية اليمين وتسمى اليمانية . وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال المذكور هابطا إلى جهة الجنوب . وهي الغفر . والزبانان . والاسليل . والقلب . والشولة . والنعام . والبلدة . وسعد الذابح . وسعد السعود . وسعد الأخبية . والفرغ المقدم . والفرغ المؤخر . وبطن الحوت . و بطوعها يقصر الليل ويطول النهار .

ثم المنزلة عند المحققين قطعة من الفلك مقدارها ربع سبع الدور . وهو جزء من ثمانية وعشرين جزءا من الفلك عبارة عن (١) لاعن الكواكب . وإنما الكواكب حدود تفرق بين كل منزلة وأخرى . فهدل بالتسمية إليها وغلبت عليها .

ونزول القمر في هذه المنازل على ثلاثة أحوال إما في المنزلة نفسها وإما فيما بينها وبين التي تليها وإما محاذيا لها خارجا عن السميت شمالا أو جنوبا . وقد تقدم الكلام على عدول القمر عن بعض المنازل ونزوله في غيرها . ولتعلم أن المنازل مقسومة على البروج الاثنى عشر موزعة عليها : فالشرطان والبطين وثلث الثرىا للحمل . وثلثا الثرىا والدبران وثلثا الحقعة للشور وثلث الحقعة والهنعة والذراع للجوزاء . والنثرة والطرف وثلث الجبهة للشرطان . وثلثا الجبهة والخرتان وثلثا الصرقة للأسد . وثلث الصرقة والعواء والسمالك للسنبلة . والغفر والزبانان وثلث الاسليل للميزان وثلثا الاسليل والقلب وثلثا الشولة للعقرب . وثلث الشولة والنعام والبلدة للقوس . وسعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السعود للمجدي (٢) وثلث الفرغ المقدم والفرغ المؤخر وبطن الحوت للحوت . إذا علمت ذلك فإذا أردت أن تعرف القمر في أي منزلة هو أو كم مضى له فيها من الأيام . فخذ ما مضى من سنة

(١) بياض بالأصل .

(٢) يظهر أن فيه سقطا هو . وثلثا سعد السعود وسعد الأخبية وثلثا الفرغ المقدم للدلو .

القبط شهورا كانت أو أياما أو شهورا وأياما وأبسطها أياما . وأضف الى ما حصل من ذلك يومين . ثم اطرح المجموع ثلاثة عشر ثلاثة عشر . وهو عدد لبث القمر في كل منزلة من الأيام . واجعل أول كل منزلة من العدد الخرتان . فما بقي من الأيام دون الثلاثة عشر فهو عدد ماضى من المنزلة التي انتهى العدد إليها .

مثال ذلك أن يمضي من سنة القبط شهر توت وأربعة أيام من بابه فتبسطها أياما تكون أربعة وثلاثين يوما فتضيف إليها يومين تصير ستة وثلاثين يوما فاطرح منها ثلاثة عشر مرتين بستة وعشرين للخرتان منها ثلاثة عشر وللصرفة ثلاثة عشر تبقى عشرة . وهي ماضى من المنزلة الثالثة . وهي العوّاء .

وإن أردت أن تعرف في أى برج هو فاحسب كم مضى من الشهر العربى يوما وزد عليه مثله ثم زد على الجلة خمسة وأعط لسكل برج خمسة وأبدأ من البرج الذى فيه الشمس فأعط لسكل برج خمسة فأينما نفذ حسابك فالقمر في ذلك البرج . والاعتماد في ذلك على كم مضى من الشهر العربى بالحساب دون الرؤية والله أعلم

(الكلام على أحوال الأهلة التي عليها مدار الشهور في ابتدائها وانتهائها)

واعلم أن مسير القمر مقدر بمعرفة الشهور والسنين قال تعالى - فحسونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - والشمس تعطيه في كل ليلة ما يستضيء به نصف سبع قرصه حتى يكمل ثم تسلبه من الليلة الخامسة عشرة كل ليلة نصف سبع قرصه حتى لا يبقى فيه نور فيستتر . وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه سئل عن القمر فقال : يحرق كل ليلة ويولد جديدا ، ويبعد مثل هذا عن جعفر الصادق . إذا علمت ذلك فللقمر حركتان : سريعة وبطيئة كما تقدم في الشمس . أما الحركة السريعة فحركة فلك السكل به من المشرق الى المغرب . ومن المغرب الى المشرق في اليوم والليلة . واعلم أن الهلال إذا طلع مع غروب الشمس كان مغيبا على مضى ستة أسابيع ساعة من الليل . ولا يزال مغيبه يتأخر عن مغيبه في كل ليلة ماضية هذا المقدار حتى يكون مغيبه في الليلة السابعة نصف الليل . وفي الليلة الرابعة عشرة طلوع الشمس ثم يكون طلوعه في الليلة الخامسة عشرة على مضى ستة أسابيع ساعة منها . ولا يزال طلوعه يتأخر عن طلوعه في كل ليلة ماضية بعد الابدار هذا المقدار حتى يكون طلوعه ليلة إحدى وعشرين نصف الليل . وطلوعه ليلة ثمان وعشرين مع الفداة . وإذا أردت أن تعلم على مضى كم من الساعات يغيب أو يطلع من الليل . فإن أردت المغيب وكان قد مضى من الشهر خمس ليال تقديرا فاضربها في ستة تكون ثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى اثنان فيكون مغيبه على مضى أربع ساعات (١) أسابيع ساعة وكذلك العمل في أى ليلة شئت . وإن أردت الطلوع وكان قد مضى من الابدار ست ليال مثلا فاضرب ستة في ستة يكون ستة وثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى واحد . فيكون طلوعه على خمس ساعات وسبع . وكذلك العمل في أى ليلة شئت

ثم قال « للناس في إخراج أول الشهر العربى طرق أسهلها أن تعرف أول يوم من المحرم ثم تعد كم مضى من السنة من الشهور بالشهر الذى تريد أن تعرف أوله وتقسّمها نصفين . فإن كان النصف صحيحا أضفت على الجلة مثل نصفه . وإن كان مكسورا كملته وأضفته على الجلة . ثم تبتدىء من أول يوم من السنة وتعد منه أياما على توالى أسماء الأيام بعدد ما حصل معك من الأهل والمضاف فيختم انتهى عددك فذلك اليوم هو أول لشهر مثال ذلك في الصحيح النصف . إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان وكان أول المحرم يوم الأحد مثلا فتعد من أول المحرم الى شعبان وتدخل شعبان في العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة فتضيف الأربعة الى الثمانية تكون اثني عشر . ثم تبتدىء من يوم الأحد الذى هو أول المحرم فتعد الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت . ثم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثني عشر في يوم الخميس فيكون أول شعبان يوم الخميس . ومثاله في المكسور النصف إذا أردت

أن تعرف أول رمضان أيضا وكان أول المحرم الأحد كما تقدم فتعد ماضى من شهور السنة وتعد منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصف فتكملها بنصف تصير خمسة فتضيفها الى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر . ثم تبتدىء عدد الأيام من أول المحرم . وهو الأحد كما تقدم فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت

ومن الطرق المعتبرة في ذلك أن تنظر في الثالث من أيام النسيء من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر العربى فما كان جهته أصلا لتلك السنة . فإذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الذى أنت فيه . فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة . وانظر كم مضى من السنة القبطية شهر اتخذ لكل شهرين يوما . فان انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا . وزد على ذلك يومين أصلا أبدا . ثم انظر كم يوما من الشهر القبطى الذى أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك . وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فباقى فهو عدد ماضى من الشهر العربى . ومنه يعرف أوله

ومثال ذلك نظرت في الثالث من أيام النسيء فوجدت الماضى من الشهر العربى ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة ثم نظرت في الشهور القبطية فوجدت الشهر الذى أنت فيه أمشير مثلا فتعد من أول شهور السنة القبطية (وهو توت) إلى أمشير يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوما تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذى معك من أيام النسيء . وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية . ثم تنظر في الشهر القبطى الذى أنت فيه (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفهما على المجموع يكون عشرة . وهو الماضى من الشهر العربى الذى أنت فيه ومنه يعرف أوله « انتهى من كتاب صبح الأعشى

هذا هو نهاية الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فيهما وعلى الشهور القمرية والشمسية كل ذلك تفسير للآية التى نحن بصدد الكلام عليها - يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى - انتهى

أيها الذكى هاهى ذه الدنيا أمامك ظاهرة واضحة فتعرفت يومك في شهرك استخرجت منه منزلة الشمس وبرجها وسير القمر فيهما ، والسنة التالية تتبع السابقة ، فالنظام تام والحساب بديع ، أفلا تعجب لهذا الحساب الذى لا خلل فيه وعلى مقتضاه كانت أحوالنا المعاشية

يا سبحان الله : شمس وقر منظم سيرهما ومنازل وبروج منظمات وعلى مقتضاهما كانت حياة الانسان والحيوان ، فلو لا النظام هناك لاختل النظام هنا ، فها هو ذا شهر توت أول يوم منه يسمى النيروز وهو رأس سنة القبط ، وفى (٧) منه يبتدىء لقط الزيتون ، وفى (١٧) منه تفتح أكثر الترع بمصر ، وفى ١٨ منه أول فصل الخريف ، وفى ١٩ منه يهيج السوداء فى البدن ، وفى ٢١ منه يبتدىء بيض النعام ، وفى ٢٨ منه يذهب الحر ، وفى ٢٩ منه أول رعى الكراكى ، وفى ٣٠ منه يزرع الهليون

(شهر بابه) فيه يندر كل مالا تشق له الأرض كالبرسيم ونحوه وفى آخره تشق الأرض بالصعيد ويحصد الارز ويطيب الرمان وتضع الضأن والمعز والبقر الخيسية ويستخرج دهن الآس واللينوفر ويدرك الثمر والزبيب وبعض الحمضات ، وفى ثلثه رأس سنة السريان ، وفى رابعة أول تشرين الأول من شهورهم ، وفى خامسه عرس النيل ، وفى سادسه يطيب شرب الدواء ، وفى سابعه نهاية زيادة النيل ، وفى ثامنه يكره خروج الدم ، وفى حادى عشره يبتدىء النيل فى النقص . وفى ثالث عشره بداية الوحش ، وفى رابع عشره يكثر الناموس وفى خامس عشره يبتدىء زرع القوط . وفى سادس عشره تبتدىء كثرة السعال . وفى تاسع عشره يبتدىء زرع السلجم . وفى الثانى والعشرين منه يبتدىء صلاح المواشى . وفى الثالث والعشرين منه تبتدىء كثرة الغيوم . وفى الرابع والعشرين منه تبتدىء أهل مصر الزرع . وفى السابع والعشرين منه يبتدىء سمن الحيتان

وفي الثامن والعشرين منه أول المد . وفي التاسع والعشرين منه أول الليالي البلق
 ﴿ شهر هاتور ﴾ فيه يزرع القمح ويطلع البنفسج (١) والمنثور . وأكثر البقول . ويجمع ما بقى من
 الباذنجان وما يجرى مجراه . ويحمل العنب من قوص . وفي ثانيه يبتدىء حصاد الأرز . وفي خامسه أول تشرين
 الثاني من شهور السريان وفيه يبتدىء برد المياه . وفي سادسه أول المطر الوسمى ، وفي سابعه يبتدىء أهل الشام
 الزرع . وفي ثامنه يبتدىء هبوب الرياح الجنوبية . وفي تاسعه يبتدىء زرع الخشخاش (٢) وفي حادى عشره يبتدىء
 اختفاء الهوام وفي ثالث عشره يبتدىء غليان البحر ، وفي رابع عشره تعمى الحيات . وفي سادس عشره يجمع
 الزعفران ، وفي ثامن عشره تكثر الوحوش . وفي الثامن والعشرين منه يعلق البحر الملح وتمتنع السفن من
 السفر فيه لشدّة الرياح . وفي الثالث والعشرين منه تبتدىء سخونة بطن الأرض . وفي الرابع والعشرين منه
 أول اسفيدار ماه من شهور الفرس

﴿ شهر كيهاك ﴾ فيه تدرك الباقلاء وتزرع الحلبة وأكثر الحبوب . ويدرك النرجس والبنفسج . وتلاحق
 الحمضات . وفي أوله ابتداء أربعينيات مصر . وفي ثالثه يبتدىء موت الذباب . وفي خامسه أول كانون الأول من
 شهور السريان . وفي سابعه آخر الليالي البلق وأول الليالي السود . وفي حادى عشره يبتدىء الشجر فى رمى
 أوراقه . وفي ثانى عشره تظهر البراغيث . وفي سابع عشره أول فصل الشتاء ، وهو أول أربعينيات الشام . وفي
 ثامن عشره يتنفس النهار . وفي الحادى والعشرين منه يكثّر الطير الغريب بمصر . وفي الثالث والعشرين منه أول
 مردوماه (٣) من شهور الفرس . وهو نوروزهم وأول سنتهم . وفي الخامس والعشرين منه يهيج الباغم . وفي
 السادس والعشرين منه تلمح الابل . وفي السابع والعشرين منه يكثّر شرب الماء فى الليل . وفي الثلاثين منه
 يبتدىء تقليم الكروم

﴿ شهر طوبه ﴾ فى زرع القمح فيه تفرير . وفيه تشق الأرض للقصب والقلقاس . ويتكامل النرجس
 وفى أوله تبيت الرياح الشديدة . وفى ثانيه يدرك القرط . وفى سادسه أول كانون الثانى من شهور السريان .
 وفى عاشره آخر أربعينيات مصر . وفى حادى عشره أول نصب الكروم . وفى ثانى عشره يشتد البرد . وفى ثالث عشره
 يبتدىء زرع المقات . وفى سابع عشره يبتدىء غرس الأشجار . وفى ثامن عشره تبتدىء كثرة الندى . وهو
 آخر الليالي السود . وفى تاسع عشره يبتدىء وقوع الثلج بالشام وغيره . وفى الرابع والعشرين منه يبتدىء صفو
 ماء النيل . وفى التاسع والعشرين منه يبتدىء اختلاف الرياح

﴿ شهر أمشير ﴾ فيه تفرس الأشجار . وتقل الكروم . ويدرك النبق واللوز الأخضر . ويكثر البنفسج
 والمنثور . وفى رابعه يبتدىء إفراخ النخل وفى سادسه أول شباط من شهور السريان . وفى حادى عشره يبتدىء
 إنتاج الطيور وزرع بقول الصيف . وفى ثانى عشره يبتدىء تحرّك دراب البحر . وفى الثانى والعشرين منه ثانى
 جرة فائرة . ويبتدىء مرض الأطفال . ويبتدىء خروج ورق الشجر . وفى الثالث والعشرين منه يبتدىء خروج
 الدواب للمرى . وفى الرابع والعشرين منه أول حردادماه من شهور الفرس . وفى الخامس والعشرين منه يبتدىء
 هيجان الرياح . وفى السابع والعشرين منه تبتدىء ثالث جرة حامية . وفى الثامن والعشرين منه أول المفرطات .
 وفى التاسع والعشرين منه آخر نهى ابقراط

﴿ شهر برمهاث ﴾ فيه تزهر الأشجار ويعقد أكثّر الثمار . ويزرع أوائل السمسم . ويقلع الكتان .
 ويدرك الفول والعدس . وفى ثانيه يحمد خروج الدم . وهو أول الأعجاز . وفى ثالث عشره تفتح الحيات أعينها .
 وفى خامس عشره تطيب الألبان . وفى سادس عشره يبتدىء خروج دود القز . وفى ثامن عشره يهيج الدم .

(١) بسكون الفاء وفتح بقية الحروف (٢) بفتح أوله

(٣) سيأتى قريباً أن نبروز الفرس وأول سنتهم أفرودين ماه ونظنه الصواب لأنه الذى ورد فى مردج
 الذهب وغيره ومع ذلك لم يذكر هذا الشهر فى أسماء الشهور الآتية

وفي ناسع عشره ظهور الهوام . وفي العشرين منه يزرع السمسم . وفي الرابع والعشرين منه أول تيرماه من
شهور الفرس . وفي السادس والعشرين منه يبتدئ شرب المسهل . وفي السابع والعشرين منه خروج الذباب الأزرق
﴿شهر برمودة﴾ فيه تقطف أوائل عسل النحل . وفيه تكثر الباقلاء . وينفض جوز السكتان ، ويكثر
الورد الأحمر ، والبطن الأول من الجيز ، ويقلع بعض الشعير ، ويدرك الخيار شنبه . وفي أوله يؤكل الفريك .
وفي رابعه يعصر دهن البلسان . وفي خامسه تبتدئ كثرة الزهور . وفي سادسه أول نيسان من شهور السريان .
وفي ثاني عشره يخاف على بعض الزرع . وفي ثامن عشره آخر قلع السكتان . وفي العشرين منه ينهي عن أكل
البقول . وفي الثاني والعشرين منه ظهور الكمأة ، وفي الثالث والعشرين منه الختام الكبير للزرع . وفي الرابع والعشرين
منه أول تردماه من شهور الفرس . وفي الخامس والعشرين منه نهاية مد الفرات . وفي الثامن والعشرين منه يبيض النعام
﴿شهر بشنس﴾ فيه يكثر التفاح القاسمى . ويبتدئ التفاح المسكى . والبطيخ العبدلى والحوافى ، والمشمش
والخوخ الزهرى . والورد الأبيض . وفي نصفه يندرك الأرز . ويحصد (١) القمح . وفي سادسه أول ايار من شهور
السريان . وفي رابع عشره يجمع الخشخاش . وفي ثامن عشره يجمع العصفور . وفي الحادى والعشرين منه
تبتدئ برودة الأرض . وفي الرابع والعشرين منه أول شهر برماده من شهور الفرس

﴿شهر بؤنه﴾ فيه يكثر الحصرم ويطيب بعض العنب والتين البونى وهو الديفور . والخوخ الزهرى
والشعر . والكمثرى البوهى . والقراصيا . والتوت . ويطلع البلح . ويقطف جهور العسل . وفي ثلثه يبتدئ
توحم النيل . وفي سادسه يكمل الدرياق . وفي سابعه أول خريان من شهور السريان . وفي تاسعه يبتدئ مهب
الريح الشمالية . وفي عاشره يبتدئ تنفس النيل . وفي خامس عشره تتحرك شهوة الجاع . وفي ثاني عشره عيد
ميكائيل . في ليلته يوزن من الطين زنة ستة عشر درهما عند غروب الشمس ويرفع في مكان ويوزن عند طلوع
الشمس فإذا كان بكل خروبة زادت على الستة عشر ذراع . وفي ثالث عشره يبتدئ نقص الفرات . وفي رابع
عشره تهب الرياح السمام . وفي تاسع عشره تذهب البراغيث . وفي العشرين منه تهيج الصفراء . وفي الثاني
والعشرين منه يعقد الجوز . ويقوى اندفاع النيل وفي الرابع والعشرين منه يشور وجع العين وهو أول مهرماه
من شهور الفرس . وفي السابع والعشرين منه يؤخذ قاع النيل . وفي الثامن والعشرين منه ينادى عليه . وفي
التاسع والعشرين منه يدرك البطيخ

﴿شهر أبيب﴾ فيه يكثر العنب والتين ويقل البطيخ العبدلى ويطيب البلح وتقطف بقايا العسل وتقوى
زيادة النيل . وفي رابعه أول نهى أبقرات وفيه يموت الجراد . وفي سابعه أول تموز من شهور السريان . وفي
عاشره يبتدئ وقع الطاعون . وفي ثاني عشره تبتدئ قوة السماء . وفي ثالث عشره تدرك الفاكهة . وفي سابع
عشره تغور العيون . وفي ثامن عشره يجمع السماق (٢) وفي الثاني والعشرين منه يدرك الفستق (٣) وفي الرابع
والعشرين منه أول أبان ماه من شهور الفرس . وفي السادس والعشرين منه طلوع الشعري العمانية . وفي التاسع
والعشرين منه يدرك نخل الحجاز

﴿شهر مسرى﴾ فيه يعمل الخلل ويدرك البسر (٤) والموز وتتغير طعوم الفاكهة لغلبة الماء على الأرض .
ويدرك الليمون التفاحى . ويبتدئ إدراك الرمان . وفي رابعه نقصان الدجالة . وفي خامسه أول العصير . وفي
ثامنه أول آب من شهور السريان . وفي ثاني عشره فصال المواشى . وفي رابع عشره تقتل الألبان . وفي خامس
عشره تسخن المياه . وفي سابع عشره تختلف الرياح . وفي ثامن عشره يحذر لسع الهوام وفي الثامن والعشرين
منه آخر العصير . وفي الرابع والعشرين منه يهيج النعام . وفي الخامس والعشرين منه تكثر الغيوم . وفي الثامن

(١) يسكون الميم (٢) بضم السين وفتح الميم المشددين (٣) يسكون السين وضم بقية الحروف
(٤) بضم أوله وسكون ثانيه

والعشرين منه آخر السمائم . وفي التاسع والعشرين منه أول آذرماه من شهور الفرس .
﴿ أيام النسيء ﴾ ودخولها في الثامن والعشرين من آب من شهور السريان ويختلف آخرها باختلاف
السنة الكبيسة وغيرها . انتهى الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فيهما وعلى الشهور القمرية
والشمسية وذلك من كتاب ﴿ صبح الأعشى ﴾ والحمد لله رب العالمين
هذا ما أردت نقله هنا من كتاب « صبح الأعشى » لتفهم أيها الذكي لماذا ذكر الله الأرض مع الشمس
والقمر إذ ذكر أنه أحياها وأخرج منها حبا وجعل فيها جنات وعيونا ونهارا نأكلها . ثم أعقب هذا بالشمس والقمر
فبدأ بالسبب ثم أتبعه بسببه . فالسبب هي هذه الزروع والحبوب والفواكه التي تضمنها ذكر الأرض اجالا وقد
فصلت بعد آيات . وأسبابها الأضواء السماوية فلما انتظم حساب الأسباب وأوقاتها انتظمت أوقات المسببات وحسابها
فيأتيها المسلمون على هذا النمط فلتكن علوم الاسلام ودين الاسلام . فلما أن المسلمين يعرفون هذه
العلوم والافهم مقصرون في معرفة كتاب الله والله هو الولي الحميد والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا أن هدانا الله . انتهى من كتابة هذا المقام الساعة الثانية بعد نصف ليلة الجمعة ٢٧ يونيو سنة ١٩٣٠
وبهذا تمت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون -)
إن العلم من خواص القرآن . فكلم حض على العلم وأمر بالتفكير والتدبر . إن أول سورة
نزلت بنيت على العلم - اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي
علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم -
فاذا كانت أول سورة نزلت قد أسست على هذا الأسلوب فهذا الدين سيظهر له أثره التام في أمم عرفت
قيمة العلم واذا لم يجعل الله نسبة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقد فصل بينهما فصلا تاما وجعل الجهال
كأنهم من طينة غير طينة أهل العلم مباغلة في التفرقة وتفاوت المنازل . واذا كان العلم هذه صفته فنحن حقنا أن
نسهب في شرحه على ما يقتضيه المقام . فلنجعل الكلام عليه في مقامين : المقام الأول في شرف العلم وطرق
التعليم وجدد الأمم في تحصيله . المقام الثاني في شذرات من العلوم العامة تذكرة للأمم الاسلامية
﴿ المقام الأول في شرف العلم وطرق التعليم وجدد الأمم في تحصيله . وفي هذا المقام ثلاثة فصول
« الفصل الأول » في تمثيل العلم بمعدن الراديوم « الفصل الثاني » فيما قاله الفيلسوف كنت الألماني
في كتاب التربية « الفصل الثالث » فيمن ترك الملك من الملوك والوزراء حبا في علم الحكمة وفيمن
خلع لباس الحكمة واشتغل بالملك ﴾

﴿ الفصل الأول في المقام الأول في تمثيل العلم بمعدن الراديوم ﴾

يقول ﷺ « الناس معادن كعادن الذهب والفضة نفيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام » إن
المعادن جاءت في الوجود مرتبة على مقتضى الحاجة . فكما كان المعدن كثير التناول وكانت الحاجة الى
عمومه داعية كثر وجوده كالحديد والنحاس والحديد . وكما كان الاحتياج اليه أقل كأن كانت له منزلة بها
يحكم الناس في مباحاتهم كالذهب والفضة كان وجوده أقل على مقتضى الحاجة فلو كثيرا لذهبت تلك المزية
لأن كثرتها يتلوها رخصتها ويستدعى نهب الناس وتعبهم في حمل الكثير منها لأجل البيع والشراء
إذن الحكمة تامة في وضع هذا الوجود . عم الهواء ويليه الماء ثم الأقوات للحيوان والإنسان لأن الحاجة
تدعو لذلك ولكن الهواء أقل لأن الحاجة اليه في وقت دون وقت . وكما أن الحكام والملوك أفراد في النوع

الانسانى هكذا الذهب والفضة أشبه بأولئك الأفراد فى المعادن . وههنا ظهر معدن آخر أندرم من الذهب والفضة بل أندرجدا وهو الراديوم ذلك المعدن الذى خلق ليكون له السلطان الأعظم فى عوالمنا الأرضية . ذلك المعدن الذى يهلك من اقتربوا منه من غير احتراس ويشع فى الظلام . ذلك المعدن الضار النافع فهو شديد الضرر كثيرا للنفع ولا سبيل لاستعماله إلا مع العلم ومعرفة خواصه . لذلك حبسه الله ولم يظهره للناس إلا عند ما صارت عندهم بعض المعرفة بخواص المادة لينتفعوا به ويحترسوا من ضرره ، فهذا المعدن العجيب أشبه بالحكيم فى الأرض فكما أن هذا المعدن قل وجوده وكثر نفعه هكذا أولوا الأبواب الذين خلقوا لرقى النوع الانسانى العاشقون المفرمون بمنافعه يقاؤون ويندرون كندرة ذلك المعدن وآثارهم تتناول أمما كثيرة كما أن الراديوم يتناول أمما لا كثيرة مع قلته فى المعادن ، ولعل هذا الوصف شاقك أيها الذكى أن تعرف خواص الراديوم الذى ضربه الله مثلا لحكيم الأمم الذين يخلقون فى الأرض لينفعوا الأمم مع قلة عددهم فيها ، فهالك ما جاء فى « البلاغ الأسبوعى » يوم الأربعاء ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

(الراديوم وخواصه العجيبة)

الراديوم مسحوق أبيض يشبه فى شكله ملح الطعام والرطل منه يساوى فى ثمنه ألف رطل من الذهب وذلك لندرته وإذا تسر لشخص أن يحوز القليل منه فقل أنه قد حاز مالا وفيرا وثروات طائلة ومع ذلك هو شديد الخطورة على الانسان فلو وضعنا رطلا أو رطلين فى مكان معين واقترب منه أى عدد من الاشخاص لما اتوا كلهم ولما بقى منهم أحد ، والغريب أن الانسان يمكنه أن يضع فى يده القليل من مسحوقه بدون أن يشعر بألم ما ولكنه يراها تتقشر وتتفتت طبقات بعد مضى أسبوع ولربما عصى من أمسك بذلك المسحوق وانتابه الموت السريع بعد ذلك ، والقليل من الراديوم الذى يملكه العالم اليوم طالما أودى بحياة من أرادوا إجراء التجارب عليه . ولقد حدث أن عالما أراد أن يلقى محاضرة علمية على الراديوم فأخذ القليل منه ووضعه فى أنبوبة أحكم غطاءها ثم وضع تلك الأنبوبة فى جيب صدريه ولكنه لشد ما كانت دهشة الجميع عند مارأوا أن الجلد الواقع تحت جيب الصدري محمرا وأخذ يتساقط وسرعان ما تكون خراج مؤلم بشع المنظر لم يندمل إلا بعد أسابيع طويلة . والراديوم يلمع فى الظلام كوهج النيران تماما . والعجيب فى أمره أنه يشع باستمرار ضوءا وحرارة ومع ذلك لا يفقد شيئا من وزنه وهكذا فهو كشعلة من الفحم تنقد على عمر الأيام ولا تنفد ولا تزول ويمكننا اذا حصلنا على رطل من الراديوم أن نذيب بواسطته فى كل ساعة رطلا من الثلج بدون توقف أبدا وهو بذلك القوة المستمرة التى كتد علماء الماضى فى البحث عنها . وإذا وضعنا كمية كافية من الراديوم فى فرن قاطرة أمكننا أن نسير القاطرة بلا توقف وبدون بذل أى مجهود فى تنظيف القاطرة أو إعطائها كمية أخرى من الوقود . وقد حدث أن عالما وضع كمية من الراديوم فى صندوق من الورق القوي لمدة من الزمن وعند ما انكسر الصندوق ونزع منه أنابيب الراديوم ورمى الصندوق فى ناحية من نواحي منزله شاهد أن ضوءا ينبعث من الصندوق بعد إطفاء أنوار المنزل وذلك لأن الصندوق قد امتص بعضا من شعاع الراديوم وبالفعل كل مادة تلامس الراديوم لابد أن تتأثر بالراديوم وتأخذ منه بعض خواصه وأهمها الاشعاع . وهنالك نوع من أصباغ الراديوم تدهن به مفاتيح الخطوط الكهربية وذلك لأن المفتاح يولد كهربائية لا بأس بها كلما أدرناه كذلك تستعمل تلك الصبغة المنيعة فى تغطية مينات الساعات أو بندول الساعات الكبيرة أو توضع فوق أوراق تلمص بزجاجات السم تنبهها للمقرب حتى يبتعد عن الخطر

لاشك أنك تعجب كيف ان الراديوم ذلك المعدن النفيس يوضع فوق ميناء ساعة رخيصة الثمن لا تساوى فى قيمتها أكثر من خسين قرشا . والحقيقة أن ميناء الساعات تغطى بطبقة من سلفات الزنك مضافا إليها

قليل جسدا من الراديوم . إن قطعة بسيطة من الراديوم لا تزيد في حجمها عن رأس دبوس . وإذا خلطت بكمية كبيرة من سلفات الزنك تكفي لتغطية أوجه مئات الآلاف من الساعات . وإذا فحص الإنسان مبناء الساعة من خلال مجهر وجد جلة فرقة صغيرة تحدث بالاستمرار بين الذرات وهذه الفرقعات تحدث بسرعة (٢٠٠٠٠٠) مرة في الثانية . فوظيفة الراديوم هي توليد حركة فرقعات متوالية تشعل الزنك وتجعله ينبعث ويبقى الراديوم الذي في وجه الساعة باقيا بينما الزنك يبلى بعد سنوات ، وللراديوم منافع جليلة لبني البشر . ففيه الشفاء من أمراض شتى كالسرطان وكذلك يشفي الأورام والخراجات ، وفي كل بلد كبير من بلدان العالم مستشفى به القليل جدا من (الراديوم) ، وربما لا يستعمل الطبيب في عمله قطعة تزيد في حجمها عن رأس الدبوس ومع ذلك ثمنها مئات من الجنيهات

أما تاريخ اكتشاف الراديوم فشكله سلسلة طريفة من القصص المتتالية : ففي سنة ١٨٩٦ م بينما كان العالم الفرنسي باكوريل يجري بعض تجاربه في بعض المعادن التي تضيء دون ارتفاع درجات حرارتها عرض لضوء الشمس مهدنا يقال له بتشيلند وهو أحد أكاسيد الاورنيام غير النقية حتى اشتعلت من تلقاء نفسها وبعد ذلك درس أثر ذلك المعدن في الألواح الفوتوغرافية ، ولما كان اليوم الذي يجري فيه تجاربه مطبرا لذلك وضع اللوح الفوتوغرافي وراءه الورق الحساس وعليه المعدن في مكان خفي حتى تصحو الشمس ولكنه دهش عند مارتع اللوح وشاهد تكون صورة أحسن من صورة الشمس وهكذا تمكن من اكتشاف مادة لها خواص الراديوم وبينما كان الاستاذ كوري وزوجته يجريان التجارب العامة شاهدا أن معدن البتشلند الذي كانا يستعملانه أقوى في تأثيره من الاورنيام ، وعندئذ أخذت مدام كوري تبحث حتى تمكنت من فصل المادة الأخرى الغريبة التي يجريان عليها تجاربهما ، وذلك انهما كانا يشتريان فضلات مناجم الاورنيام ويغليانها حتى رأيا المعدن الجديد الذي سمته كوري بالبولونيوم نسبة الى بولندا بلادها وموطنها

وبعد إجراء عمليات أخرى أخذت تزيد في غلي الفضلات حتى تمكنت من استخلاص معدن الراديوم ، ولاستخلاص الراديوم لابد لنا من الحصول على معدن البتشلند القليل الوجود وهو لا يوجد إلا في الغروبيج ومضرو وكارولينا الشمالية وكالورادو ومنطقة يوتا ، ويمكن استخلاصه من عروق الذهب ، وإذا أردنا الحصول على رطلين من الراديوم فلابد لنا من تكرير خمسة آلاف طن من البتشلند ، وإذا أردنا الحصول على قليل من الراديوم يعادل ملقح من أقع الحياطة (كستبان) فلابد لنا من تكرير ما يعادل جل قاطرة من البتشلند وأن نعمل خمسة آلاف عملية مختلفة تستغرق ستة أشهر . ولقد عرض العلماء أنواعا من الحيوانات إشعاع الراديوم فنفضت شعرها وبهرها ثم ماتت بعد ذلك . وإذا زاد العلماء جزأ من الراديوم على ثروة العلم الحاضرة فهم يزيدون بذلك ثروة جديدة على ثروات العالم لأن الراديوم يستمر في إشعاع حرارته وضوئه مدة ستمائة سنة ثم تصبح قوته نصف ما كانت وبعد ستمائة سنة أخرى تصبح الحرارة والنور ربع ما كانت وهكذا حتى بعد مضي عشرين ألف سنة يتحول كله الى رصاص

وبالراديوم يمكننا تحويل بعض المعادن الى الأخرى كما يؤمل بعض العلماء ذلك وكما يرجونه في القريب العاجل . ولو أمكنهم الحصول على كل القوة الكامنة في الذرات لأمكنهم تحويل ما يريدون ولانقلب العلم رأسا على عقب

وقد أدى اكتشاف الراديوم ودراسته الى نظرية غريبة هي أن كل الذرات الموجودة الآن كانت أجراما صغيرة جدا تسبح في المجموعة الشمسية حول القطب وإن يمكن فناؤها فقط تتغير من حالة لأخرى وبخاصة التغير هذه من حالة لأخرى يوالى العلماء أبحاثهم حتى يغيروا ما بالأرض ويكشفوا أسرار الكون . انتهى

ما جاء في مجلة « البلاغ الاسبوعي » والحمد لله رب العالمين

ها هو ذا الراديو وهذه خواصه وعجائبه . ياسبحان الله . ياسعدانه . أليس من العجيب أن أرواحنا جاءت الى هذه الأرض وهي أشبه بالقريبة عنها . أرواح أرسلت الى الأرض وهي لا تزال تتخبط مدى الدهور والأعوام فيها لانتهدى فيها سبيلا ولا تجد لها طريقا إلا بما أعطيت من موهبة العقل . جاءت أرواحنا الى الأرض ولبست هذه الأجسام ، نظرت فرأت في الأرض نباتا وحيوانا ونظاما جميلا ، ورأت أن للحيوان غرائز قد كفته السمي فهو يعيش بقوانين لا عوج فيها ولا خلل بل هو يسير منتظما محفوظا سعيدا موفر الرزق ، أما نحن معاشر بني آدم فأننا أخذنا تتخبط في هذه الدنيا وطفقنا نشعر بالحاجة الى التعلم والاهتداء بنور بصائرنا فرجعنا الى الكتاب الذي أمامنا فرأينا كتابا جميلا مكتوبا بخط مجسم واضح فأخذنا نقرؤه ، وما هذا الكتاب إلا هذا الوجود ، فقرأنا سطورا وسطورا تعلمنا منها إيقاد النار والغزل والنسيج والسفر في البحار في السفن وهكذا من كل ما تقدم يعد بالعشرات في ﴿ سورة طه ﴾ عند آية - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فهناك تجد أن علوم بني آدم أولا أخذوها عن الحيوانات ولكن نحن أشرف منها وأعظم والاهتداء بالحيوان وحده نقص لنا

هناك قيض الله من الناس قوما منزلتهم فيهم منزلة الماس والياقوت والأسرب من المعادن . فهذه المعادن الثلاثة مسلطة على المعادن بل هذه الثلاثة بعضها مسلط على بعض فان الأسرب الحقيق هو ذو السلطان على أخويه المسطين على البقية . أفلا ترى إذن أن أقص عليك ديانات الانسان لتعلم منزلة دين الاسلام من ديانات الأمم . انظر تر أن دين البوذية الذي له السلطان على نحو ثلث أهل الأرض اليوم المنتشر في الهند الذي هو أقدم الديانات لم ينتشر إلا في البقعة التي جاء فيها وليس له سلطان على افريقيا ولا على أوروبا ولا على غربي آسيا . وتجد دين كونيوس الذي انتشر في الصين قبل المسيح بمئات السنين لم يتعد دائرة الصين واليابان وهو معزل عن الأقطار الأخرى . وتجد دين اليهودية قد حصره اليهود بين ظهرانهم

أفلا ترى أن هذه الديانات كلها أشبه بالمعادن المذكورة المسطرة على بقية المعادن بالقطع . فياسبحان الله وياسعدانه . انظر الى دين الاسلام الذي نزل في جزيرة العرب التي اختارها الله لنزوله لأنه يعلم أن أهم العرب أقرب للإخلاص لله . فهم مخلصون صادقون متى عرفوا الحقائق واقتنعوا بها . فهم لما نزل دين الاسلام وعلموا انه رجة للعالمين كلها طاروا في الأرض شرقا وغربا فدخل هذا الدين على البوذية في ديارهم وعلى أتباع كونيوس في عقردارهم وعلى أمة اليهود فأسلم بعضهم وعلى أهم النصاري أولئك الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وسارعوا الى دين بوذا والى دين خريستا قبله في الهند فألقوه بهذا الدين وجاؤا بالأب والابن وبالروح القدس وجعلوا التثليث المنقول عن دين الهند قيمة دينية وجعلوا لهم مبشرين متبعين البوذية التي ظهرت قبل المسيح بنحو خمسمائة سنة ودين خريستا المنتشر قبل المسيح بما يقرب من خمسة آلاف سنة . انظر هذا المقام في آخر ﴿ سورة المائدة ﴾ فانك ترى ما في الأناجيل منقولا عن دين بوذا وعن الدين الذي قبله بالحرف بلا تصرف ولا تعقل

انتشر الاسلام في الأقطار ولا يزال ينتشر الى الآن كما تقدم في ﴿ سورة العنكبوت ﴾ منقولا عن علماء أوروبا وهناك للمسلمين مالوك عند خط الاستواء ولهم سياسات وانظم وجيوش وحفاظ للقرآن وعلماء وقضاة . لم يفعل فعل العرب أحد من الأمم في الأرض لذلك اختارهم لنشر العلم في الأرض . هؤلاء نظروا . فإذا يجدون ؟ يجدون الأمم ساكنة خاملة . بحثوا عن العلم لأنهم وجدوا الله يقول لنبيه ﷺ - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ثم أكد ذلك بقوله - إنما يتذكر أولوا الألباب - هنالك قالوا لنبحث عن العلم أما الدين فقد نشرناه ولم يبق إلا العلوم والمعارف . والعلوم والمعارف إنما تكون

بالعقول والعقول كلها متضامنة . وإذا كنا نجد الله يقول لنا إن الغراب جاء معلما لأبناء آدم كيف يوارون
الأموات في قبورهم وسممناه يقول - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال
ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين -

سمعنا الله يقول : إن ابن آدم نادى بالويل والبشور على نفسه لأنه لم يتفطن لعلم عرفه هذا الغراب .
هذا الغراب الذى هو أقل منه درجات ، هذا الغراب الذى هو حيوان خلق مقدمة وذخيرة لهذا الانسان ،
فكيف يعرف المفضل ويجهل الفاضل ؟ هذا عار ، لذلك فعل ابن آدم فعل الغراب ووارى سوءة أخيه ،
عرف ذلك كله آباؤنا العرب منذ ١٣ قرنا فقالوا : لنبحث علوم الاول وأى أمة أقرب لنا من اليونان ، هذه
الأمم التى حفظت علومها فى خزائن ملوك النصرانية وحرموا قراءتها ، فلنبعث تلك العلوم من خزائنها ،
هنالك أرسل أبو جعفر المنصور ملك الروم فأرسل له بعض الكتب الرياضية وغيرها ، وهنالك أرسل المأمون
ملك الروم أن يبعث له الكتب فأبى فخاربه وبهذا انتشرت العلوم فى الاسلام

ثم ذهبت دولة العرب وحلت محلها أمم وأمم وتغيرت الأحوال وجاء قوم جهلاء فهاذا صنعوا ؟ حاربوا
العلوم وقالوا كففنا الوضوء والصلاة والاجارة والسلم والبيع وعقود الأنكحة والقضايا والدعاوى والطلاق
وهكذا مما دونه الفقهاء فى كتب الفقه وناموا نوما عميقا ، فهاذا تم بعد ذلك ؟ أذن الله للعالم الذى نشره
أولئك العرب أن ينتقل بخزائنه من بلاد الاسلام الى أوروبا على أيدي تلاميذ ابن رشد فى الأندلس وقال
الله : أيها العرب الأندلسيون . آباؤكم كانوا صالحين لحل أمانتى ، أما أنتم فأنكم شعراء غزليون شهوانيون
فهاأنذا أخرجكم من الأندلس بعد أن أدبتم وظيفتكم وهى نشر العلوم فى أوروبا لأن النبى العربى رحمة
للعالمين ، فرحتى لكم بمحمد انكم مؤمنون به ورحتى لأوروبا أن العلم الذى تسلمه آباؤكم من اليونان
ينتشر على أيديكم فى أوروبا وكفى فأخرجوا من أوروبا فقد انتهى عملكم . كل ذلك تم فى القرن السادس
الهجرى و بعد ذلك الانتقال تمزقت وحدة المسلمين فى الأندلس وصاروا عشرين دولة فالتهمتهم الأمم المسيحية
ورجعوا بخفى حنين ومات كثير منهم ورجع الى بلاد الغرب منهم ألوف وألوف . هذا هو تاريخ العلم والدين
انتشر العلم فى ربوع أوروبا وقد قلنا ان الذى أوصله لهم آباؤنا أولئك الذين صاروا فى آخر أمرهم شعراء
بدل أن يكونوا علماء وكأن الله قال لهم :

أيتها الأمم العربية : أنا أرسلت لكم رسولا منكم لم يكن شاعرا بل كان نبيا وأنزلت عليه - قل هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وأنتم تركتم العلم واكتفيتم بالشعر ونبتتم الحكمة التى رقاها
أسلافكم فانهم هذبوا علم اليونان ونشروه ، فهاأنذا سأرفع هذا العلم منكم وأعطيته لقوم آخرين ، فأما أنتم
فان ضياع أوقاتكم فى مدح الملوك والغزل والمناظرة بين الورد والمطر وما أشبه ذلك من كل ما هو خيالى فليس
بعلم بل هو شعر - والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم ترأنهم فى كل واديه يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون -
وأنا أرسلت النبى العربى للعلم لا للشعر ، ولم أسويين العالم والجاهل ، هذا هو تاريخ أسلافنا وتاريخ ديانات
الأمم اجبالا مع العلوم

يقول مؤلف هذا التفسير : فهاأنذا أحد أبناء حلة هذا الدين وهم العرب وقد جئت فى زمن بين زمانين
زمن الخول وزمن النهوض ، هاهى ذه روحى قد جاءت فى هذه الأرض غريبة عنها كبقية الأرواح الأرضية
وانما قلت غريبة لأنى أرى لها مطامح عالية وأرى هذه المطامح كلها يدل عليها العلم ويؤيدها الدين لأنى أراها
لا تقف عند حد فهى روح أرقى من أرواح هذه الحيوانات ولكنى أراها روح مسكية تتلمس العلم والمعرفة
هنا وهناك وقد جاءت بين زمانين كما قلنا زمان النهوض وزمان الخول . لقد نظرت فرأت علوما تنشر وعلماء
فى مصر وفى الشرق وفى الغرب . هنالك أخذت تقرأ تاريخ الأسلاف وتاريخ الاسلام ونظرت فهداها الله الى

هذا التفسير ، فعلى "إذن أن أنظر في علوم الأمم التي جاءت بعد ذهاب مجد آبائنا العرب . هل زادوا في العلم شيئاً بعد ما تسلموه من آبائنا ؟ فإذا رأيتهم زادوا شيئاً وجب على أن أقول لقومي من العرب وغير العرب لأن النسب ليس له دخل في الاسلام بل الاسلام دين عام . فإن أنأخطب كل عاقل لأن ديني هكذا شأنه فليس كدين اليهود الذي جعلوه خاصاً بهم ولا كالديانات الأخرى بل هو دين عام لجميع الأمم ، وعلى ذلك أخطب كل الأمم فأقول : هاهوذا العلم وقف حيث تسلمه الأوروبيون من تلاميذ ابن رشد ونام المسلمون نحو (٧) قرون فهل زاد شيئاً ؟ نظرنا فرأيناه زاد كثيراً ، فوجب على "إذن أن أدل الأمم الاسلامية على هذه الزيادة وأقول لهم : أيها المسلمون : - هذه بضاعتنا ردت إلينا - بل إن الذين تسلموها من آبائنا قد زادوها والله يقول - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ فهاهوذا سبحانه عبر بالفعل المضارع والفعل المضارع يقتضي التجدد بالقرائن كقوله تعالى - يحيى ويميت - فالأحياء والاماتة تتجدد كل وقت هكذا العلم يتجدد كمتجدد طلوع الشمس وغروبها في كل يوم ، إذن علينا أن نجتد في العلوم دائماً لأن نقف عند حد إطاعة لشارة القرآن والله الذي له الملك وله السموات والأرض لما نقل العلم عن آبائنا إلى أوروبا سخرهم له فزادوا فيه وجتددوا إذن فلنقرأ علومهم والا كان غيرنا أحسن منا في تلك العلوم لأنهم علماء ونحن جهلاء بها وهذه العلوم يأمر بها ديننا ويذم من يجهاها ، وفي هذا التفسير زهرات وثمرات من بساين العلوم وحض على استكمالها

أوليس من العجب العجيب أن نرى القوم داوموا البحث في الراديوم حتى استخلصوه من البتشلند وأن مقدار ملء قع من أقماع الخياطة (كستبان) يحتاج في تخليصه إلى قاطرة من البتشلند وإلى خمسة آلاف عملية ، فانظر إلى هذا الاجتهاد من أهل الغرب الذين أخذوا العلم عن آبائنا وزادوه وتعاونوا جميعاً على النهوض والارتقاء . وههنا أقول : أليس من العجب أن المقدار من الراديوم الذي لا يزيد عن مقدار ما يغطي رأس الدبوس يخلط بمقدار من سلفات الزنك فيغطي أوجه مئات آلاف من الساعات ، ونرى في أوجه هذه الساعات فرقعات صغيرات بين الذرات مسرعات في جزيها (٢٠.٠٠٠) مرة في الثانية فتجعل الزنك كأنه ينير ، إذن هذا الراديوم أشبه بدين الاسلام لأنه جاء فلاً الكرة الأرضية ، فإذا كانت الديانات الأخرى قد دخلها التحريف من جهة ومن جهة أخرى أكثرها محصورة في أماكن خاصة ، فههنا هذا الدين انتشر في الكرة الأرضية وأصبح كالراديوم ينير الأمم أينما حل ويحمل معه العلم فلاسلام دين العلم وإن كان الحاملون له الآن أكثرهم جهلاء ، الاسلام كالراديوم مجهول نوره وسيستخرج العلوم التي أمر بها أناس من قراء هذا التفسير وأمثاله كما استخرج (باكوريل) خواص الراديوم ، وإذا كان دين الاسلام كالراديوم من حيث انه انتشر في القارات كلها وليس ديناً منقولاً عن غيره ومن أكبر خواصه نشر العلم . والديانات الأخرى القديمة المبذلة منزلتها كنزلة المعادن الأخرى التي صار الراديوم أرقى منها وله السلطان الأعظم عليها وعلى غيرها ، فهكذا منزلة علماء الأمم في سائر العلوم كنزلة المعادن ومنزلة العلماء الذين لهم السلطان على العلوم كلها بحيث يفسكرون في النظام العام ويقرؤون العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وينظرون في هذا الوجود نظرة عامة منزلتهم من علماء العلوم الخاصة منزلة الراديوم من المعادن كلها ، إذن العلماء الناظرون في هذا الوجود كله نظراً تفصيلياً هم القوامون على الشهب في الأرض وهم الذين يجتدون البحث والتنقيب في هذه الأرض والله يقول - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - بالفعل المقتضى للتجدد وقتاً بعد وقت كما يقوله علماء علم المعاني

ثبت إذن أن العلماء الباحثين في هذا الوجود قليل ونادر ، وإذا حكم الله عز وجل بأن لاني بعد خاتم النبيين ، فهاهوذا سبحانه يأمرنا بالبحث وأشرف الباحثين هم الناظرون في هذا الوجود كله نظرة عامة ، فهأنا ذا الآن أيها المسلمون في الفصل الثاني الآتي بعد هذا سأقل ما ذكره أكبر عالم في ألمانيا وهو (كنت) في علم التربية قياماً بحق أمانة العلم التي سألها الله لآبائنا بالوحي أولاً وبالنقل عن العلماء ثانياً . فإذا نقلنا علم الأمم

الاوروبية ثانيا الى لغتنا العربية فغنى هذا اننا أخذنا نتسلم العلم من القوم كما تسلموه من آبائنا
هأنذا أيها المسلمون نظرت بعد مئات من السنين في العلوم التي نقلها الفرنجة عن آبائنا وهأنذا نقلت
وأنقل بعضها وهأنذا القرآن يحضكم على العلم والتعليم ، فهأنذا أقول لكم انكم ستقروون علم القوم ولابد
من أن تستوعبوا نقلها وفهما . ثم لتقوموا برقى الأمم كرة أخرى . أنتم يا أمة الاسلام عليكم النهضة الحديثة
التي ستكون بعد مغادرتنا هذه الدار ستكونون أنتم - خير أمة أخرجت للناس - . ذلك أنكم بعد أن
تستوعبوا علوم أمم أوروبا وأمريكا ستقولون إن القوم لم يشعروا بشيء ، نعم حصل بعض الارتقاء المادى الضعيف
ولكننا لانزال نرى الانسانية في حال طفوليتها ، فواسوأتاه : نبينا رحمة للعالمين ، فلنكن نحن رحمة للعالمين
والا فكيف نكون أتباعه ، نحن رأينا الأمم اليوم أشبه بالنساء النابات ، يموت الميت فيشتقن الجيوب
ويلاطمن الخدود ، هكذا هذه الانسانية الجاهلة لم نجد لها رقيا ، دخل هذه العلوم هي الرقى ؟ كلا . هانحن
أولاء نرى الحشرات تفتك بالزرع فيقل المحصول ويهلك من الأمة المصرية وحدها في السنة نحو (٧) مليون
جنينه بسبب الحشرات فما بالنا بالأمم الأخرى ! وهكذا نرى الغابات في خط الاستواء لو استولى عليها النوع
الانسانى وأخضعها له لأصبح الانسان غير الانسان اليوم والأرض لانزال مستعصية على الناس فترك الناس
هذا كله ورجعوا يتحاربون ويتقاتلون جهالة ونذالة وخسة ، فهم لا يبعدون في التشبيه عن النساء النابات فان
الناس أشبه بجسم واحد تضرب الانسانية بعضها ببعضها ، ولو كان فيهم حكماء وعلماء أحسن من هؤلاء لعلموهم
أن الانسانية كلها اذا وات وجهها وجهة الطبيعة لحازت قصب السبق في السعادة ولكن الانسان أرقى من
الحيوان الذى جعل مقدمة له وخادما ، فهو الآن لم يرتق عن النمل الذى يحارب بعضه بعضا لقله علومه ومعارفه
ثم يقول المسلمون بعدنا : نحن أتباع نبينا ﷺ وهو رحمة للعالمين ، فلنقرأ علوم أوروبا وأمريكا ثم
يأتى جيل آخر ويكون قد قرأ أمثال هذا التفسير فيقولون : أيها الانسانية تعالى انظرى معنا - تعالوا الى
كلية سواء بيننا وبينكم - لننظر في الطبيعة ، أليست مشتركة بين الأمم ، قوموا فلنحاربها معا ولنخضعها ،
وهناك تكون لنا سعادة لم يحلم بها آبائنا ، هنالك يأتى اليوم الذى أخبر به القرآن وهو اليوم الذى تم فيه
العلوم والمعارف سائر الأمم ويذهب الحرب ويحصل السلم ويذهب من الأرض ذلك الوصف القبيح وهو
الدجل وادعاء المسيحية وليس في الأرض الآن مسيحية لأن المسيحية الحققة هي التي تمنع الحرب والذين قالوا
إنا نصارى اليوم يحاربون ، إذن هم ليسوا أتباع المسيح . إذن هؤلاء الذين وردوا في الحديث انهم أتباع
المسيح الدجال الكاذب . والاسلام في المستقبل هو الذى يعلم الأمم هيئة السلام العام بالعلم والحكمة وانتشار
الفضيلة . فالمسيحية الآن دجل وكذب لأنها مصحوبة بالحرب ولا حرب في المسيحية فأين هي اليوم إذن ؟
والاسلام سيعان الحقيقة ويقول : أيها المسيحيون . ارموا السلاح واقروا العلم معنا فلتخضع الطبيعة لنا لأن
الله جعل لنا السلطان عليها فخذوا أيديكم للتعاون على السلام العام وستتحد الأمم بعدنا على ذلك
وليس يهمهم ذلك إلا رجال مصلحون هم خيرة الأمم ونسبتهم الى العلماء بالعلوم الخاصة كنسبة الراديو
الى بقية المعادن

اذا عرفت ذلك أيها الذكى فلا سمحك ما وعدت بنشره من آراء (كانت) الألمانى فأقول :

﴿ الفصل الثانى من المقام الأول ﴾

(فيما قاله الفيلسوف « كانت » الألمانى في كتاب التربية)

اعلم أن هذا الكتاب المسمى « كانت في التعليم » قد ترجم من الألمانية الى الانجليزية بواسطة
(اينت تشرتون) وقد وضعت له المقدمة السيدة (رايزدافيدس) والكتاب مشتمل على مقدمة وأربعة فصول
المقدمة في النظام العام في التعليم وموازنة تعليم الانسان بغرائز الحيوان وكيف كان للحيوان غريزة استغنى

بها عن التعليم والانسان محتاج اليه وكيف يربي الأطفال والتلاميذ وهكذا ﴿ الفصل الأول ﴾ في التعليم الجسمي الطبيعي ونظام الاطفال في الرضاعة والنظافة والملابس وما أشبه ذلك ﴿ الفصل الثاني ﴾ في تعليم العلوم ﴿ الفصل الثالث ﴾ في اخضاب هذه العقول الانسانية بالعلوم وتحليتها بالبحث والتنقيب واعطاء الشبان حرية البحث واستخراج المجهولات بماعرفوه في الفصل الأول بالتلقين ﴿ الفصل الثالث ﴾ في الاخلاق العامة لنوع الانسان والتهديب ﴿ الفصل الرابع ﴾ في مزاوله الانسان أعماله ومعاملته للناس في الحياة وذلك يشمل رحته للانسانية العامة وأعماله الخاصة في نفسه واستنتاجه هو نفسه ببصيرته ، وبالجملة كل ما يدخل في دائرة أخلاقه في نفسه ومع غيره ، فلنقتصر في هذا المقام على ترجمة المقدمة لأنها جامعة لمقاصد المؤلف إيفاء لبعض معنى قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقوله تعالى - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم - علم الانسان ما لم يعلم - . ابتداء المؤلف مقدمته قائلا :

(١) الانسان هو الذي يحتاج للتربية دون غيره ، إن التربية تشمل :

(أ) تربية الأطفال في المهود بالعناية الخاصة والتغذية

(ب) والتهديب بمنع الطفل مما يضره

(ج) وتلقينه العلوم

فهو طفلا يحتاج الى الحضانة ، وغلاما يحتاج الى مراقبة أخلاقه وتهديبه ، وتلميذا يحتاج الى التعليم (٢) إن الحيوان قد أعطى غريزة أغنته عن التعليم فقد سنت سنن لاعوج فيها . أفليس من العجب العجيب مثلا أن أفراخ الخطاطيف عند خروجها من البيضة وهي لاتزال مغمضة العين لم تر- النور تراهنّ يحترسن غاية الاحتراس من أن يدنسن أعشاشهنّ . إذن الحيوان ليس في حاجة الى حضانة تقوم بأمره وغاية الأمر أنه يعطى الغذاء والدفع و بعض العناية بالمحافظة عليه . إن أكثر الحيوان في حاجة الى الغذاء أما الحضانة فلا . إن الحضانة تشمل شدة العناية بلطف والحيلة الشديدة التي يقوم بها الوالدان بمحافظه على الأبناء كأن يحميهم من مزاوله أعمال تضر بهم فهذا كله لا حاجة لصغار الحيوان به . ألا ترى أن صغار الحيوانات المولودة حديثا لو أنها رفعت أصواتها بالبكاء كما يفعل صغار الانسان لسا رعت اليها الحيوانات المفترسة المحيطة بها وافترستها ساعة ولادتها

(٣ و ٤ و ٥) إن التهديب يقرب ما فينا من أخلاق حيوانية الى أخلاق انسانية . والحيوان بما منح من الفرائز لا يهوزه التمييز والاختيار . فهناك قوة أخرى دبرت له ما يحتاجه . أما الانسان فهو الذي لا تقوم له قائمة إلا بتديره هو وعنايته . ولما كانت العناية لم تمنحه غريزة وجب عليه أن يجد في كل ما يزاوله ويفكر فيه بعقله . ولما كان الانسان في أول نشأته لاعلم له بما يحتاج اليه هناك قيض له أمثاله من الناس فعلموه ما يحتاجه . وايسر خصائص الانسان تأتي له بخفة بالترتيب ولا تعقيب بل تظهر فيه تدريجا شيئا فشيئا ولكن ذلك أولا بادراك بصيرته وثانيا بجده واجتهاده هو لا بالفرائز كالحيوان . وبعد التهديب وتحسين الخلق يكون تعليم العلم . ولو أننا عكسنا القضية فبادرنا بالتعليم ثم أخرنا التهديب لرجع الانسان في آخر أمره الى الحال الوحشية التي منها نفر كل حين . إلا ان التهديب هو الذي يمنع المرء من رجوعه من حالة الانسانية التي هي نهايته الى الأخلاق البهيمية التي فر منها . بالتهديب يحفظ المرء من الاندفاع في سبل الشر ومواقف الخطر والوحشية والتهديب أمر سلبى لا إيجابى لأنه يهذى الانسان الى أن تكون أعماله نظامية قانونية فأما القسم الايجابى في التربية فهو تلقين العلوم ودرسها وفهمها . إذن التهديب منع فهو سلبى

والتعليم تلقين فهو إيجابي لاسيما . أولهما نهى وثانيهما أمر . وأولهما تخلية وثانيهما تخلية .
 بالتهذيب يكون ضبط العواطف وسمو الأخلاق . وذلك يجب أن يكون من مبدأ الحياة . يرسل
 الصبي للمدرسة فليكن أول ما يفاجأ به من الأعمال تنظيم جلوسه ومشيه . يؤمر فيأتمر لا غير
 ولا تبين له الأسباب لأنه لا يفهمها بل يكون ذلك أمرا عمليا . ههنا قيدنا حريته وأحطنا بقوانين
 فإذا لم نفعل معه ذلك وشب وشاب وهو لم يهتد بقييد تلك الحرية بقوانين فإنه بعد فوات زمن
 الصبا لا يسدل بها شيئا ولا يمتثل لما ينصح به وترسخ في الناس عوائدها فلا تهذيب ولا تأديب ،
 وهل يهذب الديب ! لذلك تجب المسارعة الى التهذيب من أول الحياة حتى لا يستعصى أمرها
 اذا كبر الانسان ، فلتصقل تلك الخشونة التي في الطباع بصقال التهذيب والتأديب ، الأطفال يهوزهم
 حالان : حال التربية الجسمية ، وحال التربية العقلية . لحال التربية الجسمية بالحضانة في حال
 الطفولة ، وحال التربية العقلية بسبيلين اثنين : تهذيب النفوس وهذا سلبى ، واصلاح العقول
 وتسكميلها بالعلوم والمعارف وهذا ايجابى

(٦) إن صغار الحيوان لا تتعلم شيئا كما يتعلم صغار الانسان ، اللهم إلا ان الطيور تعلم صغارها كيف
 تقلد أمهاتها في أصواتها الخاصة بها إذ تقف الصغار حول أمهن مصطفات اصطفا في التلاميذ في
 المدرسة وتسمعهن نغماتها الخاصة بأبناء نوعها وهن يقلدنهن بحناجرهن الصغيرة حذو القذة بالقذة
 فالتعليم لم يكن عند حيوان غير الانسان إلا الطيور فانها هي التي تعلم صغارها أصواتها بل لو أننا
 رفعنا نصف بيض عصفور السكنارى المعروف ووضعنا بدل ما رفعناه منه بيضا لعصفور دورى ثم
 فقس البيض كله وأخذ السكنارى يفنى بصوته الخاص فأننا نسمع مما خرج من بيض العصفور
 الدورى صوت السكنارى المبنى لاصوت العصفور الدورى فدل ذلك على أن الطيور تتلقى الصوت
 بالتعليم فهي كالانسان يكمله التعليم ، ومن المعروف أن الانسان إنما يعلمه انسان مثله والذي
 يعلمه قد استكمل التعليم من قبل فلذلك استحق أن يعلمه ، وكما من المعلمين من هم في حاجة
 الى تهذيب نفوسهم واكمال تعليمهم حتى يصلحوا أن يعلموا تلاميذهم ، لو أن علما آخر أظلى
 من هذا الانسان علمه لعرفنا اليوم من هذا الانسان ، ونحن الآن لا يسعنا تقدير هذه الانسانية
 ولا معرفة قواها ، وكيف يتسنى لنا معرفة ذلك ونحن لا نزال نرى صفات كانت بارزة فيه واضحة
 أزالها التهذيب وصفات أخرى مخفية أبرزتها التربية والتعليم

(٧) لو أن ذوى المنازل الرفيعة من الأمراء والملوك ومن نحاحوهم تعاونوا مع ذوى المواهب العالية
 من الشعوب وأخذوا في ترقية الانسانية معا لأمكننا بهذه الطريقة القويمة أن نخبر عن مواهب
 هذا الانسان والى أى حد يصل فى ارتقاء مواهبه ، ولكن مما لا يسع العاقل العادى أن يجمله
 ويجدر بالحكيم المغرم برقى الانسانية أن يعرفه أن أقول : إن ذوى المقامات الرفيعة من الملوك
 والأمراء لا يهتمون بأمر الشعوب ولا الانسانية العامة إلا بمقدار ما يسمو به سلطانهم وترتفع به فى
 الناس أقدارهم ، فأما سعيهم لارتقاء الانسانية درجة أودرجات لتقرب من الكمال فذلك ليس
 بعينهم ولا يهتمون به

(٨) ليس من الناس أحد بلغ درجة التعقل والتبصر والتمييز بعد أن أهمل ذووه تعليمه فى الصغر إلا
 وأخذ يسأل نفسه قائلا : « أهذا الخلل جاء من نقص التهذيب أم من نقص التعليم ؟ » (وهذان
 تشملهما التربية العامة) . إن الرجل الذى لم يعلم يعد رجلا غير ناضج فهو نبيء وغير متقن ، وأما
 الرجل الذى لا تهذيب عنده فهو رجل غير منظم الحياة ولا موزون

(٩) إن النقص الحاصل من إهمال التهذيب أشد وطأة وأضرر بالإنسان من نقص التعليم فإن العلم يمكن تداركه في الكبر . أما التهذيب وتحسين الخلق فهيات هيات أن يصلح شأنه بعد فوات فرصته في الصغر . إن الخطأ في تهذيب الطفل لن يصلح أمد الحياة

(١٠) وعلى كل جيل أن يخطو في التهذيب والتعليم خطوة إلى الأمام ويسلمها للجيل الذي بعده وهنالك ترقى الإنسانية شيئاً فشيئاً جيلاً فجيلاً وتقرب من كمالها خطوة خطوة إذ لا سبيل لبوغ الإنسانية غايتها إلا بوسائل التربية والتعليم ، ولا جرم أن هنا أصراً جديراً بالذكر وهو هذا السؤال : ما الذي تستفيد به الإنسانية من دوام التعليم وارتقاء الإنسانية فيه جيلاً فجيلاً ؟ وجوابه بين واضح وهو أن ارتقاء التعليم يوجب ظهور المواهب الكامنة في الإنسان واستكمالها وهذا يجعل الإنسان أسعد حالاً وأنعم بالاً مما هو الآن ، إن ما ننتظره من رقى القوى الإنسانية بكمال التعليم أمر جليل القدر عظيم المنزلة

(١١) لنجعل نصب أعيننا هذه الفكرة ونقترب في أنفسنا أن الإنسانية لا بد من ارتقاءها ، فإذا فعلنا ذلك أمكننا السير في هذه السبيل ، أما إذا يئسنا من هذه الفكرة مدعين أننا لن نألفها لأننا لم نزاوها فذلك يبعدنا عنها صراح ، كما إذا فكرنا في أمر الحكومة وبحثنا عن هيئة الحكومة العادلة التي لا خطأ في أحكامها فقلنا لا سبيل إليها لأننا لم نزاوها

(١٢) فلنجعل نصب أعيننا فكرة رقى الإنسانية ونحققها في أنفسنا ضاربين صفحاً عما أمامنا من العقبات الصادة عن إتمام غاياتنا في ذلك ، واذن يكون تحقيقها ممكناً ولا تحقيق لعمل إلا بعد انضاج الفكرة فيه والافتناع بها

إن التعليم في أيامنا الحاضرة لا يؤدي إلى رقى الإنسانية ، وكيف يؤدي إليها والأمم مختلفون في الطرق التي يسلكونها . فما الذي يجمعهم إذن ؟ فليكن اتحاد عام للتعليم . فهذا الاتحاد هو الذي يحدث في الإنسانية طبيعة جديدة فلنعمل لتحقيق تلك الفكرة بالتعليم ويسلمها الجيل المتعلم إلى الجيل الذي بعده ليقرب كل جيل من الغاية العالية شيئاً فشيئاً حتى تتحقق الآمال بالتدريج وهناك تكون سعادة الإنسانية . ولأضرب لك مثلاً نباتاً يسمى (أريكيولا) إذا نبت بطريق بذره وحرثه وسقيه خرجت أزهاره ذات ألوان بديعات جيلات فأما إذا بقيت جذوره للعام المقبل ونبتت شجيرات عليه فإن أزهارها لا تكون إلا ذات لون واحد وتذهب منها تلك المحاسن والبهجة والزخرف والنضارة والرقش والتزييق التي كانت في زهرات العام الماضي . لماذا هذا ؟ لأن النضارة والبهجة الكامنتين في النبات خبئت في البذرة فبرزت . أما الجذور الباقية فيما بعد فقد خلت من أكثر المحاسن . هكذا الإنسان فإن لم يكن التعليم مستمر الرقى والابتداع فيه فإن ثمراته تكون ضئيلة ضعيفة لا تشفي من علة ولا تروى من غلة ولا تدفع عارا ولا تطفى ناراً

كم في الإنسان من مزايا مخبوءة في جبلته لم تبرز للوجود . فعلينا نحن أن نجعل هذه الأصول الصالحة تظهر وتموحي تصل بالإنسان إلى غايته المنتظرة . أما الحيوان فقد وصل إلى غايته واستكمل قوته التي لا قوة وراءها بلاروية ولا فكر . والإنسان عليه أن يجد ليصل لغايته ولن يصل إلى ذلك إذا لم يضع الفكرة نصب عينيه لأن أول الفكر آخر العمل . وبدون الجهاد الفردي لن تتم للإنسان غايته . فلنتصور والدين كملت أخلاقهما واستكملت مواهبهما وجعلنا أنفسهما مثلاً لأبنائهما . فاتبع الأبناء الوالدين اتباعاً تقليدياً بلاروية ولا تعقل ولا بصيرة فإن هذه النرية تظهر بعض مواهبها لاجتماعها وذلك بمجرد التقليد . إن الناس في الأزمنة الحالية والقرون الماضية لم تكن لهم فكرة ثابتة لترقية الإنسانية العامة . بل حتى الآن في أيامنا هذه لا نجد رأياً ثابتاً لهذا الغرض العام . إن الحق الصراح يقضي أن الجهاد الفردي لبوغ الغاية الإنسانية هو السبيل

الموصل لها وبدون الجهاد الفردي لاجتياح في الوصول اليها بل لا تكفي أفراد قليلة . فليعمل كل فرد في الناس لهذه الغاية . إن الإنسانية العامة لاسعادة لها إلا بسعي جميع أفرادها في استكمال مواهبها

هذه هي الحقيقة التي لا مراء فيها . إن التعليم صناعة ولا يتم كمالها إلا بجهاد أمة كثيرة فيها . وكل جيل يهب تجاربه ومعارفه للجيل الذي بعده ليقرب من الكمال واستنابات بذوره الكامنة حتى يقترب من الغاية المنشودة . بهذه الوسيلة يتقدم النوع الانساني نحو نصيبه من الكمال

إن العناية المدبرة للانسان قد أرادت منه أن يستخرج بنفسه من نفسه المزايا الشريفة التي كملت في جبلته وخاطبته تلك العناية قائلة له : « أيها الانسان : أنت على نفسك بصيرة ولوالقيت اليها معاذيرك ، نحن منحناك كل موهبة وأعطيناك أصول الرقي الموصلة الى غاية السعادة ، فأما استكمال تلك المواهب واستخراج تلك الفضائل واستنابات تلك البذور فذلك عليك أنت ، هكذا عليك قضينا أن سعادتك وشقاءك متوقفان عليك أنت وحدك »

إن العناية بذلت للانسان بذور السعادة لانفس السعادة وعلى الانسان أن ينمي تلك البذور الكامنة فيه فهي لم تضع فيه نفس السعادة بل مقدماتها ولم تحطها بغريزة تستكمل نموها بنحو خاص الغريزة ، فالواجب على الانسان أن ينمي تلك البذور وينمي صفاته العقلية ، وإذا أحس بالاضلال في سيره فليهد إلى طريق الصواب بقوانين الآداب العامة ، وههنا تثار مشكلة يصعب حلها ويشكل فهمها ، ذلك أننا قلنا ان الانسان لا يصل الى الكمال إلا بالتعليم ولكن التعليم انما يكون بالفطنة والبصيرة . والفطنة والبصيرة يتوقفان على التعليم . إذن صارت المسألة فيها الدور والدور محال فالتعليم متوقف على البصيرة والبصيرة متوقفة على التعليم . فالشيء متوقف على نفسه وهو محال . ولكن هذا الاشكال يزول متى عرفنا أن كل جيل من الأجيال يحمل علم الجيل الذي قبله ويزيده شيئاً يسيراً من جهاده الخاص ويوصله للجيل الذي بعده وبهذا زال الاشكال لأن ارتقاء الدرجات ارتقاء بطيء تدريجي لا فجائي حتى يرد هذا الاشكال . فشكل جيل يزيد على ما ورثه مما قبله قليلاً قبل أن يساهم لمن بعده . فلعمري ما أوسع التعليم وما أكثر التجارب التي تضمنتها هذه السبل التي شرحناها والطريق التي أبناه . وهل هي شيء غير تبيان الا مكان فقط أما الوصول اليها وتحقيقها فانا لم نصل اليه بعد وههنا تثار مشكلة أخرى فيسأل هذا السؤال : هل نحن في جهادنا الفردي نسلك السبل التي سيسلكها النوع الانساني جميعه في أجياله المتتابعة ولا جواب على هذا الاشكال إلا بالخيرة بأن نقول نعم هنا مشكلتان كل منهما أصعب من الأخرى حلا وهما : صناعة الحكومة . وصناعة التعليم . والناس متنازعون في تحقيق معاهما . ولكن المدنية الحالية التي وصل اليها الانسان هي التي تمكنه من أن يتصور مكان الوصول الى الغاية المنشودة التي نبحث عليها وليس في الامكان أن تخطر هذه الفكرة العالية في عقول الأمم أثناء وحشيتها وعلى ذلك يعسر علينا أن نفهم كيف كان الانسان الأول . إن السجلات القديمة والكتب الموروثة تدلنا على أن أرقى الأمم المتمدينة الآن كان آباؤهم ذوى صفات وحشية بربرية . فكم من أنواع الجهاد ابتدعوا . وكم من سبل سنوها حتى وصلوا بجدهم الى مجرد القراءة . فهكذا نقول مع هذه الأمم الراقية بالنسبة للكمال المنشود الذي كلامنا فيه

إن الانسان حينما ابتدع صناعة الكتابة قديماً استحق أن يقال له انه « ابتدأ يعيش في الدنيا » إن الانسان وهو يجاهد لاستخراج مواهبه الخبوءة فيه بالعناية المطلوبة وجدته بنفسه يكون التعليم صناعة فاذا استكمل الانسان مواهبه في المستقبل فان التعليم يكون أشبه بطبيعة ثانية لصناعة والعناية القدسية لم تضع فيه غريزة لهذا الغرض المطلوب

ليس يمكن الانسان أن ينال غاية ما ربه واستكمال قواه بالتعليم التقليدي بلا بصيرة ولا فكرة ولا تعقل

وتميز . فببذور الكمال المخبوءة في الانسان ومحاولة استخراجها بصناعة التعليم يكونان إذن أمرين متشابهين متحدين في أنهما لا بصيرة فيهما ولا كتاب منير . إن كل تعليم تقليدي بلا بصيرة ولا فكرة تستقر في ثنياه أنواع من الخطأ لأنها تعاليم لأساس لها ولا قانون تسير على مقتضاه . فلارقي لنوع الانسان إلا بالتعليم المبني على البصيرة والتعقل لأن يكون الاستاذ كالآلة المتحركة على مثال غيره . بهذا وحده يمكن ارتقاء نوع الانسان واستخراج جميع مواهبه ، تعليم الآباء للأبناء يكون بالقوة والتقليد فيما يفعلون ، فإذا نجح الأطفال في تقليد الآباء فإنه لابد من الدراسة والتعليم ليهيئوا الخبيث من الطيب بالتعقل والبصيرة . والذي يتعلم بلا بصيرة تعليماً آلياً ليس يفعل شيئاً إلا أنه يعطى الخطأ الذي استحوذ عليه وأنواع الغلط لتلاميذه ويكررها له كما وعاءها

إن الاصول التي يجب أن يكون عليها التعليم في المستقبل هي أن يضع المعلمون أمام أعينهم هذه الغاية وهي ان التعليم لا يقصد منه الوقت الحاضر فقط بل يقصد منه أيضاً ارتقاء الانسانية العامة في المستقبل واستخراج قوى كل فرد . تلك هي الطريقة التي تتخذ في فكرة الانسانية العامة ووصولها الى نهاية مستواها الرفيع وهذه القاعدة تستحق العناية والاهتمام . إن الآباء يحتدون في تعليم أبنائهم المثال الذي يخطونه هم لانفسهم ولا يبالون بالخير في المستقبل للعالم أيكون صالحاً أم يكون فاسداً ولكنهم أجدر أن يذكروا الأبناء بالخير العام لنوع الانسان في المستقبل ولكن ههنا نقابل مسألتين عويصتين : الآباء يريدون الأبناء على ما يريدان من الحياة المعتادة . والأمراء والملوك يريدونهم لأجل ممالكهم وبقاء سلطانتهم . فههنا عاملان يتعاونان على حصر عقول الأبناء في خطة محدودة . أما الرقي الانساني فلا نظر فيه لا للآباء ولا للأمراء . فالآباء غايتهم منازلهم والملوك غايتهم ممالكهم . فلا هؤلاء ولا هؤلاء موجهوهم الى غاية الانسانية العامة النافعة ولا الى استكمال قوى الفرد الكامنة فيه التي يسعى اليها ويستعد لها بفطرته . فليكن التعليم مؤسساً على فكرة استكمال قوى الانسان . وهنا يرد سؤال فيقال : إن التعليم بقصد ارتقاء الانسانية ضار بالأفراد لأن العناية بالعموم تلهي عن العناية بأمر الانسان ومنزله وهذا القول مردود على صاحبه فإنه (وان ظهر في بادئ الرأي أن قصد الفرد المنفعة العامة ضار بمصالحه الخاصة فهو يضحى بعضها لأجل المصلحة العامة بسبب هذه الفكرة) فان الرقي النفسي إذ ذاك حسن في ذاته ونافع أيضاً في أعماله الحالية الفردية فضلاً عن العامة . وكم من الفوائد العوائد على المرء بهذه السبيل . إنه بالتعليم العام تظهر المواهب الفاضلة السكامة في الانسان . وبذور الرقي يعوزها أن تظهر شيئاً فشيئاً لأن الشرور وأخلاق السوء لم تخلق في طبيعة الانسان ، وهل الشر إلا نتيجة إهمال الطبائع الانسانية وعدم قيادتها وحكمها حكماً لاهوادة فيه . ليس في الانسان إلا قوى الخير . من هو الذي يعلم نوع الانسان أحسن سبل هذه الحياة لاتمام سعادته . أهم الملوك أم هم الشعوب ؟ إن الذي يعلمهم هم نفس الشعوب . هم الذين يتقدمون الى الكمال عن رغبة منهم واجتهاد فيضلون الى نصف طريق الكمال والملوك يبنون بعد ذلك تعليمهم على ذلك ويثبتونه ويوطدونه . أما الأمراء فليس يحسن الاعتماد عليهم في تعليم الأمم . ذلك لأنهم يعوزهم الثقيف والتدريب في تعليمهم الأول . فكم يقاسون من مصائب ومشاق في أعمالهم وذلك نتيجة ما كان من خطأ في إبان تعليمهم إذ هم لا يجدون في صباهم من ينهائهم عن شر أو يبعدهم عن ذنب فكبروا وهم مغرورون فلذلك يقاسون شدائد ومحن لا يستطيعون الصبر عليها فكيف يوكل لهم أمر تعليم الأمم . إن الشجرة التي تكون في حقل منفردة تنمو وهي معوجة ناشرة أغصانها باتساع ذات اليمين وذات الشمال بينما الشجرة التي في وسط أشجار أخرى في غابة تنمو بضغط ماحولها عليها طولاً لا عرضاً مستقيمة لا معوجة تبحث عن الهواء وضوء الشمس من أعلى . هكذا تكون حال هؤلاء الأمراء . وعلى كل حال يجدر بهؤلاء أن يتعلموا مع أبناء شعوبهم فذلك خير لهم من أن يتعلموا وحدهم ذلك ليميلوا حلو الهدس ومرة . نعم نحن ننتظر الخير في التعليم العام من هؤلاء الأمراء فقط اذا كان تعليمهم أعلى من تعليم شعوبهم . إذن التعليم

العام سياجه نفس الشعوب في جهادهم الخاص . فلا يصلح الأصرء أن يتكلم الناس على مساعدتهم كثيرا كما يزعمه (باسيدو) وآخرون غيره لأننا وجدنا بالتجربة أن هؤلاء لا ينظرون للإصلاح العام في التعليم كما ينظرون إلى إصلاح ممالكهم وهم لا يريدون إلا الغاية التي يقصدونها في تلك الممالك . نعم هؤلاء ينفقون إذا كانت غاية اتفاقهم جرّ المنفعة إلى خزائن حكوماتهم بل للجامع العلمية العالية (رجال الأكاديمي) لا يهتدون خير الإنسانية العام إنفاقا وربما يفعلون ذلك في المستقبل ، أما الآن فإنه قليل

إن إدارة المدارس يجب أن يكون اعتمادها إذن على حكم ذوي الاختبار البارعين الماهرين من الحكماء إذ يقولون : « التعليم يجب أن يقوم بالجهاد الفردي أولا وكامل التعليم يفيض على غيره بالتدرج » و بعبارة أوضح : « ليقم التعليم على جهاد أبطال العالم في العلم الذين لهم نظر ثاقب واسع ويجدون لذة في التثقيف العام للأمم وهم متصفون بمسرة ولذة لا حد لها بالرأى المؤدى إلى أحسن الأمور في المستقبل وهو أن النجاح المستمر للطبيعة الإنسانية نحو غرضها السامى أمر ممكن حصوله »

فهل بعد هذا نعتمد على الأصرء الذين ينظرون إلى رجال أمهم كأنهم قطعان من الأنعام في ضمن ممالكهم . وجلّ قصدهم إذا فعلوا خيرا عاما أن يعلنوا الدعاية لأنفسهم أنهم يريدون خيرا إنسانية وهم إذا أرادوا تثقيف شعوبهم فلن يكون ذلك إلا الحاجة في نفس يعقوب قضاها ، فهم لا يعلمون الشعوب إلا على نموذج ما يقصدونه هم أنفسهم لغاية يريدونها . إذن فليكن التعليم أولا بجهاد أفراد الأمم أنفسهم وليجتدوا فيه على مقدار استعدادهم هم لا إرادات ملوكهم ، ولكن عليهم مع هذا أن يجعلوا نصب أعينهم الخير العام وارتقاء الأمم فلا يجترئ أن نجعل الأمم ذات نشاط في أعمالها بل يجب أن نحمل الناس على الكمال الأدبي وليجتدوا حتى يكون النسل المقبل خيرا من الجيل الحاضر في علومه ومعارفه وآدبه . وههنا أخذت بين في الفصل الثامن عشر ملخص ما تقدم . أولا إن التربية تشمل :

(١) تهذيب النفوس بمنعها من الشرور

(٢) وتثقيف العقول بالمعارف

(٣) وازدياد البصيرة والتعقل بما اكتسبه الناس من العلوم ومعاملة كل امرئ بما يناسب عوائده

(٤) وأعمال البصيرة في الغاية المطلوبة لكل امرئ بحسبه

وأخذ في الفصل التاسع عشر يبين أن القسم الرابع وهو التعليم الأدبي العام متروك لا ينظر إليه الناس كثيرا ، فعلى الأساتذة أن يبينوا للأطفال في إبان صباهم أن الرذيلة في نفسها ممقوتة مكروهة مبنوذة ولا يكتفون بقولهم إن الله حرمها . كلا . بل هي في نفسها ممقوتة لذلك حرمها الله

وأخذ في الفصل العشرين يبين أن التمرين العملي في المدارس لا بد منه لأن ذلك مقدمة للتمرين في أمور الحياة العامة في المنزل وفي السياسة

وأخذ في الفصل الحادى والعشرين يبين أن التربية تشمل كما تقدم على عناية الوالدين أولا وعناية المدرسين ثانيا وعلى الهداية في أعمال الحياة ثالثا في تهذيب الناس ونظام الأسرة ونظام السياسة العامة

وفي الفصل الثانى والعشرين يقول : « إن التعليم إما عام وإما خاص » وأطال في ذلك

وفي الفصل الثالث والعشرين يقول : « إن التعليم العام مكمل للتعليم الخاص في المنازل »

وفي الفصل الرابع والعشرين أبان صعوبة التعليم المنزلى ، ثم حكم أن التعليم يستمر إلى السنة السادسة عشرة من الحياة وبعد ذلك يعلم كيف يتعقل هو بنفسه ، وعلى المدرس أن يهديه السبيل في تعلمه حتى يكتمل بنفسه تحت إرشاده ، وأبان أنه في أول أمره يكون تأديبه غمليا ، فإذا عقل وكبر أعطى الحرية في الاختيار بنفسه مع تعليمه احترام غيره بحيث لا تضر حريته حرية غيره ، ويعلم كيف يضبط عواطفه بنفسه لا بالخوف

حتى يكون ذلك نبراسا له في مستقبل حياته

مم أبان أن التربية من نتائجها ما يأتي : تهذيب النفس وصلاحياتها لرعاية المنزل وتدير الأمة وموافقته والحياة العامة والنظر لخير الانسان العام ، فالأول شخصي والثاني منزلي ومدني والثالث للانسانية العامة اه
هذا ما أردت نقله من الكتاب المسمى « كنت في التعليم » إذ ترجت أكثر المقدمة وعسى أن أترجم بقية الكتاب في مقام آخر

هذه أيها المسلمون آراء الاستاذ (كنت الألماني) الذي تحترمه الأمم حولنا . ولم أنقل هذا إلا لأريكم أيها المسلمون الآراء الشائعة في أوروبا الآن . وأفضل ما ذكرته الآن فيه النفع العام فهو يحصر على أن يكون الانسان الواحد مريدا الخير للأهم الانسانية جميعا وهذا عجب جدا وكيف يقول (كنت) « إن الانسانية كانت وحشية ولما تعلموا الكتابة ابتدأت حياتهم - المنيوية . وهاهي ذه المدنية ارتقت ولم تبلغ النهاية . فاذا كان أولئك المتوحشون قد حاولوا الكتابة حتى نالوها أفلا نحاول نحن الرقي حتى يستخرج الانسان كل قواه الكامنة بجده كما استخرجت قوى الحيوان بفريزته وهناك يصل الانسان الى مقام عال وسعادة شريفة

فيا عجباً : أليس هذا تفصيلا لقوله تعالى - وقل رب زدني علما - . ألم ينزل في أول ﴿ سورة العلق ﴾ - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم - فذكر أولا القلم وثانيا تعليم الانسان ما لم يعلم . وهل هاتان الجملتان إلا ملخص ما ذكره (كنت) . أليس القرآن - آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - . إذن كل ما وجدناه قولا حقا في صدور العلماء فهو تفسير للقرآن . وهاهي ذه آية - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - قد فصل بعض معناها في كتاب العلامة (كنت) فهذه الآية لانهاية لمعانيها وهذه بعضها . ها هو ذا كنت الألماني يقول هنا ما كتبه في سور كثيرة : ان المسلمين يجب عليهم أن يرتقوا أولا هم هم الذين يقومون بالخير العام للأهم لأننا جعلنا - خير أمة أخرجت للناس - (انظر في سورة ابراهيم في آية - وذكرهم بأيام الله - وفي آية - وقل رب زدني علما - في ﴿ سورة طه ﴾ فهناك تجد تفصيلا لهذا المقام) وليعلم المسلمون أن (كنت) وأمثال (كنت) يكتبون ذلك بعقولهم وفطرتهم الانسانية ونحن نكتب بعقولنا وفطرتنا مع ديننا . فاذا كان هؤلاء بعقولهم أدركوا أن الانسانية كلها اخوان وانهم يجب عليهم أن يرقوها فكيف بنا نحن ؟ فلنا عقول كما لهم . ولكننا نزيد بأن ديننا يأمر بجدا الانسانية جمعاء . فهذه ميزتنا وهذه هي التي ستحمل قراء هذا التفسير وغيره أن يكونوا - خير أمة أخرجت للناس - لأن المدنية الأوروبية ناقصة فليكن الكمال في مدينتنا المستقبلية . أليس ما يقوله العلامة (كنت) بعض تفسير قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - . ألم يؤذن بلال الحبشي في الكعبة بمحضر من أهل مكة الذين لا يرون في الأرض من يساويهم . إن الاسلام سوى بين الأمم ونحن أتباعه فلنكن نحن حراسا على كل أمة متى ارتقينا ونحن الآن في مبدأ الحياة

ههنا اطلع صديق العالم الذي اعتاد أن يحدثني في هذا التفسير فقال لي : حسن ما كتبت عن الاستاذ (كنت) الألماني وجدير بك أن تذكره هنا لأن مشربه مشرب الاسلام . الاسلام جاء لرقى الانسانية كلها والتعارف مع الأمم كلها والمسلمون كانوا - خير أمة أخرجت للناس - كما قدمت ذلك . فقلت نعم فقال ولكني رأيت في كلامه ما يدل على الطعن في الأمراء فما الداعي لذلك ؟ وهل أمراء المسلمين على هذا النمط الذي ذكره . انا اذا لم نطبق العلم على أحوالنا فلا فائدة منه ومتى عرفنا ذلك فهمنا أيكون العلم تابعا لأصرائنا أم ندرس نحن فلا نتكلم عليهم كما يقول هو . وقصدي من هذا السؤال أن يكون عندنا ذكر من التاريخ حتى نستفهم به . فقلت : ليكن الكلام في ﴿ زبرجتين : الزبرجدة الأولى ﴾ في ملخص أمراء ألمانيا الذين ذكرهم (كنت) ﴿ الزبرجدة الثانية ﴾ في إجمال أحوال أمم العرب قديما وحديثا وكيف سطا الترك

عليهم وسلبوهم ملكهم وكيف كان الحكم في مصر لهم وكيف ترقى البلاد المصرية في أيام المنفوره (محمد علي باشا) وكيف كان رقيها تبعاً للحكومة وكيف دخل الانجليز بلادنا وكيف كان ذلك تابعاً لنقص التعليم وكيف تعلم المصريون بعد الاحتلال تعلمياً شعبياً لا تعلمياً حكومياً وكيف ظهرت ثمرة هذا ولم تظهر ثمرة التعليم الأول وكيف كان ذلك كله موافقاً لكلام (الاستاذ كانت) الألماني . ثم كيف كان القرآن والحديث ينصان على هذه الطريقة وهي ان التعليم لابد أن يكون عاماً والشعب هو الذي يقوم به وبيان ما جاء في الأحاديث من الحث على العلم وفضله ثم أتبع ذلك كله بما جاء في الفصل الثالث من المقام الأول وهو أن بعض الملوك أحبوا العلم وتركوا زينة الحياة الدنيا والذي علمهم علماء تعلموا بطريق الشعب لا بطريق الحكومات لأن تعليمها ناقص فلا يبدأ بالكلام على الزرجدة الأولى فأقول :

﴿ الزرجدة الأولى في فدايكة . الكلام على أمراء ألمانيا بمناسبة كلام « كنت » عنهم ﴾
إن أهل ألمانيا فرع من العائلة (الآرية) وكانوا قديماً ليس لهم منازل بل يسكنون قرى كلها أخصاص (جمع خص) وهذه الأمة لم تتوطن أوروبا إلا عند سقوط المملكة الرومانية ولم تكن هذه البلاد الألمانية إذ ذاك إلا مواطن للحيوانات المنترسة ولا تصلح إلا للصيد والقنص ومناخها رطب كثير الضباب وأرضها كثيرة السباح ولكن هم أصلحوها فيما بعد ، وهؤلاء القوم كانوا قبائل لم تجتمع إلا في الزمن الذي ذكرناه فهناك اتحدوا وكان لكل قبيلة ملك يعتقدون فيه انه من نسل الإله (اودين) ماعدا الصكسونيين ، وكان جل اعتمادهم على الصيد والحرب ، ثم أخذت ترقى رويدا رويدا إلى أن حصل لها النبل من فرنسا نحو سنة ١٨١٠ فظهر الجاس في البلاد وارتقى التعليم ثم انتصرت وفازت ، والفضل في رقيها إذ ذاك إنما هو لمملكة بروسيا فان القوم أدركوا أن (بونابرتو) وضع الأمة الألمانية في أدنى الدرجات وأذلها ذلاً شديداً فمساعدته الوزير (سطين) للملك إذ ذاك حصل إصلاح عظيم ، فالق أبطل والحقوق الوطنية أعطيت للجميع فانتعش الشعب انتعاشاً لم يعهده من قبل . ولما شاع ذلك أدرك نابليون بونابرتو أن ذلك الإصلاح موجه للاستعداد لمحاربة فرنسا فضغط على الملك (فريدريك) فعزل وزيره الأعظم المذكور وهو (سطين) لأنه عدو لفرنسا فنجأ بنفسه إلى روسيا ومع ذلك لم يقف الإصلاح بعد ذلك وصار للتعليم قواعد وقوانين لم تكن من قبل وحصل هناك اتحاد يسمى « اتحاد الحقيقة » ودخل فيه ألوف وألوف وأخصهم المدرسون والطلبة وكلها موجهة لتحرير الوطن من نابليون وفرنسا التي حددت الجيش بما مقداره (٤٢) ألفاً . فسارت بروسيا على هذا التحديد ولكنها كانت تعلم قوماً وتأني بآخرين بدلتهم حتى عمّ التعليم الحربي بروسيا وانتصرت وفازت ألمانيا . وهي وان انتصرت كان التحاسد لا يزال كثيراً بين الأمراء والولاة إذ هي (٣٩) أيله وأمراء الايلات كانوا ظلمة وقد وعدوا رعاياهم بأنهم اذا قهروا نابليون أعطوهم الحرية والاستقلال . فلما قهروه وانكسر الفرنسيون وحبس نابليون في جزيرة القديسة (هيلانه) نسي أمراء ألمانيا عهودهم ووعدهم واستمروا في الاستبداد والظلم والسكن الأمير الذي مال لتحرير رعيته من الظلم وحده موفياً بعهده هو (فردريك غليوم) صاحب بروسيا التي هي أكبر أيله في ألمانيا ولكنها لم يفعل شيئاً إلا انه اكتفى بترتيب المجالس في كل مديرية

هنالك قامت قيامة الأساتذة في المدارس والطلبة ونادوا بطلب الحرية وقاموا على الحكومة فنكبت بهم الحكومات ومنعهم من الخطب والكلام فزاد الطين بلة وقاموا يهدمون صروح أمراءهم حتى ان أمير أيله (برونسويك) وهو الدوق المعضوب عليه من الشعب فرّ هارباً لينجو بنفسه وهكذا في سنة ١٨٤٨ انفجرت الثورة الفرنسية الثالثة في باريس وانتشرت بسرعة في داخل ألمانيا فطلب الناس تشكيل حكومات حرة وأن يتم الاتحاد الألماني وقام أهل برلين بشورة بالسلاح . وفي ١٣ مارس سنة ١٨٤٨ وقعت حرب بين الأهالي

والعسكر في برلين فتردد الملك في أمره طويلا . وفي ١٧ منه وعد بالحكومة المنظمة فطلب الأهالي اخراج العساكر من برلين . وفي ١٨ منه ازدحم الناس أمام السراى فما أطلقت رصاصتان من جهة مجهولة حتى قامت الحرب على ساق وقدم بين الجنود والأمة واستمرت أكثر مدة الليل فهلك فيها كثير من الأنفس . هنالك في اليوم الثانى سلم الملك بطالب الأمة وأخرجت الجنود من برلين . فسلم الملك الأمر لأُمته وبعد أخذ وردّ التأم مجلس عام من ٥٠٠ جرمانى في مدينة فرنكفوت في ٢١ مارس من تلك السنة بصفة برلمان وقضى وهكذا استمرت ترتقى الى الآن

هذا أيها الذكى القول المجمل في أمراء ألمانيا ذكرته لتعلم لماذا نرى (كنت الألماني) يظهر نقص الأمراء في تعليمهم شعوبهم وعدم اخلاصهم وانهم قوم صراون ، وأنا موقن أن هذه النظرة السطحية في أمراء الألمان تعرفنا ﴿ أمرين : الأول ﴾ لماذا تحامل عليهم العلامة (كنت) ﴿ الثانى ﴾ أن سيرتهم تعرفنا لماذا تأخر المسلمون وكيف كان تقصير أمراءهم في تعليمهم هو أصل العيب والنقص في تعليمنا وتأخرنا وذلك هو الذى أذكره في الزبرجدة الثانية

﴿ الزبرجدة الثانية في أحوال أمم العرب قديما وحديثا الى آخر ما تقدم ﴾
اعلم أيديك الله أن الأمم الاسلامية جعلها الله في الأرض لتكون نبراسا للأمم وقد تم ذلك في العصور الأولى وبلغوا المشرقين والمغربيين ، ولكنهم لما جهلوا مركزهم في الأمم وانهم لم يجعلوا كذلك لأجل قضاء شهواتهم بل هم نافعون للأمم وجعلوا الأموال لجرّد الزينة والتفاخر وظلموا عباد الله غار الله عز وجل على عباده وطرد أبناء الفاتحين من بلادهم وسلط الترك على أكثر بلاد العرب التى هى منبع العلم في العالم قديما فكسروا شوكة العراق والشام ومصر وشمال افريقيا وهكذا توغل الترك في ظلم الأمم العربية وحكموهم باسم الدين جزاء وفقا لما فعل أسلاف آبائنا العرب المتأخرين بعد القرون الثلاثة الأولى (كما تراه موضحا في آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة - الخ في ﴿ سورة النمل ﴾) إذ ترى هناك انهم ظلموا الأمم بعد القرون الثلاثة الأولى فأزال الله ملكهم لأنه رحيم وعدل وحكيم ، فهو لاء الترك لما سلطهم الله على بلادنا نحو ثلاثة قرون حكمها بعد ذلك المغفوره (محمد على باشا) وأخذ يرقبها هو ونسله نحو (٥٠) سنة ، ففتح المدارس وقاد الجيوش وفتح الممالك ، ولكن ماذا حصل بعد ذلك ؟ ظهر فيهم كلام العلامة (كنت) المتقدم فالتعليم يتعلم لمقصد الحاكم لا لمقصد العلم نفسه ولا لترقية نفس الشعب بل الشعب كان يتعلم باسم الأمير ولغايات مقاصده ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ تعليم خال من الحرية والتعليم اذا خلا من الحرية كان ضئيلا ولذلك لم يكن في البلاد مدارس حرّة مطلقا . فلما كانت سنة ١٨٨١ قام رجل جندي وهو (أحمد عراقى باشا . وهل تعلم هذا في المدارس ؟ كلا . بل هو جندي فلاح تعلم قليلا من الدين وارتقى بنشاطه وخضع له الضباط المتعلمون في المدارس الحربية في مصر وألمانيا وفرنسا والأمة مهورة والمتعلمون فيها أذلاء لحرية لهم . فلو كان لهم حرية لقام بالثورة الضباط المتعلمون في المدارس الحربية ولكن الثائر جندي فلاح رأى الظلم فقام لحربه . قام يطالب بحرية أمته ولكن أمته لا تزال جاهلة والجاهل جبان ذليل ، فإذا حصل ؟ قام أكثر المتعلمين واتبعوا الخديوى الذى اتحد مع الانجليز ، وهناك انقسمت الأمة وحصلت الخيانة ودخل الانجليز ، فإذا يصنعون ضيقوا دائرة العلم ، فإذا تفعل الأمة ؟ هنا انفتحت بصائرهم فأخذت تعلم أولادها لأنه أيقظها ﴿ أمران ﴾ التعليم الحكومى السابق . والثورة العربية فأخذت ترسل أبناءها للخارج وفتحت المدارس الأهلية وانتشرت الجرائد فيها فاستيقظت في (٤٠) سنة فقامت بثورة ضد الانجليز فأعطوها الاستقلال الداخلى . فهذا انما جاء بسبب تعليم الشعب نفسه بنفسه والمتعلمون أنفسهم هم الذين قاموا بالثورة . فأما تعليم الحكومة الذى سبق الاحتلال فان الثائر جندي لم يدرس في المدارس فما صدق على الأمة الألمانية

صدق على الأمة المصرية من حيث أن تعليم الحكومة تبع أهواء الملوك والأمراء لا يكفي لرقى الأمة . إذن يجب أن الشعب هو نفسه الذى يضطلع بأمر التعليم وهذا هو الدين الإسلامى

أيها المسلمون : ها هي ذه ألمانيا منذ قرن كانت مهضومة الحقوق أذلها ملوكها ومنعوها الحرية فجاهدوا وارتقوا . والذى أسرع في رقيهم إذلال فرنسا لهم فكان ذلك من أسباب تحريرهم والأمة الإسلامية لم تكن العقبة في سبيل حريتهم واحدة بل ثلاث عقبات : عقبة الملوك ، وعقبة أكثر شيوخ الطرق وقد أوضحت هذا المقام في ﴿ سورة الكهف ﴾ عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وفي ﴿ سورة سبأ ﴾ عند آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ وفي ﴿ سورة الشعراء ﴾ عند الكلام على السحر . وعقبة الدول المستعمرة ، ها هم أولاء الباطنية الذين علمهم (حسن بن الصباح) في أواخر القرن الخامس الهجرى كانوا يحرّمون على أتباعهم النظر في العلم وعدوه ذنبا ، وها هم أولاء شيوخ الصوفية في كل زمان ومكان يحضون على ترك العلم ولا يرون طريقا للناس إلا انصائحهم وهذه أكبر العقبات في نهوض المسلمين ، وها هم أولاء ملوك بني عثمان كانوا هم أهم السبب في نقص التعليم في ديار الاسلام ، وها هي ذه أمة أوروبا ما دخلت بلادا إلا جعلت أهلها جهلاء خيفة أن يطالبوا بحقوقهم

اللهم إن هذه العقبات الثلاث هي المانع من رقى المسلمين ، وأنا أقول بانتشار مثل هذه الآراء في هذا التفسير وغيره في بلاد الاسلام تزول هذه العقبات ، وسيكون استعمار الأوروبيين من أهم أسباب ظهور الجاسة في قلوب الشعوب الإسلامية

وها أنا ذا أوضحت الأمر للأمة الإسلامية ، وأنا موقن أن هذا سيتم فيها ، وهذا هو الذى حثت عليه الأحاديث النبوية الشريفة والحمد لله رب العالمين

﴿ نعمات الحكمة ﴾

لما ترجمت هذا الموضوع وكتبته هو وما بعده الشرح صدرى انشراحاتما وأحسست بمسرة عظيمة ، وبينما أنا سائر بعد ذلك في شارع السيدة زينب الذى أمام الباب الغربى للمسجد الزينبي بمصر في يوم من أيام شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ أثناء طبع هذه السورة وكان ذلك ضحى إذ سمعت نغمات موسيقى تصدح في دكان جلبب المشترين خفيل لى في أقل من ملح البصر أن هذه حفلة أنس في أمة إسلامية بعد عشرات السنين قد انتظم التعليم عندهم وقرأوا أمثال هذا التفسير وأصبحوا أرقى من الأمة الإسلامية الحالية فهم لذلك مبتهجون بنعمة العلم والحرية لا انهم مستعبدون للفرنجة مثل كثير من المسلمين الحاليين لجهلهم ، وهذا الخيال المفاجئ لى أوقفنى ثوانى وأنا بهج طرب فرح وأغرورقت عيناى بالدموع ، ومن عادنى أن لا أظهر ما يحبس بخاطرى مثل هذا لأن هذه خواطر لا تتعدى صاحبها ، ولما أفقت من غشيتى السارة أتممت المسير

هذا ومن عجب أن الأمة الإسلامية الحاضرين لوعلموا أن هولندا والدانمارك والسويد والنرويج قد قطعوا أشواطا بعيدة في التعليم وعمموا لأفراد الشعب وبعض ولاياتهم قد أقفلت محاكم جنائنها كما مرّ قريبا فهم إذن أرقى من المسلمين الحاليين أخلاقا وآدابا ، أقول لوعلموا ذلك لدهشوا أشد الدهش وقالوا كيف يكون ديننا أول ما نادى بالتعليم العام وأجابت دعوته أمة أخرى والمسلمون نيام ، اللهم إني أبرأ اليك من الكتمان وأسألك أن توقظ المسلمين للتعليم العام اه

﴿ زبرجدة فيما جاء من الحث على العلم في الأحاديث الشريفة ﴾

نذكر هذا الفصل حتى يعلم المسلمون أن ما يسمعون من الأحاديث في الحث على العلم الموجه للناس عامة

(لا انهم يتكلمون على ملوكهم) هو آخر ما وصل اليه نوع الانسان الآن بعد حروب دامت سنين وسنين وأن ألمانيا التي يضرب بها المثل في العلم لم تهتد الى النتائج التي جاءت بها الآيات وهذه الأحاديث التي ساذكرها إلا بعد قرون وحروب طاحنة سالت فيها الدماء ، وهذه الأحاديث بين أيدي المسلمين ولكنهم يقرؤونها لمجرد التبرك ومجرد العلم ، أما العمل فلا فحق على المسلمين قول أبي الدرداء لزياد بن لبيد الأنصاري فيما سيأتي لما سأل الثاني الأول قائلا : كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأه ولنقرئنه أولادنا ونساءنا . فقال نكلك أمك يازياد ان كنت لأعدك من فقهاء المدينة . هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما تغني عنهم الخ فهالك الأحاديث التي وعدتكم بها من كتاب « تيسير الوصول لجامع الاصول » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ كتاب العلم وفيه سبعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول في فضل العلماء ﴾

عن أبي أمامة رضي الله عنه . قال : ذكر لرسول الله ﷺ رجلان عابد وعالم . فقال : فضل العالم على العابد كفضل علي أدناكم . أخرجه الترمذي وصححه . وفي رواية له ثم قال : ان الله تعالى وملائكته عليهم السلام وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في حجرها والحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير وعن ابن عباس رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ : فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد . أخرجه الترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : سئل النبي ﷺ أي الناس أكرم عند الله تعالى ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم . قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال فيوسف بن الله بن خليل الله . قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال : فمن معادن العرب تسألوني قالوا نعم . قال خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا . أخرجه الشيخان

وعن علي رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : نعم الرجل الفقيه في الدين ان احتجج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه . أخرجه رزين

وعنه رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ من أحياسنة من سنتي أميت بعدى فقد أحبني ! ومن أحبني كان معي ، أخرجه رزين

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة . وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء . وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر . أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذي

﴿ الفصل الثاني في الحث عليه ﴾

عن حميد . قال سمعت معاوية رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين . أخرجه الشيخان وأخرجه الترمذي عن ابن عباس

وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع . أخرجه الترمذي . وفي أخرى له عن سخرية مرفوعا . من طلب العلم كان كفارة لما مضى

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : تعلموا قبل الظانين يعني قبل الذين

يتكلمون بالظن ، أخرجه رزين وعلقه البخاري

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فاني مقبوض ، أخرجه الترمذي وعن ابن مسعود بمعناه . وزاد رزين . وان مثل العالم الذي لا يعلم الفرائض كمثل البرنس الذي لا رأس له

وعن أبي سعيد رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ ان يشبع مؤمن من خير يسمعه حتى يكون منه به الجنة . أخرجه الترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ الكامة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها . أخرجه الترمذي

وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة . أخرجه أبو داود « الآية المحكمة » هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف ومالم يسب بسوخ « والسنة القائمة » هي الدائمة المستمرة التي العمل بها متصل لا يترك « والفريضة العادلة » هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضائها

وعن أبي واقد الليثي . قال بينا رسول الله ﷺ جالس في المسجد اذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله ﷺ فوقفوا على رسول الله ﷺ فرأى أحدهما فرجة في الحلقة فجلس وجلس الآخر خلفهم وأما الثالث فذهب مدبرا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة . أما أحدهم فأوى الى الله فأواه الله . وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله تعالى منه . وأما الآخر فأعرض فأعرض الله تعالى عنه . أخرجه الثلاثة والترمذي

﴿ الفصل الثالث في آداب العلم ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار . أخرجه أبو داود والترمذي وهذا لفظه ، والمراد بذلك العلم الذي يلزم تعليمه ويتعين فرضه ككافر يسأل عن الاسلام والدين وكحديث عهد بالاسلام يسأل عن الصلاة وكمن جاء مستفتيا في حلال وحرام فيلزمه تعليمه وجوابه ومن منعه استحق الوعيد وليس الأمر كذلك في نوافل العلم التي لا يلزم تعليمها

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ والله لأن يهدي بهداك رجل واحد خير لك من جر النعم . أخرجه أبو داود

وعن أبي هرون العبدى . قال . كنا نأتي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول مرحبا بوصية رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لنا ان الناس لكم تبع وان رجلا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقون في الدين . فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا . أخرجه الترمذي وضعفه

وعن يزيد بن سلمة . قال قلت يا رسول الله انى سمعت منك حديثا كثيرا أخاف أن ينسينى أوله آخره فحدثني بكلمة تكون جاعا . فقال اتق الله فيما تعلم . أخرجه الترمذي . وزاد رزين واعمل به « يقال كلمة جاع » اذا جعت كلمات

وعن عمر رضي الله عنه . قال لا ينبغي لمن عنده شئ من العلم أن يضيع نفسه . أخرجه البخاري تعليقا

﴿ الفصل الرابع في آداب العلم والتعلم ﴾

عن عكرمة . ان ابن عباس رضي الله عنهما . قال حدثت الناس مرة في الجمعة فان أبيت فرتين وان كثرت فثلاثا . ولا تمل الناس هذا القرآن . ولا ألفينك تأتى القوم وهم في الحديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ، ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه . وانظر السجع من الدعاء

فاجتنبه فأتى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك . أخرجه البخارى
وعن على بن رضى الله عنه . قال حدثنا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله . أخرجه
البخارى . وعن ابن مسعود رضى الله عنه . قال ما أتيت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم
فتنة . أخرجه مسلم

﴿ الفصل الخامس فى رواية الحديث ونقله ﴾

عن ابن مسعود رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه .
فرب مبلغ أوعى من سامع . أخرجه الترمذى وصححه « نضر الله امرءا » بتخفيف الضاد وتشديد هاء معناه
حسنه وجهه

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ بلغوا عني ولو آية . وحدثنا عن
بنى اسرائيل ولا حرج . ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . أخرجه البخارى والترمذى قوله
« حدثنا عن بنى اسرائيل ولا حرج » ليس فيه اباحة الكذب فى الاخبار عنهم ورفع الائم عمن نقل عنهم كذبا
ولكن معناه الرخصة فى الحديث عنهم على معنى البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل الاسناد لأنه امر تعذر بعده
المسافة وطول المدة

وعن محمود بن الربيع رضى الله عنه . قال عقلت من رسول الله ﷺ حجة مجها فى وجهى من دلو من
بئر كانت فى دارنا وأنا ابن خمس سنين . أخرجه الشيخان . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال حفظت من
رسول الله ﷺ وعاءين . فاما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو حدثتكم به لقطعتم هذا البعوم . أخرجه
البخارى وقال « البعوم » مجرى الطعام
وعن أبى ذر رضى الله عنه . انه قال لو وضعت المصصامة على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت أنى أنفد
كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا على أن أنفدتها . أخرجه البخارى تعليقا « المصصامة »
والمصصام السيف

﴿ الفصل السادس فى كتابة الحديث ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال : كنت اكتب كل شئ سمعته من رسول الله ﷺ
فنهتني قريش . وقالوا : تكتب كل شئ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الرضا والغضب . فأمسكت عن
الكتابة حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ . فأومأ بأصبعه الى فيه وقال اكتب : فوالذى نفسى بيده
ما يخرج منه الا حق . أخرجه أبو داود

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : شكأ رجل من الأنصار الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول
الله انى لأسمع منك الحديث فيجبني ولا أحفظه . فقال رسول الله ﷺ احتمن بيمينك وأومأ بيده الى
الخط . أخرجه الترمذى . وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال خطب رسول الله ﷺ فذكر قصة فى
الحديث فقال أبو شاة . أكتبوا لى يا رسول الله ؟ فقال : اكتبوا لأبى شاة . أخرجه الترمذى وصححه

وعنه رضى الله عنه . قال ما كان فى أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا منى الاما كان من ابن
عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب . أخرجه البخارى والترمذى . وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه . قال
أمرنى رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية . وقال انى والله ما آمن يهود على كتابى قال فوالله
ما مررتى نصف شهر حتى تعلمته وحدث فيه فكنت أكتب له اليهم وأقرأهم كتبهم اليه . أخرجه البخارى وأبو
داود والترمذى

وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب رضى الله عنه . قال دخل زيد بن ثابت الى معاوية رضى الله عنهما .

فسأله معاوية عن حديث فآخبره به فأمر معاوية إنسانا يكتبه . فقال زيد . أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نكتب شيئا من حديثه فعناه . أخرجه أبو داود . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن . ومن كتب شيئا غير القرآن فليمحه ، أخرجه مسلم والاذن في الكتابة ناسخ لمنع منه باجماع الأمة على جوازها ولا يجتمعون الا على امر صحيح وقد قيل انما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن في صفحة واحدة فيختلط به فيشتبه

﴿ الفصل السابع في رفع العلم ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ ان الله لا يقبض العلم انتزاعا فينتزعه من الناس . ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا . أخرجه الشيخان والترمذي

وعن أبي الرداء رضي الله عنه . قال : كنا مع رسول الله ﷺ فشحخص ببصره الى السماء . ثم قال هذا أو ان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدرنا منه على شيء . فقال زيد بن اسيد الانصاري : كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن . فوالله لنقرأنه ولنقرأنه أولادنا ونساءنا . فقال ثكالك أمك يا زيد ان كنت لاعدك من فقهاء المدينة . هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فإذا تغنى عنهم . قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت رضي الله عنه فقلت : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الرداء رضي الله عنه . فأخبرته الذي قال : فقال صدق فان شئت أخبرتك ما أول علم يرفع . أول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا أخرجه الترمذي « شحخص ببصره » اذا نظر الى شيء دائما فلم يرد عنه نظره كنظر المبهوتين والمغمى عليه « والاختلاس » الاستلاب وأخذ الشيء بسرعة « والشكل » فقد الأم وادها

وعن عمر بن عبد العزيز . انه كتب الى أبي بكر بن خزم : انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولانقبل الاحديث رسول الله ﷺ وليفشوا العلم وليجلسوا له حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا . أخرجه البخاري ترجمة « يفسحوا » يظهروا . انتهى من كتاب تيسير الوصول جامع الأصول وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني من المقام الأول والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الثالث من المقام الأول ﴾

(في الكلام على الملك والوزير اللذين أحبا العلم والحكمة وزهدا في الملك)

جاء في كتاب اخوان الصفاء مانعه :

حكى ان ملكا من ملوك الفرس كانت له نعمة ظاهرة وهيبة قاهرة وساطان عظيم وملك كبير وكان له وزير له رأي وعزيمة قد رأى السعادة في تدبيره والكفاية في توزيعه قد كفاه أمر التدبير مما يحتاج اليه فهو مشغول ببلذته وتناول نهيمته في لذة من عيشه وأمان من مصائب الزمان وحوادث الأيام والوزير يورد ويصدر بحميد رأيه وجميل نيته وحسن طويته فأقام الملك على ذلك مدة من دهره وبرهة من عمره فلما كان في بعض الأوقات عرض للملك علة كدرت عليه عيشه ونقصت حياته فتغير لونه وهزل جسمه وضعفت قوته واشتغل من تلك العلة واستدعى وزيره وقال له قد ترى ما نزل بي من هذه العلة التي قد حالت بيني وبين اللذات حتى قد تميت الموت ومللت الحياة فرق له الوزير وبكى عليه ثم خرج فجمع الاطباء والتبس الدواء ولم يدع مستطبا ولا معزما ولا صاحب نجامة وكهانة الا أحضره واعلمهم علة الملك وما يجده من الألم والوجع وانه يشكو ضربان جسده والتهاب حاررة في قلبه وكبدته فكل قال وما أصاب وعمل وما أفلح وعالج فما أنجح واشتدت تلك العلة بالملك واشتغل الوزير بذلك عن تدبير المملكة وسياسة الخاصة والعامة من خدم المملكة ورعيته واضطربت الأعمال ومضت الأعمال وكثرت الخوارج في اطراف المملكة وأقاصى الدولة فعظم ذلك على الوزير وتحير وخاف على الملك الهلاك

فهاود الى جمع الحكماء واحضار العلماء ومن قدر عليهم من الشيوخ القدماء وأعاد عليهم القول واستدعى منهم الجواب وكان فيهم شيخ كبير قد عرف وجرب فقال أيها الوزير ان العلة التي بالملك معروفة بظاهرها خفية بباطنها ومثل هذه العلة لا تكون الا عن حالين احدهما في النفس والأخرى في الجسد فالذي في النفس ينقسم قسمين فاحدهما يختص بالنفس الناطقة والقوة العاقلة والآخر يختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية والذي يختص بالجسم أيضا ينقسم قسمين بالحر واليبس والآخر بضده وهو البرد والرطوبة . وأما ما يختص بالنفس الناطقة فهو الفكر في المبدع جل جلاله وما أبدع والحيرة فيما خلق وبرأ وأنشأ وإعمال الروية واجالة الفكر في كيفية الابتداء والانتهاء وما شا كل ذلك من الأمور الالهية فان النفس اذا غرقت في هذا الأمر وانغلقت عليها أبوابه وتعذرت أسبابه ضاقت وحرجت فأحرقت طبيعة الجسد فضعفت القوى الطبيعية عن تناول الغذاء وحدث بالجسم ما ترى من الضعف والتغير والهزال والضعف كذلك يتزايد مادامت تلك العلة مستدامة والخاطر مشغولا بها والأبواب عليه منغلقة والأسباب متعذرة ولا يجد من يفتح عليه ما انغلق من أبوابه ويسهل ما صعب من أسبابه وأما القسم المختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية فشكله شق للصورة البهيمية من النساء والصبيان والاحداث والمرد ان مثل ما يعرض للعاشق اذا غاب عنه معشوقه وحيل بينه وبين محبوبة فيظهر به من الضعف والتغير ما يكون به تلف الجسد وانحراف المزاج وفساد البنية وربما دخل عليه زيادة أدته الى الما ليخوليا واحترق ووصل المرض الى شغاف قلبه فهلك وبادوا ما يكون في الجسد من العلل العارضة من جهة الطبائع الأربع فان لكل علة تحدث من فساد المزاج غلبة الطبائع بعضها على بعض فله علامات يستدل بها على تلك العلة ومواضع يقصد بالأدوية اليها ولا يجب للطبيب الخاذق أن يبدأ بدواء العليل الا بعد السؤال له عن السبب في تلك العلة ماهو وكيف كان وعمما كان وما أصله أهوشى من الماء كولات أسرف في أكله أم مشروب اتلف في شربه أو غم عرض له أو هم دخل عليه أحوال اشتغل به قلبه وفكره أو صورة حسنة رآها فوقعت في قلبه ثم حيل بينه وبينها ومنع من تناول لذاته منها وأي موضع يجد الوجع من جسمه وبماذا يختص من أعضائه وأي شئ يشتهي وأي حديث يلهيه ويرضيه وأي سماع يطربه فاذا أخبر العليل طبيبه بشئ مما ذكرناه اذا سأله . وكان العليل صحيح العقل ازداد الطبيب الماهر علمه واستشهد على ما أخبره لفظا بما يدل من البرهان عليه بالحس وماتبين له من صحة النبض مما يستدل به على صحة ما أورده المريض ويسترشد الطبيب على قول المريض وشهادة النبض بشاهد آخر وهو الماء فاذا اتفق النبض والماء مع شكوى المريض فقد عرف حينئذ الطبيب العلة وما يختص بها من الأعضاء فان يغلبه إحدى الطبائع وضعفت الأخرى أرسل الى ذلك العضو ما يوافق طبيعته ويلائم قوته لينقمع به ضده الذي يضايقه في مكانه بالملاطفة والتدريج ولا يحمل عليه بالدواء الخاد في أول دفعة فانه ربما أحدث له ذلك فسادا لا يرجى صلاحه والمثال في ذلك النار المشتعلة في الحطب أول ما وصلت اليه فانها اذا قويت وألقت عليها الماء ازدادت حرارتها وقويت بخاراتها فأنلفت ما وصلت اليه واحتوت عليه فاستل أيها الوزير عن بدء هذه العلة كيف كانت وما السبب فيها والحال الموجب لها فلعلنا اذا عرفنا ذلك نتداركه بالملاطفة وحسن التدبير ان شاء الله . قال الوزير أيها الحكيم ان في أدب وزراء الملوك ومن الواجب على من صحب الملوك أن لا يبدؤهم بالسؤال لهم مما لا يجب له السؤال عنه ولا يهجم عليهم بذلك الا أن يبدؤوه به ولا يطلب الدليل على ما يقولونه بل يستمع ويصدق ويسلم اليهم في جميع أمورهم ولا يهترض عليهم في أفعالهم وأعمالهم وأنا أهاب الملك وأخاف منه أن أسأله عن شئ لم يبدئه وحال يخفيها ولم يطلعني عليها لاسيما في أمر نفسه وجسمه . قال الحكيم أيها الوزير انه لا سبيل الى شفائه ومعرفة دوائه الا بعد الابانة عما ذكرته لك وأنا أرى ان سؤالك له عن أمره وما أخفاه من سره يكون سببا لحياته ونجاته ان شاء الله فاذا أعلمك ذلك فاعلمني به واحفظه عنه لئلا تنسى مما يحكيه شيئا ثم انصرف ذلك الشيخ ومن حضر المجلس من الأطباء ونهض

الوزير فدخل على الملك فلما رآه انس به وأدناه بقربه وسأله هل وجد له دواء واتجه له عنده شفاء فأكثر
الوزير من الدعاء له ثم أقبل عليه فسأله عن بدء العلة كيف كان وما الذي كان السبب في حدوثها به فلما سمع
الملك من وزيره هذه المسئلة التي لم يكن سألها عنها قبل ذلك أمر من كان بين يديه من خدمه أن يقعدوه
ويسندوه ففعلوا ذلك ثم أمرهم بالبعد عنه فلما رأى الوزير ذلك خاف على نفسه وفزع واستوى الملك جالسا
على فراشه وقال له ادن مني وأعد هذه المسئلة عليّ وأصدقني فاني أرجو الشفاء بصدقك إياي وانك قدرت على
الدواء في إزالة الداء ان شاء الله فاني لم أسمع منك هذا السؤال قبل هذا والواجب على الملوك في أدب المملكة
أن لا يبدوا من يلم بهم من عبيدهم وخوادمهم بكشف أسرارهم وبما يحدث منهم في خلواتهم وما يجيئون به في
أفكارهم لاسيما اذا لم يجدوا له أهلا يكشفونه لهم ويودعونه عندهم ويرجون بهم فتح ما انغلق عليهم بابه وتعذرت
أسبابه وقد كنت في طول هذه المدة التي حدثت بي فيها هذه العلة أريد من يسألني عن ذلك فأبديه له فلم أجد
سائلا يسألني عن ذلك وكلما عدت من أثبت اليه الشكوى وأخرج اليه بما أجد من البلوى صعبت العلة عليّ
وتزايدت المحنة لديّ فلما سمع الوزير ذلك من الملك تحقق قول الشيخ الحكيم المجرب وعلم انه صدق وأصاب
قال له الوزير أرجو أن أكون موضعها هذا الأمر وكشف هذا السر فقال الملك ان شاء الله ثم ابتدأ الملك فقال
اني كنت في بعض الأيام قد أظهرت نعمة الله تعالى عليّ وأحضرت أجليها لديّ وأمرت باخراج مافي خزانتي
من الجواهر النفيسة والآلات الثمينة مما جمعتها أنا في أيامي وما ورثته عن آبائي فاحضر بين يديّ في خلوة من
حشمتي وعيدي وخزاني الذين كانوا نقابوه الي بين يديّ فرأيت منظرا أطر بني غاية الطرب وفرحت بها
وطربت لها وأخذت منها بالنصيب الأوفر والحظ الأجل من الغبطة والسرور والجلد والخبور فكبرت نفسي
وعظم قدرى وظننت أنني قد وصلت الى ما لم يصل اليه أحد غيري واني من أسعد السعداء ثم اني نمت فرأيت
في منامي كأنني في تلك الحال على أحسن ما يكون وأتمه وأكمله وكان رجال دولتي وعبيد مملكتي كلهم قيام بين
يديّ خاضعون لي ساجدون سامعون لقولي مطيعون لأمرى وأنا على سرير مملكتي في محل كرامتي فبينما أنا
كذلك اذ رأيت رجلا شابا مليح الصورة حسن الأثواب لم أره قبل ذلك الوقت ولا عرفته وكأنه بالقرب مني ينظر
اليّ نظر المستهزئ غير هائب لي ولا خاضع بين يديّ ولا مسلم عليّ مستقل بجميع ما أنا فيه وكأنه يملك ما لا أملكه
ويقدر عليّ ما لا أقدر عليه ويصل اليّ ما لا أصل اليه فغاضني ذلك منه وكأنني قد هممت بالايقاع به وأمرت به من
كان بين يدي من خدمي وأصحابي من جميع أهل مملكتي ورجال دولتي أن يقعدوا به وهو قائم في مكانه يضحك بي
وكانهم لم يصلوا اليه ولا قدروا عليه وكأنه قد زاد استهزاؤه بي واستزراؤه ولم يمهله شيء مما رآه فلما رأيت منه هاتني
ذلك وأفرغني فقامت من مكاني وتنحيت عن سريري ودنوت منه وقلت له من أنت ومن أين أنت وكيف وصلت
اليّ ومن أين دخلت عليّ فقال لي يامسكين يامغرور بسلطان الأرض والملك الجزئي أيّ ملك أنت انما أنت مملوك
ولست بمالك فلم تدعي الحال وترضى لنفسك بالكذب وجميع ما أنت فيه زائل مضمحل فان وعما قليل يفارقك
وتفارقه وانما الملك المملوك السماوي والسلطان الالهى فان بادرت وعملت ما يقرب الي ربك وصلت اليه وكنت
ملكاً بالحقيقة ونلت ملكاً لا يبلى ولذة لا تنفنى فتكون ملكاً بالحقيقة تفعل نفسك اذا زكت وروحك اذا صفت
ما أنا فاعل وتصل الي مثل ما أنا اليه وأصل مما انه ارتفع من الأرض وأقبل يمشي في الهواء ويجول في الفضاء الي أن
رأيتني وصل الي السماء وغاب عني فلم يرو سمعت هاتفا يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فلما رأيت ذلك منه أيقنت
أنني لست بمالك وأنني مملوك كما قال واني لست بعالم واني جاهل واني لست بانسان واني حيوان ثم انقبت وأجلت
الفكر وأعملت الروية وكثير تخيلي لذلك الشخص وما قال لي ورأيت من مملكته وسعة قدرته والمكان
الذي رقي اليه واشتهيت المعرفة بالعمل الذي هو صلة اليه فاشتغلت بهذا الشأن عن جميع ما كنت بسبيله عن
تلك اللذات وانقطعت عن جميع الشهوات وزهدت في المأكول والمشروب وأقبلت أجيل فكري وأقلب نظري

في أهل المملكة ورجال الدولة فلم أرفيهم من يصلح أن أكشف له هذا السر ورأيتهم كلهم مشاغيل بالحال التي أزرى بها على ذلك الشخص واني واياهم هم اليك وأن الأسماء التي استعرتها لا تصلح لنا ولا تليق بنا وانها ذاهبة زائلة عنا وخشيت أن أبدي أمرى الى من ليس هو من أهله فأنسب الى الجنون وقلة العقل فصمت عن الكلام وزادني الفكر والنغم والهم والأسف فحدثني من ذلك ما ترى من التحول والتغيير في الصفات فهذا هو سبب وجعي ومبدأ علمي وأظن اني خارج من هذه الدنيا بهذه الحسرة ان لم أصل الى العمل الذي يوصلني الى ما وصل اليه ذلك الشخص الذي رأيته وقد خرجت اليك بأمرى وكشفت لك ما أخفيت من سرى فان كان لي عندك فرج فنن به عليّ وان عذمت ذلك فاكتم سرى ولا تخرج الى أحد بشيء منه كما خرجت به اليك من أمرى لئلا أنسب الى الجنون وزوال العقل فيذهب الملك مني ومنك ويطمع فينا الأعداء لأن علة زوال العقل أصعب العلة متعذر دواؤها معدوم شفاؤها ولكن قد طمعت أن لي عندك فرجا لما رأيتك قد سألتني عن هذا السؤال ولم يكن هذا من عادتك معي ولمعرفة أن فيك من الأدب الذي يصلح للملوك مالا يحملك على مثل ما أقدمت به عليّ من ابتدائك لي بالسؤال عن سرى الذي لم أبده فأصدقني كما صدقتك . قال الوزير فأعدت عليه ما كان وما جرى من الشيخ الذي أشار عليّ بذلك وأمرني به فقال عليّ بالشيخ فقد وضع يده على الداء وأرجو أن يكون عنده الدواء فخرجت من عنده وأحضرت ذلك الشيخ وقصصت عليه الحال من أولها الى آخرها فبكى وقال قد انكشفت العلة وعرفنا دواها وقد راعنا على شفاؤها ان شاء الله ثم نهض معي حتى دخلنا على الملك فلما رأى الشيخ فرح به ورفع وأقبل عليه وأنس به وأقبل يهيد الحديث عليه من أوله الى آخره فأقبل الشيخ على الملك وقال له ان العمل الذي يوصل الى مثل ما رأيت لا يكون الا بعد العلم بتوحيد الخالق جل جلاله ومعرفة حق معرفته فاذا صح لك ذلك وعلمته ابتدأت تشرع في تعليم العلم المؤدى اليك الى عبادته الموصلة لك الى جنته ودار كرامته فاذا أحكمت العمل بتلك العبادة وصلت الى مرادك ونلت غرضك ولا يكون ذلك الا بعد ترك جميع مملكتك وقدرت عليه من أمور الدنيا . قال الملك قد رضيت بذلك وطابت نفسي به وقد تجملت بترك جميع ما كنت فيه وتمنيت الموت والراحة من هذا العالم فقال الشيخ ان هذا العلم غير موجود عند أحد في بلدنا هذا وانما هو موجود بحقيقته عند رجل من الحكماء مقامه في اقليم الهند بجبال سرنديب تحت خط الاستواء فان عنده مفاتيح ما انغلق من هذا الأمر وصعب من هذا السر . قال الملك فأني لي بالوصول اليه والقدوم عليه وانا على ما ترى من نحول الجسم وضعف القوة وكثرة الأعداء ومنازاة من اضطراب الحال وفساد الأعمال والعمال وكثرة الخوارج علينا والأعداء لنا وتمنيهم الوصول بالأذية اليّ وانتزاع ما في يدي من هذه المملكة الفانية والقنية المضمحلة وان كنت غير متأسف على فقدها ولا حزين على زوالها بعد ما سمعت ورأيت وانما أخشى ان أدرك اذا خرجت منها وبعدت عنها فاقتل وأموت في الطريق ولا أصل الى ما يكون به السعادة بعد الموت وأكون قد تجملت الذل والهوان في الدنيا وسرعة القدوم عليه في الآخرة . قال الشيخ صدق الملك فيما ذكر ولنا في ذلك تدبير آخر قال ما هو قال أنا أكتب الى الحكيم أعلمه بالحال وننظر ما يكون من جوابه فنعمل به ان شاء الله . قال الملك افعل ذلك وخف على الملك ما كان يحده وسكنت نفسه الى قول الشيخ . وقال للوزير اعلم اني قد وجدت العافية وقد سكنت تلك الحركة الفكرية وبردت الحرارة التي كنت أجدها في قلبي واستدعي من الطعام والشراب ما أمسك به القوة ودعت اليه الحاجة وفشا في أهل المملكة من أعمال الدولة أن الملك قد أفاق من علمته وزال عنه ما كان يحده ففرح الناس بذلك وسكنت الفتنة فسارعت الخوارج الى الطاعة وعمت البركة وشملت النعمة وعاد الأمر الى أحسن ما كان في مدة يسيرة وقويت نفس الملك ووثق بما وعده الشيخ الموفق الرشيد فسكتب الشيخ الى رب بيت الحكمة في ذلك الزمان يعلمه بما جرى ويسأله أن ينفذ اليه من يراه ليقتح عليه من العلم ما يصلح له ويعلمه ما ينبغي له في جسده فلما وصل الكتاب الى الحكيم ووقف عليه استدعي تلامذته وكان له اثنا عشر تلميذا

حاضرين معه فاعلمهم بما وصل اليه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا مرنا بما تريد لتمثله ونأتى فيه ما تؤمله فافرد رجلين منهم وقال لهما اذهبا الى الملك فاذا دخلتما عليه فليبدأ به أحكما فيلزمه حتى يبلغ في العلم الرياضى الى حد يجب له اذا وصل اليه ووقف عليه الارتقاء الى العلم الالهى ثم ينفصل عنه ويلزمه الآخر حتى يوقفه منه عند الحد الذى ينبغى له فاذا رأيتما قد حسنت أفعاله وزككت أعماله فانصرفا عنه ولا تطلبا عليه جزاء ولا شكورا . ثم ابتدأ بوصيتهما وبتحذيرهما من الوقوع فى حبال الدنيا وشبكة ابليس وقال لهما انكما فى مكان بعيد عن محاسن الدنيا وزخارفها ونضارتها وبهجتها وما يجده أهلها من فتنتها وستردان على الملك وعلى مملكة واسعة ونعمة ظاهرة ولذات متواترة وإياكما الميل الى شئ منها والمحبة لها فانكما ان فعلتما ذلك وملتما الى شئ مما تريناه أنفسكما وأفسدتما وخرجتما من الصورة الانسانية الى الصورة الحيوانية والرتبة الشيطانية بالفعل وخرجتما من فسحة الجنان وروضة الروح والريحان وجاورتما الشيطان فى دار الهوان وخرجتما من سعة الكل الى سجن الجزء قلا سمعنا وأطعنا وتوجهنا من حيث هما الى أقليم الملك وكتب الحكيم الى الشيخ يعلمه بذلك وجعله عينا عليهما ينقل اليه أخبارهما وما يعملانه ويعاملان به الملك ثم قدما على الشيخ بالذى هما عليه من الشعث وقلة الجال وما يليق بالنسك من الفقر وسوء الحال فأخبر الملك بقدم الرجلين من عند الحكيم ففرح بهما الملك واستبشر ثم أمر بإيصالهما اليه فدخل عليه فقام لهما قائما على قدميه وأمرهما بالجلوس فجلسا بحال العمامة المفيدتين وجلس الملك والوزير بحال المتعلمين المستفيدين ثم تقدم المبتدى بالعلم الرياضى فعلم الملك والوزير حتى أحكما وتعلماه الملك ووزيره وقاما بموجباته وأحكامه ثم انفصل الأول وتقدم الثانى فتلا عليهما الحكمة الالهية الى أن بلغا من ذلك غاية ما كان عنده واستفادا ما كان فى وسعه فلم يفرغا ما أمراه وأرادا الانصراف أقبل الملك عليهما وقال انى لأجد لكما مكافأة على ما فعلتما فى وتوليتما من أمرى الآن أسلم اليكما ملكى فتدبرانه وتحكما فىه بما أردتما وقد أبحثكما جميعه وهو عندى قليل لكما فلما سمعا ذلك منه ردا عليه ردا جيلا وانصرفا الى مكان كان الملك قد أعده لهما فتشاورا فيما عرضه الملك عليهما وأهداه اليهما من ملكه وقد مالت أنفسهما الى ما رآياه من حسن الدنيا وبهجتها وما عايناه من حسن قنيتها وطيب لذتها فقالا لا بأس أن يجتمع لنا المنزلتان وننال السعادتين الملك فى الدنيا والآخرة وعزما على قبول ما أهدى الملك اليهما من ملكه والجلوس فيه والقيام به ثم خلا الملك بوزيره فقال له اعلم يا أخى أن هذه الدنيا فانية واسننا فيها مخلدين وقد نلنا من لذاتها ونعيمها ما قد نلناه ووصلنا منها الى ما وصلنا اليه وقد نالنا عليه فعمل بنا تتخلى عنها ونلزم مداومة النظر فى هذا العلم الشريف والعمل اللطيف الذى نصل به الى الفوز والنجاة من بعد الموت فاننا لانشك فى وصول الموت الينا ونزوله علينا فلعلى وإياك تجتمع فى الملك السماوى كاجتماعى وإياك فى الملك الأرضى فقال افعل وقويت نيتكما وطابت أنفسكما بذلك فلما دخل الرجلان فى وقت دخولهما على الملك أعاد القول عليهما وما يريد من تسليم الملك اليهما ورجا بذلك سعادة المملكة وأهلها بتدبيرهما وحكمتهم ورجا لأهل بلده ومن يكرم عليه من أهله ان يصلوا الى مثل ما وصل اليه من ملك العلم والعمل فتعم البركة وتشمل النعمة وتسكمل السعادة فقبلا ما أهداه اليهما وتقلدا ما اعتمد فيه عليهما وجعل أحدهما وهو المعلم له العلم الالهى فى مقام المملكة وصاحبه فى مقام الوزارة واشتغل هو ووزيره فى مداومة النظر فى العلم والقيام بالعمل والاجتهاد فى العبادة والزهادة فى الدنيا والتهاون بها واطراح شهواتها وترك لذاتها فكتب الشيخ الى الحكيم بذلك فأيس من عودتهما اليه وعلم انهما قد افقتنا بما رآياه ومالت أنفسهما اليه وتمنيا الخلود فيه وأقاما على ذلك فى تدبير الملك وسياسة المملكة الى أن مات الملك ولحق به وزيره بعد مدة يسيرة وصارا الى رحمة الله سبحانه ودار كرامته ونالا الملك السماوى ووصلا اليه وافقتن الرجلان بالدنيا وتخليا عن العلم والعمل وانهمكا فى اللذات الدنيوية واستترجع الحكيم ما كان أودعهما إياه من حكمته فنسب ما كانا له ذا كرين وغاب عنهما ما كانا له حاضرين وفارقا ملك السماء وأخلدا الى ملك الأرض فاهبطا من الجنة وبعدا

من الرحمة وانقلبا على عقبيهما خاسرين فاهارا وامارا من حضرهما بما فعلا وافتتن الناس بهما وتعاموا منهما ما يضرهم ولا ينفعهم وبدت سوءاتهما وقالوا هذان العالمان اللذان كانا يأمران بترك الدنيا والزهد فيها قد عادا الى ما كانا ينهيان عنه ويحذران منه ولولم يعلما ان العاجلة هي النعمة الحاصلة لما اختاراهما ولا رجعا اليها بعد ما علمنا وزاد بهما جوع الطغيان واستحوذ عليهما الشيطان فأنساها ذكر الرحمن فصارا أعداء للمحكماء واضدادا للعلماء وكتب الحكيم الى الشيخ يأمره بالتنجى عنهما والبعد منهما خوفا عليه من شرهما ففعل ذلك واقبلا على تناول أمور الدنيا وشهواتها وفارقا السحر الحلال الذي أنزل عليهما وأصرا بفعله وعمله وكان به نجاة من نجا ورجعا الى السحر الحرام فضلا وأضلا . وهذا حديث يدل على حالة الملوك هاروت وماروت وما كان من أمرهما وهبوطهما من السماء الى الأرض ومفارقتهما جوار رحهما والملائكة الذين كانوا معهما كمفارقة ابليس للملائكة باستكباره وعصيانه ومفارقة آدم للجنة التي كان فيها بما كان من خطئه ونسيانه فهذا بيان معرفة ماهية السحر والسحرة والعمل به وكيفية أقسامه وما الحق منه وما الباطل بحسب ما احتمله البيان واتسع له الامكان انتهى ما أردته من اخوان الصفاء . وبهذا تم الكلام على المقام الأول وفصوله الثلاثة والحمد لله رب العالمين

﴿ المقام الثاني في شذرات ﴾

(في هذا المقام خمس شذرات)

- (١) في إصلاح التعليم
- (٢) وفي المجائب السماوية وما يوصل اليها
- (٣) وفي غرائب الحيوان
- (٤) وفي الفوائد الطبية
- (٥) وفي الفوائد الأدبية العامة

﴿ الشذرة الأولى في اصلاح التعليم ﴾

اعلم أيها الذكي أن الأمم الاسلامية الآن أشبه بالينيم الذي ترك وشأنه فلامرني له وانما هو متروك للمصادفات ولما كانت الأمم الاسلامية قد سارت في طريقة عتيقة مثل أن تحفظ المتنون بلا عقل ويحفظ القرآن بلا فكر وجب أن أبين هنا ما ساقه الله اليها من نعمة العلم والحكمة إذ حضر أثناء طبع هذا الكتاب عالم سويسري ليبحث في نظام التعليم عندنا بمصر فأظهرانه ناقص تقصا محزنا . ولما كان تقريره مطولا جدا بل هو كتاب كبير . وقد وجدت ملخص هذا الكتاب منشورا في جريدة الاهرام يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٣٩ رأيت أن أثبت هذا الملخص هنا ليطالع المساهمون على نظام التعليم في الأمم الراقية الذي بينه وبين عصر الصحابة شبه من جهة الحرية الفكرية وعدم الوقوف عند الحفظ والتمتع بالخلاوات وتقاوة الهواء والاجتهاد الفردي وما أشبه ذلك فهناك ما جاء في الجريدة المذكورة تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ مشكلة التعليم ﴾

نواجه اليوم مشكلة لا تقل خطورة عن مشكلتنا السياسية . هي مشكلة التعليم التي لا بد أن تتضافر الجهود على إيجاد حل لها حرصا على مستقبل الشباب أو بالحرى البلاد . فصيحات الشكوى التي تملأ أعمدة الجرائد وشعور الخوف والخيرة الذي يملك الألوف من الطلبة والوالدين ما هو في الواقع الا خوف مصر على مستقبلها ممثلا في شعور أبنائها . ولهذا أرى لزاما على كل متخصص وخبير بشؤون التعليم أن يدلي برأيه

مبيناً خير ما يراه كفيلاً بحل مشكلة التعليم كما يتحتم على كل وطنى يفار على مصلحة بلاده أن يهاون على تنفيذ ما يقترحه الخبيرون بعد الدرس والتمحيص . فالمسألة أهم من أن تهمل . وأعتقد من أن تحل بزيادة الفصول وإيجاد أما كن لطالب الالتحاق وأعظم من أن تقوم بهبها الحكومة وحدها

ثلاثة أمور لامندوحة عنها حل مشكلة التعليم وإزالة أسباب الشكوى فهى

(أولا) - تتطلب تغييراً فى جو المدارس وأساليب التدريس يتمشى مع روح العصر وتقدم علوم التربية الحديثة

(ثانياً) - تستلزم تعديلاً فى مناهج التعليم يتفق مع حاجات البلاد وتنوعاً يلائم الاستعدادات المختلفة (ثالثاً) - اهتماماً من الأهالى وتعاوناً على رفع مستوى المدارس الأهلية وزيادة عددها لمساعد على حل الازمة ونشر الثقافة فى البلاد . فاما الأمر الأول فقد كفانا مؤونة البحث فيه التقرير الوافى الذى رفعه لوزارة المعارف الاستاذ الفاضل اد . كالا بارية الخبير المنتدب فقد استوفى فيه الموضوع بحثاً من جهة الأساليب وجو المدارس وأظهر مواطن الضعف فى نظامها ثم أشار بما رآه علاجاً لتلك العلل وبتلخيص ذلك فى عشرين اقتراحاً وأذكرها ليطالع عليها من القراء من لم يقرأ التقرير ويستفيد منها أصحاب المدارس الأهلية فالداء يكاد يكون عاماً شاملاً وليس قاصراً على مدارس الوزارة أما الاقتراحات فهى :

- (١) انقاص عدد التلاميذ فى الفرق التى يتجاوز عددهم فيها الحد المناسب
- (٢) الزيادة فى تجنيس الفرق من حيث سن التلاميذ ومستواهم العقلى
- (٣) اختبار كل طفل على حدته اختباراً فردياً
- (٤) تعيين معلمى فرق بالمدارس الأولية والابتدائية والفرق الأخيرة من المدارس الثانوية وجعل تعليم صغار الأطفال الى سن التاسعة على أيدي معلمات فرق ان أمكن
- (٥) تضيق نطاق المناهج
- (٦) تعديل نظام الامتحانات الحالى تعديلاً شاملاً لأنه السبب فى اعتماد التلاميذ على الاستظهار لاعلى التفكير والتروى
- (٧) زيادة ماللامتحان من قيمة وأثر فى اختبار التلاميذ . ولا ينبغى أن تكون الحافظة فى الأطفال الذين يمتحنون الغرض الذى يقرطس الامتحان بل القدرة على أداء عمل شخصى مبنى على التفكير والتأمل
- (٨) حذف دروس الاملاء والاستظهار ومنع استظهار المتون ومنع التلاميذ من نسخ مالا يفهمونه من النصوص واستظهارها
- (٩) توسيع نطاق العمل الفردى وإنشاء مكتبة فى كل مدرسة وقاعات يمارس التلاميذ فيها الأعمال بمفردهم
- (١٠) الاستفادة بالالعب التى تعزز التربية فى جميع درجات التعليم وتألّف جماعات من التلاميذ للعمل معاً فى أشغال معينة استفزازاً لغيرتهم وتنمية لروح التعاون والتضامن فى نفوسهم
- (١١) جعل التعليم أكثر مطابقة على العمل ولا سيما فى المدارس الابتدائية والأولية والاستفادة بالأعمال اليدوية فى أغراض التعليم وصراميه
- (١٢) الترخيص للمعلمين بالقاء دروسهم على الفرق فى الهواء الطلق وبالتنزه والتريض مع التلاميذ
- (١٣) إنشاء عدد أكثر من المدارس الابتدائية والثانوية للبنات
- (١٤) الاتئاد فيما يتعلق بنشر التعليم (مشروع التعليم الإلزامى) فى إنشاء المدارس ريثما يتخرج المعلمون

القادرون على القيام بأعباء هذا التعليم

(١٥) إنشاء فرق متنقلة أو جواله لنشر الثقافة العقلية في الأرياف وإنشاء مكاتب في القرى وإقامة سينما للتربية والتعليم

(١٦) تعديل أسلوب أعداد المعلمين تهديلا شاملا

(١٧) إقامة محاضرات أسبوعية بيداغوجية ودروس اتقان وتجويد للمعلمين

(١٨) تعيين مفتشين ببيكولوجيين لمواصلة البحث والتحقيق في المدارس ولارشاد المعلمين بنصائحهم وبخاصة منهم معلمي الأرياف على أن يكون تفقدهم إياهم في مواعيد دررية منظمة

(١٩) تضيق دائرة التركيز المدرسي وازعاج العنان لحرية المعلمين ونظار المدارس والإلانة من شدة البرامج وصرامتها وتقديم الجانب التثقيفي من العمل المدرسي على الجانب الإداري

(٢٠) الاستمرار في البحوث والتحقيقات البسيكولوجية والبيداغوجية التي بدى بها في سنة ١٩٢٨

— ١٩٢٩ م اهـ

أما الأمر الثاني أي تعديل المناهج فلم يتناولها التقرير بأكثر من اقتراحه تضيق نطاقها وتحسين نوعها واليك ماقاله :

« اتضح لنا أن المناهج في جميع المدارس على اختلاف درجاتها غاصة بمواد التدريس فمن الواجب المبادرة بالاستعاضة عن وفرة الكمية بجودة الصنف ، وعن التوسع بالتعمق ، وعن الحافظة بالتفكير » ثم قال : « وليس في طاقتنا أن نشرح بالتفصيل ما ينبغي ادخاله على المناهج من التعديلات والتحويلات فان هذا الشرح يتطلب بحثا لم تنهيا لنا الفرصة للقيام به ، كما ينبغي أن يبنى هذا البحث على محادثة التلاميذ وفحص مفكراتهم ومطالعة منشاتهم في الامتحان الخ لتعرف الأجزاء التي يفهمها الأطفال وتمثلها أذهانهم من منهج كل فرع والأجزاء التي تستظهرها الحافظة دون أن يدركها العقل »

وظاهر من هذا القول أن الاستاذ كلاباريه نظر لتعديل المناهج من جهة الأساليب وملاءمتها لقوى الطالب ، أما من الجهة الاجتماعية العامة وما تتطلبه حاجة البلاد من التعديل فلم يعالجها وعذره كما قال ان هذا الشرح يتطلب بحثا لم تنهيا له الفرصة للقيام به ، أضف الى ذلك انه غريب عن البلاد لا يعرف كل ما تحتاجه وتشكو منه ، لهذا قلت يجب على كل وطني خبير بشؤون التعليم أن يدلي برأيه ، ولهذا رأيت أن أعالج الموضوع بقدر امكاني فان أصبت فقد قت بواجب على لبلادي وان أخطأت شفع لي إخلاصي وسرني معرفة خطئي واصلاحه من رد ناقده خبير . انتهى ماجاء في الجريدة المذكورة

انما نقلت هذا المقال بمرته لأنه استوفى التقرير الذي كنت أودّ تلخيصه وقد كتبه العالم السويسري المتقدم ذكره ، فهو الآن أشبه بتطبيق على أحوال المسلمين العملية بعد الشرح العلمي ، فهنا أشبه بالعمل وفيما تقدم أشبه بالعلم ، وهذا هو التوفيق أن يجتمع كلام ألماني وسويسري ويوجهان لرقى المسلمين ، وأنا الآن أريد أن أبين للأمة الإسلامية فوائد التعليم الثانوي مما اطلعت عليه وقرأته في كتب مختلفة وفي كلام الكتاب المتقدم أيضا اعلم أيها الذكيّ كما تقدم فيما نقلته عن (كنت) الألماني أن الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يعوزه التعليم والتربية ، واذا نحن نظرنا الى الأمة كلها وجدناها كالفرد الواحد والانسان الواحد ، نجد له مطالب كثيرة :

(١) من طعام وشراب وهكذا نجد له أعضاء كثيرة لتناول هذه المطالب

(٢) وهذه الأعضاء تختلف باختلاف تلك المطالب

(٣) وهذا الاختلاف يشتدّ تباينه كلما اشتدّ تباين المطالب ، فالاختلاف بين حاسة الذوق واللمس أقلّ

من الاختلاف بين حاسة الذوق والبصر لأن الأولين خصا بما هو قريب للامس والآخر لاملامسة له
ففي المدارس الثانوية :

- (١) أولا تبنى القوى في التلاميذ بحيث تصلح للسير في المجتمع أولا وتستفيد من الأحوال الطارئة في الحياة فلا تنقب على حال واحدة بحال وجود
- (٢) ثم يجب أن يفرق بين المواهب المختلفة فتوزع على مطالب الحياة كما وزعت الأعضاء والحواس على مطالب الانسان
- (٣) وكما أننا نجد حاسة اللمس تبعد عن حاسة البصر من حيث متعلقها وتقرب من حاسة الذوق إذ هاتان متعلقتان بما هو ملاصق ، وحاسة البصر لا تقدر على مشاهدة الملامس هكذا أفراد الأمة فانها كلما ارتقت اشتد تباين الأفراد فيكون أحدهم كالعين والآخر كاللمس أو كالذوق ولكن لابد من نظرة هنا ، ذلك ان الأعضاء المتناثرة في بدن واحد لا تجتمع بل تتفرق ، ألا ترى أن الحيوان اذا مات تفرقت أجزأؤه ، إن الذي جمعها الحال العامة في الجسم من التغذية والشراب والأعصاب والعروق والدم والشحم واللحم وما أشبه ذلك ، فهذه الأعضاء وان اشتد الخلاف بينها ففيها اتفاق واتحاد ، وعلى مقدار التباين بينها اشتد اتحادها ، فبواعث الاتحاد كثرت على مقدار بواعث الاختلاف هكذا في الأمة ، فاذا رأينا الأمة ارتقت وظهرت فيها أفراد نابغون كل وصل الى منتهى الكمال بحسب زمانه بحيث صار القاضي والمهندس وعالم الزراعة كل واحد من هؤلاء قد برع في فنه ، فهذه البراعة تقطعه عن أمته ويصبح كأنه ليس منها لأنه لاصلة بينه وبين المتعلمين إلا صلة ضعيفة فهناك يجدر أن يكون التعليم الثانوي كثير المواد غزيرها حتى يجعل بين النابغين اتحادا أتم على مقدار الاختلاف الشديد في المهن المختلفة
- (٤) ومن جملة المطالب التي تقتضيها المدارس الثانوية الاستعداد للمدارس العالية والخاصة ، وقد كان هذا هو المطلب الذي لا يطلب سواء قديما بالمدارس الثانوية ، أما الآن فان الأمر أعظم كما قررناه بل لها وظائف أخرى تقدمت ويأتي باقيها
- (٥) الانتخاب المدرسي ، ومعنى هذا أن في الناس من ليس لهم استعداد ولا ميل للتعليم العالي فهؤلاء يجب أن يتعلموا ما يليق لهم ، ومن لا يستعد للتعليم الثانوي يجب أن يتعلم صناعة تليق له
- (٦) وكما أن كل ما احتاج اليه الفرد في حياته من مطعم ومشرب وملبس موجود في هذه الأرض براه ويحس به فيطلبه . هكذا يجب أن يجعل للتعليم في المدارس نماذج لكل ما يحتاج اليه الأمة فتكون في المدارس أنواع الصناعات وأنواع الفنون ليتخذ كل ما يليق له . وكما أن الانسان لو لم ير الثمر أو الموز أو التفاح فانه لا يطلبه هكذا لا يتسنى لامرئ أن يطلب علم الجبر أو صناعة الحدادة أو صناعة الكهرباء إلا بالاطلاع عليها ومعرفة شئ يختص بها

﴿ فائدة ﴾

لقد كان قدماء اليونان يضعون في هياكلهم صوراً مختلفة للصناعات المختلفة ويمرّ عليها الصبيان فاذا رآها الصبي وأحبّ إحداها عرفوا أن هذا هو استعدادة ، وهذا المقام قد بينته في كتابي « أين الانسان » تبيننا أتم وكشفا أظهر فافقروا إن شئت

وهنا يجدر أن أثبت هنا مقالا كتب في جريدة الاهرام في يوم الخميس ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٩ في الرد على من ذم التعليم الاجباري العام وهذا نصه :

(معنى التعليم الاجبارى)

(حول مقال كاتبة)

جاءت الكاتبة النابغة الأنسة فى عدد الاهرام الصادر فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٩ مجلة شعواء على التعليم الاجبارى بحجة انه مؤدّ لبطالة واقفار الريف وازدحام المدن وغيرها ، وبحجة أن كل أمى فى مصر يشتغل وأما طائفة العاطلين فهى من المتعلمين . وبحجة انه لو كانت الغاية من التعليم جعل كل متعلم أفنديا معسكرا العام فى القهاوى والبارات فى انتظار وظيفة تهبط عليه من السماء على أجنحة ملائكة الرحمن . إذن لكان الجهل خيرا . وبحجة انه لو كانت الغاية من التعليم قذف المتعلمين الى العواصم ... لكان الجهل خيرا وبحجة انه لو كانت الغاية ايجاد الشبان ذوى المناديل المشربة من الجيوب وذوى ربطة الرقبة المرصعة بالدبوس إذن فالجهل خير من العلم

ثم ختمت الأنسة مقالها بقولها انها واثقة من أن الشبان المصريين لا يحقون عند قراءة مات كتب الخ كلا . ثم كلا (على رأى زكى باشا) لقد أخطأت الكاتبة النابغة فى الخاتمة كما أخطأت فى المقدمة . كما أخطأت فى جوهر موضوعها . والويل ثم الويل لمن يخطئ ثلاثا

إن الشبان المصريين يحقون ثم يحقون لمناصرتها الأمية . اللهم إلا اذا كانت تعنى بالشبان الشيوخ المتصبين أو الشبان المتسكهلين من أنصار القديم

بيد اننى أجل الكاتبة عن هذا الخطأ المثلث وأتمس لها العذر ثلاثا لأننى لا أخاطها إلا جاهلة معنى التعليم الاجبارى فظننته تعالما راقيا يخرج شبانا مثقفين وفتيات مثقفات مالمين وملمات باللغات الحديثة وآدابها ومبادئ العلوم السياسية والاقتصادية والمواد الطبيعية والاجتماعية والرياضية

هذا ما فهمته الكاتبة النابغة بنتيجة التعليم الاجبارى . فاذا كان هذا ما تريد وتعنى فأننى أوافقها وأشدّ ازرها فيما زعمت لأن انتشار الثقافة فى طول البلاد وعرضها فوق الحاجة مما يدعو الى كثرة الياقات البيضاء كما يعبر عن ذلك علماء التريية اليوم . ومعنى الياقات البيضاء هو عين ما قصدت السيدة بالمناديل المشربة من الجيوب الخ فان الأمم المتمدينة جميعها خصوصا التى يكثر بينها العاطلون كإنجلترا وألمانيا على الأخص قد فطنت الى ازدياد عدد الشبان المتأنيين ذوى الياقات البيضاء والأردية الثمينة الذين لا ينزلون الى حلبة الأعمال اليدوية فى المصانع والمناجم مهما ارتفعت أجورها بل يفضلون الانتظار شهورا بلا عمل ريثما يجدون لهم عملا ككتابيا فى مكتب أو مصرف أو مصلحة حفظا على مايزعمونه فى تلك الوظائف من الكرامة والمعزة وحباً فى جعل أنفسهم وياقاتهم ناصعة البياض

وهذه الحال بعكس ماهى عليه فى ولايات أميركا المتحدة تماما فهناك يباهون بالأعمال اليدوية فينزلون الى ميادينها بثغور باسمه مهما بلغوا من الثقافة لأن مدارسهم على اختلاف درجاتها تعودهم احترام العمل لأن الحصص الدراسية هناك تتخللها الصناعات والأعمال اليدوية ، ولا يجد الشاب من خريجي السكليات عارا فى غسل الأطباق وحمل الأثقال والعمل فى المناجم لأن الأقدار التى تعلق بالشاب من جراء هذه الأعمال يطلق عليها اسم الأقدار الشريفة أو النظيفة كذلك الفتاة المثقفة وان كان والدها من أصحاب الملايين قد تجدها عاملة فى مطعم أو متجرا أو منزل حبا بعظمة العمل وشغفا بما تسميه الفتاة الأميركية الاستقلال الاقتصادى

وليسمح لى القارىء أن أضرب مثلين واقعيين حدثا معى فعلا ، كنت يوما أتناول العشاء مع فريق من الطلبة فى دار أحد أساتذتنا فى ضاحية من ضواحي نيويورك وفى نهاية العشاء أخذنا نطل من الشرفة الكبيرة على حديقة المنزل ، فلاحظ أحدنا أن سيارة نفمة مقفلة أوقفت أمام المنزل وخرجت فتاة أنيقة من باب المنزل

ودخلت السيارة وغابت عن الأنظار ، فسأل أسدنا الاستاذ ، أليست هذه الفتاة التي كانت تخدمنا على المائدة أجاب نعم هي بعينها وهذه سيارتها كما رأيتم نعمة ، وهذه سيارتي في الحديقة من طراز فورد المتواضع ، ثم أردف ذلك بقوله : انها من طالبات السكينة وتقوم بخدمتنا فقط عند الحاجة القصوى بأجرة ريال عن كل ساعة . وأذكر مرة اننى دخلت مطعما ذات ليلة في منعطفات نيو يورك وما كنت أجلس الى مائدة من الموائد حتى أقبل على أحد طلبة الجامعة التي كنت بها وكان من طلبة الدكتوراه يقدم الى قائمة الطعام ، وقد تأثرت كثيرا من هذا المنظر وزاد تأثرى أن شاهدت زوجه تقوم بالخدمة معه في ذات المطعم في أوقات فراغهما ، وقد قام رجال التعليم في إنجلترا والنمسا وروسيا وهنغاريا وشيكوسلوفاكيا وألمانيا وخصوصا في الأخيرة بحملات شعواء ضد التعليم الثانوى الذى يكثُر من العاطلين ذوى الياقات البيضاء ويقلل من الأيدي العاملة وكانت النتيجة أن التعليم الثانوى هناك قد انقلب نظمه رأسا على عقب وأدخل فيه التعليم العملى الذى يتفق مع حاجة البلاد وتقضى على البطالة والتفرقة عن الأعمال اليدوية ويقلل من الثقافة الأدبية التى لاتوافق روح العصر الحديث وروح العلم والعمل . وقد احتسكت رجال التعليم في ألمانيا صيف هذا العام فى مؤتمر التعليم فى جنيف وقد شافنى مارأيت فيهم من التغيير وما سمعت من خطبهم من الانقلاب وقد زادتني دهشة زيارتى لألمانيا وما شاهدته فى حياتها الاجتماعية والاقتصادية من التغيير وقد كنت زرتها قبل هذا العام منذ أربع سنوات فقط ولايسع الزائر إلا الاعتراف بأن ألمانيا اليوم تقتفى أثر أمريكا أولا فى نظم التعليم وثانيا فى الديمقراطية واحترام الأعمال اليدوية

يفهم مما سبق أن الأخطار الاجتماعية والقلاقل الاقتصادية تنجم عن تعميم الثقافة الأدبية والاكثر من المواد العلمية البحتة . لذلك أشترك مع النابغة الآنسة مى فى الاقتراح على وزارة المعارف أن تقلب نظام التعليم الثانوى فى بلادنا لأنه من النوعين المشار إليهما والبلاد فى حاجة الى قليل من هذين النوعين من الثقافة (الأدبية والعلمية البحتة) وكثير جدا من التعليم العلمى العملى من صناعى وزراعى وتجارى

بقى على الآن أن أقول للآنسة السكينة ان معنى التعليم الاجبارى بسيط جدا وهوانه يرمى الى تعليم الأمة بأسرها ، بنيتها وبناتها ، معرفة المبادئ الأولية من قراءة وكتابة وحساب أو كما كانوا يسمونه فى أمريكا وأوروبا ، أو ما يسميه العامة فى بلادنا « فلك الخط »

فهل تخشين أيتها النابغة عاقبة هذا النوع من التعليم الساذج البسيط ؟ إذن فكيف يستطيع أبناء الأمة فى الأرياف والمدن أيضا أن يقرؤا منشورات مصلحة الصحة عن الأمراض المعدية والحيات وعزل المريض والتدريز والبلهارسيا والانكلستوما والماء الراكد وماء القنوات والمجارى

وكيف يتفهمون منشورات وزارة الداخلية عن الأمن العام ومطاردة الجراد واستئصال دودة القطن وعدم قتل الطيور النافعة ؟ هل تربدين العمدة أن يبعث رجاله ينادون فى الشوارع كما يفعلون الآن وكما كانوا يفعلون منذ القرون الحالية ؟

وكيف يقرؤن التعليمات المكتوبة على محطات السكك الحديدية بخصوص مواعيد القطارات وصرف التذاكر ، وعلى لوحات الاعلانات فى المحاكم ونقط ومراكز البوليس ، وعلى واجهات دور الحكومة ودور الخوانيت التجارية والمدارس وأماكن العبادة والمستشفيات والمصانع والملاهى الخ

وكيف تريدنيهم يحترسون من النشالين اذا كانوا لا يستطيعون قراءة اليفطة البسيطة المكتوب عليها « احترس من النشالين » فى الأماكن المزدهجة من أسواق ومحكم والعتبة الخضراء والموسكى وشارع فؤاد الأول وعماد الدين وتباثرات وأماكن عيادة ؟

وكيف تريدنيهم يمتنعون عن مخاطبة السواقى فى عربات الترام وعدم البصق فى الأماكن العمومية الخ

إذا كانوا لا يستطيعون قراءة الاعلانات الدالة على ذلك ؟

وكيف يستطيع العامل البسيط أن يدون في مذكرة جيبه ماله وماعليه ، وكيف يكتب خطابات الخسودية لزوجته وأولاده ولم تريدينه أن ينشر أسرارته على الملأ ويلجأ لكتاب (بتشديد التاء) العرائض فيسلبون ماله ويفشون أسرارته ؟

لم تريدينه أن يحرم من هذه النعمة الأولية البسيطة ، نعمة القراءة والكتابة ؟ لم تريدينه أن يبقى كل حياته بهيما وأن يظل حيوانا أعجم ؟

كان معلم الانشاء في السنوات القليلة الماضية يعلم تلاميذه هذه الجملة المحبوبة التي اذا أغفلها تلميذ كان جزاؤه صفرا ، وهذه الجملة هي « خلق الله الانسان وميزه عن سائر الحيوان بالنطق والعقل والبيان » وترجمة هذه الجملة بلغة القرن العشرين : « الحيوان بالنطق والعقل والبيان والقراءة والكتابة على الأقل » إن التعليم الاجباري إذن ليس من الكماليات بل من الضروريات لأن القراءة والكتابة كالكلام واسطة التعارف . وقد كان الانسان في عصور الفطرة يكتفي بالكلام ولا يحتاج للقراءة والكتابة حاجتنا اليها اليوم لأسباب لا تخفى . أما اليوم وقد سهلت المواصلات وكثرت حاجات الانسان وتعددت وسائل الحياة ومرافقها فقد أصبحت القراءة والكتابة لازمة لبنى الانسان لزوم النطق والكلام

واسمحي لي أيتها الأنسة النابغة أن أذكر أن التعليم الاجباري المقصود في بلادنا هو هذا التعليم البسيط الذي لا يتجاوز علاوة على القراءة والكتابة ومبادئ الحساب شيأ من علم تخطيط البلدان والقوانين الصحية وهذه لا تدفع صاحبها الى ارتداء الملابس الأنيقة أو الهروغ الى المدن . واذا فرض أن تناول المعلمين الابتدائي والثانوي كما يحدث في معظم ولايات أمريكا اليوم فانه لا يأتي بقلقل اجتماعية ولا يكثر من الياقات البيضاء اذا كان المنهاج منوعا شاملا للأعمال والصناعات اليدوية كما هي عليه مدارس أمريكا وألمانيا والنمسا وروسيا اليوم واسمحي لي أن أقول أيضا : إن التعليم الاجباري علاوة على ما ذكرت لازم لكل أمة لأنه يظهر الذكاء الكامن في عقول صبيانها وبناتها . ومتى استكشف هذا الذكاء في فرد من أبناء الأمة أشار القائمون بتربيته على الحكومة حتى تساعد على مواصلة الدرس على نفقتها لأن النبوغ والعبقرية جديران بالاهتمام والعناية . ومن المتفق عليه الآن أن الحكومة مسؤولة عن تعليم أبناء الأمة ليس حبا في سواد عيونهم بل تخليدا لكيان الأمة ومحافظة على حياتها . كما ان الحكومة مكلفة بالبحث عن النبوغ والعبقرية والانتفاع بهما . والعقول الراجحة الذكية كالدرر واللازلي لا يظهر لمعانها وقيمتها حتى تعمل فيها يد الصانع الماهر الذي يخرجها من أصدافها ويصقلها بعد تنظيفها من الأقدار اللاصقة بها

وأخيرا اطمئنك أيتها الأنسة النابغة أن مشروع التعليم الاجباري يتطلب عشرات السنوات قبل اكتماله لأنه يحتاج الى المال والمعلمين والأماكن والوسائل لتنفيذه . والبلاد التي عمّ فيها التعليم الاجباري منذ مئة عام لم تصل فيه الى درجة الكمال لأنه ليس من السهل القبض على جميع من يمنعون عن إرسال بنينهم وبناتهم الى المدارس ومحاكمتهم ، وليس من السهل عقد الأسابيع التي يمكثها التلميذ سنويا في المدرسة وتحديد نهاية صفري لهذه الأسابيع بشرط أن يزج في أعماق السجون والدو التلاميذ الذين لا يمكث أولادهم في المدارس بهذه النهاية الصفري على الأقل ، وستخبط البلاد المصرية خبط عشواء في خلال ثلث قرن على أقل تقدير حتى يتاح لها تنفيذ هذا المشروع الخطير على الوجه الذي يوجب الارتياح

ولتأكد الأنسة أن تحرير المرأة لن تقوم له في مصر قائمة ما لم يعمم التعليم الاجباري ، وسيكون شأن المرأة منه أكبر مما للرجل لأن الأمية بين النساء أكثر انتشارا بكثير منها بين الرجال ، ولعل هذه العبارة الأخيرة (إن لم يكن غيرها) تحمل الأنسة على تغيير رأيها اه

أمير بقطر

وبهذا تم الكلام على الشذرة الأولى في اصلاح التعليم العام والحمد لله رب العالمين

﴿ الشذرة الثانية ﴾

(في المجائب السماوية وما يوصل اليها)

جاء في جريدة الاهرام تحت العنوان التالى مانصه :

(عجائب فلكية)

يقال إن أقرب نجم من الأرض هو (الالف) من نجوم برج العيوق ويبعد عنا نحو (٤٠) ترليون كيلومترا ويقضى نوره أربع سنين وسبعة أشهر وستة أيام حتى يصل إلينا ، وهناك نجم معروف باسم (غمامة مجلان الصغيرة) وهى بعيدة عنا بعدا شاسعا حتى إن نورها لا يصل لنا فى مدة أقل من ألف قرن ، فنحن نبصر نجم (الالف) كما كان عليه منذ أربع سنين و٧ أشهر و٦ أيام وغمامة مجلان الصغيرة فى المكان الذى كانت فيه منذ ألف قرن ، وإذا فرضنا أنها انطفأت منذ ٩٩٩ قرنا فإن النور الذى صدر منها فى ذلك العهد يظل على سيره إلينا فى الفضاء ويبقى منظورا فى أثناء مائة سنة أخرى اه

ومما يلحق بالمجائب السماوية ما يوصل اليها من الصناعات ، فانظر ماجاء فى جريدة الاهرام أيضا فى يوم (٥) اكتوبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالى وهذا نصه :

﴿ رصد الجوّ بالسهم النارية ﴾

منذ أكثر من اثني عشر عاما أخذ الاستاذ جودارو العالم الأمريكى يهتم بأمر استعمال المواد المنفجرة لارسال سهام نارية (صواريخ) الى طبقات الجو العليا وهو الذى خطرله أن يصنع صاروخا كبيرا جدا ليطلقه من أرضنا الى القمر على أن هذه الفكرة أخذت تتطور فى أثناء التجارب الكثيرة التى قام بها من اطلاق سهام صغيرة على سبيل الاختبار وقد توصل أخيرا الى فكرة استطلاع طبقات الجو العليا بهذه السهام فصنع « صاروخا » كبيرا كلفه نحو ١٢٠٠٠ ريال وحشاه بمادة قوية الانفجار من ابتكاره وأطلقه من فوق برج مرتفع من الحديد فى مدينة ورسستر وقد دهش أهل المدينة إذ رأوا ذلك السهم النارى العظيم يشق عنان الجوّ فى ليلة ظلماء وخيل اليهم انه نيزك هائل من الجوّ مدينهم وزعم البعض بأنه طائرة ملتهبة انفجر حوض وقودها

ويعتقد الاستاذ جودارو أنه يستطيع بهذه المادة المنفجرة الجديدة أن يرسل مثل هذه المقذوفات الى ارتفاع عظيم فى الجوّ وأنه اذا تمكن من توصيلها الى عالم شتى ميل تسنى له الحصول على معلومات عن أحوال الجوّ فى ذلك العلو تكون ذات أهمية كبيرة لدى أهل العلم . وسيجهز الاستاذ هذه المقذوفات بعدة أجهزة لتسجيل الارصاد الجوّية متى بلغت آخر حد وعند ما تنقلب هابطة الى الأرض تنفتح فيها المظلة المعروفة « بالبراشوت » فتصل الى الأرض سالمة بما فيها من المعلومات وقد كانت التجربة الأخيرة باعثة على التشجيع فان الاسطوانة الفولاذية التى أطلقها فى الجوّ بعد ما فرغت منها المادة المنفجرة هبطت بالمظلة هبوطا طبيعيا ووصلت الى الأرض سالمة من العطب

أما الصاروخ التالى الذى سيكون أكبر من هذا كثيرا فستوضع فيه أربعة أجهزة أحدها للحصول على نموذج من الهواء لتحليله كيميائيا وآلة تصوير شمسي لاختبار أشعة الشمس فى ذلك العلو إذ يظن أن الاشعة فوق البنفسجية قوية جدا وجهاز لقياس الحرارة وتسجيلها وجهاز لقياس الضغط الجوّي . انتهت الشذرة الثانية

﴿ الشذرة الثالثة في غرائز الحيوان ﴾

جاء في مجلة « السياسة الأسبوعية » ما يأتي :

﴿ غريزة النظام عند الحيوان ﴾

قد نتصور أن الحيوانات المتوحشة التي لا تدخل في دائرة الإرادة البشرية فوضوية أي لا قانون لها ولكن جميع المخلوقات الحية ليست إلا نتيجة قوانين كيميائية وأخرى طبيعية . فالمواد الكيميائية التي تتكوّن فيها خاضعة لقوانين ونظريات الكيمياء وليست نتيجة فعل إجباري للانسان بل هي عمليات فيسيولوجية محضة مما يجعلنا نجزم بأن أفعال وطباع السكائنات الحية مقيدة بقوانين ثابتة لا يمكن الاستغناء عنها ، ولا شك أن عالما بدون قوانين هو عالم « فوضى » يقطنه مجانين

إن حجرا تقذف به من أعلى في الهواء يسقط دائما تجاه الأرض ودائما يسقط بحالة منتظمة ثابتة . وإذا أكل الانسان شيئا كثير العصارة فإن هناك غددا تفرز مادة بالفم تعرف باللعاب . وهذه المادة دائما تفرز تبعاً لقوانين فيسيولوجية وكيميائية ولها دائماً تركيب مخصوص حيث تفرز من خلايا معينة ونسب ثابتة تحت شروط معينة ولا يمكن ذلك إلا إذا كان هناك قانون تخضع له كل هذه الأشياء . فمثلا الانسان لديه قوة يعبر عنها بالتفكير والإرادة ، وأما الحيوان فلديه قوة يعبر عنها بالغريزة ، والاميبا والبكتريا التي هي حيوانات طفيلية يتمشى نموها وحياتها تبعاً لقانون ، وليست حركاتها تأتي جزافاً أو هي متغيرة الأطوار وإنما هي على السوام تأتي بنتائج مؤدية على الأقل لما فيه راحتها ، ومن ذلك نعرف أن الحيوان مهما صغر فانه خاضع لقوانين لا يمكن له البقاء بدونها ، ولناخذ الآن مثلاً العنكبوت فانه ينسج بيته بغاية الدقة المقرونة بكل صبر حيث يعمل عقده وحشيه من الخيوط ويكون بعمله هذا كأعظم مهندس فني يعمل تبعاً لنظريات وقوانين هندسية محضة ، فيبتدئ بوضع خيوط دائرية ثم يحدد بها المساحة التي يريد النسيج عليها ثم يصنع خيوطاً مشطرية تتقاطع في الوسط وتعمل خيوطاً حلزونية أخرى هي عماد ما ينسجه

ولنتقل الى شمع العسل الذي يصنع بواسطة النحل العادي نجد انه لا يصنع جزافاً بل تبعاً لقانون إذ أن كل نحلة تعمل ما يخصها من العمل القليل ليس إلا ، وكل هذه النحيلات تعمل وتنبع قوانين الهندسة بعملها خلايا سداسية هي غاية في الدقة والجمال بل وتعمل قاع الخلية من ثلاث مستويات تتقابل في زاوية أثبت الرياضيون انها زاوية اقتصادية أي غاية ما يمكن عمله لتوفير المادة والوقت

زد على ذلك أن العمل يوزع بينها توزيعاً منتظماً ينفذ بكل دقة كأنه صادر بمنشور ، فبينما يوجد عدد كبير يقوم بملاحظة النحل الصغير نجد عدداً نيطبه تغيير أهوية الخلايا وتبخير الماء من العسل بمروحة الأجنحة وعدداً آخر عمله معماري محض يقتصر على عمل قرص العسل ، كما أنه يوجد رعاة بينها لاحضار الحبوب والملح والماء ، هذا خلاف عدد كبير عمله كيميائي يتلخص في تجهيز حامض الفورميك ، هذا ولم يفت النحل أمر حراسة الخلية حيث يوكل أصراً الحراسة الى فريق آخر يحافظ عليها من أي خطر عدائي كما أن هناك الملكة التي تلد ، فإذا نظرنا الى ما يحدث بين طائفة النحل نجد انه لا يمكن حدوث ذلك إلا بقانون ينفذ بكل دقة دون أي خلل كسمل الساعة حتى ولو كان في ذلك ضرر بالأفراد

هذا ويوجد خلايا رئيسية هي بمثابة الادارة الحكومية حيث يستمد منها الأوامر ، وهذه بعيدة عن مقر الملكة ، ولقد تتكوّن الخلية من عشرة آلاف غرفة صغيرة لوضع البيض

والآن اذا نظرنا الى الطيور نجد انها تهجر من مكان الى آخر تبعاً لقانون في أوقات وفصول معينة الى جهات مقصودة ، فأبوجديح يطير من ألمانيا الى جنوب افريقيا ويقطع آلاف الأميال ولا يمكن ذلك إلا اذا

كانت هجرته هذه طبقا لقانون . والحيوانات التي تعيش قطعانا نجد أن لها قانونا وقواعد تعيش بواسطتها ، فالصغار تحت محافضة الأمهات ولا حرب بين أعضاء القطيع الواحد إلا في أوقات الجدل كاجتياز رئاسة أوقيادة (انتخاب)

هذا وحركات هذه القطعان دائما متمشية مع قوانين غير مكتوبة يعاقب كل مخالف لها . مما تقدم نعرف أن القانون في عالم الحيوان أساسه ليس العقل وإنما أساسه الغريزة وكلها تعمل من أجل الصحة والدوام والمحافظة على الأفراد واطاعة هذه القوانين حياتها ومخالفها دمارها

هذا ما يختص بالحيوان ، ولنلق نظرة الى الانسان الذي كان في عصره الأول خاضعا لقوانين الحيوان أى القوانين الغريزية كميله الى الغذاء والانتقام من العدو والقتل واللعب . ثم وجد نفسه بمضى الزمن محتاجا الى التعديل والتبديل فأدخل ما ارتأه يناسب حالته وعصره فوضع قوانين مدنية وأصبحت هي القوانين الخاضع لها منيحا من الغريزية والوضعية التي استمدتها من الكتب السماوية ومن أفكاره مما جعله حاملا القيادة الفكرية لجميع الحيوانات . انتهى ما أردته من مجلة « السياسة الأسبوعية » والحمد لله رب العالمين

﴿ نظرات في بلدة المرج ﴾

منذ ليال في هذا الشهر وهو أكتوبر سنة ١٩٣٠ كررت راجعا من حقلنا وكان ذلك بعد غروب الشمس في نفس المكان الذي كنت أراقب فيه القمر وكتبت تلك المراقبة في ﴿ سورة فاطر ﴾ عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - وفيه أيضا نظرت مزرعة القطن وأزهارها وقطنها وكتبت ذلك في أول ﴿ سورة الصافات ﴾

أقول : في نفس هذا المكان نظرت أمرا عجبا ! نظرت مئات من الغربان أتت أفواجا متلاحقة لتبيت في شجر النخل وقد قدرتها فوق الألف لأن النخل هناك كثير جدا ، فلم أكد أراها حتى أخذت النفس تفكر في هذا الانسان ، هذا الانسان ذو العقل وذو العلم وذو الأنبياء كيف عاش أجيالا ولم يرتق عن الغربان ! غربان قرية من القرى لا تعيش مع غربان قرية أخرى إذ لا سبيل للاتصال والغريزة لم تعطها ذلك ، ولكن الانسان له عقل ، فإذا فعل بعقله ؟ عقله الخجوة ، عقله الجوهر المسكنون . الانسان لا يكون انسانا حتى تكون أمه كلها متحدة . فهذه الغربان التي أشاهدها الآن راجعة الى هذا النخل لتبيت فيه . والانسانية بدون هذا غيبة جاهلة . ولما استتممت فكرتي انطلقت راجعا الى القاهرة وعرفت اني أتممت درس الموضوع بقدر الامكان . انتهى الكلام على الشذرة الثالثة

﴿ الشذرة الرابعة في الفوائد الطبية ﴾

(الكلاب وأخطارها)

قليل من الناس عسى الذين يعرفون الأخطار التي تتعرض لها حياة الانسان من مساكنة الحيوانات الأليفة التي اعتادت عليه فأمن لها وأمنت له . والواقع الذي لاشك فيه هو أن ثلاثة أرباع الأمراض الحبيثة التي يصاب بها الانسان تنشأ في جسمه من المكروبات القتالة التي تندس فيه من كلب أو حصان أو غيرها من الحيوانات التي يقترب منها وتقترب منه

وقد أدركت الحكومات الراقية أخطار هذه الحيوانات فحذرت الانسان منها وعلمته كيف يتقى أخطارها بقدر الامكان ان لم يستطع الاستغناء عنها تماما . ورأينا مرّات كثيرة على جدران الدوائر العمومية في أوروبا وأميركا صور الحيوانات الأليفة وقد كتبت فوقها بخط عريض عبارات التحذير منها والابتعاد عنها ووصفها

بكونها أعداء الانسان

وبلغ جهل أخطار هذه الحيوانات في الناس أنهم يسمعون لها (لاسما للكلاب والقطط) بالنوم في أسرهم وبجانب أولادهم جاهلين أنهم بهذا العمل يضعون الموت بجانب أولادهم بما تنفثه هذه الحيوانات في وجوههم من المكروبات القتالة وبما يسرى الى جسوم الاولاد من جسوم الحيوانات من الأربطة الجلدية كالجرب وغيره بواسطة الاحتكاك وانتقال جراثيم الأمراض السريعة العدوى . وأشد الحيوانات الأليقة خطرا على الانسان هي الكلاب والقطط . وبحسبنا اليوم بنوع خاص في الكلاب وأخطارها . وقد أخذنا هذه المعلومات الصحية عن اختبارات كبار رجال علم الطب في العالم الراقي الأميركي . وإذا استعصب الانسان الحياة بدون كلب في بيته مثلا فليعلم أن حياته آمن وأنفع له ولغيره من حياة كلب . ومن الجهل الفاضح أن يعرض الانسان حياته وحياة عائلته لخطر الموت من أجل سلواه بمباشرة كلب أو أى حيوان آخر . ومثل السكب خطرا الطيور البيتية التي يدخلها الانسان الى بيته كالجمال والبيغوات والنموس والعصافير وغيرها . لكن أشد الحيوانات خطرا آكلات الأوساخ والهوام والديدان التي تحمل جراثيم أوبئة خبيثة

للكلاب مرض خاص خبيث اسمه مرض السود فان الدود الصغير سريع النمو وكثير العدد في الكلاب . وينشأ فيهما من أكل الهوام والحشرات كالبراغيث والعث والعناكب والذباب . وهذه الهوام كلها سامة وجراثيم أوبئة خبيثة محمولة من الأقدار والجيف الممتنة التي تتغذى بها أحيانا كثيرة وبرغوث واحد يأكله كلب كاف لاملأ جسمه كله بمكروبات هذا المرض الخبيث وجعل أمعائه وكل أعضائه الداخلية تعج بالدود الصغير الذي قلما يزول الابعوت السكب ودفنه في مكان لا تصل اليه بقية الحيوانات . والكلاب المصاب بمرض الجراثيم الدودية يعدى سواء حتى بأنفاسه والناس عادة يقبلون السكب في وجهه وفيه ويسمحون له بتقبيلهم ولحس وجوههم ووجوه صغارهم ومنهم من يطعمه بيده ويدخل اصابعه الى فيه ويسمح له بالنوم في فراشه غير عالم بأنه يعرض نفسه للموت السريع بهذا العمل الفظيع والقذر

ولو أن الحكومات تأمر الناس بالابتعاد عن الكلاب وتمنع تربيتها وتقتلها كما تفعل في أحيان اشتباهاها بمرض السكب (بفتح اللام) فيها لأحسن صنعها وتوفر عليها وعلى شعبها أهم أسباب الموت الذي يجهل الناس أسبابه وزادت في رفاهيته وسعادته لأن السعادة تنتج أو ينتج أهم أسبابها من حسن الصحة العمومية وبعد الناس عن الأمراض (١)

﴿ أعراض المرض في الكلاب ﴾

ان للأمراض الخبيثة في الكلاب اعراضا لا تخفى على الناظر ولكن من الأمراض الخبيثة مالا أعراض لها في بدايتها ولا يشتبه بها أحد فتعدى أسيادها بدون أن يشعروا وقبل ظهور الاعراض عليها ، ولهذا سواء ظهرت اعراض المرض في الكلاب أو لم تظهر فخير لنا إبعاده عنا إذ لا فائدة لنا منه والرجل الذي لا يستطيع أن يحرس مواشيه أو بيته بنفسه فإذا تفيد الكلاب . والصيادون يغنى عنها أيضا وإذا استغنى الانسان عن الكلاب يتحول قسم كبير من عناية الكلب وانتباهه اليه بدلا من أن يتسكل في كل شأن وعمل على كلبه . واعراض المرض في الكلاب انه يصاب باسهال دائم وضعف عزيمة وخوار وفقد شهية الأكل وسوء هضم وفقد النعومة في الشعر ، وأجربة الكلاب التي تصاب بهذه الأمراض تصاب باضطرابات وضيق نفس وحك جلد لها وتر كض من مكان الى آخر باضطراب وتصرخ بدون داع من الألم

(١) يقول المؤلف : وهذه معجزة اسلامية فقد ورد « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها »
ورود وجوب غسل الاناء الذي ولغ فيه الكلب سبعا إحداهن بالتراب

وأهم أسباب قتل هذه الأمراض إلى الإنسان أكل اللحوم غير الناضجة على النار لاسيما لحوم الخنازير التي تعيش على الأقدار والأوساخ والحشرات . وجراثيم الدود تنتقل من الكلب إلى الخنزير والإنسان بسهولة وسرعة غريبتين وتدخل إلى الإنسان من فم ومن عينيه بواسطة انفاس الكلب ومتى تكاثرت تتجمع في الأمعاء . وقد صورت هذه الجراثيم في إمعاء كلب فوجدوها تبيض بيوضاً صغيرة لا تكاد ترى بالعين المجردة ويبلغ مجموعها أكثر من ٤ مليون بيضة كلها تنقف وتتوالد وتكبر وتنمو حتى تقتل الجسم كله . والكلاب أيضاً مرض اسمه مرض الجرب وهو مشهور ينتج عن وفرة الأقدار والمكروبات على جسمه وتغلغل البراغيث والبق الجرب فيه . وهذا ما يشاهد كثيراً في الكلاب . فإذا أصيب الكلب بمرض الجرب فقتله بقى العائلة كلها من عدوى هذا المرض وجراثيمه المنقولة عنه بواسطة البراغيث والبق والبرغش والقمل . وللجرب جراثيم تتولد على سطح الجسم فتأكله وتسقط عنه الشعر وتفسده وتدخل إلى داخله فتقتله . أما الأدوية المستعملة لشفاء الكلاب من أمراض الدود فكثيرة منها المسهلات القاتلة لجراثيم الدود . وعندنا أن أفضل دواء لشفاء الكلب من أمراضه ومنع سريان المرض إلى سائر أفراد العائلة هو قتله أو إبعاده عن البيت إلى حيث يموت وحده وتموت معه كل جراثيم مرضه . وانا ندهش من الإنسان الذي يعرف شدة أخطار الكلاب والققط والخنازير وسائر المواشى عليه وعلى عائلته كيف يسمح لها أو لنفسه بعد أن يعرف ذلك أن تقترب منه أو يقترب منها وهو المعروف بأنه الحيوان الراقى الذي يمتاز عن أخيه الحيوان المنحط بسعة العقل والادراك والانتباه والحذر وان لم يكن كذلك يفقد كل حق يدعيه للتفوق على الحيوان الذي يدب على أربع . انتهى من مجلة الشمس

﴿ فائدة طبية في الخرشوف ﴾

جاء في جريدة الاهرام مانصه

﴿ فائدة الخرشوف الطبية ﴾

نبحث في هذه المجالة عن الخرشوف من جهة فائدته في مداواة أمراض الكبد . وقد كان الأقدمون يعرفون هذا الامر ولكن أهمل استعماله حيناً من الزمان والآن عادوا اليه في معالجة اليرقان وحصاة الكبد وغير ذلك من الأمراض التي تصاب بها الكبد وطريقة ذلك أن يغلى ورق الخرشوف ويحلى بالسكر ويشرب وقد لاحظوا أن منفعته لا تلبث أن تظهر

وفي الخرشوف مادة تقوى الكبد على التخلص من السموم المتسربة اليها وتساعد خلاياها على القيام بمهمتها وهذا الأمر تهتم معرفته الكثيرين لأن المصابين بأمراض الكبد كثير عددهم والناس يعودون شيئاً فشيئاً إلى التداوى بالعقاقير الطبية التي كان الأقدمون يعولون عليها في معالجة المرضى وكان الاطباء قد انصرفوا عنها وآثروا عليها الأدوية السكماوية

ومن النظريات الأولية أن الطبيعة أوجدت الدواء بإزاء الداء فهي « صيدلية واسعة » ولكن يجب البحث فيها وتعرف ما تحتوي عليه لوجود أدوية فيها تفضل كثيراً الأدوية التي يلقونها في دور التحليل والعديدات وتكون معقدة التركيب وقد فهم الناس من عهد بعيد أن الطبيعة بنجوة من التعقيد ولذلك رأوا أن التداوى بالأدوية البسيطة أفضل من التداوى بالأدوية المركبة المعقدة

وفي لبنان أسرتان فيهما أطباء لا يزالون يعالجون مرضاهم بعقاقير يجمعونها بأنفسهم من البرية ولهم منزلة عند أبناء وطنهم ولؤلؤة ثقة عظيمة بهم . انتهت الشذرة الرابعة

﴿ الشذرة الخامسة في فوائد أدبية ﴾ (مقالات في كلمات)

جاء في مجلة « كل شيء » مانصه :

- (١) — « المواهب المعتدلة تكسب صاحبها الحمد وكثيرا ما تفوق شهرته شهرة صاحب الذكاء العالى »
- (٢) — « اذا كنا أصحاب كفاية احترمنا الرجال الحقيقيون . واذا كنا أصحاب سعد ونجحت احترمنا جمهور الشعب »
- (٣) — « إن حلاوة اللقاء هى ثمن مرارة الفراق . والا ما احتمل هذه المرارة انسان »
- (٤) — « الفراق يطفى الشهوات الصغرى ويزيد العظمى كالريح تطفى الشمعة وتزيد النار التهابا »
- (٥) — « كثيرا ما تصادفنا فى هذه الحياة مفاجآت لا تزول إلا باستعمال شئ من الحق »
- (٦) — « ليس بين المصائب مصيبة لا يستطيع اللبيب أن يجنى منها فائدة له ولا النقي أن يجنى منها شرا عليه »
- (٧) — « اذا كان المرء لا يصطنع لنفسه أصدقاء جددا كل يوم الى نهاية عمره فسيجد نفسه وحيدا . فالواجب عليه أن يرم صدافته على الدوام »

﴿ الماء والصحة ﴾

الماء أهم مواد الطعام طرا والرجل البالغ الصحيح الجسم يحتاج كل يوم الى (٧٠) أوقية ماء حتى (١٠٠) أوقية . وثالث هذا القدر من الماء فى الطعام الذى نأكله فان الأثمار والبقول تحتوى على مقدار عال من الماء بالنسبة الى قيمتها الغذائية . أما الثلثان الباقيان فنشر بهما ماء أو سوائل أخرى ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان جسم الصحيح البالغ يحتاج الى نحو ستة أرطال ماء يوميا ووظيفة الماء بناء أنسجة الجسم وتحليل الطعام وبذلك يساعد على حله الى الدم وتنظيف الامعاء ومنع تجمع الفضول فيها مما يفضى تجمعه الى تسمم الجسم كذلك ينبه غدد اللعاب فى الفم على الافراز واللعب يساعد على هضم المواد النشوية فى الطعام ويحل المواد الملحية والسكرية . انتهى من مجلة « كل شيء »

﴿ لطيفة ﴾

(فى قوله تعالى — فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله)

وأولئك هم أولوا الالباب —)

هذه الآية أصل عظيم فى الاسلام توجب أن تنقب الأمم الاسلامية عن العلوم والصناعات والاختراعات ونصطفى أحسن ما أنتجته عقول الأمم وأبدع ما أبرزته مباحث العلماء وخير ما أظهره الجدوا برزه الاجتهاد وأدّى الى القياس وأوضحه الدليل واضرب لهذا مثلا واحدا من آلاف . ذلك اختزال الكتابة فاسمع ما جاء فى جريدة الاهرام يوم الجمعة ٤ يوليه سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

﴿ طريقة الاختزال فى الكتابة ﴾

(اختراع شرقى لا غربى)

حضرة صاحب العزة المفضل رئيس تحرير الاهرام الغراء . يظن الناس أن طريقة الاختزال فى الكتابة هى حديثة العهد وان الذين اخترعوها هم الغربيون أسوة بغيرها من المخترعات التى اخترعوها

ولكن الحقيقة ان هذه الطريقة هي قديمة العهد جدا والذين اخترعوها هم الصينيون منذ نيف وألف سنة .
والدليل على ذلك ما جاء بكتاب الفهرست لابن النديم المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجرى صفحة ٢٤ و ٢٥
طبع دهر قال : والصين كتابة يقال لها كتابة المجموع وهو ان لكل كلمة تسكتب بثلاثة أحرف وأكثر صورة
واحدة ولكل كلام يطول شكل من الحروف يأتي على المعاني الكثيرة فاذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مائة
ورقة كتبوه في صنف واحد بهذا القلم . قال محمد بن زكريا الرازي قصدي رجل من الصين فقام بحضرتي نحو
سنة تعلم فيها العربية كلاما وخطا في مدة خمسة أشهر حتى صار فصيحاً حاذقاً سريع اليد فلما أراد الانصراف
الى بلده قال لي قبل ذلك بشهر اني عزم على الخروج فأحب أن تلي علي كتب جالينوس الستة عشر لأكتبها فقلت
لقد ضاق عليك الوقت ولا يبقى زمان مقامك لنسخ قليل منها فقل الفتي أسألك أن تهيب لي نفسك مدة مقامي وتلي
علي بأسرع ما يمكنك فاني أسبقك بالكتابة فتقدمت الي بعض تلاميذي بالاجتماع معا على ذلك فكننا تلي عليه
بأسرع ما يمكننا فكان يسبقنا فلم نصدق الا في وقت المعارضة فانه عارض بجميع ما كتبه وسأله عن ذلك فقال
ان لنا كتابة تعرف بالمجموع وهو الذي رأيتم اذا أردنا أن نكتب الشئ الكثير في المدة البسيرة كتبناه بهذا
الخط ثم ان شئنا نقلناه الى القلم المتعارف والمبسوط . انتهى
واذا كان هذا الكتاب قد طبع لأول مرة في أوروبا سنة ١٨٧٢ ميلادية فلا يبعد أن يكون الغربيون لما
اطلعوا على هذه الطريقة أخذوا في الأسباب التي توصلهم اليها كما توصلوا الي غيرها من المخترعات الأخرى
وفق الله الشرقيين الى اقتفاء أثر الغربيين الى ما فيه نفع المجتمع الانساني

وبهذا تم الكلام على سورة الزمر والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثامن عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم
ويليه الجزء التاسع عشر وأوله سورة غافر)

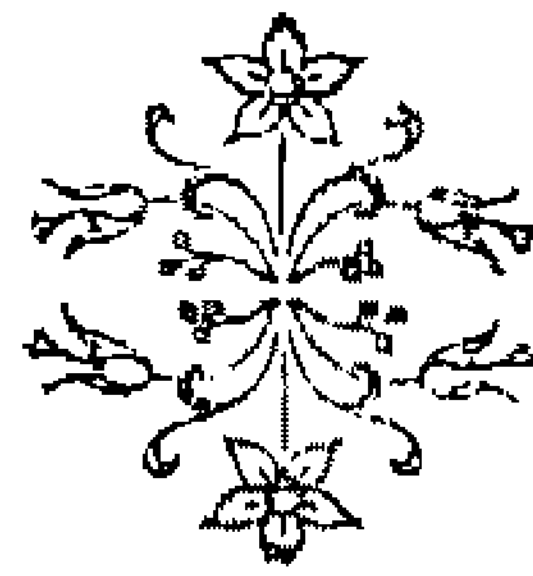
(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهاهوذا :

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٠	٣٣	لعل	العلم	١٢٠	٩	التجارة	التجارة انتهى أقول
١٦	١١	ألفا و		١٢٥	٥	مرضاة	مرضاة
١٦	٣١	محاطة	محوطة	١٢٦	١٢	بتوهم	يتوهم
١٧	٥	قدر	قطر	١٢٨	٤	تؤدى	لا تؤدى
٢٣	١١	اليقطينيه	اليقطينه	١٣٢	٩	النبات	النبات
٢٩	٣	باتت	بانت	١٥٠	٩	منجبا	منجبي
٢٩	٦	ابتداء	ابتدأ	١٥٣	٣٣	يجب	يثاب
٣٠	١٠	والربق	والريق	١٦٢	١٩	انكار	انكارا
٣١	١٥	عليه	عليها	١٧١	٢١	البرستاتى	البروستاتى
٣٩	١٦	ربع	صربع	١٧٢	٢١	الأسوال	الأحوال
٣٩	١٩	من يتعمق	من لم يتعمق	١٧٢	٢١	وتثقف	وتثقف
٤٩	٢٣	والنور هذا	هذا	١٧٢	٢٧	ونشوة	ونشوة
٤٩	٢٤	يظهر لغيره	مظهر لغيره	١٧٣	٧	الجاله	الحاله
٨٨	٢٣	والثالث والرابع	والثالث أو الرابع	١٧٣	١٠	الفريه	القرية
٩٠	١٩	بينى وبين	ينى	١٧٣	٢٠	من	منى
٩١	٥	لم يحز	لم يحز	١٨٢	١٣	التي تموت	
٩٢	٢١	طبيان	ظبيان	١٨٨	٧	١٣٥	١٣٥٠
٩٣	٦	واصل	واصبر	١٨٩	٣	البن	البن
٩٩	٣٤	خلفاؤها	خلفاءها	١٨٩	٢٩	تحت	تحت العنوان
١٠٤	١٠	انزن	زن	١٩٠	٨	س س	س س
١٠٤	٢٥	فأبى	فأبى	١٩٠	٩	ول	ول
١٠٤	٢٧	اباك	إياك	١٩١	٢٢	يقلل ضوء الشمس	تكون كثافة غباره
١٠٧	١١	كيقدد	ليقدد				أكثر من كثافة
١٠٧	٢٩	فساررته	فساررته				ما هو أعلى
١١٥	٢٨	والانتموان	والانتمون	١٩٢	٥	يكونا	يكونان
١١٧	٢٢	والترنبيط	والقنبيط	١٩٣	٢١	لتاسع	التاسع
١١٨	٢٣	والقرنبيط	والقنبيط	١٩٥	٢٦	السريانى	السريان
١١٩	٣٥	الجزع	الجنذع	٢٠٢	١	وفى الرابع	وفى الرابع

صواب	خطأ	سطر	تخفيفه
إذا	وإذا	١	٢٠٥
عليها	عليهما	١٨	٢٠٥
روحا مسكينة	روح مسكينة	١٣٣	٢٠٧
عالم	علم	٢	٢٠٩
اخصاب	اخصاب	٣	٢١٠
لهم	له	٧	٢١٤
وموافقة الحياة	وموافقته والحياة	٣ و ٢	٢١٦
وغلبة	غلبه	١٥	٢٢٤
تجتمع	تجتمع	٢٥	٢٢٧

(تمت)



فهرست

(الجزء الثامن عشر)

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيفة

- ٤ ﴿ سورة الصافات أربعة فصول : الفصل الأول ﴾ في تفسير البسملة
فكرتني قبيل فجر ٢٤ مايو سنة ١٩٣٠ في تفسير البسملة في سورة الصافات
- ٥ لما تجلت لي أنواع الجلال في هذه الدنيا حين هبت النفسمات وتمايلت الأغصان رأيت أن الدنيا عجوز شوهاء عند الجهلاء وهي عروس لبست الحلى وازينت عند الحكماء . فههنا زينتان : زينة يراها البصر بالأنوار والجمال وزينة تدركها البصيرة بسبب الرحمة ، ذلك كله في البسملة التي يقرأها الجهلاء ولا يعرفونها إن الرحمة في هذه السورة تذكرنا بجمال السموات والأرض والمشارق والمغارب وزينة الدنيا المذكورات في أولها ، ومن الرحمة محاورات القرناء إذ يلوم كل منهم الآخر تذكيرا للمفكرين وتقريرا للغافلين ، ومنها تساؤل أهل الجنة وقول بعضهم أنه لم يعبا بأغواء قرينه له في الحياة الدنيا ، إذن الإنسان له ﴿ ثلاث حالات : أولاً ﴾ تكون له حياة ومن أسبابها هذه الأنوار ﴿ ثانياً ﴾ تعرض له الشبهات ﴿ ثالثاً ﴾ إذا خلص منها فقد كملت حاله ، وهذا كله في الآيات بالترتيب ، وبلي هذا تطبيق وهو نجاة نوح ومن معه وإبراهيم والياس ولوط ويونس . ومن عجب أن ﴿ سورة الصافات ﴾ خلصت في آخرها كما خلصت ﴿ سورة يس ﴾ كذلك في نفس الآيات
- ٧ ﴿ الفصل الثاني ﴾ كتابة الآيات من أول السورة الى قوله تعالى - إلا عباد الله المخلصين - مشكلا بالحرف الكبير
- ٩ التفسير اللفظي لهذا الفصل من أول السورة الى قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب -
- ١٠ إيضاح قوله تعالى - إلا من خطف الخطفة - الخ وبيان أن هذه العوالم مملكة بديعة وإن يكون أهل المملكة سعداء إلا إذا حفظت من الأشرار والأشرار هنا هي النفوس الضعيفة من الآدميين ومن الجن وكلاهما مطرود عن الحكمة ، فأكثر أهل الأرض اليوم يعيشون وهم لا يدرون ماهذا الوجود بل حياتهم كلها وقف على الشهوات والأحوال الجزئية فهم يقذفون من كل جانب دحورا بشهواتهم والسياطين يقذفون بالشهب والطائفتان لم ينالا الحكمة المحيطة بهن
- ١١ مثال يوضح أن الخطفة تكون حسرة لقوم وهدي لآخرين كأن يسمع رجلان آية - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - فأحدهما يتحسر على ذلك والآخر يهتدى
- ﴿ لطيفة ﴾ في أن مسألة الشهب كانت عند القدماء في الاسلام مشكلة في الفلسفة القديمة ولمسكنها في الحديث موافقة للقرآن . أسرار القرآن في علم الأرواح والنصوف وأن الأرواح العالية لا تخاطب إلا نفوسا نقية والأرواح الناقصة تسر بمحادثة الجهلاء
- ١٢ بيان أن كشف حجاب الحس ليس مقصودا للأكابر وما هو إلا لذة من لذات النفوس يتصدها قوم في الحياة وهذا جهل والصوفي المغرم بمعرفة ما وراء الحس مخدوع وذلك استدراج له ، ولا فرق بين الصوفي الذي قصد بالعبادة معرفة زمن موت زيد وحياة عمرو وبين محضر الأرواح الذي يقصد أمثال ذلك

والفرقان اذا قصدا رقى الانسانية بالعلوم العائمة فهما ممدوحان

تفسير الآيات من قوله تعالى - فاستفتحهم أهم أشد خلقا - الى قوله - إلا عباد الله المخلصين -

١٤ ﴿ وصف أهل الجنة ﴾ ما كانهم ومجالسهم وشرابهم ونسائهم ، وحديث أهل الجنة

١٥ جوهرة في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا - الخ والكلام على المجرة ومركز الكائنات ، وبيان

رأى الدكتور (شابل) الأمريكى وهو أن الكون لا فراغ فيه وأن الشمس لانهاية لهددها وأن بعض

المجرات يصل ما بين طرفيها الى ما يزيد على ألوف الملايين من السنين النورية ، وأن نظامنا الشمسى مع

نجمتنا كوكب واحدة تدور بسرعة (٢٠٠) ميل فى الثانية كما تدور الأرض حول نفسها ولا يتم دورته فى

أقل من (٣٠٠) مليون سنة والمسافة التى تبتازها المجرة تبلغ نحو ١٦٠ مليون مليون ميل و ٨٩٢

ألف ميل ، وكرتما الأرضية كطفل حديث الولادة فى الأجرام الفلكية ، ومركز الكائنات نقطة بين

المقرب والحية والراعى ، وهذه النقطة تبعد عن أرضنا بنحو (٥٠) ألف سنة نورية وعدد نجوم مجرتنا

يبلغ عشرة آلاف مليون نجم والمركز المتقدم حوله (١٠٠) مليون نجم من هذه الملايين وتجانة المجرة

تبلغ نحو (٥٥) ألف سنة نورية

١٧ والسكل كوكب حد لا يتعداه والنجم المسمى (منكب الجوزاء) شمس تساوى (٢٥) مليون شمس

كشمسنا ، وقد عرف الناس مجرات كثيرة بواسطة التلسكوب ، ومتى أنشئ تلسكوب مرصد (مونت

ريلسون) الجديد الذى يبلغ قطره عدسته (٢٠٠) بوصة فسرى الناس عجائب كثيرة ولو أصيبت مجرتنا

بكواكبها البالغة (١٠) آلاف مليون كوكب أصبح أقرب المجرات اليها لا يعرف هذه الإصابة إلا بعد مئات

الآلوف من السنين لأن الضوء يظل متصلا تلك المدة لشدة البعد ، وإذا كانت المجرة يومها (٣٠٠)

مليون سنة ، فمسألة خلق العوالم فى ستة أيام أصبحت سهلة جدا ، واذن اليوم عند ربك يكون ألف

سنة و ٥٠٠٠ سنة و ٣٠٠ مليون سنة وأكثر من ذلك وأقل إذن أسرار القرآن ظهرت فى هذا الزمان

١٩ ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى قصص الأنبياء من قوله تعالى - ولقد نادانا نوح - الى قوله - ففتحناهم الى

حين - كتب مشكلا

٢٠ التفسير اللفظى لقصة نوح وإبراهيم وموسى وهرون والياس ولوط ويونس

٢٣ أقوال التوارى فى مسألة يونس ، وبيان الكلام على يونس وإبراهيم وأن الأول تعجل والثانى صبر

﴿ الفصل الرابع ﴾ من قوله تعالى - فاستفتحهم - الى آخر السورة

التفسير اللفظى لهذا الفصل

٢٥ ﴿ لطيفة ﴾ فى آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ وخواطر المؤلف فى ذلك . وبيان أن الانسان حين

يرى الكواكب تكون له حال من أربع (١) إما أن يرى يبصره فقط (٢) أو يحس مع ذلك بالجمال

(٣) أو يفكر فى بدائع الحساب والنظام (٤) أو يفكر فى صفات الذى أبدعها ويستغرق فى حبه ، وكل

مرتبة تتوقف على ما قبلها ، فالأولون همج ، والآخرون هم الأعلاون ، والثالث والرابع متوسطون

٢٧ وكما أن الناس اذا نظروا الكواكب لهم هذه الدرجات الأربع هكذا الذين يقرؤن القرآن لهم هذه الدرجات

(١) فمنهم من يكتفى بالألفاظ (٢) ومنهم من يكتفى بالبلاغة (٣) ومنهم من يزيد فيه عرف العلوم الكونية

(٤) ومنهم من يفكر فى صفات خالق العالم ، ونظرات الفلاسفة على هذا النمط ، فطالبس المايطى

وديموقراطيس (١) كالفرىق الأول وقفوا عند المادة وقالوا : « أصل العالم الهواء أو الماء الخ » ثم

جاء السوفسطائية (٢) فتجبروا (٣) ثم جاء فيثاغورس وأنبذقليس . فقال الأول : « أصل العالم الحساب » وقال الثاني : « أصل العالم المحبة والنفور » (٤) وجاء آخرون وهم أنكساغورس وسقراط وأفلاطون فقالوا : « للحساب حاسب ، فالعالم له إله أبدعه » وهذه السجلات الأربع لا يشذ عنها عالم في عصرنا الحاضر . فكل المتعلمين في المدارس المتجبرين هم من الفريق الثاني ، وكل من يقولون « إن الإله موجود ولكنه ترك العالم » فهذا مثل أنكساغورس لأنه أثبت الإله ولكنه يقول إنه ترك المادة أما سقراط ومن بعده فانهم يقولون : « إن الله يعلم كل جزئي وكلّي »

٢٨ وهذه النظرات الأربع لها نظائر في نظرات الخليل الأربع : للكوكب والقمر والشمس ثم وجهه وجهه لله . فهذه أربع مراتب ماقبلها . وههنا بيان أن هذه النظرات الأربع عند كل الأمم تتأجها أن تكون جزاء للمحسنين ، وهل جزاء المحسنين إلا الفرح بمعرفة الحقائق السكينة ومعجائب المصنوعات . تفصيلا فلا يقف الانسان عند الاجمال ، ولا يجمل عقله ، موقفا على الامور الجزئية فهي باب الضلال والخيرة كأن يرى النسي فقيرا والفقير غنيا وهكذا ، وكأن يدهش إذ يرى الفيل وهو كبير له أربع قوائم ، والبقر وهو صغير له ستة أرجل وجناحان فتكون هناك الخيرة ، فهذه الامور من لم يكن مرتاضا بالعلوم حيرته فأضلته ، ولكن السعيد من يزداد بصيرة بمعرفة المعجائب تفصيلا

٣٠ وهنا حكايات قصص للعامة فتتفهم إذ عجزوا عن ادراك الحقائق الحكمية ، فيذكر لهم قصة ذلك الفارس الذي شرب من ماء العين ونسي صرّة فيها دراهم وجاء بعده راعي غنم فأخذ الصرّة وجاء بعده رجل حطاب مقوس الظهر يحمل خزمة حطب فخطاها واستلقى فجاء الفارس فسأله عن الكيس وهو لا علم له به فقال لا أعلمه فقتله ، ثم ظهر بعد ذلك أن أبا الشيخ الحطاب قتل أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لأبي الراعي بمقدار ما في الكيس ، وهكذا حكاية النبي الذي رأى غلاما مكفوفا والصبيان يفوضونه في الماء فدعا الله فردّ بصره فلما أبصر أغرق حالا أحد الصبيان وطلب غيره فهرب الباكون فعرف الحكمة وطلب من الله أن يرجعه كما كان ، ومن ذلك حديث الخضر وموسى في القرآن وبالاختصار :

(١) إن النظر في العوالم يقربنا من الله

(٢) وأن النظر في الامور الجزئية يجعلنا في شكوك

(٣) وأن العلماء المفكرين يحصل لهم يقين وهونفس السعادة أما العامة فكفاهم حكايات كما تقدم

٣١ (اللطيفة الثانية) في آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ . اذا كنا نسمع سقراط وأفلاطون ومن نحا نحوهما يقولون : « إن المادة لا تصلح مناطا للعلم لسرعة تغيرها ولا يصح أن تسمى موجودة إذ لا معنى لما هو متغير » ونرى أرسطاطاليس يقول لهما : « نعم المادة لا تصلح مناطا للعلم » ولكن المثل الأفلاطونية التي جعلها أفلاطون مناط العلم لا تصلح لذلك لأنها لا دليل على وجودها ، فهكذا هنا نحن نقول : إن ما هو متغير لا يصلح مناطا للسرور والفرح ، وجميع الزينة على الأرض قسيمان : طبيعية كالأزهار والأشجار ، وصناعية كالزينات المنصوبات في الولائم وما أشبهها ، والعامة أكثر فرحا بالصناعية منهم بالطبيعية لأن الصناعية فعل مخلوق مثلهم والطبيعية فعل الله ، أما زينة السماء فأكثر الناس عنها غافلون ٣٣ ذلك لأن أكثر الناس مغمورون في الشهوات من النساء والبنين الخ فليس عندهم وقت للتفكير في مثل هذه العوالم العجيبة ، وأما زينة بعض الملوك والأمراء ونحوهم فهي على قدر عقولهم فتبهرهم . فهؤلاء كالشياطين الذين جاء فيهم - وحفظناها من كل شيطان رجيم - الخ وانما حرموا لضعف بصرهم . فالجهال كالسفهاء في آية - ولا تؤثروا السفهاء أموالكم -

٣٤ بهجة العلم في آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ . في ليلة ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ بت مع الفلاحين في القرية وقد شاهدت المجرة . ولما طاع الفجر خيل لي أن هنا ستارا أسدل على النجوم وعلى الزرقة السماوية . وهذا الستار لاهو من قطن ولاصوف الخ بل هو نسيج أدبجت فيه الصفرة والخضرة والحمرة الى آخر الألوان السبعة . وما هذا النسيج في مادة بل هو حركات في الأثير . فهذه الحركات بانتظامها صارت ستارا مكونا من سبعة ألوان فصارت أبيض وحجب تلك الحجابات الليلية . وههنا فصول متعاقبة من الليل والنهار تشابه الفصول المتعاقبة في النفوس الانسانية التي تنام فتري صوراً في الأحلام عجيبة . فإذا أغمض الانسان عينيه رأى صوراً عجيبة في الأحلام هكذا اذا جنى الظلام رأى في السماء صوراً عجيبة . واذا استيقظ ذهبت تلك الصور الخفية . هكذا اذا طلع الفجر غابت تلك الصور السماوية . ولقد قلد الناس في دور التمثيل صنع ربهم . فهم اذا أرادوا اظهار صور عجيبة تسر الناس أطفؤا المصابيح وأظهروا تلك الصور التمثيلية . فاذا آمنوا عملهم أضأوا المصابيح فرأى الناس بعضهم بعضاً كما يحصل نظيره اذا طلع النهار . وهذا تقليد الناس لفعل ربهم في صنعه الليل والنهار . ولقد قلدوا حيوانات كثيرة . قلدوا الجرذان في الحياة تحت الأرض والطباء في الحياة في الأدوية واتخذوا بيوتاً كما اتخذت النمل وهكذا . ولقد كان نسيج الصباح جيلاً مصنوعاً من الحركات البديعة لأنه نسيج اللطيف الخبير الذي جعل نسيجه فيما هو لطيف . فأما الانسان فنسيجه في المادة وهي غليظة

٣٥ نظر المؤلف في المزرعة إذ تبتت الزهرات المختلفة وهن ذوات ألوان بهجات وقال كأنهن ينظرن الى كما كنت أتخيل النجوم تفعل ذلك ليلاً وآنت القطن قد بدا من أكامه وخيلت لي الدنيا كأنها عروس بهجة جميلة قد ازينت للناظرين والزهرات وماعها يسلمن علىّ وهن باسمات محليات بأقراط من الماس من الندى فلم آتمالك نفسي أن قلت : « يا الله . أفع هذا الجلال كله يكون خوفنا منك ؟ فن جهل هذا فهو أحقّ بالخوف منك . أما الحكيم فن حقه أن يفرح بك »

الجاهل زين الله له شهواته والحكيم زين له السماء والطبيعة . إحساس المؤلف بأن قراء هذا التفسير لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة بالمسرات بجمال هذه الدنيا وأكثر الناس يموتون ولا يفهمون هذا الجلال . إذن الدنيا ازينت لهذه الطبقة وأمثالها وسواهم همج الهمج

٣٦ ما حقيقة السموات ؟ وهل للنور وزن ؟ واذا كان النور ببق طويلاً ؟ أفليست الأرواح أولى بذلك الدوام . أدلة القدماء والمحدثين على أن للسماء وجوداً . فالأولون استدلوا بالنور والظلمة فهما عرضان قلما بجوهر أوجوهران . إذن هما موجودان . والمحدثون قالوا انها موجودة لأن الأثير الذي تخيلناه يحمل أُنقال هذه الكواكب التي لا حد لها . ان كشافة المليمتر الواحد من هذا الأثير الذي تخيلناه لا تنقص عن (٢٢) ألف قطار وهذه لانظر لثقلها في المادة . إذن ظهر سر آية - وبنينا فوقكم سبعاً شداداً - وههنا بيان الأوصاف التسعة للأثير من كونه شفافاً كثيفاً مرناً لاحتارة له ولا صوت وفيه الجاذبية بقسميها وههنا ذكر آراء (نيوتن) فيه انه أشبه بالحبل وهو يحسن القائل انه ذرات الخ وفرنل الفرنسي وكوتنفي وجورج توكس وماكسول وامايقين وايششتين . وبيان أن النور الخارج من الشمس في الثانية ٤ ملايين طونولاته . ذلك انهم وجدوا أن الأشعة الكاشفة المنبعثة من جهاز قوته (٥٠) حصاناً في مدة (١٠٠) سنة لا تبلغ أكثر من جزء من عشرين من الأوقية . ولو كان هذا المقدار من تراب الأرض لأقيم به عمود قاعدته (١٠) يردات سرابعة وارتفاعه ربع ميل . وهذا المقدار أيضاً يحتاج في حمله الى ١٠٠٠٠ قطار في كل ثانية وكل واحد منها يحمل (٤٠٠) طونولاته . هذا ولا جرم أن الضوء نراه بعد مئات

الملايين من ابتداء خروجه من كوكبه . فاذا كانت هذه حال الضوء فالأرواح بقاؤها من باب أولى فهو دليل على الحياة الأخرى بطريق قياس التمثيل

٤١ وذكر أن المؤلف نام ليلا في الحقل في أواخر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظ قبل الفجر ورأى السكاواكب بهيئة لم يهدها في المدن ولا في القرية التي ولد فيها لأن هيئة النجوم في جهات الجبال والصحاري غيرها في المدن وبلاد الريف وهبت النسمات واضطربت بحسب منظر العين تلك المصاييح وهن راقصات مستبشرات ، ورأى الدبران والثريا والهنعة والهنعة ونجوم الجبار

٤٣ امتحان عقول الناظرين من الأمم في الأرض :

(١) فالبدوى تخيل القمر رجلا والثريا امرأة . وقد طلبها لزوج فأبت فأرسل اليها الدبران ليقتنم لها مهرا وهو الكواكب السبعة اللاتي تشبه شكل الدال فهو أبدا يسوق الغنم لها وهي أبدا لاتقف ولا ترضى

(٢) والعاشق العربي تخيل الليل خيمة جهته ومعه شوقته سامي

(٣) والعاشق الاسلامي يخاطب الليل متخيلا انه كافر وانه هو يجاهد ذلك الكافر ويوازن بين محبته وبين البدر ويفضل محبته على البدر

(٤) والشاعر الذي وقف بباب الأمير يستجديه لتأخر الأمم الاسلامية في القرون المتأخرة يتخيل الجوزاء المتقدمة واقفة أمام الملك أو الأمير وهي ذات نطاق ، وبيان ما قاله (سديو الفرنسي) من أن شعراء الاسلام يساؤون في العدد شعراء الأمم والأندلسيون لما أغرموا بالشعر نسوا عقولهم ودينهم ووطنهم فطردوا من البلاد وهذا قوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون - الخ وبيان أن الشاعر العربي كان يتغزل في محبته فلا يذكر اسمها غالبا وشعراء الجاهلية يعتنون على الأصابع وفي العصر الأموي كانوا أضعافهم ، وهنا كثر الغزل والتشبيب لاسيما في المدينة التي عمر معاوية أبناء الصحابة القاطنين بها بالمال فكثرت القصف والفناء لوفرة المال وكثرة السبايا والمحظيات من الجوارى المسيبات في الحروب فهؤلاء أصبحوا مغرمين بزينة الشهوات لا بزينة السماء المذكورة في هذه الآيات فقد زينا الله للناظرين وأكثر هؤلاء ينظرون الشهوات ، وقد منع الخلفاء الرشيدون التشبيب وانغمس المسلمون بعدهم في الشهوات ، وكتاب الأغاني أكبر مفسدة اسلامية

٤٥ نداء المؤلف لامم الاسلام يذكرهم بأن أبنائهم أمانة في أيديهم فليرفعوا عنهم الشعر المهيج للشهوات في شبابهم وليقتصروا على شعر الجاسة والأدب والنخوة والشرف كقول عمرو بن كاثوم :

إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن نقرر الدل فينا

وليهرقوهم الزينة السماوية والأرضية وهما يشملان جميع العلوم فان الله ابتلي أهل الأرض بالزينة . فالغافلون من المسلمين وغيرهم زينت لهم الشهوات كالبهائم والشعراء ونحوهم والخواص زينت لهم الطبيعة من سموات وأرضين والفرنجية عرفوا قيمة هذه الزينة فأدلوها المسلمين لأنهم لم يفهموا في هذه القرون - وزيناها للناظرين -

٤٦ بيان أن العلم جنة العارفين وأن الاقتصار على الجنة الحسية إنما يكون عند الجاهلين . ولا جرم أن لذات العقول أرقى من لذات الأجسام . وبيان مراتب الناس في اللذات . وبيان أن الشجاعة والحب صفتان بهما سعادة الانسان في هذه الحياة ومن لم يعرف العجائب لا يدخل الحب قلبه . ولذة معرفة العجائب فوق اللذة الغضبية والشهوية بما لا حد له وكلما ازداد العارف علما ازداد لذة . وذكر كلام الامام الغزالي

في سبب تفاوت الناس في الحب . وبيان أن الجمال في هذه العجائب السماوية والأرضية لا حد له والانسان يدركه بغير صفة فيعتقد فلا يفهم له معنى وهكذا يدوم على ذلك حتى يموت وهو لا يفقهه ، فأما المفكر فإنه يقول في نفسه : « إن أعضاء جسمي مذهلة بديعة التركيب وهكذا روحي وكل موجود في الأرض وفي السماء والسكن هذه الدلائل لا ستطفا فصارت كالشمس والشمس تبهر العيون فهكذا هذه العجائب بهرت بصيرتي فحجرت عن الادراك ولولا أن النور يمتلئ بغيب الشمس ما أدركنا أن ههنا نورا والسكن السرّ الإلهي لم يغيب عن الوجود لحظة . فالنور عرف بشده وهذه الشواهد لم تفقدها لحظة فكيف نعرفها كما نعرفنا النور بالظلام أي بشده

٥٠ ﴿ في قوله تعالى : فأتبعه شهاب ثاقب - والكلام على حوادث كرة الأثر من الشهب الساطعة واقتضاض النواكب وذوات الأذئاب . وبيان آراء القدماء الذين ودفوا هذه الشهب بأنها أعمدة مخروطية قائمتها على كرة النار (التي كانوا يعتقدونها تابسين علماء اليونان) وخروطها يلي وجه الأرض وهي في أعينهم دخان يابس خارج من الأرض اشتعل هناك ثم انطفأ كالسراج المشتعل بالنفط مستدلين على أنه دخان بأنه يظهر أيام الجذب أكثر ومثاوها بالكرة التي يلعب بها أصحاب الخيالات المجهونة من سندروس وعقاقير أخرى ويسعونها في أفواههم ويرقصون بها . ويقول علماء العصر الحاضر . كلا . ثم كلا . إنما الشهب أجسام صغيرة لا تزيد الواحدة منها عن حجم البلاطة وهي تدور مع كثرتها حول الشمس في كل (٣٣) سنة مرة واحدة ولا حصر لعدد قطار المسميات منها بالأسديات (١٠٠٠٠٠) ميل أو أكثر والذي يخرق جوّنا ونهره منها في كل سنة (١٥٠) مليوناً وآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى فيها . هذه هي الشهب . أما السكرات النارية فهي تظهر وتختفي بسرعة ولكنها أبداً من الشهب وهي تنزق بالقرب من الأرض وفي تركيبها الحديد والسليس والميزيا والنيكل وغيرها وأعلى ارتفاعها (٢٠٠) كيلو وهي قذاع صغيرة إذا قربت من الأرض جذبتها وهي المسماة بالحجارة الجوية . وههنا أوضح المؤلف الفرق بين مازعمه القدماء وبين ماحققه المحدثون . هذا ما جاء من جهة العلم . أما من جهة الدين فإن الأرواح الشيطانية تعيش في هذا الجوّ ونحوه وهذه السكرات والنيازك تنفص عليها حياتها فلا تفكر في الحقائق والمعارف وتصرف عنها وتحفظ السماء منها كما تصرف العلم عن النفوس الانسانية المجسمة الشيطانية سواء بسواء وهذا بعض عذاب البرزخ وناره

٥٤ ﴿ اللطيفة الثانية ﴿ في قوله تعالى : احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - وبيان أن الناس قسمان : عالم وجاهل . فالجهال كاللذود والحكماء على نقيضهم . وكل فريق لا يعيش إلا مع مثله . والمسيح مسيحيان مسيح صادق وهو معروف . ومسيح كاذب . ويرمز بهذا لكل الأمم والأفراد المضلين الذين يظهرون الصلاح ويضمرون الفس كما تعمل دولة أوروبية ببلاد المغرب وكما قاله هنري الفرنسي . إن الخمر جلبتها أوروبا لجزائركم المسلمين بها ففنعهم الدين . فأما مثال هذه الأمم المقصودون على طريق الرمز بالمسيح الدجال وهم الذين سهلوا دخول المخدرات بلادنا . والذي كشف هذا رجل انجليزي وهو الحاكم مدار بمصر فكشف أن الكوكابين والهرويين يسممان الأجسام . وقد جمع الشرطة (٢٥٠) رجلاً من هؤلاء المدمنين . وههنا قصص النجار الذي ابتلى بهذه المخدرات وطلب من امرأته أن تباع عرضها وأجر ابنتيه في المنازل للخدمة

٥٧ صور هؤلاء المدمنين (شكل ١) وههنا أظهر الحاكم مدار (رسل باشا) أن هذا الداء انتشر بين الفلاحين وعاتب أوروبا على أنها أهلكت مصر بهذا ومن تلك الدول المهلكة لمصر سويسرا وألمانيا وفرنسا

وايطاليا واليونان ونحوها . هذا كله من تفسير قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - فهؤلاء احشروا معا في السجون وصوّروا بالتصوير الشمسي ، فشكل طائفة لا تحشر أفرادها إلا مع أمثالهم والذي حشرهم هم الدجالون الاوروبيون المستعمرون أولا والصانعون لهذه المخدرات

٥٩ بيان السبب في انتشار المخدرات بمصر وهو الجهل الذي فشا بين أهل الأندلس المسلمين قديما فشنت شملهم حين اتفق الصليبيون على محاربة العرب بالخر واحتقار الدين وبث حب الشهوات والاستدانة بالربا وفرح الملوكة بها وخالفهم رجل منهم فلم يعبؤا به ، فانتشرت الموبقات وطرد المسلمون من هناك ، وهامهم أولاء يطاردون المسالمون في الشرق ، فهم أتباع المسيح الدجال فعلا ، ألم يقيم راهب اسباني فيسقي أبناء المسلمين تلاميذه الخمر بعد أن عصرت عن قرطبة كلها فجعله خرا

٦١ ذكر اعتراض على المؤلف بأن هذا خارج عن الآية لأنها في الآخرة وجوابه بأن الآية تشمل هذا كما كان يفهم الصحابة ، ألم يستشهد عمر للربيع بن زياد لما قال له : أريد لك طعاما ألين من هذا بآية - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - فلم يقصرها على الكفار وإن كانت واردة فيهم

٦٢ الكلام على آية - وقفوهم انهم مسئولون - الخ وخطاب من المؤلف للأمة الاسلامية ومنها بلاده المصرية يقول لهم : « كفوا عن الجلوس في محال الفرنجة المهيئات للشراب حتى القهوة ورقوا تجارة الأوطان واستغنوا بها عن تجارة الأجانب » ثم ذكرهم بما فعله البابا برومه وبارونات أوروبا من إشاعة الفسوق وإذاعة الخمر في المسلمين لينالوهم وانهم بغير هذا لا يذلون ، فلما أخضعوا الأندلس أخذوا يخضعون شمال افريقيا كحصر وتونس والجزائر ومراكش ، وبيان أن أجسام الشرقيين قوية وهكذا عقولهم ولكنها متروكة ، الأطباء في أوروبا درسوا الماء والهواء والنبات وكل شيء ولا أطباء في الاسلام إلا قليلا . سؤاس أوروبا بأخذوا يفرقون بين أمراء الجزيرة ، فهؤلاء أتباع المسيح الدجال لأنهم يظهرون الخير ويبطنون الغدر ، يطلب المؤلف استخراج كل قوة من قوى الشعب وكل قوة من قوى المادة في بلاد الاسلام

٦٥ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - إني كان لى قرين - وذكر مسألة من المسائل التي جسدت عليها العقول ثم ظهر خطؤها بالخروج عن التقاليد ، فهذه الصخور المعدنية لما قال بعض العلماء انها أجرام سماوية ردّ عليه كثير منهم (لافوازييه) المشهور مدعيا أن هذا ينافي الجاذبية ولكن كروا الأعوام كذنبته هكذا كتاب أصل الأنواع لداروين قاومه العلماء ثم خدت عزائمهم ، وباستور كاشف المسكروبات لما طعن عليه العلماء أولا ثم خضعوا له آخر . ونظريه دوران الأرض حول الشمس أزالت النظرية العكسية التي شاعت قبلها

٦٨ ﴿ تفسير سورة ص ﴾ وهي ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في تفسير البسملة والكلام على أن لفظ الجلالة تلاحظ فيه الذات الواجب الوجود . فأما الرحمن والرحيم فالملحوظ فيهما الكثرة في الخلوقات ونحن نرى الوحدة في جسم الانسان وروحه . والكثرة قد تجلت في الأعضاء والحواس . فالأعضاء منها ماهو للبطن وما هو للحس . وما للحس قد قسمت العوالم عليه من الماهوسات والمشعومات والمنذوقات والألوان والأصوات . والذي للحركة مقسم على الأعمال لأنها إما أعمال انتقالية وأما أعمال صناعية فالرجلان للانتقال واليدين للصناعات . ثم ان الحواس ابتدعت لاجتلاب صور الموجودات التي في الخارج الى الذهن فلا يزال يستحضرها وقتا بعد وقت حتى يعرف العوالم اجالا ويصل في العلم الى أقصاه ثم يستعين بالمناظير المعظمة والمقرّبة لتريه بقية العلم وهكذا يستعمل البراهين العقلية . إذن العقل يستخدم الحواس واستخدام الآلات لأجل المعرفة والعلم . وكما استخدم الآلات البصرية لمساعدة البصر وعلم المنطق لمساعدة البصيرة

استخدم القطارات والسفن البرية والبحرية لمساعدة الرجلين في الانتقال من مكان الى مكان واستخدم أيضا الآلات المختلفة في الصناعات لمساعدة اليدين ، ثم انه رأى له رأسا وعينين وثلاث مفاصل في اليد الواحدة وأربعة أعضاء باطشة وخمس حواس ، وأصابع اليدين خمس أيضا ، فهناك استعمل الأعداد لضبط العلوم لأن المادة لا يضبطها إلا العدد والعدد قد استنتجته من أعضاء جسمه ، فليدان لها عشرة أصابع واستمر في الزيادة (٢٠) و (٣٠) الى الآلاف وآلاف الآلاف ، ذلك كله لكبح جراح المادة وما الهندسة إلا نظام للتقدير المتصلة كما ان الحساب نظام للمقادير المنفصلة . الانسان ابتدع نوعين من الصور نوع له صور في الخارج وهي العلوم الطبيعية . ونوع لا وجود له في الخارج وهي العلوم الرياضية . الانسان عالم بديع . فهو باليدين والرجلين تنقل في الأرض وصورها ماديا وأثر فيها بأنواع الحرف والحواس أصدر صوراً معنوية للآلة . فآلات البطش خدمت الجسم بصور المادة نفسها وآلات الحس خدمت العقل بصور مخترعة على مثال صور المادة المجسمة وهو من جهة واحد ومن جهة كثيرة . هنالك بحث فيما وراء المادة هذا الانسان الذي تصرف في المادة بالصناعة العملية وتصرف فيها بعد ذلك بالعدد والهندسة فضبطها بصور ذهنية قال أما واحد وقد حكمت على المادة ظاهرها وباطنها وروحي هي التي حافظت على كثيرتي فجعلت لها وحدة ، إذن هذا العالم كثرة لا بد لها من وحدة تجمعها حكم الأكبر حكم الأصغر على قياس التمثيل ولكنه لم يقل ذلك إلا بعد أن تصور للاله دورا شتى اخترعها بالاقانون يضبط تصوره من فيل وحية وبقرة وهكذا والعلوم يصدقون والخواص يرمزون

٧٢ سياسة الأمم تتبع عقائدها ، فكما يضبط الانسان المادة بالعلوم الرياضية حفظت كثرتها هكذا يضبط كثرة أمته بوحدة العقيدة كما حصل أيام النبوة إذ جمعت العقيدة أشتات العرب المفرقين عقيدة وليست وحدة الدين بمجدية اذا بقيت في القلب ولم تسكن لها آثار في الخارج باجتماع الصلوات والأعياد وعبادة المرضى والاتحاد في الصيام والحج واثابة الفقراء بالزكاة . فالعرب اجتمعوا بالدين لما فعلوا ذلك وتفرقوا لما أصبحت العقيدة خالية من العمل . واجتماع الأمة يتوقف على هذه الأحوال وجامعة العصبية النسبية والوطنية واللغة والملك الجامع والاستعباد والمعاهدة كلها تؤدي المقصود اذا قويت بالأعمال فاذا أهملت الأعمال تفرقت الأمم . واليابان عابدة الأصنام اجتمعت باللغة والوطن وهكذا . والعرب في مصر والعراق والحجاز وشمال افريقيا لم يغدوا الدين بالاجتماعات ولا اللغة ولا النسب ولا المجاورة فهم متفرقون حتى ينهلوا ذلك . الأمم عمياء اذا لم تجتمع لآبدين ولا بنسب الخ . عوراء اذا اجتمعت بوحدة من هذه الخصال وكبرت بقية الأمم . ببصرة اذا اجتمع الناس كلهم . فأهم الأرض أكثرهم عور وكثير من أمم الشرق عجمي لأنهم لم يصلوا للصور

٧٥ سورة ص فيها وحدة باعتبار أن أمثال مصائب أيوب ونعم داود وسليمان ترجع كلها الى الابتلاء فالناس يبتلون بالنعم والنقم فهنا وحدة في نفس السورة

٧٦ ﴿سورة ص﴾ مكتوبة مشككة كلها

٧٨ تفسيرها اللفظي

٨١ تفسير قصة سليمان . فتنة سليمان عليه السلام

٨٢ تفسير قصة أيوب . وصف الجنة

٨٣ تفسير وصف جهنم وقصة آدم عليه السلام

٨٤ الفصل الثالث ﴿ في مقصود السورة . السورة مبدوءة بحرف ص وملخص ما فيها يرجع للبصر الذي

أول سرّوفه ص :

- (١) صبر الكفار على آلهتهم
 - (٢) فليصبر النبي ﷺ على ما يصيبه .. واصبر على ما يقولون -
 - (٣) - إنا وجدناه صابرا -
 - (٤) لم يصبر داود في مسألة الخصم حتى يسمع كلام الخصم الآخر
 - (٥) وهكذا سليمان تهجّل ولم يقل إن شاء الله
 - (٦) يظنّ الكافران السموات والأرض خلقت باطلا وذلك لعدم صبره على البحث في هذا الوجود
 - (٧) والصبر حتم على من منح النعماء كما أنه حتم على من أصابه البلاء كسلمان وأيوب
- ٨٦ - واتعلّم نبأه بعد حين - . من أنباء القرآن اليوم أن أتباعه (٣٥٠) مليون ، ومنه أن العلوم الحديثة طابقت مثل كون الأرواح أحياء بعد الموت ، فمن كانت أرضية الأخلاق كانت أقرب إلى الأرض ، ومن كانت أغزر علما وأصفى أخلاقا كانت في عوالم أعلى ، ومن عجب أن المؤلف رأى رؤيا كانت هي سبب قراءته علوم الفلسفة ، ذلك أنه رأى وهو في شبابه في المنام أن قائلا يقول له وهو في مقبرة قريبته في الفلاحين : « انظر هذه هي الروح ، فراها أشبه بكرة بيضاء قليلا ، ولما أصبح وقع في يده كتاب ابن مسكويه فرأى أول عبارة فيه الاستدلال على بقاء النفس » ثم وجد أن آراء الفلاسفة كلها على نمط ما رآه ، فالنفس التي تميل للذات تنجذب للأرض وضدها تميل للعالم الأعلى ، عواطف المحبة والبغضاء لها سواكل روحانية تميزها الأرواح ، الأخلاق الذميمة تتأذى بها الروح عقابا لها ، المغمومون بالملل يألمون لفراقه ، السفاكون والقتلى تطاردهم أشباح من قتلوهم في البرزخ ، هناك للأرواح أطلان وأناسيد ، فهذه كلها أشبه بتفصيل لرؤيا المؤلف وموافقة للقرآن لأن القبر إما روضة أو حفرة الخ
- ٨٨ لا عمل يتم خيرا أو شرا إلا بالصبر ، فالكفار صبروا على الكفر والمؤمنون صبروا على الإيمان ، الألم روحى وجسمى فالأول لموسى وداود وسليمان والثانى لإبراهيم واسحق وأسماعيل ، الندم مظهر من مظاهر ارتقاء النفس
- ٨٩ تطبيق ذلك على نبينا ﷺ . معنى - وليستذكر أولوا الألباب - وأن هناك رابطة وثيقة بين أنواع الصبر المتقدمة وبين صبر القضاة العشرة الآتي ذكرهم ، ألا ترى إلى محمد بن عمران كيف صبر على أن يستعدي على أمير المؤمنين المنصور ويقضى عليه للعجمانيين ، وهكذا عاقبة بن يزيد القاضي الذي قدّم استقالته للمهدي قائلا : « إن أحد الخصمين أحضر لي رطباً فلم أقبله فقال قلبي له وقت الحسب فعملت أتى لا أصلح للقضاء » وشريك بن عبد الله قاضى السكوفة إذ ظلم الأمير موسى ابن عيسى ابن عم أمير المؤمنين المهدي امرأة إذ خلط نخل بستانها بنخل بستانه فاستغاثت بالقاضى فأمر بالحضارة فأبى وأرسل العظماء للقاضى واحدا بعد الآخر يفهمه أن حضوره لا يليق فحبسهم واحدا بعد الآخر ، وأخيرا حضر الأمير وأطلقهم من السجن فهم شريك أن يرحل إلى بغداد ويقابل المهدي فوضع الأمير موسى وسلم للمرأة ماطلبت وانتهى الأمر
- ٩١ ولقد أرسلت الخيزران نصرانيا من أتباعها إلى السكوفة فأخسرت رجلا وكتفه وأهانته فاستغاث بالقاضى فاقتصّ شريك من النصراني ولم يبال بأن الخيزران هي التي أرسلته
- ٩٢ وعبيد بن ظبيان قاضى الرشيد بالرقعة جاءه رجل فاستعدي على الأمير عيسى بن جعفر وكان له عليه (٥٠٠) ألف درهم فأرسل إليه ثلاث صرات فلم يحضر فأبلغ القاضى الخبر إلى أمير المؤمنين هرون الرشيد

فأرسل الجند وحاصروا دار ابن عمه فسلم الأمر للقاضي وأعطى الرجل حقه . وعمر بن حبيب القاضي إذ حضر في مجلس الرشيد ومال الخليفة إلى أن أباهريرة منهم في الحديث فردّ عليه القاضي ، فلما انصرف القوم بحث في طلبه فأمر أن يحضر السكسن معه لأنه لا محالة ميت ، فلما أبان للخليفة أن اتهام أبي هريرة يجرّ إلى ضياع الشريعة ألجم عليه . وحفص القاضي الذي حضر لديه رجل من أهل خراسان قد كان باع جمالا لمرزبان وكيل أم جعفر بثلاثين ألف درهم فحضر عند حفص وأقرّ بالمبلغ فقال الرجل يعطيني مالي والا الجبس فقال الرجل الدين على السيدة أم جعفر فقال له القاضي يا مجوسى تقرّ ثم تدعى انه لأم جعفر فحبسه فبعثت أم جعفر فأطلتته فتوجه المجوسى إلى أم جعفر ورجاها أن ترجمه إلى السجن وتسكّم الخليفة الرشيد ففعلت فأرسل الرشيد خطابا فلم يقرأه حتى أنفذ الحكم فعلم الرشيد فأعطاه (٣٠) ألف درهم

٩٤ القاضي أبو حازم أرسل له المعتضد يطلب منه أن يسطيه نعييا من مال رجل أفلس فطلب منه البيعة فذكر رجلا فقال اجث عنهم خاف الشهود أن يردّ شهادتهم . أبو حازم عبد الحميد القاضي كان متوليا وفتب الحسن بن سهل وقد كان المعتضد أخذ من هذا الوقت شيئا أدخله في قصره ، فلما أراد قبضته على مستحقه قال له القاضي خذ ما على أمير المؤمنين وأرسله إليه ليأخذ المال منه ففكر ساعة ثم أعطاه ومده . واسماعيل القاضي أرسل المعتضد له أن يرفع الحجر عن يقيم وهذا اليتيم ممّ كانت في دار الخليفة ، فلما سأل عنه وجده لا يصلح للتصرف فأرسل إلى الأمير كتابا فيه مانعه : « - يادارد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق - »

٩٥ فهؤلاء عشرة قضاة وهذه أوصافهم فأخذت أفكر في مناسبة آية - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما بطلا - الآية - يادارد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق - فرأيت مما في الأرض عالم النبات ويدخل في أغذيته هذه الثمانية السكريت والحديد وهكذا ، وإذا نقص البوتاسيوم من غذاء النبات كان قصيرا جدا كالذي في (شكل ٢) وهكذا كل عنصر نقص من غذاء النبات نجد النبات نقص نموّه بمقداره بحيث لا نجد هناك اختلالا ، إذن أبو حازم واسماعيل وعبيد بن ظبيان وشريك ونحوهم لم يفعلوا إلا تقليد ما فعله الله في النبات من العدل إذ ينقص نموّ النبات على مقدار ما نقص من الغذاء بالعدل . هذا هو سرّ ذكر آيات خلق السموات والأرض بعد ذكر خلافة داود وأمره أن يحكم بين الناس بالحق

٩٧ ومن هذا القليل ما تراه في (شكل ٣ و ٤) من جذور النباتات المختلفة في البقعة الواحدة فانها تمتد إلى الطبقات التي تناسبها لأجل أن لا تراحم غيرها ، فهذا عدل في داخل الأرض إذ قسمت المناطق الأرضية على الجذور المختلفة ، وهكذا أعطيت الجذور التي وجدت في غير طبقتها بصلاصات تجذبها إلى أسفل وإلى أعلى . أليس هذا هو قوله تعالى - اهتدوا الصراط المستقيم - أليس هذا هو صراط الله -

٩٨ ﴿ تذكرة ﴾ ازدياد هذه العلوم يعطى ملكة التفكير وبها حصلت للأمم العظيمة ملكات التفكير ، وذكر ما كتبه المؤلف لوزارة المعارف يبين لها أن التعليم في زمن الاحتلال ضعيف لم يدخل فيه الفلك ولا العلوم الطبيعية وهو خائف أن يكون الوزير والمهندس غافلا في المستقبل ، وقد دخلت تلك العلوم وحصل التأليف وبعض التأليف أثرت ، وبيان أن المسلمين لهم عدوان : عدو خارجي هم المستعمرون وعدو داخلي هم الكذابون من شيوخ الصوفية وجهلة رجال الدين ، والمؤلف يوصي أذكيا القراء أن يذيعوا هذه الآراء في الأمم الإسلامية

٩٩ ﴿اللطيفة الثانية﴾ كيف تربي قضاة الأمم الإسلامية وحكامها وخلفاءها
 ١٠٠ أذكر هنا ما جاء في «جمهورية أفلاطون» ثم أفنى على آثاره بما جاء في الكتاب والسنة . لقد ذمّ أفلاطون الأمة التي يكثر فيها القضاة والأطباء . إنما يقضى النضاة بين الأشرار من الناس الذين كثر بينهم الخلاعة والفسوق ، ومن أسباب ذلك شيوع التفتن في الموسيقى . أما الموسيقى الممتدة فانها تهذب الأخلاق ، والطبيب لا يداوى إلا أولئك الذين يكثر من أنواع الطعام ، فعلى الأمم أن يكون طهاها بسبغا وموسيقاها كذلك والا كانت جاهلة . ومن عجب أن الامام الغزالي كان يسب على أمم الاسلام كثرة فقهاء الذين يتولون القضاء إذ جعلهم جيشا عاطلا والأمة أحوج الى نظام كامل بكل علم وصناعة لا بالقضاء وحده ، ولما نظرت أمتنا بمصر الآن وجدت ﴿ثلاثة جيوش﴾ : أطباء وقضاة ومخامين ، وذمّ القاضي الذي ألف الرذيلة في صباه مدعيا انه بهذا قد أحرز قصب السبق في الدهاء فيعرف أسرار القضايا مع انه هو قد أصبح هزوا وسخرية لافضيلة له في نفسه . ومدح الطبيب الذي جرتب الأمراض وأدويتها في نفسه لأن القاضي يقضى بعقله وعقله قد ناله ما أصاب بفضائله بخلاف القاضي فطبه بعقله لا بشعنه وليس يمنعه مرض الجسم . ثم ذكر أن مصر اليوم ترقى في القضاء وفي الطب واتسع نطاقهما وذكرا ما تقدم في ﴿سورة يس﴾ من أن الرياضة البدنية والعفة في الماء كل والمشرّب والتضلع في العلوم الرياضية وفي منظم السكون من الواجبات في تعليم الملوك والأمراء ورجال الجيش والقرآن فهل ذلك قال تعالى - إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم - وذكر مسألة النهر وأن الذين لم يشربوا منه قليل وهم الذين غلبوا . أما الشاربون كثيرا فانهم لم يحاربوا وهذه هي العفة بعينها . وأمر الله بعدم الاسراف في الماء كل والمشارب . وجاء السبق والرمي في الاسلام لتقوية العضلات . وجاءت الصلاة بدل الموسيقى وتنتأجها عظيمة بل كثرة الصلاة لا تؤدى الى رذيلة . أما كثرة الموسيقى فانها تؤدى الى الضلال ولذلك كانت نتائج المدنية الاسلام أعلى من مدنية هؤلاء الفلاسفة بل نحن لم نر لهم دولة اللهم إلا في الخيال

١٠٤ ومن قرأ الأحاديث الشريفة وجد تقليل الطعام في حديث عائشة أن آل محمد ﷺ ما أكلوا من خبز شعير يومين ولأمن البرّ ثلاث ليال وتمضى ثلاثة أهلة فلا يوقدون نارا وياكلون التمرو يشربون الماء لاغير . ولم يأكل النبي ﷺ على خوان ولا مرقا ولا رأى شاة سميطا بعينه ولم يلا بطنه من ردى التمرو ولا رأى منخلا وكانوا يأكلون الشعير بالانخل ولم يأكل النقي ولما أكلوا من شاة عند الأنصاري قال أصحابيه لتسألن عن هذا النعيم

١٠٥ وفي خطبة عتبة بن غزوان انه كان سابع سبعة أكلوا الورق . وكان لرسول الله ﷺ إزار غليظ وكساء وكانوا يأكلون ورق السمر وكان أبوهريرة يهتمد على الأرض من الجوع . وهنا قصة قدح اللبن الذي شرب منه القوم وآخرهم أبوهريرة . وقد يضع الرجل قدمه على عنق أبي هريرة ظانا انه مجنون وما هو كذلك ولكنه به جوع . وفرأشه ﷺ من ادم حشوه ليف

١٠٦ ﴿نصائح عامة﴾ مثل أن نبذل الفضل من المال ونمسك الفضل من القول . ومثل أن المدار على أن يصبح الانسان آمنا في نفسه عنده قوت يومه . فهذه تسكفي . وههنا مدح لمن آمن وعنده كفاف . وههنا مدح للصبر على الفاقة ومدح للاقتصار في الأكل على ثلث البطن والبذاذة وقصة أبي عبيدة إذ أخذ معه جرابا من تمر وكان يعطى الرجل تمره فيمصها بالماء ثم يأكلون ورق الشجر

١٠٧ وهم كانوا ثلثمائة فرأوا دابة العنبر فأكلوا منها وحملوا معهم الى رسول الله ﷺ وهي كبيرة وعينها

كانت قسم (١٣) رجلا منهم والبعير برحله يمر من تحت ضلع من أضلاعها . وهنا قصة يوم الخندق إذ جاء جابر إلى امرأته فابحت عناقا وعندها صاع شعير فأكل منهما ألف وهذا من باب المعجزات ، وهكذا أبو طلحة وعند امرأته أقراص من شعير فأكل منها سبعون أو ثمانون وبقى منه سور . هذا هو خلاصة الأحاديث . ومقتضى هذا أنهم كانوا لا يشبهون ولا يمتثلون الخ وهذا كله صحة للبدن وهذا موافق لما كشفه الأطباء حديثا ، فهم أمروا بقلّة الطعام وعدم نخل السقي كإسباتي ، وبقى الكلام على السبق والرمي

١٠٩ في الحديث أن السبق يكون بالإبل والخيول والسهم ، وفي حديث « من تعلم الرمي فتركه فليس منا » وحضّ النبي ﷺ الرماة على الرمي

١١٠ يجب على الأمم الإسلامية أن تذيب الصنائع اليدوية والسبق والرمي وتعليم الجندية ، وأن يكون القضاء والأصراء أعلمهم

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - قال رب اغفر لي وهب لي ملكا - الخ وأن الملك هنا لا يقصد به نفس المملكة السلطانية من حيث ظواهرها كالعظمة على الناس ولا من حيث أنها منفعة للناس فحسب كلا . بل من حيث أنها صادرة من الله تعالى فالملحوظ هنا مصدر النعمة لأنفس النعمة ، أما نبينا ﷺ فقد أعطى الكوثر وهي النعم الكثيرة والمقام المحمود وهكذا

١١١ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - قال فبجزّتك لأغوينهم أجمعين - وبيان أن بني آدم مثالوا قصة أبيهم ، فهام أولاء الذين يكسون ورق الموز في بلاد السودان في الرسم المتقدم في آخر ﴿ سورة يس ﴾ وأولئك العراة هناك ، ويشابه الأولون آدم بعد الأكل من الشجرة والآخرين يشبهونه قبل الأكل منها ، وهام أولاء أهل المدينة الحاضرة كلهم يشابهونه لما طرد من الجنة ، وسرّ تكرار هذه القصة في القرآن أن نحسّر مما دفعنا إليه جهلنا بفوائد الخبز الذي لم ينخل دقيقه والخضر التي لم تطبخ وبفوائد ضوء الشمس وبضرر الاكثار من الطعام والتوابل وهكذا ، وبيان أن الطب الحديث وكشف الفيتامين قد أضافا إلى معجزات الاسلام معجزات جديدة ، فهذه الخبز الذي لا ينخل دقيقه وعدم طبخ الطعام هذان وردا في الأحاديث السابقة ، والعلم الحديث يقول : « إن الفيتامين أي قوة الحياة في النخالة وفي الطعام الذي لم يطبخ » إذن دين الاسلام ابتدأت تظهر أسرارها الآن ، وإذا كان الأمر كذلك فلنذكر ما جاء في كتاب « دستور التغذية » المترجم عن علماء أوروبا وكيف يقولون « إن الإنسان يمكنه أن يعيش مائتي سنة بحسب ظنهم ، وأن التداوى بالعقاقير مهلك ، وخير التداوى ما كان بالشمس . والحجسة وتدير الأغذية والمركبات الطبية مهلكة للناس . والطبيب قد يكون شرّا من المرض ! »

١١٧ وهالك أسلوب الدكتور هيج وكاتاني وسوبر وسكي وكوهن إذ يقول الأول « حمض البولييك هو أصل الشقاء . وهذا الحمض سببه ما يتخلف من الأغذية فهو يسد المسام . وأمر باقلال اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصوليا واللوبياء الجافة والسكرنّب والقنبيط والشاي والقهوة والكافور . ومتى ترك الإنسان هذه الأشياء وأكل الخبازي والاسفاناج والسكرنّب والفواكه واللبن والجبن والقنبيط صحّ جسمه » وكاتاني يمنع الدهنيات والسكر والنشا والخل والمحلات واللبن والجبن مخالف هيج في هذين والأمراق والمجنيبات والارز والبطاطس والحلوى والتوابل ويكتفي بالبيض والنباتات الخضراء والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق

١١٨ دسوبر ويسكي أمس بالفواكه أيضا واليهون والنباتات كالشكوريا والكمثرى والحمض والمندبا
والحمض والسكر فليس والجرجير والفجل

١١٩ ومثل هؤلاء كوهن فانه يمنع التوابل واللحم والأشربة الخندرة كالبيد والعرق والقهوة والشاي والشرق
والتبغ وهكذا الأبنجرة الصاعدة من أما كنها والغبار ، وهو يقول باستعمال الحمامات الجلوسية مع
ذلك الجسم بفوطه خشنة مبتلة والحمامات البخارية ، ثم ذكر ملخص لذلك

(الفصل الثاني) في ضرب مثل لأجسامنا ودمها وغذائها وأسماؤها بالأرض المصرية ونيلها والفرين
الذي فيها . فالجسم كالأرض والدم كالماء . والفرين في الماء كالمواد الغذائية في الدم . والسدود في
النيل كسدود العروق وإزالتها بالحمامات أو بالبقول والفواكه الخ كإزالة السدود من النيل وكثرة
الأورام والأمراض بسبب انسداد العروق كهلاك الزرع بقلة الماء أو كثرة في بلادنا المصرية . والإنسان
بعد حفظ صحته أشبه بالأمة المصرية التي بلغت الآن (١٤) مليوناً والإنسان إذا لم يحفظ على صحته يكون
أشبه بالأمة المصرية قبل أيام (محمد علي باشا) إذ لم يكن للنيل قناطر تنفذ الماء فكان السكان نحو
مليونين أو ثلاثة . فأنت أيها الدكي إما أن تكون كآدم قبل الأكل من الشجرة فتتبع نصائح الأطباء
وأما أن تكون كآدم بعد الأكل من الشجرة فتتبع العادة ، إن سرت هذه القصة ظهر الآن

١٢٢ (نصائح عامة) نصيحة الاستاذ (هنتشيد) انه قال : « إن الناس يصفهون الأثمان غالية ولا يشتركون
إلا الموت باللحم والبيض . وقال : يكفي من المادة المغذية من (٢٠) إلى (٢٥) غراما بديل (٨١)
في الرأي القديم وهذه تحصل من ثلاثة أرطال من البطاطس وقد أعطى هذا المقدار لرجلين مع أشياء
أخرى فغلبا في الجري من أكلوا اللحم ، إن الوفيات في المدن أربعة أضفها في القرى لكثرة
اللحم في المدن ، والخبز والتمر يجعلان في البدن صلابة وقوة تدهش الأوروبيين »

(نصيحة دورفيل) يقول : « إن دولة قوة المصارعين الذين يأكلون اللحم قصيرة الأمد ، والذين
يتلأئون شحما بالأغذية الفنية إما أن يمرضوا بالبثور ونحوها ، وأما انهم تظهر عليهم علامات الصحة
والجمال . فالرياض هو القوي لأن جسمه صرف مافيه من الفضلات والذي لا يمرض هو الضعيف لأن
جسمه عاجز عن استخراج الفضلات وهذا يموت فجأة في عشية أو فنها »

١٢٥ (ضرر الأغذية المركزة) لسورفيل أيضا . يقول : « إن مستخرجات اللحم والأنبذة والبرشامات
وما أشبه ذلك أشبه بضربة سوط للمهصان يجرى ثم يقع »

١٣٦ (ضرر السكر الصناعي وفوائد الطبيعي) السكر المعلوم مهلك فيجب الإقلال منه . نعم الصغار تظهر عليهم
علامات الصحة ولكن ذلك لا يدوم فيجب أن يستغني الناس بالفواكه عن السكر ولا فرق في الضرر بين
السكر والخمر واللحم وهذه هي الأغذية الثلاث المميتة

١٣٧ نصائح الاستاذ بلز : متى نأكل وكيف نأكل ؟ يجب إطالة المضغ ونظافة الأسنان وعدم شرب ما هو
حار . والأحسن أن يضطجع بعد الأكل من نصف ساعة إلى ثلاثة أرباع ساعة . التواكح والحبوب
هي أجود الأغذية وأفضل الحبوب القمح ومثل الحبوب النباتات

١٤٠ نصائح دوفورست :

(١) لاتأكل بين أكلتين ولو تفاحة

(٢) لاتأكل بسرعة بل امضغ جيدا كل الطعام وأجد المضغ

(٣ و ٤) لاتأكل غذاء حارا ولا باردا برذا مفرطا

(٥) الأغذية الدسمة المقلوبة مضرّة

(٦) احذر الفلفل والخردل والقرنفل وجميع التوابل لأنها تحدث النزلات والأمراض

(٧) الجبن وكل مخلل واللحم وما يستعمل نقلا من الأجسام الدسمة المركبة ، كل هذا يجب منعه

١٣١ الكلام على الفيتامين أى سرّ الحياة ، الفيتامين هو (ا . ب . ج . د) وهذه قد كشفوها فى الغذاء الطازج الذى على حاله الطبيعية ، وقد حبسوا بعض الحيوانات فى مكان مظلم وأعطوها أغذية مطبوخة فصارت ضعيفة جدا ، فلما رأّت نور الشمس وأكّت الماء كلّ النيئة صحت أجسامها ، ووجدوا ركاب البحار الذين يأكلون طعاما محفوظا فى العلب مرضى لأن الطعام لاهية فيه فأطعموهم أغذية نيئة وعرضوهم للشمس فشفوا ، ووجدوا أن مرض الأسقريوطشى بالليمون المالح والبرتقال والخضر النيئة ولم يشف بشر بات البرتقال ولا بالخضر المغلى على النار ، وثبت ثبوتا لا شك فيه أن الأغذية النيئة هى المشبعة بالحياة والزيوت النيئة كذلك ، أما التى مرّت عليها زمن أوالتى غليت بالنار فانها لم تفد

١٣٣ الحبوب كالقمح والبقول والذرة اذا استعملت نيئة كما تأكل الحيوانات أعطت قوّة جيدة جدا . طبيب روسى جرّب فى مكتبه (٢٠) سنة تجارب فأعلن أن الانسان يعيش (١٦٠) سنة اذا أكل النبات الذى لم يتلخ ، وههنا ذكر أن العلوم التى نقلها الناس عن قبلهم وقلدوهم فيها أشبه بالمطبوخ من الطعام أوالمحفوظ فى العلب فان هذا فقد قوّته ، فلا بد من التفكير فى تلك العلوم ليستجدّ البحث وكما أن نارالفحم من آثار حرارة الشمس ولكنها لا تقوم مقامها فى إعطاء الطعام قوّة الحياة ، هكذا آراء كبار العلماء فى الاجتهاد لا تقوم مقام الرجوع للعقل والسير بلا تفكير عليه يؤخر الأمم فليرجع الناس للكتاب والسنة حتى يفهموا كيف استنبط الأوائل علومهم . المسموع اذا خلا من المنظور كان قاصرا على التقيد

١٣٤ بهجة العلم فى قوله تعالى - قال فبعرّتك لأغوينهم أجمعين - أيضا مع قوله - فالحق والحق أقول - الانسان له شهوات آكلات النبات وله غضب آكلات اللحوم وقصة ابليس وآدم جمعتهما ، فاذا سمعنا أن ابليس تكبر وأغوى الانسان فان ذلك ظاهر فى كبرياء الناس وحسددهم وحقددهم وهكذا فهم كالسباع والآساد ، واداسمعنا أن آدم أكل من الشجرة فهذا هو الذى نشاهده فى الشره والطمع والبخل والحرص والادّخار ، ومن هذا القليل العادات الفطرية التى نسمعها عن أهل السودان فكيف تدار على حياة الناس قديما مشبهين بعض الشبه آدم وحوّاء فى الزمان الأوّل حين خرجا من الجنة ، يكرمون الضيف ولهم شجاعة عظيمة بها يقاتلون النور والاسود ويأكلون الحيات العظيمة والفيلة ولهم فى الزواج عادات خاصة بخور معروف ، ويمتدون الزوجات ولكن لا غير هناك ولا حسد وهم لا يسرق بعضهم بعضا ، ولا جرم أن هذه الأخلاق أكثرها شريفة قد حرّمها المتعلمون فى الأمم المتحضرة وهذا المعنى فهمه المتقدمون قبل ألف سنة . فقد جاء فى كتاب « اخوان الصفاء » فى المفاخرة بين الحيوان والاسان أن زعيم الطيور سخّر من الانسان وحقر شأنه من جمعه وكبده وادّخاره وجمعه الخطب وإيقاد النار وأن الطيور والحيوانات البرية تأكل من نعم الله بلا طبع ولا عجن ولا تعب ولكن الانسان مسكين متعب شقى يجاهد هلا كه فهو فى همّ بالليل والنهار فى جلب قوته ولا نتيجة له إلا التخمّة والجشاء وعسر البول والجرب والجدرى الخ . فالانسان فى الصحراء يقل مرضه لقلة إفراطه فى اللذات وهكذا حيوانات البر والطيور وكل حيوان عّش مع الناس حرموه غريزته فأكل وشرب بلا نظام فرض كما يمرض هذا الانسان الجاهل . يقول المؤلف : وبالجملة هذه الحكاية بها عرفنا أن

القدماء أدركوا سرّ الطعام والشراب والكشف الحديث أيد ذلك . وجميع هذا وذلك تشير له قصة آدم
إذن الانسان في المستقبل سيقصر على النبات الذي لا يطبخ ويكون أسعد صحة وأخلاقاً وجمالاً وعاماً
وتهذيباً ويقلّ طمعه . ومن عجب أن الانسان له بدل الفرح البكاء وبدل الأعراس المآتم وبدل
الأسورة والخلخال الأغلال والقيود والطيور وغيرها سميدات بالرياض والأنهار والأشجار والأزهار
والحرية والصحة والسعادة

١٣٩ اعترت المؤلف ثلاثة أمراض مرّة واحدة في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ عند طبع هذه السورة فلم
يستعمل دواء كما في الطب بهذا التفسير واكتفى بالجوع وشرب الماء الدافئ مع الليمون والاستحمام
بالماء الحار ثم البارد عقبه مع مقابلة الهواء والشمس في الخلاء ، فهذه المداواة الطبيعية قتلت الأمراض
الثلاثة حالاً بل لم يحصل لها أثرٌ ما . ومصدق قصة آدم أن طبيباً صحب امرأة وعاش اليوم معها في
جزيرة (شاولز داروين) بالقرب من أمريكا الجنوبية وقد تجرد من الملابس كآدم ولا يتعاطى إلا
الأطعمة النيئة على مقتضى الفطرة الأولى . وهنا تعجب المؤلف من هذا الانسان الذي أصبحت جميع
حياته خاطئة كاذبة ، والأمم المستعمرة اليوم أشبه بوصف المسيح الدجال يظهرون الغيرة على الأمم وهم
يعلمونهم البطنة والاسراف وكل شهواتنا وملذنا تقطعنا عن السعادة فهي أشبه بالمسيح الدجال أيضاً
تفرحنا ظاهراً وتقتلنا باطناً ، اللهم إن الإنسانية اليوم جاهلة خاطئة في كل شئ ولا يصلحها إلا حكماء
تخلقهم أنت من مواطن الأنبياء بالشرق فيصلحون الشرق مع الغرب

١٤١ ﴿ نور النبوة في هذا الزمان ﴾ ورد في الحديث أن المؤمنين كالجسد الواحد ، وورد اننا لن ندخل الجنة
حتى نتعاب . إن انتشار الطيارات سيجعل بين المسلمين مودة وبغير المواصلات لا يمكن التفاهم بل
هناك انقطاع وهذا الحديث ستظهر ثمرة التامة في المسلمين في مستقبل الزمان إذ تصل الطيارات بين
بلادهم ويعرف بعضهم بعضاً . وسيكون الناس أشبه بالطيور الواردة في حديث « لوتوكتم على الله حق
توكله لرزقكم كما رزق الطير » من حيث أكل الطعام بالطبخ ومن حيث الطيران في الجو ومن حيث
أن كل امرئ له عمل كالطائر فأينما حلّ وجد رزقه ميسوراً سهلاً وهذا سرّ الفيتامين وسرّ إيقاف
الحرب في المستقبل الوارد في آية - حتى تضع الحرب أوزارها - وسرّ أن الناس سيأتى عليهم يوم
لا يأخذون المال ممن يعطيهم إياه وهذا يوجب على المسلمين أولاً :

(١) تعميم الطيران

١٤٢

(٢) وأن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد

(٣) وأن يعمرأ أرض الله

هذا سرّ حديث البوكل المقدم . ومتى ارتقى الناس بهذه الأعمال قلّ إغواء إبليس فيحنث في يمينه
- فبعضك لأغوينهم - الخ

١٤٤ تفسير سورة الزمر . هي ثلاثة أقسام : القسم الأول في تفسير البسجلة . بالرجة قامت السموات والأرض
إذا ثبت ثبوتاً طبيعياً أن الارزليس كالبرتقال من حيث أن الأول يقلّ فيه القوة الحيوية التي استمدّها
من الشمس والثلث في تسكّر فيه تلك القوة التي استمدّها منها . إذن معنى هذا أن المواد على الأرض
ونفس الأرض قد عجزا عن استكمال قوة الحياة من طبيعتهما . إذن الأرض وما عليها لا حياة فيهما
إلا بما يستفيدن من ضوء الشمس . فإذا ثبت هذا في الامور المادية فبالأحرى تكون الرجات التي
اتصف بها الطير وسماء الحيوان والانسان ليست من المادة لأنها عجزت عما هو أسفل وهي قوة الحياة

١٤٥ فاستمدتها من الشمس . إذن الرحمة المنبوءة في الرجال والنساء وغيرهما من عالم أعلى كله رحمة ونعمه عنه بهالم الملائكة أو الأرواح ، فلننظر في الطفل : إن رحمة خاصة بجسمه هو ، فكل ما حوله يعتبره مسخر له ، وكلما كبر ازداد رحمة حتى يصير أباً وزوجاً وأماً وملكاً وحكماً ، وتعمّ إذ ذاك رأفته ، فمن أين أتت ؟ من عالم غير هذه الأرض ، فكل ذي رحمة اقتبس رحمة من الرحمة العامة كما اقتبس الارز والبرتقال قوتيهما الحيوية من ضوء الشمس وهذا برهان قاطع . وخير الرحمت وأعلاها ما كان أشبه برحة الأم ترضع ولدها بلا طلب جزاء في الآخرة ولا في الدنيا . ومتى ظهر في الأمم أفراد على هذا المنوال فبشرها بالسيادة وهذا يؤخذ من قوله تعالى - إنا أخلصناهم - الخ وآية - إلا عبادك منهم المخلصين - فاعبد الله مخلصاً - الخ - ألا لله الدين الخالص - قل الله أعبد مخلصاً له ديني - وأخيراً قوله تعالى - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافئين - . فزن نفسك أيها الذكي بهذا القانون تعرف مقدارك في الحياة ، فليكن تعليم المسلمين لهذه الأحوال : إعداد العقل للفكر . والمواطن للحب . واليدين للعمل :

- ١٤٧ (١) عنديكم أيها الخواص من المسلمين لوحان : السماء والأرض فيهما محو وثبات . إذن هما كألواح البيان . إن كل محبوب على الأرض لم يكن إلا لواحد من خمسة أسباب : الجمال العلم . الشجاعة . الاحسان . المناسبة المجهولة . ولا جرم أن هذه كلها مستمدة من عالم أعلى كما أنه ثبت أن مادة الحياة من ضوء الشمس لا من نفس المادة الأرضية . إذن فليكن الحب لمسدى هذه النعم لأنه أكمل في هذه الأوصاف
- (٢) لكم درسان : خلق الحيوان وخلق الانسان
- (٣) ليكن ليلكم قياماً وصلاة وعلماً مع حب الله - آمن هو قانت - الخ
- (٤) لتكونوا صابرين وستكون لكم حسنات - قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم - الخ
- (٥) ليكن من أوصافكم التعقل والحكمة - الذين يستمعون القول - الخ
- (٦) لتكونوا خلفاء الله تبشرون عباده - قل يا عبادي الذين أسرفوا - الخ
- (٧) ستقنلون العلم - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ
- (٨) ستكونون في غرف وتشرق لكم الأرض بنور ربكم وتسلم عليكم الملائكة وترون ربكم والملائكة حافين من حول العرش

١٤٨ الكلام على الاستغفار والتسبيح والتلهيل والتكبير والتحميد والحوقة ، جاء في الحديث « التسبيح والتحميد والتكبير عند النوم مجموعها مائة مرة ثوابها عظيم والشيطان قد يلهمي عنها ، وكان ﷺ يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار قبل موته لقوله تعالى - إذا جاء نصر الله والفتح - الخ » التسبيح وأخواه خير مما طلعت عليه الشمس

١٥٠ { القسم الثاني } السورة مكتوبة بالخط المشكل من أولها الى قوله - لقوم يؤمنون -

١٥٢ التفسير اللفظي لهذا القسم

١٥٦ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ، ذلك هو النظر في نبات الأرض ومائها وحدائقها ، ذلك لأنه ذكر بعد ذكر الجنات . الكلام على المواد الغريبة التي لا بد منها للصالحية الماء للشرب وهي خمسة ويجب أن تكون له خمس صفات كالبرودة وأن يكون خفيفاً الخ

١٥٨ الكلام على المياه المعدنية والمياه الحارة مثل ماء فيشي والمياه الغازية والمياه الحضية التي تفور بتعرّضها

- للشمس والمياه الحديدية وهكذا
- ١٥٩ حكمة ألمانيا جاء فيها أن المؤلف يجب أن يصنع في تأليفه ما صنعه الله في خلقه ، ومعنى هذا أن يكون كل ما في كتابه هو الذي صنعه وتصرف فيه . ذكر عذاب الظالمين في الدنيا والآخرة
- ضرب مثل لحال المشركين
- ١٦٠ ذكر الصادقين والكاذبين
- ١٦١ ذكر النوم والموت . لطيفة في معجزات القرآن في هذا الزمان بمناسبة هذه الآية
- ١٦٢ ههنا خمس لطائف : اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يكور الليل على النهار - الخ
- ١٦٤ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة - الخ وههنا (٥٠) حكمة في جسم الانسان مثل ان أعضائه قطع يسهل العمل بها ، ومثل المفاصل ، ومثل ان الرأس مركب من عظام ستة في القحف وهناك (٣٣) سنا ، ومثل الأشجار والشتتين اللتين هما كاللباب يغلان ويفتح حسب الأحوال وهما ستر لثلاثة يفيد الجمال وهكذا وآخرها ان هذا الانسان لو كمل عقله عند الولادة هلك حزنا لأنه يرى نفسه محمولا قدرا الخ
- ١٦٦ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ وقد طلب المؤلف من المسامحين تكوين لجان للعلوم والفنون الخ وذكر عدد المؤلفين في ألمانيا وأن هناك في كل (٢٥٠٠) نفسا رجلا واحدا مؤلفا ، أما المسلمون فامهم ناعمون
- ١٦٨ ﴿ نبذة في الطب ﴾ وذكر ٣٩ مصابا بأكل السكسكى وعليه التراب والأوساخ وهكذا البسبوسة
- ١٦٩ ومن الجهل الفاضح في البلاد الذي تدمر الآلة أيضا الحلوى التي تضر الأطفال فكلها مضرّة للصحة فلا يجوز إعطائها للأطفال فضلا عن غيرهم
- ١٦٩ ﴿ قائمة الأكل في المستقبل ﴾ يقول الدكتور برنار الانكليزي : « سيكون الفطور محضرا من شعاع الشمس ، والغداء من الهواء ، والعشاء من ماء البحر ، وهذا كله بصنع الكيمياء ، ولكن هذا بعد أجيال كثيرة لأن افريقيا فيها أراض تكفي لملايين كثيرة غير سكان الأرض »
- ١٧٠ الاقتصاد وجمع الثروة وذكر مسألة البحار الميت وأن الجاهل يحقره والعالم يراه ذهبيا كما تقدم في التفسير
- ﴿ الفصل الثالث ﴾ في الجامعات الأوروبية ، وبيان أن أكثر طلبة مصر مجتدون وقليل يلعبون بل يفسقون لاهمالهم . والمهم اننا نعرف أن جامعات سويسرا كانت جامعات دينية فاقبلت علمية مع المحافظة على الدين . فهذه جامعة لوزان في مدينة لوزان بسويسرا نشأت سنة ١٥٣٧ م وفيها علوم الحساب والطبيعة والصيدلة ومدرسة المهندسين والأساتذة فيها (١٢٩) وذكرت هذا التفسير في هذا الطريق لأن الدين الاسلامي أولى بهذا من دين المسيح
- ١٧٢ ﴿ فوائد التعليم الاجباري ﴾ يفضل توماس جفرسون رئيس جمهورية الممالك المتحدة بقاء التعليم الأولى وتعميمه على بقاء التعليم العالي لوخير بينهما . إن وجود طبقة متعلمة وبقية الأمة جاهلة معناه أن هؤلاء يستعبدون البقية . ومن جهة أخرى العالم وسط الجهال لاقيمة له . إن هولندا والدانمارك والسويد والنرويج لما عدت الأتية منهم أصبحت بعض الولايات لاجنابيات فيها فأولى بهذا المسلمون
- ١٧٣ المدرسة القروية هي محل استشارة القرية كلها
- ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - والكلام على جوف الأرض وجبال البراكين والجبال التي تبتلعها الأرض والآبار الارتوازية . الماء معلق فوق رؤسنا . الآثار الجوية المائية

- ذوبان الجليد . رشح المياه . فعل القنوات الشعرية الأرضية . جرى المياه الى الجهة المنحطة
- ١٧٥ ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ في قوله تعالى - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وأن الآية ليست قاصرة على اختصاص الكفار والمسلمين بل تشمل المتحاربين بعد زمن النبوة
- ١٧٦ ﴿ القسم الثالث ﴾ كتب مشكلا من آية - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - الى آخر السورة
- ١٧٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٧٩ هذا القسم أربع لطائف الثالثة منها - وأشرق الأرض بنور ربها - وذلك في الآخرة . والحكماء يشاهدون مبادئه في الدنيا . ألا ترى كيف رأينا العدل في عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ورأيناه في البر والبحر . ففي كليهما حدائق مثل مافي المحيط الهادي من شجر المرجان وهناك جزائر مرجانية يثبت فيها الشكولاته . وهناك ١٠٠.٠٠٠ جزيرة وألف جزيرة مرجانية . ومن ذلك عدل الله في خلق العيون وعدمها . فالسمك الذي يعيش على بعد (٢٧٥٠) قامة لا عيون له لأنه لا ضوء للشمس هناك . وهناك سمك له مصباح يضئ في قرار البحار
- ١٨٢ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ - وترى الملائكة حافين من حول العرش - وقد ذكر العرش في السورة بعد الخ
- ١٨٣ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن في آخر سورة ص وأول سورة الزمر من قوله تعالى - ما كان لي من علم بالملا الأعلى - الى قوله - فأني تصرفون - . وههنا ورد سؤال على المؤلف وهو أن الله عظم الانسان إذ أسجد له الملائكة الأرضيين وخلق له السموات والأرض وأنزل له الأنعام ولكنه أذله أيضا بتسلط إبليس عليه وعلى ذريته وجعلهم في ظلمات ثلاث . فأجاب المؤلف بأن الاجابة على هذا السؤال لا تتم إلا بعلم الهواء والضوء وانكساره وانتشاره ولا يتم ذلك إلا بعلم الطبيعة والفلك . إن الهواء مركب من الأكسوجين والاوزوت وتنقص حرارته كلما ارتفع فاذا زاد عن (٧٠٠٠) متر صارت الحرارة (٦٠) لا تنقص وهذا ظن القوم وله ثقل يعادل (٥٨٥) مكعبا من النحاس وكل مكعب ضلعه كيلومتر وارتفاعه (٤٨) كيلومترا أي جزء من $\frac{1}{3}$ من نصف قطر الأرض وهذا الهواء أمره عجب لا يرى الشمس صباحا بضوء أقل من الضوء وقت الهجرة بمقدار (١٣٥٠) مرة . وسبب هذا النقص أمر وهو أن الغبار الذي يتخلل جونا فوق رؤسنا أقل من الغبار الذي يتخلل الجو بالقرب من الأرض (١٦) مرة . فهذه (١٦) طبقة من الغبار تحجب عنا كثرة ضوء الشمس صباحا فتخرجها الى واحد من (١٣٥٠) وبهذا الحجاب يسهل لنا أن ننظر شعاع الشمس . أما في وقت الظهر فلا . وبهذه يأتي ضوء الشمس للأرض بالتدريج . وهذا الغبار يظهر لنا أن الشمس صباحا أبعد منها ظهرا والكواكب القريبة من الأفق أبعد في الظاهر من الكواكب التي في وسط السماء وتظهر قبة السماء كأنها منحطة . فقرب الشمس وقت السموت وقرب الكواكب هناك وقرب القبة السماوية لسبب واحد وهو قلة الحجب الغبارية في الهواء وبعد الكواكب الأفقية للحجب الستة عشر
- ١٨٧ لولا الهواء لم يضئ نور الشمس إلا ما قابله وتكون الدنيا كلها ظلاما ماعدا المقابل للشمس ويكون الجو حالك السواد وتظهر النجوم نهارا وقت الظهر ولا يكون هناك ضوء صبح ولا ضوء بعد الغروب لأن ذلك لم يحصل إلا بانتشار النور بواسطة الهواء وبانكساره والانكسار يتضح لمن يضع عودا في الماء فانه يرى كالمكسور وما هو بمكسور وانما ضوءه انكسر . وهذا ظاهر في (شكل ٦) في صحيفة ١٨٨ والبيان في حرف (ا) وحرف (ب) وهذه التجربة السهلة من علم الطبيعة هي الواضحة في علم الفلك (شكل ٧)

١٨٩ إن الضوء بانتقاله من الجو الخالي من الهواء الى الجو الذي فيه الهواء ينكسر بهيئة خاصة لأنه انتقل من لطيف الى كثيف ، وهذا الانكسار يوجب الانتشار ، ومن هذا الانتشار يكون الفجر والصبح والشفق ، ولولا ذلك لطلعت الشمس بفتة فأهلكت كثيرا . إذن هنا غبار في الهواء لطف الضوء . إذن هذا نظير الظلمات الثلاث المحيطات بالجنين . فاذا كان الجنين لا يحتمل انكشاف جسمه للشمس مع انها نعمة هكذا الانسان والحيوان جعل الغبار الضار بأجسامهم نعمة عليهم لأنه يلطف الضوء ويجعل سيرا نور ووصوله لهم تدريجيا . فتقليل الغبار الجوى والحجب نعمة لانقمة كما ان ظلمات الجنين نعمة عليه . وهكذا إغواء الشياطين لبني آدم لانهى لها إلتأخير رقيهم . ذلك لأنهم لو أعطوا العلم دفعة واحدة لمكنت أرواحهم . فلا بد من معوقات جسمية بالأصراض والحروب ومعوقات روحية تنبهم عن العلم فيقبلونه بالتسدرج والشوق كما يتقبلون ضوء الشمس بالتسدرج . والفضل في الشئ للغبار الذي هو مكروه ضار والفضل في الأول لاغواء الشياطين . هذا هو الجواب على هذه الأسئلة

١٩٣ اللطائف العامة لأقسام السورة كلها : اللطيفة الأولى في قوله تعالى - خلق السموات والأرض بالحق - يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل - مع آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - وههنا ذكر حركتي الشمس السريعة والبطيئة والدرجات (٣٦٠) والبروج (١٢) وكيف اخترعها العقل الانساني قديما . ذلك انه رأى نجوما تخيلوا انها كالحل فسميت (٨٠) وهكذا البقية . ولكل برج (٣٠) درجة وبضربها في (١٢) يكون ذلك (٣٦٠) ولكل برج (٣٠) يوما . وهناك (٥) أيام وربع يوم توزع عليها . وبيان أول فصل الربيع اذا حلت في رأس الحمل وقد أخذت في الارتفاع الى الشمال في يوم ١٧ من برمهات . فاذا قطعت الشمس الحمل والثور والجوزاء وحلت بالسرطان في أول الصيف كرت راجعة الى جهة الجنوب . يأخذ النهار في النقص والليل في الزيادة . وهذا على عكس حالها حين تصل الى آخر القوس في الجنوب . إذن يكون ذلك أقصر يوم وأطول ليلة في السنة . وهناك تنتقل الى الجدى في ١٧ من كيهك وتسكر راجعة فتأخذ في الارتفاع . فهذان هما الانقلابان الانقلاب الصيفي والانقلاب الشتوي . وهذان غير الاعتدالين إذ فيهما يكون النهار والليل متساويين أما في الانقلابين فالنهار يكون أطوله ١٤ ساعة ويكون الليل ١٠ ساعات . واذا بلغ الليل ١٤ ساعة كان النهار ١٠ ساعات وذلك في مصر وما مائلها وبقية الأقطار الأخرى منتظمة بحسب غير هذا أقل أو أكثر

١٩٥ بيان شهور القبط وموازنتها بشهور السريان وشهور الروم وهذان الأخيران متوافقان . وبيان الأشهر التي هي (٣٠) يوما وهي (٤) وواحد ينقص يومين والباقي (٣١) وذكر نظم القدماء شهور السريان وشهور الروم

١٩٦ الكلام على المنازل وانها (٢٨) منزلة أولها الشرطان وآخرها بطن الحوت وأن لكل منزلة (١٣) يوما وبقى يوم وربع فيضاف ذلك لمنزلة الجبهة آخر السنة . وفي كل (٤) سنين يكون للعجبة (١٥) يوما وههنا بيان طلوع المنازل وقت الفجر مثل ان الشرطين في ٢٣ برمودة وفي ١٨ نيسان الذي هو شهر ابريل وهكذا فتعرف المنزلة بمعرفة الشهر القبطي أو السرياني أو الرومي

١٩٨ الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له وانها قسمان : جنوبية وشمالية . والمنزلة مقدار ربع سبع الدور . وما كواكب المنزلة إلا حدود فوارق بينها . وههنا تطبيق لمعرفة القمر في أي منزلة

١٩٩ الكلام على أحوال الأهل التي عليها مدار الشهور . ذلك ان القمر يتأخر كل ليلة ستة أسباع ساعة

ولا يزال يتأخر حتى يكون في الليلة السابعة مغيبه نصف الليل وفي الرابعة عشرة طلوع الشمس وطلوعه ليلة ٢١ نصف الليل وليلة ٢٨ مع الغداة . وههنا طرق حسابية لاستخراج أول الشهر العربي ٢٠٠ ههنا أن نذكر نتائج انتظام الأجرام السماوية في الأعمال الزراعية في الأرض . فكما انتظم سير السكواكب انتظم الزرع في الأرض . فالزراع ونحوها مقسمات على الشهور . مثال ذلك :

« شهرتوت » فيه النيروز ويلقط الزيتون وتفتح أكثر الترع « بابه » فيه يطيب الرمان الخ « هاتور » فيه يزرع القمح وأكثر البقول الخ « كيهك » فيه تزرع الحلبة الخ « طوبه » فيه يكمل النرجس والقرط الخ « أمشير » فيه تفرس الأشجار الخ « برمهات » فيه تزهر الأشجار الخ « برمودة » فيه تقطف أوائل حسل النحل الخ « بشنس » فيه يكثر التفاح الخ « بؤنه » فيه يكثر الحصرم الخ « أيب » فيه يكثر العنب الخ « مسرى » فيه يصنع الخل

٢٠٢ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وبيان أن العلم أشرف شئ والعلماء قليل فهو كالراديوم

٢٠٤ ﴿ الراديوم وخواصه ﴾ هو دأماً يلمع كوهج النار يتقدد ولا ينطفئ الخ . هذا المعدن له نظير في الناس وهم الحكماء الذين يؤثرون في عقول الأمم . لما ظهر الاسلام استخرج أهله الحكمة من بلاد اليونان أيام الهباسبين ثم ذهبت تلك الدول وانتقل العلم الى بلاد الأندلس ثم الى أوروبا لأن أبناء العرب اكتشفوا بالشعر

٢٠٨ إن قول الله سبحانه وتعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - جاء العلم فيه بالفعل المضارع إشارة للتجدد وقتاً بعد وقت الخ

٢٠٩ يخاطب المؤلف المسلمين قائلاً لهم : « أتم خير أمة أخرجت للناس قديماً فكيف لا تستوعبون علوم الأمم لتسكنوا خير أمة أخرجت للناس في المستقبل »

٢١٠ ﴿ الفصل الثاني ﴾ فيما قاله الفيلسوف « كنت » الألمانى في كتاب التربية . للكتاب مقدمة وأربعة فصول ، وفي المقدمة اختصاص الانسان بالتربية ، ثم تربية الطفل في المهد ، ثم تهذيبه بطريق سليم . ثم تلقينه العلوم الخ والتهذيب يمنع عنا الأخلاق الحيوانية إذ لم نمنح غريزة لذلك . وتجب المبادرة له في الصغير والا تعسر في الكبر . ومن فاته التهذيب صغيراً تعسر عليه كبيراً بخلاف العلم فهو لا يفوت بالكبر إن صغار الحيوان لا تحتاج الى تعليم اللهم إلا الطيور فهي تعلم صغارها هيئة أصواتها . والحجب أن كل طائر في الأرض شرقاً وغرباً له صوت واحد يحافظ عليه (هذه العبارة في الأصل الانجليزية وسقطت من الترجمة سهواً) . لو تعاون الأصم مع ذوى المواهب على تعليم الانسان أو علم الانسان عالم أعلى منه لأصبح الناس اليوم في حال أشرف من هذه . ومتى بلغ الانسان درجة التبصر وأحس بالخلل أخذ يفكر : أهذا من نقص التهذيب أم التعليم ؟

٢١٢ ضرر نقص التهذيب أشد من ضرر نقص التعليم . على كل جيل أن يخطو خطوة الى الأمام . نهاية ذلك السعادة الانسانية . ليسكن لنا يقين بذلك . التعليم التقليدى ينتهى بالنقص الانسانى كالنبات الذى نبت من الجذر فى العام الثانى فزهرة يكون أقل بهجة

٢١٣ الكمال محبوء فى الانسان . التعليم اليوم صناعة فإذا ارتقى الانسان صار أشبه بالفريزة . ليس فى الأرض حكومة صالحة ولا تعليم حقيقى . لابد من تضافر الأفراد على النفع العام وذلك لا يضر بمصلحة الفرد لأن المواهب تظهر بذلك القصد . الشر يأتى من اهمال الطبائع

٢١٦ آراء الاستاذ « كنت » كلها ترجع لما في القرآن - اقرأ باسم ربك - الخ - قل هل يستوى - الخ - وههنا ﴿ زبرجدتان : الأولى ﴾ في أصل أهل ألمانيا بمناسبة ذم العلامة « كنت » للأمراء من حيث انهم لا يصلحون لتعليم الشعوب ، أصل أهل ألمانيا من العائلة الآرية و بلادهم كانت موطن للحيوانات المفترسة الخ

٢١٧ ﴿ الزبرجدة الثانية ﴾ إن الأمة المصرية علمها المغفور محمد علي باشا وذريته عشرات السنين ، ولكن الحرية ليست تامة ولم يتم بالثورة إلا أحد عرابي وهو لم يتعلم في مدارس الحكومة ، والأمة المصرية انقسمت قسمين فدخل الانجليز مصر ، ولكن لما قللوا التعليم فيها تعلم الشعب بنفسه ، فطالب نفس المتعلمين بالحرية

٢١٩ ﴿ نعمات الحكمة ﴾ وهي أن المؤلف سمع موسيقى تصدح بعد كتابة هذا الموضوع نفيل له أن هناك مسررات لاحد لها عند الأمم الآتية بعدنا في الشرق بسبب هذه التعاليم وأمثالها

٢٢٠ الأحاديث النبوية من الكتب الستة الصحاح في آداب العلم والتعليم . وبيان أن يكون التعليم لمن يطلبون العلم برغبة

٢٢٣ ﴿ الفصل الثالث ﴾ من المقام الأول في الكلام على الملك والوزير الذين أحبا العلم والحكمة وزهدا في الملك

٢٢٨ ﴿ المقام الثاني في شذرات ﴾ وهي خمس : الأولى في إصلاح التعليم . وذلك أن عالما سويسريا جاء الى مصر أثناء طبع هذا التفسير وقال ان تعليمها ناص وترك للحكومة كتابا ملخصه نحو ٢٠٠ م - آلة الخ

٢٣٢ معنى التعليم الاجباري وانه ليس المقصد منه تعليم العوام العالية بل القراءة والكتابة والحساب الخ

٢٣٥ ﴿ الشذرة الثانية . في العجائب السماوية ﴾ وذكر أقرب - م من الأرض وهو الافا . وأن هناك كوكبا يبعد عن الأرض اربع قرن بسير النور

الكلام على رصد الجوّ بالسهم النارية . وأر (جـارو) صنع صاروخا متى وصل الى (٢٠٠) ميل

أعطانا معرفة بهواء هناك وبأشعة الشمس كذلك وبالحرارة وبالضغط الجوى فهذه الأربع مجهولة الآن

٢٣٦ ﴿ الشذرة الثالثة ﴾ في غرائب الحيوان . غريزة الخوان منظمة كأنظمة حركات الاحجار ونحوها في سقوطها الخ

٢٣٨ ﴿ الشذرة الرابعة ﴾ في الفوائد الطبية . السكالب وأخطارها

٢٤٠ مقالات في كلمات مثل : ان حلاوة اللقاء ثم مرارة الفراق . ومثل : المصائب تعطي الابطيب حكمة والجاهل شرا

الكلام على الماء والصحة

الكلام على الاختزال بمناسبة آية - فبشر عباد الذين يستمعون اقوال فينبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب -